برنارد ويتمان

رسائل من كردستان
١٩٥٤- ١٩٦٣



ترجمة : غسان نعسان

مراجعة : ماموستا جعفر

برنـــارد ويتمان

رســـائـــل من كـردســتـــان

١٩٥٤ــ ١٩٦٣

مابين الحرب والحياة الهادئة ـ حياة في بناء الطرقات

ترجمة: غسان نعسان

مراجعة: ماموستا جعفر

مكتب الفكر والوعي للإتحاد الوطني الكردستاني
السليمانية ـ محلة سرجنار ـ ١٢١ ـ
زقاق ـ ٤٤
الدار ـ
www.hoshiari.org
govarynovin@yahoo.com

العنوان الأصلي:

PETRA KRUSELL(Hg)
BERNARD WITTMANN:
BRIEFE AUS KURDISTAN
1954- 1963
ZWISCHEN KRIEG UND IDYLL- EIN
LEBEN IM STRASSENBAU

إسم الكتاب: برنارد ويتمان — رسائل من كردستان (١٩٥٤ — ١٩٦٣)

المترجم: غسان نعسان

المراجع: ماموستا جعفر

التنضيد: شاناز رمزي

تصميم داخلي والغلاف: أميره عمر

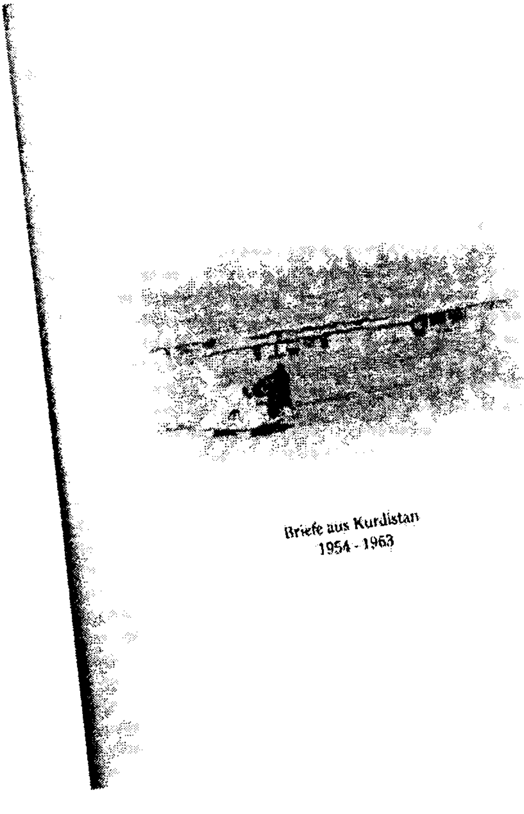
طبع: مؤسسة حمدي للطباعة والنشر

العدد: (٢٠٠٠) نسخة

الأيداع: (٢٤١٤) لسنة ٢٠٠٩

التسلسل: (٣٢٣)

من منشورات مكتب الفكر والوعي في الإتحاد الوطني الكردستاني



غلاف الكتاب باللغة الألمانية

كلمة شكر

للأخ ملا بختيار الذي تكرم بإهدائي النسخة الألمانية لهذا الكتاب، آملاً مني ترجمته الى العربية.

وللأخ ماموستا جعفر الذي تبنى مشروع طبعة الترجمة العربية على نفقة مكتب الفكر والوعي، الذي هو المسؤول عنه.

المترجم

غسان نعسان

المحتويات

تقديم بقلم
أودو شتاينباخ

هذا الكتاب ليس سياسياً رغم أنه يتحدث عن كردستان، هكذا تقول ناشرة رسائل والدها في مقدمتها. إذاً هل يستطيع من يكتب عن كردستان أن يكتب في الواقع عن السياسة فقط؟

تمكن الكاتب حتى منتصف الكتاب تقريباً من التعريف بالبلاد والناس بحماس واستلطاف. وفيما بعد تمكنت السياسة من السيطرة عليه. في خضم الارتباك الذي سببته الثورة في العراق التي أطاحت سنة (١٩٥٨) بالملكية الهاشمية، وفي الفوضى السياسية التي أحدثتها انهيار مشروع المهندس لبناء الجسور والطرقات أيضاً، وتحتم عليه ذاته مغادرة البلاد على جناح السرعة.

هكذا يظهر الآن تقريباً فيما بعد لدى رؤيته من خلال نصف قرن سقوط الملكية وانسحاب الإنكليز من البلاد، التي صنعوا منها "العراق" بعد الحرب العالمية الأولى، انفلتت حرب أهلية من عقالها، ليس فقط بين

الحكومة المركزية في بغداد والكرد، وإنما أيضاً بين التجمعات السياسية العربية والجيش والأحزاب، إضافة إلى ممثلي قوى خارجية مختلفة. فقط بعد أن استولى حزب البعث على السلطة سنة (١٩٦٨) ساد هدوء القبور بعد مرحلة طويلة من الأزمات، ذلك الهدوء الذي جعل رئيساً أمريكياً يقع الوهم أن بإمكان المرء ببساطة إزاحة نظام ديكتاتوري ثم خلق نظام ديموقراطي من جميع المواطنين الذين ينتمون إلى أعراق وأديان مختلفة.

برنارد ويتمان كان صديق الكرد وقد مارس عمله بينهم. وهو يحب حسن ضيافتهم ونزعتهم إلى الحرية. ولكن هذه المحبة جعلت منه مراقباً سياسياً أيضاً. الكرد "في الواقع لايرغبون أن تكون لهم علاقة بالعراق"

تورط الكرد مع الانكليز عندما رضوا بالمسير معهم، وكانت النتيجة أنهم ظلوا أسرى الكيان العراقي حتى الهزة الأخيرة التي تعرض لها. ويتمان كان يتفهم أن "الكرد يريدون دولتهم الخاصة بهم" وكان ينبه زوجته وابنته في رسائله إليهما الى أن تتذكرا اسم الملا مصطفى البرزاني جيداً.

ابن مناضل الحرية الأسطوري هذا أصبح اليوم رئيس (كردستان ـ العراق) التي تتمتع في الواقع باستقلالية واسعة المدى، حتى وإن لم ينطق مسعود

البرزاني بذلك علناً مراعاة لدول الجوار التي لديها "مشكلة كردية"

هناك ظاهرة مرفوضة أخرى استفحلت بعد سقوط الديكتاتورية البعثية. كان ويتمان شاهداً ذات مرة على حادثة ضرب مجموعة من المسلمين لرجل مسيحي. هذه المشاحنات اليومية أزعجته وأغضبته جداً بالطبع وحدَتْ به إلى النداء: "لا يمكنك تصور هذا العداء بين هذين الدينين على الإطلاق" صحيح أنه لم يكن هم جميع المسلمين الذين شرعوا بعد سقوط الديكتاتورية بقتل المسيحين وتدمير الكنائس، بل جماعات من المتطرفين الراديكاليين. وقد تعايشت عبر قرون طويلة الأغلبية المسلمة والأقليات المسيحية، وهذا ما رصدته ملاحظات ويتمان. ولكن هذه المرحلة أيضاً تتيح للمرء أن يتعرف على مدى التمزق الذي كان المجتمع العراقي ولا يزال يعاني منه. فيما يخص ذلك يقف ويتمان بعيداً جداً عن إلقاء التهم على طرف دون الآخر: "سلوك المسيحيين فيه مبالغة في الترفع والغرور، وهذا ليس بالسلوك الراقي..

يبدي ويتمان ملاحظاته السياسية بطريقة اقرب منها إلى الجانبية، فتبدو كأنها منتوج ثانوي لاحتكاكه اليومي بالناس الذين يشاركونه حياة العمل، فيراهم

أقرب إلى الواقعية. ربما يثير الاستغراب أن الحديث هنا لا يجري حول ما يحصل اليوم من أمور لا يمكن القبول بها بين الشيعة وأهل السنة. ربما يعود سبب هذا إلى عدم تلمس ذلك بشكل مباشر في الجبال الكردية. ولكن من المؤكد أيضاً أن الطريقة التي جرى بها تحرير العراق ساهمت في اندلاع توترات كامنة لأزمات مفتوحة سوف تلقي اليوم بظلالها على مستقبل البلاد.

ويتمان صديق الكرد والمساعد المتحمس في البناء سوف تملئه كردستان اليوم بالرضا. ليس فقط لأن رئيس جمهورية البلاد، كردي. منذ بداية التسعينات ثبّت الكرد منطقتهم سياسيا، كما بنى الكرد البنية التحتية المؤسساتية والثقافية بشكل منهجي. إذا لقد تم إستكمال مشروعه. إنطلاقاً من التحديات الكبيرة التي يواجهها العراق وكي لا يتعرض مستقبله مرة أخرى للتهديد، يجب على ألمانيا أيضاً، وهي بإمكانها أن تمد يد العون كما يتمنى رسولها ويتمان.

أودو شتاينباخ

آيار ٢٠٠٨

مقدمة:

بقلم: بيترا كروسل

كتب والدي الرسائل أثناء إقامته في العراق وكردستان لمدة تقارب العشر سنوات، وأرسلها لنا. كان يرغب أن يشركنا أنا ووالدتي في حياته. كان مراقباً رائعاً، يجمع الملاحظات التي تنتج عنها تقارير مفصلة. كان كل شيء يثير إهتمامه وإعجابه، الحيوانات، الناس، الطبيعة، تاريخ بلاد ما بين النهرين. حياة والدي جعلته يدرك إلى اين يؤدي التحزب والوشاية. في آب سنة (١٩٤٢) إعتقل من قبل الغستابو، وبصفته معتقلاً مميزاً كان نصيبه زاوية خاصة في معسكر الاعتقال "آوشفيتز"، ومن ثم الإحالة إلى سجن المحكمة في أوبلن. كان يفترض به أن يلقى عقوبة الاعدام. ولكي تؤمن والدتي تكاليف الدفاع عن والدي عملت كمترجمة في هايده بريك. كانت حاملة بي في الشهر الثاني. رتب لها

مديرها في العمل محامياً لأجل الدفاع عن والدي. كان عنوان مرافعة الدفاع وتبريره: "كيف يمكن حرمان طفل ألماني لم يولد بعد، وأم ألمانية من الأب والزوج الألماني؟" وقد نجح المحامي في مهمته. بتاريخ (٨ شباط ١٩٤٣)، قبل ولادتي بشهر واحد، وجدت أمي أبي جالساً في المطبخ أمامها، بدون شعر ولا اسنان. المحامي الدكتور كاشني ذاته تم إعتقاله على خلفية محاولة الاغتيال التي تعرض لها هتلر، وتم سوقه إلى معسكرات الإعتقال. في السنوات التالية لم يتكلم والدي كلمة واحدة على الإطلاق حول هذه المرحلة من حياته. خلف كل مهمة في الخارج تقف حكاية، تنطلق من معاناة شعورية دوماً، وهذا ينطبق على أهلي أيضاً. عندما نتحدث اليوم عن عداوات دينية، يتعلق الموضوع أغلب الأحيان ببلدان وثقافات وأديان بعيدة. عندما تزوج والدي سنة (١٩٣٧)، لم يؤثر فيهما على الإطلاق كون أحدهما كاثوليكيا والآخر بروتستنتياً. رغم أن الوضع في ألمانيا كان آنذاك، أثناء فترة ما بعد الحرب، تسوده العداوات المذهبية ضمن أبناء الدين المسيحي الواحد التي بإمكانها أن تدمر علاقات الإنسان. لم يستطع والدي طوال حياته أن ينسى كيف تعرضت زوجته ذاتها سنة (١٩٤٨)، عندما إضطروا إلى الهجرة إلى ما كان يسمى في ذلك الوقت "الغرب"، إلى

الشتيمة من طفل في الخامسة: "لا نريدك في ديارنا هنا أيتها العمة البروتستنتية." تتكرر في رسائل والدي الجملة التالية: "لا أستطيع احتمال سماع أحد يسخر من دين الآخرين"

هذا الكتاب ليس سياسياً رغم أنه يتحدث عن كردستان. أحب والدي خلال سنواته العشر التي قضاها في كردستان. وقد كان إنساناً سعيداً رغم الحياة القاسية التي عاشها. هذا الشعب الجبلي الذي يعشق الحرية. أحب دفئه الإنساني وكرم الضيافة والود لديه. عرضت في هذا الكتاب تقارير والدي كما هي في النص الأصلي، لكني قمت بتجميعها في فصول مستقلة صالحة للقراءة. رسالة من والدي إلى رئيس حكومة محلية في منطقته تصلح كتمهيد عملي لهذا الكتاب.

أهدي هذا الكتاب إلى أبي وأمي، اللذين تأثرت بكل واحد منهما. أنا أشكرهما على كل ما أنا عليه.

لويسينكن، تموز ٢٠٠٧

***تنويه**

تــرد أحيانــا أسمــاء علــم في الــنص الأصــلي بــشكل خاطيء، وأسماء بعض الأمـاكن والقـرى الـصغيرة، فعملت على البحث في الخارطـة عـن الأسمـاء الـصحيحة وتـصليح ماوجدته فيها. كما توجد أحياناً أرقام خاطئة للمسافات بـين المنـاطق وأرقـام للمبـالغ الماليـة، حيـث حاولـت قـدر المستطاع تصحيحها.

المترجم

تمهيد

السيد رئيس الحكومة المحلية المحترم.

أسعدني جداً أنك رغم المشاغل الكثيرة التي لديك كتبت لي رسالة مفصلة. لأجل ذلك أرسل لك شكري من أعماق قلبي.

هنا في شمال شرق العراق، في ميسوبوتاميا القديمة، في الأعالي في جزء من بلاد كردستان، كلفت شركتي من قبل الحكومة المحلية ببناء طرق جبلية بطول (٨٠) كم وغيرها مما يلزم لهذه الطرق. هذه البلاد الجبلية التي تحتوي مابين (٢٠٠٠ حتى ٤٥٠٠) جبل تبدو لي وكأنها لها طبيعة سطح القمر. تصل هنا درجة الحرارة مابين نيسان حتى تشرين الثاني إلى (٤٥ حتى ٥٢) درجة مئوية في الظل، وفي الشمس ما بين (٦٨ حتى ٨٥) درجة مئوية. موسم الأمطار يأتي في الفترة من تشرين الثاني حتى نيسان. إلا أن الله ينسى بعض الأحيان المطر، كما حصل في موسم (١٩٥٩ــ ١٩٦٠)، مقابل ذلك يفاجؤنا الله

في السنة التالية بكمية مضاعفة من الأمطار. حينها تنهمر الأمطار وكأن السماء تصب علينا سطول الماء، إلى درجة تتحول فيها أصغر السواقي خلال ساعتين فقط إلى أنهار هادرة لا يمكن السيطرة على طاقتها التدميرية. في مثل تلك اللحظات بالذات ترحل أفكاري إلى غابة "توتوبورغر" الباردة وإلى نهر "فيلمرستود" وإلى جبال "إكه"

سوف تسأل نفسك: لماذا لا تعود إذن إلى طبيعتنا الجميلة؟" أريد أن أكون صادقاً: بسبب المال. من المعروف بالنسبة لك أني انزلقت بشركة البناء الصغيرة التي كانت ناجحة إلى ما يسمى افلاس سنة (١٩٥٢). زوجتي كانت دوما أذكى مني، ولكن أنا أيضاً كنت دائماً أحس أن هذا الإفلاس متوقع، وبعد كل هذه السنوات تمكنا أخيراً من معرفة مكمن السبب. وافقت على العمل خارج البلاد كي أتخلص من المصاعب المالية التي سببها هذا الإفلاس.

المصاعب التي أواجهها هنا هي أسهل بالنسبة لي من كل المهانات التي كانت زوجتي عرضة لها في الوطن. وأنا أشكر الله يومياً لأن زوجتي استغنت من أعماق قلبها عن الطلاق. بشكل عام الحياة هنا في الأعالي ليست كأكل العسل، ويجب العمل كل يوم بقسوة من أجل الحصول على كل فلس، لكننا تمكنا معاً، زوجتي وأنا من السيطرة

على زمام الأمور. نحن الآن بصدد بناء منزل صغير. يفضل أن يكون هذا المنزل في منطقة "ديرمولد"، المنطقة التي تتحدر زوجتي منها.

بالطبع عملي لا يقتصر على كيلومترات الطرق فقط، إذا يضاف إلى مهمتي بناء (١٦٨) جسراً صغيراً نسبيا تبلغ أطولهم ما بين (٩حتى ١٤٥)متراً، وجسرين على نهر (تانجرو)؟ بطول (٤٠) و (٨٠) متراً، و(٢١٠) معابر للمياه تحت الطرقات. تستطيع أن تتصور ماذا يعني تحريك كمية من الأرض تبلغ (٤,٥) مليون متر مكعب (١,٥) مليون متر مكعب من الصخور؟ هنا أستغني عن ذكر إحصاء جميع الكميات الأخرى. كما أننا نتشارك مع شركة أمريكية في بناء سد دربنديخان. عند الإنتهاء من بنائه سوف تبلغ كمية مخزونه من المياه (٣) مليارات و (٤٢٠) مليون متر مكعب، وسوف يترك اثره على الطقس في المنطقة.

مشروع الطرق الشمالية في العراق تنقسم إلى أربعة اقسام كالتالي:

ممر تاسلوجة حتى السليمانية	(٢٠) كم
سليمانية حتى عربت	(٢٠) كم
عربت حتى ميره دي	(٢٠) كم

ميره دي حتى سد دربنديخان (٢٠) كم

كل قسم من هذه الأقسام يمتلك معسكراً خاصاً به ومستقلاً. توجد هنا أبنية تحتوي طاقة كهربائية وماء وورشات صيانة وورشات لتجهيز الأسفلت والحجارة وما شابه. المركز الذي تتبع له هذه الأقسام الأربعة يقع في عربت حيث تقع الإدارة العليا لشركة البناء. كما توجد لدينا ساحة شاسعة كموقف من أجل آلياتنا. سألتني عن أجور العمال المحليين.

دينار عراقي واحد = باوند إنكليزي واحد = ١١,٧٦ مارك ألماني.

الدينار يساوي ألف فلس. أنظر إلى الجدول التالي:

الوظيفة	ساعات العمل	فلس	مارك ألماني في اليوم
عامل عادي	٨	٣٠٠	٢,٥
حارس	٧	٣٥٠	٣,٧
حداد/ معلم (اوسطة)	٨	٥٠٠	٥,٨
سائق شاحنة	٨	٧٥٠	٨,٥
أوسطة بناء	٨	٨٠٠	٩,٦
سائق آلية ثقيلة	٨	١٢٠٠	١٤,٤
مراقب عمال	٨	١٢٠٠	١٤,٤

عائلة متوسطة الدخل مكونة من رجل وامرأتين وحوالي ستة أطفال تعيش بحوالي (٠,١٢٠) دينار وهذا يساوي (١,٤٤) مارك ألماني في اليوم. مصدر الرزق يأتي من الحيوانات والدجاج والأغنام والأبقار والحمير والجمال. هنا في الأعالي في القرى تمتلك العائلة في المتوسط حوالي (٢٠) دجاجة و (٣٠) عنزة و (٢٠) غنمة ومايقارب (٥) حمير.

الحمير هنا يشكلون وسيلة النقل الأكثر انضباطاً، وهم ينتمون إلى سيدها الحصان العربي. يمتطي رب

العائلة الحمار مفتخراً، بينما يسير خلفه النساء والأطفال محملـين بالمتـاع والمـواد، يلحقـون سـيراً علـى الأقـدام بسيدهم المطاع. هذا الحمار، أقصد هـذه المرة الحمـار ذا القوائم الأربعة، دخل إلى قلبي وأكـن لـه قـدراً كـبيراً مـن المحبة، وأنا أسأل نفسي دائماً عن المصدر الـذي أتـى منـه تعـبير "حمـار غـبي" هـذه الحيوانـات الجميلـة هـي كـل شيء ما عدا الغباء. كم من المرات كلفت قافلة من الحمير (ذي القوائم الأربعة)، بمهمة حيث لم يكن ممكناً للبشر أو الآليات أن ينجحوا. فيها. صحيح أن الحمـير هـي جـزء من العائلـة، ولكن عليها تـأمين علفها بـذاتها. لم يـسمع أحد هنا بتمـوين الـتبن لموسـم الـشتاء. الطبيعـة هنـا في الأعالي جـرداء فعـلاً، لا توجـد هنـا غابـات. مـسألة المياه هنـا مـشكلة كـبيرة تعـاني منهـا كـل الـبلاد. حتـى نحـن حفرنا الآبار أيضاً، بعد أن كنا نجلب الماء من الجبال الـتي تبعد عنا مسافة (٥٥) كم.

لـدي علاقـات كـثيرة مـع الـسكان المحلـيين، وأسـتطيع تكلـم لغـتهم الكرديـة وفهمهـا بـشكل جيـد. وهـذا خلـق قاعدة للثقة مهدت الطريق لي للدخول إلى نفوس هـؤلاء الكرد. حسن الضيافة والود والدفء الإنساني الذي يتمتـع به هؤلاء الكرد ليس معروفا في الغرب. إنهم شعب فخـور متمسك بقوة بعاداته وتقاليده. اصاب الكرد سوء الحـظ

بسبب القرارات السياسية الأوروبية في بداية العشرينات (يقصد القرن الماضي ـ المترجم) مما أدى إلى تقسيمهم في خمس دول مختلفة. قلبي يخفق من أجل المظلومين، ولكن بعكس الماضي أحاول اليوم بكل صرامة أن أظل حيادياً. أنا ضيف في هذا البلد وأحافظ عليه ـ وألتزم بالقواعد المترتبة على ذلك بمنتهى الصرامة.

كي أعود مرة أخرى إلى الخدمات: الطعام الأوروبي المألوف يجب استيراده. جميع أنشطتنا نحن الألمان في أوقات الفراغ تجري في المعسكر وحوله. عدا المدن مثل بغداد والبصرة والموصل وكركوك لا توجد هنا مطاعم (أكل وشراب ـ المترجم)، ولا داعي للحديث عن وجود الحانات. وعندما أتيت إلى هذه البلاد قبل أكثر من ست سنوات كان يحكمها الملك الشاب الذي قتل سنة (١٩٥٨) (فيصل الثاني)، وكانت البلاد في مرحلة بناء. العراق بلد غير قابل للتطور بسهولة، وسوف يسعدني أن تحافظ كل حكومة جديدة على التطورات التي حصلت:

السلطة المطلقة هنا في الأعالي هي بيد رئيس الحكومة الذي هو المتصرف (المحافظ). كلمته هي بمثابة المنزلة. الشخص رقم إثنين هو مدير المنطقة الذي يساوي (كالماخان)، ثم مدير الناحية الذي يتحكم بمصير الخمس والعشرين قرية التابعة له. ثم هناك المشايخ

القدماء الثابتون، وهم الذين لديهم بشكل غير مباشر الكلمة الفصل.

ما هو مصدر الرزق الآخر للسكان؟ يزرع هنا القطن والنخيل والتبغ ومختلف اصناف الحبوب. كما يجب ألا ننسى البترول في كركوك، التي تشكل مركز البترول في العراق.

رعايتنا الدبلوماسية تتم من قبل السفارة الألمانية في بغداد. مرة واحدة فقط كلف نفسه ممثل للسفارة بالمجيء إلى العالي هنا طوال تلك السنوات. أمام جميع الألمان المجتمعين ابلغته بآرائنا جميعاً حول مؤسسته. وقد اعطاني الرجلُ الصالح الحقَّ في جميع النقاط التي طرحتها، حتى أنه اقترح قائلاً: "اكتب كل ذلك وأرسله إلى بون" (العاصمة السابقة لألمانيا الغربية حينذاك ـ المترجم).

وقد فعلت ذلك عدة مرات وحالفني النجاح أحياناً. هؤلاء الموظفون الغربيون بالكامل هم في بيئة غريبة كهذه بالنسبة لهم، يتصرفون كالرضع.

هل تعلم حول ماذا أستطيع أن أضحك اليوم؟ أثناء الفترة التي كنت أنا فيها عضواً في مجلس المحافظة بحثت عنك أنت رئيس الحكومة المحلية مع أحد جيراني. هذا الجار انحنى أمامك إنحناءة مبالغا فيها، فأجبته

أرجوك لا تكسر عمودك الفقري" بالمناسبة، هل لازلت تقوم دائماً بخطوات سريعة وكبيرة؟ عندما أتيت إلى المساكن الجديدة الاولى بعد إكمال بنائها من أجل رؤيتها، شرحت لي قائلاً: "يجب أن أقوم بذلك كي ألتزم بجميع مواعيدي."

أتمنى أن تكون وتبقى بأفضل صحة. سوف أدعو الله أن يرعاك خير رعاية.

مع التحيات القلبية
من الشرق والحفاظ على الود القديم

المخلص برنارد ويتمان
السليمانية في العراق
٢١ تشرين الأول ١٩٦١

نحو الشمال في القطار البطيء

لم يمهد أحد الطريق لي كي أكتشف في (٢٤) ساعة فقط شعبين متغايرين وثقافتين مختلفتين بالكامل، اختلافاً جذريا، وهذا في البلد ذاته. واجهت هذه التجربة حال وصولي إلى العراق. هبطت طائرتي منتصف الليل في بغداد عاصمة العراق العربي. عندما وصلت بعد (٢٤) ساعة في قاطرة النوم بالقطار إلى كركوك، وجدت نفسي في عراق. كردي خالص، رغم أني لازال موجوداً في البلد العربي العراق. بلعت ريقي وفركت عيني مندهشاً، ولكن حتى القادم الجديد مثلي يستطيع أن يرى: هنا يوجد كرد فقط، بالكاد يوجد عرب. هذه المعلومة كانت بالنسبة لي مبهرة إلى درجة أني سأبدأ تقاريري من بلاد الكرد التي أرسلها لكم إلى ألمانيا بهذه المعلومة.

تصوروا أني هبطت بالطائرة في ميونخ ثم توجب علي أن أتجه الآن إلى هامبورغ نحو الأعلى كي أصل قريباً من مكان سكني الجديد(٤) ساعات سفر في السيارة شرقي هامبورغ. كانت الحرارة لا تزال (٣٠) درجة

مئوية عندما استقليت القطار بإتجاه كركوك مساء. قطارنا البطيء والنحيف كان مؤلفاً من اربع عشرة عربة، ثلاث منها عربات نوم. بعد (٣٠٠) كم و (١١) ساعة أخرى وصلنا إلى كركوك. أثناء الطريق: صحراء، صحراء، رمل، رمل، رمل. كنا أثناء السفر نترك وراءنا غيوما وزوابع من الغبار هائلة. أثناء ركوبي في التاكسي من المحطة إلى الفندق شعرت بالإنهاك بسبب الضجيج وجموع البشر وتنوعهم: كرد وإنكليز وفرنسيين وأمريكيين، وبينهم الحمير والجمال والماعز، وسيارات من كل الأصناف: (فولكس فاكن)، (مرسيدس) و (كاديلاك)، (فورد) وبي قديمة وعربات خيول. كنت منهكاً وبلا طاقة، رغم ذلك رصدت شيئين: الأول كل شيء بدا بديعاً كلوحة تشكيلية، والثاني أنه يكاد لا يوجد عرب، وصلت إلى مدينة كردية.

كانت الساعة لم تزل بعد السابعة والنصف صباحاً، ولكن الشمس كانت ملتهبة بدون رحمة بدرجة حرارة (٣٢) في الظل. بعد هذه الفوضى والضجيج بدا لي الفندق قرب المحطة بمثابة واحة: أشجار نخيل، مرج مشذب وزهور. كما في بغداد كانت لدي أولية واحدة فقط: الاستحمام وتبديل ملابسي وتناول إفطار جيد.

بعد ساعة تم إبلاغي تلفونياً من السليمانية بأنهم سوف يأخذوني في الساعة الرابعة عصراً.

تبقى لدي القليل من الوقت كي أقوم بجولة. كثير من الأشياء تبدو فقيرة وقذرة، ولكن يوجد في البازار أدوات نحاسية شرقية رائعة ومحال لصياغة الفضة والذهب. حركة البيع والشراء غاية في الحيوية، الجميع أرمن وكرد، ونادراً عرب.

لم أر نساء، وإذا صادف أن رأيت أحد منهن فما رأيتهن إلا، فقط ملتفة بالعباءات. لقاء ذلك كانت هناك أعداد لامتناهية من الأطفال، جميعهم يثيرون ضجيجا مثل "شياطين الليل"، كما يقولون في اللهجة الفيستفالية، إنهم كائنات صغيرة محببة. دفعت لقاء كأس شاي في الشايخانة (هذا يعني المكان الذي يباع فيه الشاي) مبلغ (١٠) فنيغ (المارك الألماني يساوي مئة فينغ - المترجم). صبغت حذائي لدى أحد صباغي الأحذية بـ (١٥) فينغ، أنا ذاتي لم أصبغ حذائي طوال حياتي بهذه الجودة. استقليت عربة أحصنة في العودة إلى الفندق. استحممت ونمت وفي الساعة الرابعة، بدقة مواعيد رجال الإطفاء، تم أخذي بسيارة الشركة القادمة من السليمانية.

والآن جرى تعريفي في الحال بعادة من عادات عالمي الجديد. تقع السليمانية شرقي كركوك وتبعد عنها مسير أربع ساعات في السيارة تقريباً، وتسافر السيارة مرة في الأسبوع من أجل التبضع في كركوك. قبل رحلتنا إلى السليمانية يجب إذا على السائق أن يتبضع الحاجيات التي كلف بشرائها. بعد مبارزات لانهائية حول الأسعار وبعد مضي ساعتين أخريين تم شراء أشياء مختلفة، مثل الزبدة واللحم المقدد والزجاجات والبيض والبراغي والمسامير وماشابه. أثناء ذلك تناولت (٢١) كأساً من حليب الغنم الساخن. بداية الآن بدأت رحلة رائعة عبر طبيعة مثل ما على سطح القمر وهي نادراً ما يتمكن المرء من رؤية مثيل لها. جبال الألب مقارنة بها لاشيء، صعود وهبوط، منحنى قصير، ثم صعود (١٦٪)، وهبوط (٢٠٪)، ثم (٧) انحناءات، وهكذا دواليك.

صحيح أنه كانت توجد بعض الطرقات المعبدة، ولكن سرعة السيارة كانت كسرعة قافلة ليس أكثر من (٦٠) كم في ساعة حتى بلغنا السليمانية. حوالي الساعة العاشرة ليلاً بلغنا هدفنا.

تبادلنا التحيات الأولى في المكتب وتناولنا بعض الطعام ثم استقلينا السيارة مرة أخرى. ومن جديد صعود جبل وهبوط جبل، منحنى يميناً ومنحنى يساراً، وفي

منتصف الليل وصلنا إلى عربت، وأخيراً استطعت أن أستلقي في السرير وأغرق في النوم. في هذه المنطقة تقع إدارة القسم الذي يجب علي أن أتولاها.

الديار الجديدة

أيام الطفولة كنا نحصل على عطلة بسبب الحر عندما تبلغ درجة الحرارة (٢٥ـــ ٣٠) درجة مئوية. واليوم؟ إنها الساعة الحادية عشرة ليلاً بدرجة حرارة (٢٥) فوق الصفر. التبريد في غرفتي مريح. لحسن الحظ غرفتي باتجاه الشمال بحيث أني أحصل على قليل من الظل أثناء النهار. النوافذ مفتوحة ليلاً ونهاراً مما يساعد على تهوية جيدة للغرفة. شبكة معدنية دقيقة مضادة للذباب تقيني من النمل والذباب وكل أنواع الحشرات الأخرى وتحول دون زيارتها لي. أمام النافذة توجد حديقة صغيرة من زهور عباد الشمس. فقط يجب علي أن أتلاءم مع الظروف والتحديات الجديدة هنا. الطقس هنا في شمال العراق المرتفع، طقس كردستان، يختلف بالفعل عما هو في جبال "إيكه" في ألمانيا.

على بعد نحو (١٠٠) متر من نافذة غرفتي تقع أكواخ الكرد الطينية. يحيط بهذه الأكواخ جدار طيني يبلغ

ارتفاعه (٢) مترين، وبهذا يعزلها عن العالم الخارجي. هذا التجمع من الأكواخ الطينية هو قرية عربت. يجب أن تشاهدوا مدى حيوية كل ما يجري خلف هذا الجدار الطيني. هنا يعيش الكرد مع أطفالهم وأمتعتهم وكل شيء آخر: أغنام وحمير ودجاج.. الخ. رغم أن النساء لسن محجبات، إلا أنهن في هذه القرية معزولات عن العالم الخارجي بالكامل. بداية، عند المساء بعد غروب الشمس تبدأ الحياة لدى هؤلاء البشر.

تأتي الصلاة المنتظمة إلى الله قبل كل شيء بالنسبة لهؤلاء البشر. بغض النظر عن المكان الذي يجد الكردي نفسه فيه، سواء كان في الشارع أم في الورشة، في الحقل أو في بيته، عندما يحين موعد الصلاة، وهو خمس مرات في اليوم، فإن الكردي يصلي. ثم يركع ويصلي، بعدها يقبل الأرض ثلاث مرات بفاصل دقيقة تقريباً بين القبلة والأخرى. ثم ينحني باتجاه شمس الغروب. غالباً ما أذهب أثناء ذلك كي لا أتسبب بالإزعاج. صوت تلاوة القرآن يمتزج مع غناء البلابل. بين الحين والآخر تسمع أصوات الذئاب والثعالب.

أثناء ذلك تجهز النساء والفتيات"فرش النوم" على الأسطحة أو في أرض الديار، وهي عبارة عن لفة تشبه لحافاً صوفياً. الجميع يستلقي على الأرض العارية،

الأطفال والجدة والجد والعم والعمة وجميع الأقارب، شباباً وفتيات، دون أن ينزعوا ملابسهم، ويلتحفون باللحاف. الجميع هنا ينامون في العراء. الحمالون في ورشات البناء ينامون حيث يقفون على الأرض نوماً عميقاً. أنا نفسي أيضاً نمت في العراء قبل فترة قصيرة، غير أني وضعت سريري في العراء ونمت تحت شبكة واقية من البعوض. النوم في العراء غاية في الروعة، ولكني أخشى من الأفاعي. كلما أرى هذه الطريقة في النوم أحن إلى صومعتي.

هناك شيء آخر مختلف بالكامل: المسافات ! يتضمن مشروعنا خمسة أقسام. كل قسم لديه مكتبه الخاص به، وكراج آلياته وورشات صيانته، وبالطبع مساكن موظفيه الألمان. لا يستطيع كل ألماني أن يحتمل المعيشة هنا، الاختلاف هنا هائل. يوجد في المعدل في كل قسم حوالي (٢٠) موظفاً ما عدا العمال المحليين. كما توجد هنا في عربت الإدارة العليا لمشروع "طريق العراق الشمالي" يقع جنوب بغداد المشروع الثاني "طريق العراق الجنوبي" هنا يوجد مكتب يقيم فيه المدير العام للشركة عندما يأتي من ألمانيا، إضافة إلى قسم المحاسبة والسكرتيرة... الخ.

السليمانية، التي هي عنوان مكان عملي، هي مدينة حقيقية، تقع على بعد (٢٠) كيلومتراً إلى الشمال من عربت منطقة عملي. دائماً، كل من يريد جلب البريد يسافر إذاً (٢٠) كم ذهاباً و(٢٠) كم إياباً. إذا أضاف المرء حساب المسافات بين كل قسم على حدة سوف يتضح أن المسافة اليومية تصل إلى (٢٠٠ حتى ٥٠٠) كم. هذه المسافة، مع أو بدون سائق ترهق كاهل المرء. لا توجد هنا طرقات بالمعنى الكلاسيكي الذي نعرفه نحن، ولكن لهذا السبب بالذات أيضاً أتينا نحن إلى هنا.

نحن نريد بناء الطرقات والجسور، كما نشارك في بناء سد في الجبال جنوبي الحدود الإيرانية قليلاً. بالمناسبة، نحن نبعد عن الحدود الايرانية فقط مسافة ساعتين بالسيارة.

بعيداً خلف هذه الأكواخ يرى المرء الجبال الإيرانية، إذا إستقل المرء سيارة الاندروفر مدة ساعتين سيجد نفسه في إيران. يصل ارتفاع الجبال إلى (٤٠٠٠ــ ٥٠٠٠) متر. جميع الجبال بدون أشجار وبيوت، إنها مثل سطح القمر الحقيقي. تقع منطقتنا هنا في وادي يبلغ عرضه (٢٠) كم تقريباً. على يمينه ويساره تنتصب الجبال الجرداء، عدا ذلك رمال رمال، ومرة أخرى رمال. عندما تهب الريح يتراءى لي أن مجفف شعر كهربائيا موجه إلى

وجهي وينفخ فيه بأعلى طاقته. تصل حالياً درجة الحرارة عند الظهيرة في الظل إلى (٤٠) درجة مئوية. عندما تصبح الشمس عمودية على المرء أن يحتمل بسهولة درجة حرارة (٦٠) وأكثر. لا حاجة للتعليق. يبدأ العمل في الرابعة صباحاً، حسب توقيت ألمانيا الساعة الثانية صباحاً، ويستمر حتى الساعة الثانية عشرة ظهراً. من الساعة (١٢ حتى ٣) بعد الظهر طعام الغداء والنوم، ثم من الساعة (٣ـ ٥) نتابع بعد الظهر العمل من جديد. في فترة الظهيرة الحر لا يحتمل في الخارج، ولا أحد من السكان المحليين يبلغ من الجنون حداً كي يضع نفسه في هذا الفرن.

طلبت في الحال أن ينصبوا لي في قسمي خيمة. ونقلتها إلى منطقة تبعد أقل من (٤٠) كم عن الحدود الإيرانية. كانت الخيمة تحتوي على الأشياء الضرورية فقط: سرير ميداني مع لحاف وشبكة واقية من البعوض، منضدة وكرسي وموقد علاء الدين صغير(يقصد مدفأة تعمل بالنفط ـ المترجم). وضعت الطاولة في مكان يجعلني أتمكن من رؤية العمال حين أكون منشغلاً بالكتابة. أثناء نومي في الظهيرة يجب على حارسي أن ينتبه إلى شيء واحد، وهو أن لاتدخل إحدى الأفاعي إلى الخيمة. وهذه يوجد منها هنا ما فيه

الكفاية. كما يتوجب على الحارس القيام بمهمة أخرى، وهي ملء اباريق الفخار التركية القديمة المعلقة عاليا دائما، بالماء البارد. وموقد علاء الدين لا يستخدم فقط من أجل التدفئة، بل يطبخ الحارس عليه الشاي أيضاً، الذي يشرب بكميات كبيرة بارداً ومحلى جداً أثناء النهار. يجري جلب الماء البارد والغالي الثمن من منطقة بعيدة. بعد أن كونت الآن الصورة الأولى عن بيئتي الجديدة، أريد أن آتي إلى وصف رحلتي إلى بغداد، وكيف كان انطباعي الأول عنها.

هل يتحدث أحد هنا الألمانية؟

الرحلة إلى ميسوبوتاميا، كما كانت هذه البلاد تسمى فيما مضى، كانت مثيرة بالطبع. رحلة الطائرة فقط من باريس إلى بغداد استمرت (١١) ساعة، كنت سعيداً عندما هبطنا أخيراً في الساعة الرابعة صباحاً في بغداد. الحرارة الرطبة حطمتني. في الفندق لم يكن سوى مروحة كهربائية فقط، استلقيت في حوض الاستحمام ثم في السرير ونمت.

أية مدينة هذه! الفندق الذي يسمى"سندباد" يقع على ضفاف دجلة مباشرة، في الحديقة أشجار رائعة، هذا يعني النخيل، إنها واحة الهدوء مقارنة مع المدينة الطافحة بالحيوية. لم يتبق لي الوقت الكافي من أجل جولة شاملة كي أحصل على انطباع كامل لأني حجزت تذكرة في قطار كركوك الليلي. بالطبع أردت ان ارسل لكم بطاقة البريد الأولى، وكانت في يدي عندما دخلت إلى

مبنى البريد كي أشتري طابعاً، لو كان هذا ممكناً. في ذلك الوقت لم أكن أعرف العربية ولا الفارسية، ومعرفتي بالانكليزية والفرنسية تثير الشفقة.

ما العمل إذاً؟ مكتب البريد كان مكتظاً بالناس من أشكال مختلفة. وهكذا وقفت في منتصف القاعة وهتفت بأعلى صوتي بالألمانية وبكل وضوح: "ألا يوجد هنا ابن ملعونة يتحدث الألمانية؟" فجاء شخص من بين الجموع وقال باسماً: " أنا من كورليتس" وضحكنا معاً، وتلقيت المساعدة، فحصلت على طابعي، وذهب البريد الأول إليكم في طريقه.

منقذتي كانت مهندسة من كورليتس. بالطبع قلت لنفسي على الفور: "من يسمح له السفر من المنطقة الشرقية"يقصد ألمانيا الديموقراطية السابقة ـ المترجم" إلى الشرق الأوسط عليه أن يكون ملتزماً بالخط السياسي ومنضبطاً" ولكن ما الذي يهمني من ذلك. كبادرة شكر لمساعدتها دعوت السيدة المهندسة إلى كوب القهوة في "فندق سوندبيرغ" وهكذا تلقيت منذ اليوم الأول معلومات واسعة حول عادات وتقاليد هذا البلد، إلا أن أهم معلومة بالنسبة لي كانت: تقاليد الطعام، كي لا يتشابك مخطط طرقات معدتي. في الوقت الذي تابعت المهندسة طريقها بالطائرة إلى القاهرة كنت استقل عربة

النوم في القطار الذي انطلق من المحطة الرئيسية في بغداد صاعداً إلى كركوك في القسم الكردي من هذا البلد. ولكن قبل انطلاقي توجب علي قضاء حاجة ضرورية، الاستلقاء في حوض الحمام وإرتداء ملابس نظيفة.

الحياة في عربت

مرّ في التمهيد ذكرُ خيمتي النهارية. بعض الموظفين الألمان الذين يعملون معنا أعدوا خيامهم بحيث يستطيعون قضاء الليل فيها. تصل إلينا نسمات عليلة من حوض نهر تانجرو، الأمر الذي يغري المرء إلى حد كبير بالنوم هنا، ولكن: توجد هنا أفاعي كثيرة. كما يجب الاستغناء عن الاستحمام في مياه نهر تانجرو الباردة لأنها تعج بافاعي الماء. والحارس بالتأكيد لن يكون يقظا في الليل كما هو في النهار. يبتسم المرء بسخرية إزاء تخوفات القادمين الجدد. بعد مضي يومين اختفت بسمتهم هذه: عندما انطلقت صيحة الفزع من الحارس الليلي في الرابعة صباحا وهو يحذر من وجود افاعي تحت الأسرة الثلاثة. صحيح انه لم تخرج هذه الأفاعي من الخيمة حية، ولكني لا أريد بالفعل مواجهة مثل هذا الموقف.

فضلت العودة مساءً لقضاء ليلة هادئة في بيتي المتين في عربت.

أقضي النهار بطوله سعيداً بالتفكير بإمكانية وصول بريد منكم عند المساء. هذه الفرحة والأمل كانت تعتمل في نفوس جميع الموظفين الألمان. قررت ليس فقط الرد على رسائلكم قدر الإمكان، بل سوف أحاول أن أكتب لكم كل مساء عن الحياة هنا، الأمر الذي ليس بالسهل بعض الأحيان بسبب هذا الحر القاتل. أود أن أشاطركم الحياة التي أحياها هنا. شاب كردي مخلص جداً يدعي محمود يساعدني في إنجاز حاجاتي الشخصية. محمود يغسل ويكوي ملابسي، ويصبغ حذائي وينظف غرفتي. كما يقوم دوماً بملء الأباريق الفخارية المعلقة على الجدران بالماء البارد، ويحرص على إقفال النوافذ ذات الشبك المعدني كي لا يدخل الذباب إلى الغرفة، وعلى أن يظل الباب مقفلاً باستمرار. لا أريد للفئران أن تشاطرني السكن في الغرفة وأشياء من هذا القبيل. عندما أكتب لكم مساءً، يجلب لي دون أن أطلب منه كوباً من الشاي بطعم النعناع، فتفوح في الغرفة رائحة ألمانيا الغربية. تجري عملية جلب الماء البارد بطريقة معقدة جداً. يفترض أن تكون هذه المياه من أفضل نوعية، ولكني يجب أن أتأكد بنفسي من ذلك. لهذا لحقت أحد الأيام

بالصهريج الكبير. بعد الـ (٢٥) كم الأولى انعصفنا نحو اليسار وسرنا عبر القرى المعتادة باتجاه (كاكوتول) التي تقع تحت أحد الجبال. سواء على الأرض المستوية أم على أسطحة المنازل كانت هناك أعداد كبيرة من الدجاج والحمير. في نهاية القرية توقف الصهريج والسائق باشر عمله. كدت أقع مغمياً علي من الصدمة عندما رأيت من أين يتم جلب مياهنا الباردة. عين الماء لم تكن تعج فقط بأعداد كبيرة من الأطفال، كانت تستمتع بالمياه الباردة الثيران ايضاً والحمير والأغنام والماعز والكثير غيرها من الحيوانات. الآن اتضح لي من أي مصدر تأتي الأمراض العديدة إلى معسكرنا، وأنه يتوجب عليّ تغيير نظام جلب مياهنا الباردة في الحال.

إلا أنني لم أتمكن من متابعة التفكير، إذ ان شيخ القرية جاء ودعاني إلى الطعام، الأمر الذي لا يستطيع المرء رفضه على الإطلاق ولا بأية حال من الأحوال. قدموا لي فخذ خروف وخيارا وبطاطا وكميات كبيرة من اللبن الرائب وحليب الغنم الحامض. اشرب يومياً (٨ــ ١٠) ليترات من اللبن الرائب. يجري تناول كل الأطعمة بالأصابع. السكين والشوكة والملعقة هي غير معروفة هنا. عملية تناول الطعام تستمر ساعتين، الجميع يجلس على الأرض ويطوي سيقانه تحته. تألمت

مـؤخرتي وتـشنجت عـضلاتي. كنـت في غايـة الـسعادة عندما غادرت أخيراً الغرفة التي بدون نوافذ.

أول عمل قمت به هو إيقاف ملء الصهريج بالماء. في النبع التالي الذي يبعـد (١٨)كـم أخـرى لم تكـن الأوضـاع فيـه أفـضل بكـثير. كـان النـاس يـستحمون في النبـع ويغـسلون ملابـسهم. لاعجـب أن حـالات الإمـساك المعـوي والمغص المعدي متفشية لدى معظم الألمان. ولكـن لمـاذا لم يستفسر أحد عن المصدر الذي كان يجلب منه الماء؟ مـرة أخرى سفر لمسافة (١٢)كـم حتـى وصلنا أخـيراً إلى الغايـة المرجـوة: عنـد سـفح جبـل (دوكـان) كانـت تتـدفق ميـاه باردة صافية ونظيفـة. في نهايـة هـذه الرحلـة قـررت أن نـشتري اعتبـاراً مـن هـذه اللحظـة المـاء العـذب مـن الـسليمانيـة. وهـذا لـيس فقـط لأن الميـاه هنـاك صـافية ونظيفة بشكل لا غبار عليـه، بـل أيضاً لأنها تبعـد عنـا مسافة سفر ساعة واحدة فقط. عليكم أن تحـصلوا علـى جريـدة"العـالم" الـصادرة بتـاريخ (٨ حزيـران ١٩٥٥)، يوجد في الصفحة (٢) من العـدد رقـم (١٣١) مقالـة حـول "البترول والماء بين الفرات ودجلة" كما أنصحكم بكتاب عنوانه "نواعير الماء علـى ضـفاف الفـرات" للمؤلـف هـ. جـي. ماليبـارد. سـوف يوضـح هـذا الكتـاب لكـم إلى أيـن ساقني قدري.

يـشترك في المـشروع عـدد مـن القوميـات المختلفـة: فهنـاك اللبنـانيون والأرمـن والهنـود والباكـستانيون والآشوريون، فقط على سبيل الذكر. كالقطة والكلب هي العلاقة بين الكرد والعـرب. الكـرد إذاً هـم ليـسوا بعـرب، لكنهم يعيشون هنا في بلد عربي. أنا لا زلت هنـا جديـداً إلا أنـي سـرعان مـا لاحظـت هـذه الحالـة مـن التـوتر. مشاريعنا تقـع في القسم الكـردي مـن العـراق، لكـن رغـم ذلك يجب علينا توظيف نسبة مئوية محددة من العمـال العرب من الجنوب. عدد كبير منهم من المناطق القريبـة مـن بغـداد. وهـم يعيـشون هنـا مـن دون عـائلاتهم، وبـالطبع لايـضيعون أيـة فرصـة تـسنح لهـم لزيـارة عائلاتهم.

التفـاهم قـد يـصبح صـعباً، لـذلك كـي نقطـع الـشك باليقين بخصوص إيعازات العمـل مهمـا كـان نوعهـا ولكـي يجـري فهمهـا بـشكل صـحيح، قمنـا بتوظيـف ثلاثـة مترجمـين: الأول يترجـم مـن الألمانيـة إلى الإنكليزيـة. الثاني يترجم من الإنكليزية إلى العربية. والثالث يترجم بالتالي مـن العربيـة إلى الكرديـة. وبالتـالي مـن الكرديـة إلى.... وهكذا لا داعي للتعليق.

لحسن الحـظ توجـد هنـا ايضاً أيـام عطلـة. إذا كانـت العطلات دينية، حينها يتوقف أمر المرء هنا على حكمـة

الملالي. ينظر الملا باتجاه القمر ثم يفكر ويحسب ثم يتخذ قراره. العطلة الأسبوعية هنا هي يوم الجمعة. إذا صادفت عطلة يوم الأربعاء فإن الملا يفكر ويفحص ويحسب بشكل مميز جداً، انظروا هنا، فجأة يصبح يوم العطلة ليس الأربعاء، وإنما تصبح العطلة يوم الخميس. وهذا يعني لنا جميعاً أننا حظينا بعطلة نهاية أسبوع مطولة. والعمال القادمون من محيط بغداد تسنح لهم الفرصة للعناية بزوجاتهم وأطفالهم في الديار. تتشارك كل مجموعة منهم سيارة تاكسي ويسرعون إلى الهبوط نحو بغداد. بعض هؤلاء العمال لديهم ثلاث زوجات. وفق شريعة القرآن يجب أن تحظى كل زوجة بالعناية ذاتها، وهذا متعب، لهذا يصاب بعض عمالنا بالمرض أثناء هذه العناية، ويجب عليهم"للأسف" أن يظلوا في بيوتهم مدة أطول. وهم يستفيدون لقاء هذا بأن شركتنا تدفع لهم أجر هذا اليوم إذا أحضروا تقريراً طبياً يثبت مرضهم في اليوم المعني.

منذ يوم الأحد درجة الحرارة لدينا في الظل تبلغ (٤٦) مئوية. أنا نفس استلمت القسم رقم واحد منذ عدة أيام. يجب علي أن أكون في الخارج من الساعة الخامسة صباحاً حتى الساعة السابعة مساءً. أقضي الفترة ما بين الخامسة والثانية عشرة من دون إستراحة تحت

أشعة الشمس الوخازة والحارقة. من الساعة الثانية عشرة وحتى الثالثة أنام في خيمتي، ثم أعود من جديد بعد قسط ضئيل من الراحة إلى الفرن في الخارج. عندما تغرب الشمس في الساعة (السابعة والخمسين دقيقة) يصبح الظلام حالكاً. نظرتي الأولى عندما أعود إلى غرفتي تتجه إلى مقياس درجة الحرارة. في هذا الوقت يشير إلى الدرجة (٣٩) المئوية، إذا كان يشير إلى (٣٤) أشعر بالراحة.

زارنا بالأمس البروفيسور ماير من بون وأجرى لنا جميعاً فحصاً طبياً. إنه يدير مستشفى الجامعة في بغداد. صحيح أن ضغط الدم لدي منخفض ولكن عدا ذلك حالتي الصحية جيدة. ولكن حتى اليوم نال كل ألماني حصته من الأمر: ربع الألمان أصيبوا بالملاريا ونصفهم بالتيفوس والربع الباقي أصيبوا بمرض المناطق الحارة. معظم هذه الأمراض تعرض الألمان لها في الأسابيع الأولى: قبل ساعة سقط السيد أولنشيكل فجأة وأغمي عليه: درجة حرارته كانت (٣٩,٨). الخلاصة، هذا جزء من الحياة هنا. عادة يقوم الدكتور ماير برعايتنا الطبية. أستطيع تناول أطراف الحديث مع طبيبنا بشكل رائع حول العلوم والثقافة والاقتصاد والسياسة. زوجته من فيينا، وإبنتاه تدرسان في مدرسة داخلية

هناك. سوف تأتي ابنتاه في عطلة عيد الميلاد لقضاء العطلة مع والديهما هنا. كلا، لا أريد أن اسلمكم لا أنت إيلا ولا بيترا لهذه البيئة البرية، مهما اشتقت إليكم.

أحد الحراس النهاريين لدينا أتى أطفاله لزيارته. علمت أن الأطفال لديهم في أيام الصيف عطلة مدرسية تستمر خمسة أشهر. هنا سألت نفسي بالطبع، ما الذي سيفعله صغارنا مع هذا القدر من الشمس خلال العطلة الصيفية هنا؟ لحسن الحظ هذا السؤال لا يطرح نفسه لديكم في بلدنا الطيب القديم ألمانيا.

في الشهر القادم ستصادف عطلة لمدة ستة أيام متتالية. إذاً العديد من الموظفين يخططون لإجازة صغيرة. الموصل باريس العراق، تقع حوالي (٤٥٠) كم بعيداً من هنا، تحتاج إلى عشر ساعات سفر وتكلف دينارين ذهابا وإيابا. آخرون يريدون السفر إلى طهران، يجب أن يدفعوا من أجل مسافة (٧٠٠ كم) (٤) دينار. وغيرهم يودون السفر إلى بغداد، وبابل وهي مسافات تبلغ (١٠٠٠ كم). وهذا كله في درجة حرارة في هذه اللحظات تبلغ (٤٨) درجة في الظل. كما يقول المرء: نحن أيضاً نود أن نتمكن مرة أخرى من الرقص. سوف تبلغ تكاليف الإجازة من طعام ومبيت وسفر حوالي (٥٠ ـ ٨٠) دينارا بكل سهولة، وهذا يساوي (٥٠٠ ـ ٨٠٠) مارك

ألماني. ولكن نحن نعلم أن عملي هنا يجب أن يحصد النقود ومثل هذه المصاريف لا يحتملها ظرفنا المالي. بدلاً عن هذا أخطط أنا مع عدد من الألمان الذين يهمهم التوفير مثلي، للقيام برحلة إلى الجبال. لأني متشوق جداً للتعرف على البيئة التي تحيط بنا بشكل مباشر. كما أفضل أن أقضي المساء في غرفتي.

يوجد في السليمانية بالفعل كل شيء، حتى طبيب أسنان من ميونخ. فقط أسأل نفسي، ما الذي رمى به إلى هذا المكان؟ لقد سمعت أنه طبيب جيد. توجد حتى صيدلية أيضاً. كما سمعت أيضاً أن السليمانية تسمى "عاصمة الكرد السرية"، بكل الأحوال يوجد الكثير مما لا زلت لا أعرف عنه شيئاً بعدُ هنا.

المتجر الأكبر هنا في المنطقة اسمه"الساكو"، إنه متجر المتاجر، حيث يحصل المرء فيه على كل ما يريد. تسود فيه أجواء ترحيب ومجالات في منتهى الكياسة، تلك الأجواء التي لم تعد معروفة في وطننا القديم. لايجري هنا الإلحاح على الزبون أبداً. تقدم للمرء كاس من الشاي أو زجاجة كولا، أو كأس من الماء المثلج، المرء يملك حرية الإختيار، رفض تناول شيئ يعتبر بمثابة إهانة. حسن الضيافة هنا هو الواجب الأعلى. تجري المحادثة بالإنكليزية والكردية. نحن هنا في الأعلى في كردستان

ولـيس في دولـة عربيـة. الآن سـوف أخـبركم كـل مـا يستطيع المرء هنا شراءه: جميع المشروبات وجميع المواد الغذائية، جميع مواد التنظيف مثل إيمي وإيـرا، شفرات ومظلات مطر، كـاميرات تـصوير فوتوغرافيـة، مـصابيح وبطانيات، خناجر وحلي ذهبية وفضية... الخ. يتـشكل المتجـر مـن طاولـة وتلفـون ورفـوف مـصنوعة مـن الـصناديق الخـشبية وثلاثـة كراسـي. إذا جـاء عـدد مـن الزبائن أكثر مـن الكراسـي الموجـودة يجلس البقيـة علـى الصناديق. الوقـت الـذي يحتاجـه المـرء للتبـضع مـن هـذا المتجر نـادراً ما يستغرق أقل من ثلاث سـاعات. لا تـوجـد جامة عرض. يعمل في المتجر ساكو وإخوتـه، ويـساعدهم حمـال في الأعمـال الـصعبة. نحـن نقـدر غلـة هـذا المتجـر اليومية على أقـل تقـدير بــ (١٠٠٠) دينـار وهـذا يـساوي (١١٧٠٠) مارك ألماني. عنـدما يجلس المـرء هنـاك لابـد أنـه بحاجة ماسة لشراء شيئ مـا. إذا اشـترى المـرء شـيئاً فهـذا جيد، وإذا لم يشترِ شيئاً فهذا ايضاً جيد، تبقى قيمته في الحالتين ذاتها.

ربـة أسـرة ألمانيـة تـستطيع بإسـتمرار أن تفكـر بتنظيف الغبار، هذا ليس معروفاً هنا، هـذا لا يعـني أنـه لا يوجد. هذا هنا. صدقوني في وقت ما لا يـزعج الغبـار

المرء. ولكن ما يـثير الدهـشة أن جميـع البـضائع نظيـفـة. كيف يفعلون ذلك في المتجر، هذا ما لا أعلمه.

الرحلة الأولى
في عالم الكرد البريين

أثناء ذلك اتخذ الملا القرار فأصبح لدينا ستة أيام متتالية عطلة. أخذنا نحن، أربعة أشخاص سيارة لاندروفر وسافرنا باتجاه حلبجة. كان هناك بحيرة صغيرة ماؤها رقراق كالكريستال ولا توجد أفاعي فيه، إلا أنها تحتوي على أعداد كبيرة من السرطان، حتى أسماك كبيرة. كان الماء رائعاً بدرجة حرارة (٣٠) مئوية، فتمتعنا وإنتعشنا بالسباحة فيه. قضينا هناك ثلاث ساعات ثم تابعنا رحلتنا باتجاه سد دربنديخان. أدى بنا جسر فوق مجرى نهر مجفف إلى قرية جبلية. توجد "شايخانات" حتى في أصغر الأماكن تقريباً، حيث بإمكان المرء بالإضافة إلى شرب الشاي أن يأكل فيها أيضاً. كنا جائعين جداً إلى حد أننا مستعدون لالتهام كل شيء. لم

أكن أعلم بعد أن المرء يجب أن يتمهل لدى إقدامه على ثقافة طعام جديدة وغريبة.

هكذا إذاً كانت مفاجأة رائعة أن الطعام كان أيضاً لذيذاً جداً. كان عبارة عن لحم غنم مفروم (قيمة ــ المترجم) مضموم حول قضيب معدني وموضوع فوق الفحم المشتعل. إضافة إلى أمور أخرى كان معه البصل والثوم والتوابل، ولُف في رغيف خبز. كانت مفاجأة رائعة. بالفعل هذه الوجبة الذيذة. طوال مدة أربعة أيام كنا نتذكر هذا الطعام اللذيذ. ضحكت كثيراً على جهلي. وبينما كنا نتناول الطعام إنصرف ثلاثة عمال إلى هش الذباب من فوق صحوننا كي نستمتع نحن وليس الذباب بوجبة الطعام اللذيذة. وشربنا مع هذه الوجبة الحليب الحامض "دو" اللبن الرائب. تبادلنا المزاح والضحكات وكانت لحظات مسلية جداً. التكلفة: (٦٠) فلس = (٦٠) بفنيك الطبيب أولنشلكير أحضر معه منظاراً مقرباً، بوساطته تمكنت من رؤية شيئ مبهر جداً. فوق قمة جبل عالٍ كانت هناك مقبرة. القبور فيها تحتوي على شاهد حجر واحد فقط بدون كتابة أو إشارة إلى الإنسان المدفون هناك. كان يجري حفر حفرة، وحوالي ثلاثين رجلا بين واقف أو جالس بالقرب من الحفرة. فوق سور من الأحجار المسننه جثمت الغربان وطيور جارحة

أخرى تنظر وتنتظر بصبر حتى يتم وضع الميت في الحفرة. إذاً شهية طيبة. فوق قمة شجرة ضخمة عالية كان يجثم غراب ضخم في الأعلى. هو أيضاً كان ينتظر بصبر طعام عشائه.)

في القرية التالية لاحظت توزيع العمل بالطريقة الكردية: مجموعة من النساء المسنات كن يمزجن نوعاً من الطين ويصببن الماء فوقه، ثم يقطعنه على شكل مكعبات. شكله يشبه شكل الكاتو المقطع. ثم بعد تعريض هذه المكعبات الطينية لأشعة الشمس مدة يومين تصبح آجرا مشويا. الرجل الذي يجلس طوال الوقت بقرب النساء ولا يفعل شيئاً، يأخذ بعدئذ عملية البيع على عاتقه: كل (١٠٠٠) قطعة لقاء دينار واحد، يشرب شايه ويترك النساء المسنات يتابعن عملهن.

قرب الجسر في الأسفل اقترب نحوي حيوان صغير، كان مرتبكاً وجسوراً، لا يتجاوز عمره يوماً واحداً. تمنيت أن آخذه معي لشدة ظرافته.

يبهرني دوماً كلما فكرت أن هذا الجزء الغني بالتنوع من كردستان والذي يرتفع عن سطح البحر (١٣٠٠) متر، يبعد مسير ساعتين على الأقدام فقط عن الحدود الإيرانية. تلقينا هناك نسمة عليلة رغم الشمس المائلة إلى الغروب. بسبب عطلة العيد تم بناء ساحة العاب

كبيرة في حلبجة. إرجوحة ضخمة ذاتية الصنع يجب أن تحتمل الكثير. عربات أطفال بسيطة لكنها ذات فعالية رائعة جرى استخدامها. واحدة منها استأجرتها أنا بذاتي، انظروا بأنفسكم إلى مدى سروري فيها بالصورة (المرفقة مع الرسالة ـ المترجم) لعبت ولعبت ولعبت مثل بقية الأطفال. جميع النساء كن بلا حجاب، إلا أنهن يبدين الخجل لدى إحساسهن بنظرات رجال أوروبيين. الألعاب الرائعة ونظافة السكان الكرد كانت مؤثرة بحق.

كنا نرغب بتسلق الجبال عالياً. بدأت سيارتنا اللاندروفر بتسلق طريق خطر باتجاه القمة. "حركة الطواحين في الحوض القديم مقارنة مع هذا الطريق تعتبر شارعاً رائعاً"، والارتفاع الذي علينا أن نصعده يشبه من يجب أن يمر عبر دهليز كي يتسلق سفح الجبل. منعرجات متتالية. وجدنا أمامنا في الأعلى غابة صغيرة رائعة المنظر، وفوق الغابة منزل يشبه نوعاً من القلاع، يبدو كأنه تاج نسر. بيوت القرية التي القلعة جزء منها ملتصقة بالصخور كأعشاش العصافير. أصبح الطريق بالنسبة لنا يرتفع بحدة متصاعدة أكثر فأكثر، وكنت أنا أيضاً أحس برهبة تتصاعد في أعماقي: إلى اليمين من الطريق سفح حاد كالجدار عمقه (٣٠٠) متر تقريباً. بعد منعطف حاد فظيع وبصعود بنسبة (١ الى

١) واجهنا مفاجأة اليوم: بلمح البصر برزت أمامنا فسحة كبيرة، في نهايتها الخلفية ينتصب منزل جميل يمكن للمرء أن يقول إنه ملكي. يرتفع (١٠) أمتار تقريباً، وهو من الحجر المنحوت، يحتوي في الطابق الأعلى فتحة عبارة عن بلكون يقف فيه رجل كردي مسن وضخم كان يرفع يده محيياً. عندما ترجلنا من السيارة اقترب منا نصف دزينة من الكرد الذين يوحون بالجرأة وقادونا الى داخل المبنى.

سبع درجات كبيرة تفضي إلى الطابق السفلي، وفي الحال وجدنا أنفسنا في صالون استقبال ارتفاعه (٣) متر. في أقصى الزاوية اليسرى يؤدي درج حجري حلزوني إلى القاعة العلوية. هناك كان سيد هذا القصر وآمره يقف بكل مهابته محاطاً بحاشيته، إنه يملك (٢٣) قرية وعدداً لا نهاية له من الأغنام والماعز والحمير والأبقار والأحصنة.

السيد أولنشليكر أخذ على عاتقه مهمة التعريف البروتوكولية. تبادلنا تحية "السلام عليكم"، حيث يضع المرء أثناء ذلك يده اليمنى على القلب مع انحناءة خفيفة. إجابة التحية هي "وعليكم السلام" عبر ممر بعرض أربعة أمتار خرجنا إلى بلكون واسع بمساحة (١٠×٤) متر، جانبه الأيمن مفتوح بالكامل ويطل على

منظر رائع للقرية الصخرية، لم نكد نأخذ أماكننا على الكراسي المنجدة بقماش القطيفة حتى بدأت طقوس الضيافة. كبداية أوعز سيد المنزل (بكر خاليف داوت باك)بتقديم سجائر من التبغ الكردي الأصلي. ثم قدم الـ(دو) كأول منعش، ثم قهوة وتلاها الشاي. الحديث جرى في مزيج من الكردية والإنكليزية.

ولكن سيأتي ما هو أكثر جمالاً. (خاليف داوت باك) قادنا إلى سطح منزله. عزيزتي إيلا كان المنظر في غاية الروعة والجمال، خلفنا كانت تنتصب جبال شاهقة، جميعها بإرتفاع (٣٠٠٠) متر، قممها تشكل الحدود ما بين إيران والعراق. إلى اليسار مني يمكن رؤية سد دربنديخان. وأمامنا السهل المنخفض الكبير، مدى النظر عبره يصل إلى (٦٠) كم وبكل وضوح. حتى أننا خلال المنظار المقرب رأينا مخيمنا في عربت، غير أنه كان مجرد نقطة، وإلى اليسار في الأسفل المدينة الصغيرة الجميلة حلبجة. أمامنا على سفح الجبال غابة كبيرة من أشجار الرمان. منتصف اليمين القرية الجبلية، وإلى اليمين في الخلف جبال دوكان وبينها (ملك الجبال) الذي لم أتمكن أبداً من لفظ اسمه. خاليف داوت باك عبر عما كنت افكر به: (لؤلؤة كردستان). بعد المزيد من القهوة والشاي سمح لنا بزيارة القرية.

الدهشة والعجب لم ينتهيا. كان هناك طرق صخرية نظامية بعرض (٥٠ـ ٧٠) سم وكأنها قطعت مثل الطين. لم ندرك أبداً، هل نسير فوق الأسطحة أو في الطرقات. بعد أحد المنعطفات وجدنا انفسنا فجأة أمام ساقية جبلية وبساتين رمان أخرى. كانت هناك عدة نساء غير محجبات يتمازحن ويضحكن. الرجال الذين كانوا يقفون بقربهن إتخذوا وضعية تهديد لدى ظهورنا.

بعد تحيتنا (السلام عليكم) ونحن (ألمان) تبدل موقفهم منا في الحال، أصبحوا منفتحين وفي منتهى الود تجاهنا. جرت مرافقتنا عبر جميع أنحاء القرية وأطلعونا على كل زاوية فيها وسمحوا لنا بتصوير كل ما نريد تصويره.

تبعنا نفحات عطر الطلح الحلو فوصلنا إلى قعر وادٍ إكتشفنا فيه شجرة طلح يبلغ قطرٍ جذعها حوالي (١,٥) مترا ونصف المتر تقريباً، كان يجلس حولها (٢٠٠ـــ ٣٠٠) كردي وهم يتسامرون ويشربون الشاي. بداية أحسسنا بالتردد والدهشة للحظات، إلا أننا سرعان ما وجدنا انفسنا ننخرط في الجماعة التي رحبت بنا بمنتهى الحفاوة. نهض جميع الأكراد وتقدم نحونا رجلان كبيران في السن يبدو عليهما الاحترام ورحبا بنا ودعوانا للجلوس تحت الشجرة. فقط بعد أن جلسنا نحن جميعنا،

بداية عاد الكرد للجلوس من جديد. كانت جلسة في غاية الروعة. بالطبع كنا من جديد ضيوفاً، فقدموا لنا الشاي والماء المبرد بالثلج. كلما التقطنا الصور الفوتوغرافية وقف هؤلاء البشر أمام الكاميرا باستعداد كالجنود المصنوعين من الزنك. وسرعان ما انتشر أثناء ذلك نبأ زيارتنا في كل مكان، فسرت ثورة في كل أرجاء القرية: ألمان، ألمان، ورافقنا بالتأكيد حوالي خمسين طفلاً في طريق عودتنا إلى منزل خاليف داوت باك، حيث قدموا لنا هناك مرة أخرى الشاي واللبن الرائب (دو) والقهوة من جديد. كانت النسوة رائعات الجمال يخبزن في باحة الدار. الحركة في هذا المنزل تشبه الحياة في خلية النحل. الواحد تلو الآخر جاء الرسل من القرى التي يملكها سيد المنزل، من الجبال والسهول بمناسبة العيد كي يقدموا الطاعة والولاء لسيدهم المبجل. عندما ودعناهم أخيراً وقف خاليف على الشرفة المفتوحة في الاعلى وهو يرفع يده مودعاً بالقول: (رافقتكم السلامة وبحماية الله جميعاً). وهكذا ظل في مكانه واقفاً اثناء ذهابنا في طريقنا إلى حلبجة. بعد مسافة (١٠) كم أيضا كنا نستطيع رؤيته واقفاً في مكانه من خلال المنظار.

هذا اليوم أتاح لنا رؤية الكرد من ناحية لم يتحدث عنها الإعلام في الغرب أبداً. حسن الضيافة النابع من

القلوب الدافئة لدى هؤلاء البشر اثلجت قلبي وغمـرتني. اثناء طريق العودة لم تتوقف بيننا التعبيرات عـن الأثـر الطيـب الـذي تركتـه هـذه الزيـارة في نفوسـنا جميعنـا. طـوال مـسافة الطريـق البالغـة (٦٠) كـم جهـزت طيـور سنونو نفسه على كل عمود اسلاك التلفون طير سـنونو لقضاء ليلتها، منظر رائع.

نعـم، نعـم يـا أعزائـي، أنـا أتأمـل كـل شـيء وأصـيغ عباراتي وأكتب لكم كل شيء في أدق التفاصيل. أرجـو أن تلاقي تقاريري المفصلة لكم إهتمامكم. يوما ما قد أقدم لكم ملخصاً عن العادات والتقاليد الكردية. يهمـني جـداً أن أتقاسم معكم كل ما أعايـشه بمـا أننـا يعـيش كـل منـا بعيداً عن الآخر.

كردستان، خزان حبوب بلاد الرافدين

وبما أننا الآن وصلنا إلى الحديث عن العلاقات والتقاليد السائدة في هذه البلاد، أريد أن أطلعكم أيضا على حادثة في غاية الندرة جرت معي. هذا الجزء من العراق كان في الماضي خزان الحبوب لكل بلاد ما بين النهرين. وهذا كان يعلمه البريطانيون أيضاً في العشرينات، عندما لم تكن دولة العراق قائمة. كانت المنتوجات الزراعية وفيرة وسهلة وضرورية لاستمرار الحياة ليس بالنسبة للبريطانيين فقط بل أيضاً للدولة التي كانوا يخططون لانشائها، والتي أنشؤوها فيما بعد، وهي العراق. بذل البريطانيون كل جهودهم من أجل أن تشمل هذه الدولة الجزء الشمالي بمخزونه الوفير من النفط والحبوب.

طريقة زراعة الحبوب قديمة جداً، ويبدو أنها تعود إلى أزمنة موغلة في القدم. لا شك أنكم تعلمون كيف يجري دَرْس سنابل القمح لدى الفلاح "ألتموللر في قرية" التنبكن" إذاً، هذا العمل يجري هنا كما كان يجري أيام المسيح. إذا قرأتم الوصف التالي له، سوف تصيبكم الدهشة.

تجمع حزم سنابل القمح في دائرة طول مقطعها حوالي ستة أمتار وعلى إرتفاع أربعة أمتار. في وسط هذه الكومة ثبت عمود وربط بها حزام بطول خمسة أمتار تقريباً. فريق العمل الضروري لهذه العملية مكون من مجموعتين، الأولى تتكون من حمار واحد وبقرة واحدة وثور واحد. والمجموعة الثانية تتكون من حصان واحد وبغل واحد وحمار واحد. ويجب ألا ننسى، رجل كردي مسن وجمهرة كبيرة من الصبيان والبنات.

الآن تبدأ الدراسة الفعلية، هذا يعني "الدويخة" (حركة الدوران المستمر حول كومة السنابل ــ المترجم) يقود العمل الكرديً المسنّ وهو يمتطي صهوة الحصان يتمتم بآيات من القرآن. عدد من الفتيات أو الصبية بعمر (٨ـ ١٠) سنوات يرمون من الأعلى بحزم السنابل التي تبلغ كل حزمة منها ارتفاع (٣٠) سم، ثم يعودون بخطوة واحدة تقريباً إلى الوراء. وأثناء هذه "الدويخة"

تخرج حبات القمح من القش، هذا يعني من السنابل. بعد ساعتين يتوقف كل شيء. الآن يبحث الأطفال عن القمح تحت طبقة من القش تبلغ ارتفاع (٢٠) سم. وهذا يستمر فترة طويلة إلى أن تنتهي كومة السنابل بالكامل. تحتاج هذه العملية لدى الكرد هنا مدة (١٤) يوماً. بينما يحتاج الفلاح التموللر إلى ساعة واحدة فقط. ولكن هنا لايزالون يستخدمون هذه الطريقة في درس القمح.

الآن تأتي عملية فرز حبات القمح عن القش. يأتي الرجال والصبية وهم يحملون المدارس بأيديهم. فقط عندما تتحرك الريح يذرون القمح باتجاه الريح، الغبار وبقايا القش تطير بعيداً وتبقى حبوب القمح على الأرض. "باشا" جيد يقولون بعد ذلك، وهذا يعني كل شيء جيد. الآن تتم تعبئة القمح في أكياس رائعة. تحمل الأكياس على الحمير، كل حمار كيسين وتربط. تحمل الحمير الصبورة هذه الأكياس وتسير مسافة (٣٠ـ ٤٠)كم، حتى أقرب مركز لشراء الحبوب الحكومي، وذلك كي يحصل الكردي على نقوده.

بعد الإنتهاء من هذا العمل الشاق يبدأ مايسمى عملية تقطيع القش. ويجري ذلك بواسطة مدحلة مصنوعة من الخشب. يطبق في البداية القش من جديد وعن طريق المدحلة يجري تقطيعه. النساء المسنات

يشرفن على هذه العمليـة. نتـاج هـذه العمليـة يوضـع في أكياس ويحمل مرة أخرى علـى ظهور الحمـير ويـساق إلى مكان العملية التالية. وهي عملية تنجزها النساء أيضاً.

تلـك النـساء يقمـن بتجميـع روث الحمـير والخيـول والأبقار والأغنام والماعز مسبقاً. تجري إذابة الروث بالماء ويـضاف إليـه القـش الـذي تم نقلـه. يجـري مـزج هـذا الخليط بالسير فوقه من قبـل النـساء بأقـدامهن العاريـة. بعد إتمام المزج بشكل جيد تصنع النـساء مـن هـذه المـادة اقراصاً مدورة كبيرة يبلغ قطرها (٤٥) سـم تقريبـاً. ثـم تترك هذه الأقراص كي تجف تحت أشعة الشمس. بعدئـذ تخزن وتجمع بعضها فوق بعض كي تستخدم فيما بعد في فصل الشتاء كوقود للطبخ والتدفئة.

"بلاد أخرى عـادات أخـرى" (مثـل ألمـاني - المترجـم) كتبت حتى الآن تفاصيل كثيرة وشروحات شـاملة. أريـد أن أعـرف بمـاذا تفكـرون عنـدما تقـرؤون رسـائلي. هـل تجدون هذه التفاصيل مملـة. ولكـني يجـب أن أكتـب عـن الأمـور كمـا هـي. يجـب أن أشـير بـشكل جـانبي إلى أنـه لا توجد هنا محاريث حديدية وإنما فقط محاريث خشبية. أنا أعتقد أن الأوضاع لدى الجرمان القدماء لم يكن أسوأ.

أنـتم تعلمون أن الطعام بالنـسبة لـي مهـم جـداً، سـواء بالنـسبة للعقـل أو القلـب أو المعـدة حتـى عنـدما أتنـاول

طعامي في قسمي فإنه على محمود أن يعد المائدة بشكل جميل. يجب أن تكون وردة دائماً على المائدة، المنظر والعطر ينعشاني. ولكن برأيي ايضاً يمكن للمرء أن يبالغ أحياناً. اليوم طلبت من الطباخ أن يحضر لي وجبتي إلى غرفتي. يا للسماء! لو كنتم رأيتم ذلك، أحضر لي هذا الإنسان صينية مفضضة قطرها (٨٠) سم عليها أربع زَبادِيَ كبيرة، واحدة مليئة بالرز وواحدة مليئة بالدجاج المشوي وواحدة بلحم الغنم وواحدة بالمرق وتوابعه. أنا لا أملك معدة ثور. مجرد رؤيتي لتلك الكميات فقدت شهيتي، وهكذا تابعت الكتابة. من ناحية أخرى لا يفهم رشاد فرج. يروح ويجيء أمام نافذتي وهو متعجب كيف لا زلت أتابع الكتابة ولم أتناول بعد لقمة واحدة من هذه المأكولات الشهية. ولكن بكل الأحوال يجب أن أتناول شيئاً شئت أم أبيت. والآن لدي فكرة رائعة. رئيس الطباخين طهى ثلاث دجاجات بطريقة أوروبية وفي تمام الساعة الثانية عشرة (يوم الجمعة هذا يعني كالأحد عندكم) تناولنا الغداء على الطريقة الكردية، جلوساً على الأرض، كنا أربعة اشخاص، وسرعان ما فرغت المواعين. جميع الألمان الشبان الذين حولي جائعون دائماً، حتى ولو لم يكونوا جائعين، وفي شركتنا يوجد دوماً ما يؤكل وبوفرة.

العمل في فرن

تعرفت خلال الأيام الماضية على "ره شه با"، وهي عاصفة صحراوية قوية جداً. إنها حارة كالحميم وتحمل معها الرمال وكل أنواع الحشرات الممكنة، سواء في اليوم الذي تهب فيه هذه العاصفة، وأثناءها، وأيضاً في الأيام التي، يحس المرء أن قواه الجسدية والنفسية قد خارت إلى درجة أنه لم يعد لديه المقدرة على العمل، ناهيك عن الكتابة. تنخفض درجة التركيز إلى درجة كبيرة، فقط لايمكن للمرء أن يستسلم بالكامل لهذه الشعور بالضعف.

اسمعوا الكلام التالي:

أوعزت بصب مسطح بتوني (أسمنتي) أمام المكتب على طريق سد دربنديخان في حلبجة وذلك في وقت مستقطع، وغطيته بالقماش المبلل كي لا يتشقق جراء حرارة أشعة الشمس. وكنا نبلل هذا القماش في الليل والنهار كي لا يتلف البيتون ويظل رطباً. رفعت إحدى

المرات قطعة القماش عن البيتون فهبت بسرعة البرق أفعى طولها حوالي (٧٠) سم ومقطعها العرضي (١) سم في وجهي باغتتني سرعتها وهكذا اضطررت ان أضحك. بينما راح الحمالون يصرخون بكل جنون وشدوني إلى الخلف، وأعزوا إلي بحركات رؤوسهم أن أبقى ساكناً، ففهمت: إنها افعى سامة. بينما طلبت إحضار حاوية الكحول الزجاجية، كان الحمال أبشالا يمسك بالأفعى من ذيلها ويرفعها عالياً. بالخديعة والحيلة وضعناها في حاوية الكحول. وهكذا أصبح لدينا تذكار آخر. مرعب. مثل تلك الحوادث مسائل معتادة في هذه المنطقة. لا داعي لأن تقلقوا، نحن على أهبة الاستعداد لمثل تلك الحوادث: لدينا الأدوية الضرورية والأمصال والسيروم دون أن ننسى عدة الطبيب التي أحملها في جيب الصدر في قميصي دائماً ويومياً: شفرة حلاقة حادة وعلبة كبريت وعلبة بنسلين. سوف نرى، متى يجب علي أن أضطر لمعالجة نفسي بنفسي للمرة الأولى بهذه العدة.

لا يمكنكم أن تتصوروا كم نحن البشر هنا عاجزون امام عاصفة (ره شه با)، هذه العاصفة الصحراوية الحارقة. منذ ثلاثة أيام تهب علينا هذه العاصفة بدون رحمة وغبارها يملأ كل فتحة لدى الكائن. لايكاد الإنسان يمكنه التنفس، العاصفة كالجحيم الملتهب. ثم جاءت

رسالة أيوب لتملي علينا: "لايوجد ماء في المعسكر" هذا هو أسوء ما يمكن أن يحدث للمرء هنا. العيش من دون ماء يعني : ١ـ لا يوجد طبخ، ٢ـ لاتوجد إمكانية غسيل، ٣ـ اجهزة التبريد لا تعمل، ٤ـ المحركات لا تعمل، ٥ـ لا توجد ماء للشرب. عدم توفر الماء يعني كارثة بكل معنى الكلمة. الآن قمت أخيراً بتأمين مورد ماء موثوق في السليمانية. ولكن إذ ظهرت لدينا في المعسكر بعدها مشكلة، فهذه مشكلتنا وليست مشكلته. خلال ذلك تعلمت شيئا مؤلماً: رغم الحر القاتل ورغم درجة الحرارة العالية، وهي تبلغ حاليا (٦٥) درجة مئوية، يجب على المرء أن يمتنع عن تناول مشروبات باردة بشكل قاطع. سيؤدي ذلك إلى كارثة مركبة، إذ كيف يستطيع المرء أن يحجز طوال اليوم بيت خلاء في الصحراء؟

يجب علي أن اضحك عندما تتحدث إذاعة الموجة الألمانية عن (موجة حرارة) عندكم، ولدي درجة حرارة (٢٨) مئوية. أيضاً يجب أن أضحك لدى السباحة المسائية. الرأس والرقبة ومكان فتحة القميص أسمر محروق. الجزء الأعلى من الجسم أسمر، الأفخاذ والسيقان سمراء قاتمة، غير أن الأقدام تبدو كأنها مطلية باللون الأبيض، لأني البس الجوارب دوماً، بمثل هذا البياض هو معصمي تحت حزام الساعة.

عرض زواج

كنت مدعواً للطعام في بيت شيخ قرية ميره دي. لم تكن لديّ أدنى فكرة عن نوعية العرض السخي الذي سوف يعرض عليّ. تتكون عائلته، أهل بيته فقط، من ثلاث زوجات و (١٤) بنتاً و (١٥) ابناً. بعد الطعام تم إحضار (٧) فتيات صبايا محجبات إلى الغرفة التي كنا فيها. رفعت كل واحدة تلو الأخرى حجابها مدة (١٠ـ ١٥) ثانية. كُنّ فتيات ونساء رائعات الجمال، وجميعهن تتزواح أعمارهن فيمابين (١٤ـ ٢٤) سنة، إلا أنني سألت نفسي عن سبب هذا النوع من التكريم الذي يقدمه لي.

وهكذا بعد أن كشفت لي جميعهن وجوههن وتبسمن إبتسامات الترقب والإنتظار، قدم لي شيخ ميره دي العرض التالي: "سيد ويتمان، نحن نحترمك جميعاً إلى أقصى حد، وأنا أريد أن أترك لك حرية الإختيار، لقاء (١٠٠) دينار أعطيك واحدة من بناتي زوجة" أصبت بالصدمة وعجزت عن الكلام، ولم أحر جواباً في البداية،

أخذت نفساً عميقاً وتمكنت أخيراً من النطق: (شيخ ميره دي، يشرفني إلى أقصى الحدود عرضك هذا، ولكنك تعلم أني من ألمانيا، وهناك زوجتي إيلا وابنتي بيترا) لم يتمكن من إدراك عدم قبولي في الحال بعرضه الكبير، فأردف قائلاً: (زوجة واحدة (باش نيه = سيء، ثلاث زوجات (زور باش) = افضل كثيراً. يجب أن تفكر أن البنات يجلبن المال) عبر الحجاب أمام وجوههن تمكنت من سماع تنهدات خيبة الأمل لدى البنات السبع. الأب ايضاً كان حزيناً لأنني لم أشتر واحدة منهن. ابنة التاسعة عشرة كانت جميلة بشكل مميز، ولكنها جريئة أيضاً. مرة أخرى عجزت عن الكلام عندما سمعتها تبرطم من خلف الحجاب: "إذا تزوجتني لن تحتاج حينها كي تعمل أبداً. أنا أعمل بقدر عشر نساء مجتمعات"، أردت أن يتم فهم جوابي بشكل دقيق أيضاً، وطلبت من المترجم الذي كان يرافقني أن يعيد ما أقول: "في ألمانيا توجد عقوبة بالسجن في حالة تعدد الزوجات" لا تعتقدوا بأن ذلك أرضاها. رفعت حجابها ونظرت إليّ ببشاشة ثم قالت: "صدقني سيد ويتمان، الخنجر يحقق المعجزات"

فيما إذا كانت ترى أن هذا الخنجر الكردي ضد القوانين الألمانية أو كي تزيحك عن طريقها أنت عزيزتي

إيلا، الموقف الذي كنت فيه لم يتح لي طرح هذا السؤال عليها.

لدى شيخ ميره دي رفضت زوجة، ولكن مقابل ذلك قبل فترة وجيزة ايضاً رفضت عرض زواج لصغيرتنا بيترا. اجلسوا الآن واستمعوا: زارني تاجر عربي في المكتب، ولكني لم أرغب في عدم إنهاء رسالتي إليكم التي كنت على وشك النهاية منها بسرعة. لاحظت من طرف عيني كيف كان يراقب طريقتي في الكتابة بكل دهشة. أنا أكتب السطور كالمعتاد من اليسار إلى اليمين، وليس كما يكتب العرب من اليمن إلى اليسار. تعجب وهز برأسه ثم اكتشف صوري الفوتوغرافية فقال: (سيد ويتمان هل لديك زوجة؟) أجبته بالعربية: (نعم، هذه زوجتي) شكرني على المعلومة، ثم كان يريد أن يعلم، كم مضى من الوقت على غيابي عن الديار، عندما سمع جوابي (سه سال)ثلاث سنوات واستوعبه، هنا هز الماكر برأسه وقال: (جين - المرأة كابوت) الكلمة الألمانية (كابوت) شائعة الاستخدام هنا. (كابوت تعني بالألمانية الأصابة بالتلف أو تالفة ــ المترجم) ثم انصبّ اهتمامه على الصورة الأخيرة لبيترا: بغرتها الوسطى وضفائرها الطويلة هنا بدأت عيناه تبرقان، وسأل بدون لف ودوران: (هل أستطيع الزاوج بها؟ أنا مستعد لدفع مبلغ

(٧٥٠) دينار من أجلها) لم أكن أعلم أن صغيرتنا تشكل مثل هذا الرأسمال القوي كفتاة. من أجلك أيضاً عرض مبلغ (٢٥٠) دينار. بكل شكر رفضت العرضين. تفهم موقفي وبذلك تمكنا من الانتقال إلى صفقاته التجارية التي جاء من أجل إبرامها.

حدثت هنا معايشة أخرى أكثر واقعية، إلا أنها ليست أقل إثارة للاهتمام. كنت أود أن أستطلع أرضاً في مناطق سوف نبني فيها قريباً الطريق. نهضت في الرابعة والنصف، في تمام الساعة الخامسة أتي الحمالون الستة ومعهم سيارتي اللاندروفر التي تلمع نتيجة غسلها وتنظفيها بكل دقة. الرجال أيضاً كان منظرهم يبدو نظيفاً. كانت كل سيارة تثير خلفها زوبعة كبيرة من الغبار، فاضطررنا أن نتفق على المسير مسافة فاصلة بين كل سيارة تبلغ (١) كم. العشرون كيلومتر الأولى كانت تقع في منطقة القسم الذي أديره، بعد ميره دي بقليل بدأت بالنسبة لي الأرض الجديدة. وأي أرض جديدة!

هنا تبدأ الجبال. إلى الأعلى، إلى الأسفل، يسار، يمين، ومرة أخرى صعود وهبوط، أسوء من ركوب قطار الأخطبوط في مدينة الألعاب. يد تمسك بالمقبض على جدار السيارة واليد الأخرى على الرأس كي لا يصاب بطرقة نتيجة اهتزاز السيارة. كنا نرى كل مسافة (٢٠)

متر نبتة أو شجيرة بارتفاع (١,٥) متر بمثابة (تغيير شكل) يبعث في النفس نوعاً من المسرة في هذه الأرض القاحلة. على مرتفع (سينارا) تعثرنا بمخيم زميل لنا. عدا (مرحباً) كبيرة حصلنا لديه على مشروب ساخن أيضاً. صحيح أنه يمتلك في خيمته ثلاجة تعمل بالكاز، وهناك نبع قريب منه، إلا أن المنطقة برمتها تشبه الغرب الأمريكي المتوحش. هنا استلمنا مهمة بريدية: على بعد مسافة (٣٠) كم من مخيمه يسكن صديق له، رجانا أن نوصل له علبة قهوة (نسكافيه) وعلبة حليب مركز.... هذه الكيلومترات الثلاثون تمكنا من أن نقطعها على طريق ضيقة، كنا نحن قد مهدناها كطريق مؤقتة نتمكن من خلالها العبور إلى المنطقة على الإطلاق كي نتمكن من بناء طريق معبد حقيقي.

نزهة نهارية مع كنبة

إذا قلت في ألمانيا لضيف غير متوقع: (هل أستطيع أن أطلب منك رجاءأ؟ انعطف بعد الثلاثين كيلومتر الأولى إلى اليسار، هناك سوف ترى تحت جبل صخري منزلا، أرجو أن تسلم علبة القهوة هذه إلى هذا البيت) في ألمانيا يعتبر هذا ضربا من الجنون. ولكن هذا بالذات ما وعدنا بالقيام به.

عند النقطة المحددة انعطفنا نحو اليسار، وبعد ثلاثين كيلومترا وجدنا أنفسنا أمام قمة جبلية صخرية وتحتها بالتمام كان بيت أبيض صغير ووحيد، لكنه ظريف بين الخضرة. صعدت بسرعة إلى صخرة قريبة من المنزل وصفرت بقوة، ثم انظروا، سمعت صفرة رداً على صفيري. ورأينا ثمة شخصا يمتطي حصاناً يقترب منا: إنه بايري حقيقي (من منطقة بايرن جنوب ألمانيا - المترجم) في كردستان البرية، إنه الزميل برونس.

كان يرتدي سترة بايرية بسيطة لكنها مريحة. حتى إنه زرع حديقة صغيرة حول المنزل بكل صبر وأناة، وأكلت لأول مرة في حياتي تينة طازجة قطفتها من الشجرة وكانت لذيذة الطعم، إلا أنها حلوة جداً اعتبرناه مجنوناً عندما أخبرنا أن زوجته مع طفلته الصغيرة سوف يأتون إليه كي يشاركوه هذه الأرض المقفرة.

رحلتي إلى هذه الأرض المقفرة كان له سبب وجيه كما سبق لي الإشارة إلى ذلك. أود أن أستطلع المنطقة لأرى كيف ستكون الطرقات والجسور في هذا القسم. وهكذا أطلعنا السيد برونس على هذا القسم. رأينا الصخور يميناً ويساراً، نظرنا إليها ونحن نبتلع ريقنا فقط.

في هذه المنطقة الصغيرة التي تسمى (بيرسي) لوحدها يجب أن نفجر حوالي (٨٠,٠٠٠) متر مكعب من الصخور. طول هذه المنطقة الصغيرة ذاتها لا يتجاوز (٣٠٠) متر فقط. وارتفاع الجسر سيبلغ حوالي (٦٠) متراً تقريباً. أريد أن أنتظر كي أرى كيف سيصبح كل شيء. عرض الوادي (٤) أمتار، ولكن السفوح الصخرية من حوله تبلغ ارتفاع (٦٠) متراً وهي شديدة الانحدار كالجدار. ولكننا اليوم كنا سائحين فقط، قدنا السيارة

ببطء فوق الجبل واستمتعنا بمنظر الطبيعة الخلابة من الأعلى.

الرؤية الواضحة هنا على امتداد البصر تدهشني كل مرة من جديد. رأينا سد دربنديخان بكل وضوح، رغم أنه يبعد عنا مسافة (٤٠) كيلومتر. من خلال الرؤية الواضحة استطعنا رؤية هدفنا في الجبال والتعرف عليه تماماً. كالنقاط البيضاء ظهرت لنا الخيام المنصوبة هناك. (خيامنا المشهورة) صاح الزميل القادم من بغداد. صدقوني، أنا معتاد على السفر المضني، ولكن هذه الرحلة عبر الطريق الحافل بالمنعرجات والحاد الإرتفاع، صعود تلة، وهبوط تلة، انعطاف حاد إلى اليمين، وانعطاف إلى اليسار، هذا كله أرهقني جداً. بعد مضي ساعة أخرى وصلنا إلى الأعلى. السادة نصبوا أربع خيام كبيرة وراحوا يستمتعون، وهم مستلقون على كراسي الاستلقاء، بمناظر طبيعة كردستان الخلابة الحقيقة والبرية؟ لا قرية ولا منزل، مقابل ذلك هناك تيوس جبلية وأفاعٍ وغزلان وذئاب ودببة. وهنا بالضبط يجب أن يمر طريقنا عبر الكتل الصخرية الضخمة. كنت أكرر القول لنفسي باستمرار "ياللسماء ! متى سننتهي من إنجاز هذا كله" أصاب الوهن ركبتيَ. رغم البانوراما الخلابة لطبيعة المنطقة هنا وجمالها، فإن العمل في

الأعالي سيكون مليئا بالمخاطر والمصاعب أيضاً. هناك في هذه العزلة التامة عن كل شيء.

عندما سألنا كم يوما نريد أن نقضي في رحلتنا، هنا انتابني الشك بشيئ ما، إنهم رأوا سيارتنا، عدا ذلك رصدوا كل ما احتوته من حمولة: كان فيها المواد التالية: كنبة وكرسي وثلاث سجادات كبيرة كل منها بقياس (٤×٦) أمتار، وحمالة وعشر بطانيات صوفية وثلاث ترامس كبيرة مملوءة بالماء البارد، وأربع حاويات ماء جلدية كبيرة معلقة بالسيارة، وثلاثة مواعين مليئة بسلطة البطاطا، و (٥٠) بيضة مسلوقة، علبتا لحم مرتديلا، وغيره وغيره، إذاً سؤالهم لم يكن مبررا. السيد (أو) قال فقط: (السيد ويتمان يحسب لكل شيء بالفعل حسابا) صدقوني، أعزائي في الوطن، الاستعداد لكل شيء أفضل من التواجد في الصحراء أو في الجبل بلا ماء وبلا طعام وبلا تدفئة. وبهذا أنتم ترون أني لم اكن على الإطلاق غير محق. حتى حين عودتنا في الليل كان قد أكِل كل شيء أحضرناه معنا، كل شيء.

الدعوة الأولى لدى الكرد

إذا كنتم تعتقدون أنه توجد في المتاجر المختصة في ألمانيا سجاد شرقي جميل فأنتم مخطئون بالكامل. قبل عدة أيام كنت مع السيد رومر والسيد أولنشكلير مدعواً لزيارة أهم رجل كردي في السليمانية وهو الأغا نامق مصطفى. أتينا نحن الثلاثة، لكنهم قدموا لنا وليمة تكفي خمسين شخصاً.

وضعوا أمامنا جميع أصناف الطعام: بندورة مقلية وطازجة، لحم ماعز وغنم، كبدة ودجاج وبط وأوز وبطيخ أصفر وعنب وتين، ومن الشراب كانت توجد بيرة ألمانية وبيرة عراقية من صنف (فريدا)، و الـ(دو) الكردي (اللبن الرائب بالعربية ـ المترجم) والليمونادا وأنواع مختلفة من الويسكي والصودا وما شابه ذلك. بمجرد النظر إلى هذه الكميات من الطعام جعلني أشعر بالشبع، أما الاثنان الآخران فقد أكلا بقدر خمسة أشخاص. أنا لا أستطيع فعل ذلك، فمعدتي لا تساعدني

على هذا. لا أستطيع ابتلاع الكثير من الطعام. تناولت شيئاً من لحم الماعز والكبدة مع قليل من الأرز، فكان هذا كل شيء. غير أنني أكلت حوالي (١) كغم من العنب، الذي اعتدت أن آكل منه كل يوم قرابة (٣) كغم. غرفتي مملوءة دوماً بالعنب الطازج والحديث القطاف، لا أقوى على رد ما يأتيني منه. كم سيكون جميلاً لو تمكنتم أنتم أيضاً من تناول هذه الفاكهة اللذيذة حتى الإحساس بالشبع.

جميع الغرف كانت مفروشة بتلك السجاجيد الرائعة، قياس كل واحدة منها لا يقل عن (١٠×٨) أمتار. طبيعي أنهم أطلعونا على جميع غرف المنزل الحجري. في غرفة الضيوف علقت سجادة حائط بلون الزمرد الأزرق تبلغ قيمتها (١٤٠٠) دينار، مايساوي (١٥٠٠٠) مارك ألماني. في طريق عودتنا إلى المعسكر مررنا بقرية العمال الكرد التي يحميها سور طيني. الحياة قاسية، ليس هنا فقط.

إيلا! ألا زلت تتذكرين زيارتنا المذهلة خاليف داوت باك، في أعالي الجبال الكردية؟ إثنان من حراسه أحضروا لي هذه الأيام سلتين كبيرتين مملوءتين بأجمل نوع من الدراق رأيته في عمري وتذوقت طعمه. دعوت هذين الحارسين الضخمين، طول كل منهما (١٨٠) سم،

لقضاء الليلة في غرفة الضيوف، بحيث يكونان غداً قد ارتاحا من أجل طريق العودة.

أثناء حديثنا في الليل أطلعتُ على معلومات جديدة مهمة مرة أخرى. حدثني الحارسان الكرديان البريان بأنهما يذهبان يومياً إلى إيران. عندما سألتهما عن جواز السفر وإجراءات الجمارك، كان عليك أن تري ردة الفعل في وجهيهما. لا يعلمان ما هو جواز السفر ولا ما هي الإجراءات الجمركية على الإطلاق. إذ يذهب بطريقة منتظمة (٣٠- ٥٠) رجلا مسلحون بالكامل من أجل حماية أنفسهم، مسافة (٣٠- ٤٠) كم في عمق الأراضي الإيرانية، وهناك يقوم بقطع (٥٠-٦٠) شجرة كبيرة. بجهودهم المشتركة يجرون تلك الأشجار في طريق عودتهم إلى القرية الجبلية في العراق. ثم يجري بيع هذه الأخشاب فيما بعد ويستخدم لأجل صناعة صناديق لأجهزة الراديو. عندما سمعت هذه القصة كانت ردة الفعل على وجهي شبيهة بتلك التي ظهرت قبل قليل على وجهيهما.

والآن أصبتُ أنا أيضاً بما يسمى مرض (الأعراض العراقية). قبل فترة قصيرة أصبت بجرح في كوعي الأيمن لدى تواجدي في موقع العمل، ولم يحدث لي عدا ذلك شيئ. ولكني بعد يومين تذكرت هذه الحادثة عندما

أحسست بألم شديد. ذهبت في الحال إلى الطبيب، الذي حقنني بحقنتين، وبعد يومين أعاد الكرة، ثم مرة ثالثة. وبذات الوقت اصابني البرد، وهذا أيضاً من أعراض مرض (الأعراض العراقية). سبب هذا البرد هو تغيير درجة الحرارة الكبير والمستمر بين حرارة لا ترحم وغرف مبردة. أرجو أن تسألي لأجلي في إحدى الصيدليات عن دواء قوي وأرسليه لي قريباً. نحن ندخل في فصل الخريف حيث تكون درجات الحرارة مختلفة جداً. في النهار تبلغ درجة الحرارة (٤٤) مئوية في الظل. عندما أستقيظ صباحاً أرتدي في الساعات الأولى كنزة صوفية سميكة، وفوقها جاكيتاً. حوالي الساعة السابعة صباحاً تصل درجة الحرارة إلى (٣٦) مئوية في الظل (غير أن هذا الظل ليس متوفراً على الإطلاق)، حينها أستطيع نزع الجاكيت والكنزة مرة أخرى. الليل يتحفنا بدرجة حرارة مئوية لا تتجاوز العشرين، لكن برودتها قاسية جداً. أصابتني إنفلونزا شديدة. الدواء المثالي بالنسبة لي الآن، هو، لو كنتِ عزيزتي إيلا بقربي.

بغداد

إنها مفاجأة لك، فأنا أكتب لك الآن من بغداد. لا تخافي، فأنا بخير، ولكن السبب الحقيقي هو أن حالتي ليست على أفضل ما يرام. على ما يبدو أصابني انهيار صغير جداً. إضافة إلى ذلك الجرح في كوعي لا يريد أن يندمل ومعصمي يؤلمني، ولم يستطع الطبيب هانشين أن يعالجني. كما لا توجد في السليمانية الأجهزة الطبية اللازمة لإجراء الفحوصات. أفضل مستشفى خاص في بغداد يملكه بروفيسور بريطاني، وإليه أرسلني مكتبنا الرئيسي في بغداد. البروفيسور رجل صعب المراس ومجتهد. لقد هدأت عندما أعلمني أخيراً بأن عظامي عند الكوع ليست مكسورة. أتعالج حالياً كل يوم بالأشعة في مستشفى (دار السلام) بلغتني التعليمات من إدارة شركتنا العليا في بغداد: (كل عملك الآن يقتصر على العناية بصحتك).

الأعـراض المرافقـة المريحـة هـي أنـي بهـذه الطريقـة نـزلـت مـن الـشمال المرتفـع إلى بغـداد في الجنـوب، وبهـذا تمكنــت مــن اســتطلاع الطريــق بكــل هــدوء. فــوق في الـسليمانية حـسدوني بـصدق علـى هـذه الرحلـة (علـى نفقة الدولة). وأنا أقول لك، إيلا، كم كان انطباعي الأول عن هذه المدينة خاطئاً!

عنـدما جئـت للمـرة الأولى إلى بغـداد كـان لـدي يـوم واحد فقط كي أكوّن عنها إنطباعي الأول. بالتأكيد كانت أشجار النخيل في حديقة الفندق مثل منظـر نهـر دجلـة جميلــة، ولكــني في النهايــة لم أر في ذلــك الحــين ســوى الأوسـاخ فقـط في الدرجـة الأولى، وسمعـت ضـجة غريبـة تصم الآذان، باختصار: كانت بالنسبة لي مدينة مقـززة. أنا مسرور كوني لم أكتب لك حينها عن انطبـاعي الأول. اليوم أشعر بالغضب بسبب الغباء الذي كنت عليه. بغداد مدينة جذابة ومثيرة، جميلة ومذهلـة. ولكـني سأحاول أن أشــرح بالتسلـسل المـسافات هائلـة. نهـضت في الرابعـة والنصف من السرير. الطريق مـن عربـت إلى الـسليمانية الذي يبلغ (٢٠) كم احتاج إلى ساعة سفر.

هنا استقليت سيارة تاكسي مريحة في السابعة صباحاً ماركتهـا (دى سـوتو) وإنطلقـت الرحلـة باتجـاه كركـوك. بعد سفر خمس ساعات وصلت إلى كركوك. أخذت شـراباً

منعشا ثم بدأت الرحلة عبر الصحراء الساعة الخامسة عصراً إلى بغداد. إنها مغامرة من نوع مميز. الثمانين كيلومتر الأولى كانت طريق أسفلتية جميلة. عند استراحة "شايخانه" أكملنا تعبئة مبرد السيارة بالماء ثم لم يعد من أثر لطريق معبدة. اكتشفت أن السائق يقود السيارة في طريق يعرفه بالكامل حتى وهو نائم، الأمر الذي اثار إعجابي وأدخل السكينة إلى قلبي.

مررنا بقوافل جمال لا نهاية لها وبالآف من قطعان الغنم. مما تعيش هذه الحيوانات، هذا ما لا يزال حتى الآن مجهولاً بالنسبة لي. بعد (٥٠) كم أخرى توقفنا عند آخر واحة، أخذنا مؤنتنا من الماء. استمتعت بمنظر النخيل والتمور. كانت نساء عربيات من دون حجاب يملأن الماء من النبع. الشمس كانت في كبد السماء، ولكن في درجة حرارة (٤٥) مئوية. لم يكن الحر شديداً جداً، بل كانت ثمة نسمة هواء منعشة. بعد سفر (١٢٠) كم أخرى لاحت لنا أول مدينة. لقد نسيت اسمها، ولكنها بدت بالنسبة لي كمدينة شرقية حقيقية بنخيلها الوفير.

كانت الساعة تبلغ السابعة والنصف عندما دخلنا تحت ضوء أشعة الشمس الغاربة الرائع. قرب استعلامات الفندق التقيت بأحد الزملاء الذين يعملون في بغداد،

والذي كان على وشك الانطلاق بالطائرة إلى ألمانيا. جرى كل شيء بسرعة حيث أني للأسف لم أتمكن من إرسال بطاقة بريدية لكم مع هذا الزميل. بالنسبة لي كان لدي الآن هدف واحد فقط. تناول الطعام، الإستحمام ثم النوم. كنت منهكاً بالكامل. يجب عليكم أن تتصوروا: من أجل موعدي لدى الطبيب يجب علي أن أسافر من (التنبكن) إلى (هامبورغ) ومن هناك باتجاه الأسفل إلى ميونخ. ولكن ليس عبر الطريق السريع، وإنما عبر طرق تشبه طريق "مولنفيك" أو طريق "فيناكر" الوعرة. صحيح أن التاكسي الأمريكية كانت في حالة ممتازة، ولكن إذا كان على السيارة أن تجتاز طرقات وعرة بهذا الشكل، لا يفيد الراكب قوة السيارة.

قبل عدة أيام شكوت لك معاناتي من اختلاف درجة الحرارة في الليل والنهار، الأمر هنا في الأسفل في بغداد التي تقع في الجنوب يختلف بالكامل. إذا كانت الرحلة الصحراوية في درجة حرارة مرتفعة، فإن الهواء هنا في بغداد حرارته أعلى. بما أني سوف أقضي هنا على الأقل (٨ ــ ١٠) أيام، لم يشرح لي أحد أنه يجب علي شراء قمصان وأحذية خفيفة.

منذ اقترابنا من مدخل بغداد سنحت لي الفرصة كي أصلح انطباعي الأول الخاطئ حول هذه المدينة. على

سبيل المثال، يجب على المرء أن يميز بين بغداد القديمة وبغداد الجديدة. حظي السيء جعلني في المرة الأولى لا أرى سوى الزاوية الأكثر قذارة في المدينة.

بينما أكتب هذه السطور بعد مضي ثلاثة أيام على وجودي هنا، أستطيع أن أقول: إنها مدينة جميلة فعلاً وجذابة. شوارعها رائعة، وفي وسطها يوجد قوسا بوابتين جميلتين، وأشجار نخيل وحدائق خضراء وبيوت متعددة الطوابق جميلة... الخ. الأوروبيون يقيمون في الفنادق التالية: "سميراميس"، "سندباد" و"دجلة"، جميعها حدائقها جميلة وتقع على ضفاف دجلة. فنادق "ريجينت" و"ريتز"، وفندق "سومر" حيث أقيم تطل على ضفاف دجلة وهي أيضا من الفنادق الجيدة. أما بقية الفنادق الأخرى (ماكو) أي لا تصلح للسكن بالنسبة للمقاييس الأوروبية. بالنسبة للطعام يعتبر "إمبسادور" جيداً، وكمكان جيداً للرقص فندق عبدالله.

وهذا الفندق يحتوي "كابريه" (ملهى ليلي — المترجم) تعمل فيه نساء ألمانيات ونمساويات وفرنسيات، وهن يسمين أنفسهن (أرتيستات) أي فنانات. إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. السيارات الأمريكية ورقة رابحة. في فندقي أيضاً تسكن (١٤) قطعة من تلك الأرتيستات المزعومات، أشكالهن من الخارج أنيقة

إلى درجة كبيرة، جميعهن شقراوات، إنهن سم أشقر. يتهافت عليهم العراقيون. أنا أستغرب فقط كيف يسمح الأهل في أوروبا بان تقوم بناتهم بمثل تلك جولات الرقص هذه. على المرء كأوروبي أن يخجل من نفسه لدى رؤية مثل تلك (الأرتيستات).

مثلما أن بغداد كبيرة فإن العالم أيضاً صغير. منذ المساء الأول التقيت في حديقة الفندق بعدد من الزملاء الذين يعملون في بغداد، وهكذا بعد عدة أيام التقيت بعدد آخر من الزملاء، منهم مستشار السفارة الألمانية وهو شخص لطيف للغاية، والرسول النمساوي. الاثنان سوف يزورانني في السليمانية بعد عودتي. والأهم من كل شيء، لم ينصحاني فقط بعدد من الكتب حول العراق، بل وعداني بإحضارها معهم لي. شرح لي بعض الألمان الآخرون أن خدمات سفارتنا الألمانية في المجال الثقافي خاصة هي خدمات ممتازة.

المدينة تبدو اليوم نظيفة بشكل مميز، وهذا له أسبابه: اليوم هو يوم كبير، لأن الملك الصغير الشاب فيصل الثاني سيعود بعد غياب خمسة أشهر في اوروبا. سوف يتم إحضاره من المطار إلى جسر الملك فيصل، حيث سيتم استقباله الرسمي من قبل رعاياه. قد

احضر هذه الاحتفالية فيما بعد، ثم سأروي لكم شيئاً حول تاريخ هذا البلد.

مستشار السفارة الألمانية أرسل لي للتو عدداً من الكتب إلى الفندق حول تأسيس دولة العراق. قرأت طوال الليل تقريباً، واطلعت على قضايا لم أقرأ في المدرسة عنها أية كلمة. ولكني من أجل الحق يجب أن أضيف:

دولة العراق في نوعها وشكلها اليوم لم تكن موجودة بعد في زمن دراستي الثانوية لقد تأسس العراق بداية سنة (١٩٢١) على طاولة التشريح البريطانية.

مواعيدي في المستشفى حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر كل يوم، وحتى ذلك الحين أملك الوقت كما أشاء وأقضيه. بالأمس قمت بجولة سيراً على الأقدام في شارع الرشيد حتى وصلت إلى المتحف العربي، والآن اسمعوا ما يلي: إنه متحف الحضارات القديمة وقد أسسته غرترود بيل سنة (١٩٢٦)، إنها بريطانية. أعتقد أني أستطيع القول من دون مبالغة، إن مثل هذا المتحف لا يوجد له مثيل آخر في العالم كله. يحتوي هذا المتحف على الآثار المكتشفة في نينوى وبابل والموصل وسامراء وغيرها. وضعت فيه تماثيل حجرية رائعة تعود اصولها إلى فترة (٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) سنة قبل المسيح. وفيه الكثير من الذهب والفضة من أحقاب تاريخية مختلفة. التماثيل

الغرانيتية العملاقة تعود اصولها أيضاً إلى عصر ما قبل المسيح. وفق المعلومات التي أدلى لي بها مدير المتحف، هذا المتحف هو أكبر وأهم متحف من هذا النوع في العالم. كإثبات على ذلك بإمكان المرء أن يرى أنهم وضعوا في كل قاعة من قاعات المتحف حارسين، يرتديان ملابس رسمية أنيقة بيضاء ويضعان قبعات كتلك التي كانت سائدة في عصر القيصر فيلهلم الألماني. مدير المتحف أخبرني بأن المبادرة بإنشاء هذا المتحف كانت البريطانية غرترود بيل. أنا اليوم أعلم أنني سوف أستمتع في كل زيارة لي إلى بغداد برؤية زاوية جديدة من زوايا هذا المتحف.

التقيت في إحدى الأمسيات بأحد الزملاء، الذي كان قد استقبل للتو زوجته وطفليه. وسوف يعيشون معه هنا لمدة سنة. أنا أعجب دائماً بجرأة الرجال الذين يحضرون نساءهم إلى هنا. وبجرأة تلك النسوة اللواتي يحضرن إلى هنا ايضاً. إنهن لا يعلمن ما هي تلك الحياة التي تنتظرهن هنا. جلسنا معاً في المساء في فندقي، ثم انضمت إلى جلستنا المريحة اثنتان من تلك (الأرتيستات) الألمانيات، الاثنتان متزوجتان برجلين عراقيين. هنا نكون قد وصلنا إلى موضوع الأمسية (فتيات ألمانيات متزوجات برجال عراقيين) سوف تصابون بالدهشة.

رغم الحب والمال فإن هؤلاء النساء يعشن حياة بائسة، رغم أننا نعيش في عام (١٩٥٥). وفق تقاليد وعادات هذه البلاد لا يسمح لهن بالذهاب إلى أي مكان من دون مرافقة. إنهن اجتماعياً معزولات ومحتقرات من قبل الأقارب العراقيين. بعد زواجهن تزوج أزواجهن الزوجة الثانية، القانون هنا يسمح للرجال بتعدد الزوجات والثالثة، وأحياناً الزوجة الرابعة. السفارة أيضاً لا تستطيع هنا تقديم يد العون. تمكنت (٩٨٪) من النساء مغادرة البلاد. العادات بكل بساطة مختلفة، وإذا كان أحد يحلم من معارفكم بالعيش كزوجة في الشرق عليكم أن تنصحوه بالتخلي عن مثل تلك الأحلام! ربما تصبح الأمور بعد (٢٠ أو ٣٠) سنة اسهل من مما هي عليه اليوم. هذا ما لا يعرفه أي أحد منا. غداً ستطير هاتان (الأرتيستات) بالطائرة باتجاه الشمال، إلى ديارهما الجديدة.

رغم أن درجة الحرارة (٤٢) مئوية يمكن للمرء احتمالها، إلا أن السير على الأقدام مسافات طويلة في هذا الحر أرهقني. لهذا السبب ذهبت إلى الفندق لأرتاح وأقوم بـ (العناية بعيوني). تريدون أن تعلموا ماذا يعني هذا؟ إذاً، العيون أيضاً بحاجة إلى الراحة وتحتاج إلى عناية، لذا أنا أيضاً أقوم بالعناية بعيوني. هذا يعني، أنام، وقبله

تناولت الطعام واستحميت. أجلس الآن تحت أشجار النخيل على ضفاف دجلة وأستمع إلى التحية الملكية من أجل الملك فيصل الثاني. المدافع تطلق (١٠١) قذيفة في الهواء لتشريف الملك الصغير. قامته قصيرة مثل ابن عمه الملك حسين، ملك الأردن. أنا لم أره، لكني سمعت أنه يريد أن يزور كل زاوية من أرجاء مملكته.

إذا زار الملك فيصل الثاني كردستان أيضاً وأتى إلينا بالفعل فأنا سوف أنزع قبعتي احتراما له: ليس فقط الطبيعة في كردستان برية، الكرد أيضاً بريين، وهم في الواقع لايريدون أن تكون لهم علاقة بالعراق. لقد وثقوا حينها بالبريطانية غرترود بيل، وإنضموا إلى العراق التي أنشأها البريطانيون، وهم كانوا يتصورون: (لا بأس، سننضم الآن إلى العراق، وإذا لم يرق لنا الأمر ننسحب ونستقل، لأننا في الحقيقة نريد دولتنا نحن).

كثراً ما ذكرت لكم اسم غرترود بيل، لذلك يجب أن أشرح لكم قصة هذه المرأة.

سياسة الإنكليز وغرترود بيل

هـذا الجـزء مـن الـشرق الأوسـط معـروف باسـم ميزوبوتاميا، بلاد ما بين النهرين، بين دجلة والفرات. هـذا الموقـع كـان بالنـسبة للبريطـانيين ذات أهميـة استراتيجية كبيرة: عبر هذه المنطقة يمر الطريق البري إلى مستعمرتها الهند. إذا، ماهو أهم من الحصول على نفوذ في هذه المنطقة؟ سوف أصيغ ذلك بكلماتي: عبر الأحاديث المهمة مع مدير المتحف، ومن خلال الدردشات المفصلة مع مستشار السفارى الألمانية، ومن الكتب العديدة، التي قدم لي جزء كبير منها القسم الثقافي للسفارة الألمانية هنا في بغداد. إلا أن عدوى الحماسة لهذا البلد المذهل وعاصمته الرائعة، اصابتني عبر المستشار في سفارتنا في العراق.

في بداية هذا القرن جرت هنا أحداث سياسية هائلة. ليس البريطانيون فقط قاموا بتحريض أمراء القبائل البدوية التي تعيش في هذه المنطقة ضد بعضهم، بل

الفرنسيون أيضاً سعوا منذ بداية القرن إلى تثبيت نفوذهم في المنطقة. منذ سنة (١٩١٤) إفتتح البريطانيون في القاهرة ما يسمى انتليجنس أوفيس)، أي (مكتب استخبارات). موظفى هذا المكتب كانوا علماء آثار وصحفيين، وبالطبع ضباط سياسيين وضياط أذكياء. كانت المعلومات التي يجمعونها عن هذا الجزء من العالم ترسل إلى وزراء الخارجية البريطانية. لكي نختصر: تم توظيف غرترود بيل بصفة ضابط ذكي، وهذا يعني عميلة استخبارات.

لا بد أن غرترود بيل كان إمرأة جذابة جداً. ولدت سنة (١٨٦٨) في لندن، وهي من عائلة صناعية فاحشة الثراء منذ أجيال. بعكس ما كانت العادات تسمح في ذلك الوقت، اتيحت لها الفرصة للدراسة الجامعية، غير أنها لم تحصل على الشهادة عندما تخرجت، كان هذا سنة (١٨٨٨) وهو كان أمر مستحيل بالنسبة للنساء في ذلك الحين. المال لم يكن يشكل بالنسبة لها عائقاً، فكانت تسافر كثيراً، ولكن ليس سفرات عادية. أحد أعمامها كان سفير بريطانيا في طهران. سنة (١٨٩٢) أمضت في طهران عدة اشهر. أرست معايشات وتجارب تلك المرحلة حجر الأساس لحماسة وإهتمام غرتورد بيل طول حياتها تجاه هذا الجزء من العالم. سافرت سنوات طويلة عبر الشرق

الأوسط. نقبت عن الآثار وكتبت الكتب، وشاركت في رحلات جعلت الإنكليز المحافظين يستعيضوا من الشيطان بسببها. أثناء رحلاتها تلك كانت تضع حجر الأساس لنشاطها المستقبلي كعميلة استخباراتية. المصطلح الإنكليزي المرادف للنشاط التجسسي أجمل (نشاط ذكاء). كانت موهوبة لغوياً، أتقنت عدة لغات كالانكليزية والألمانية والفرنسية والعربية أيضا (فيما بعد أتقنت الكردية والفارسية واليابانية). لم تكن لديها مشكلة في التفاهم. إشتهرت بعدم خوفها، ولكن أيضاً بولعها. لدى غرترود بيل اسلوبها الخاص بها في السفر عبر الصحراء: كانت حيوانات الحمولة خاصتها تحمل حوض استحمام قابل للطي، وسريرها القابل للطي، وأدوات شرب الشاي الفضية، فقط على سبيل المثال. كان معطف الفرو معها دائماً من أجل الليالي الصحراوية الباردة، ومن أجل حماية نفسها من الشمس كان لديها قبعاتها المميزة. كما سمعت، كانت حياتها الخاصة ليست أفضل ما يكون، لهذا السبب انكب جل اهتمامها على عملها.

وهكذا استدعيت سنة (١٩١٥) إلى القاهرة، وهناك التقت أيضاً لأول مرة بالأسطورة (لورنس العرب) ت. ي. لورنس. جميع زملائها الجدد كانوا أشخاصاً التقت

بهم سابقاً أثناء رحلاتها الشرق أوسطية فيما مضى. في الوقت الذي كانت الإمبراطورية العثمانية في إسطنبول تعاني من مشاكلها: القوى الإصلاحية العربية بدلت للتو اللغة التركية باللغة العربية، لم يكن أمراء البدو العرب على بينة من أمرهم: سيتحالفون مع العثمانيين، المسلمين مثلهم، أم مع البريطانيين الكفرة. هنا وجدت غرترود بيل مجال نشاطها. وجب عليها أن تكتشف أنه مع أي أمير عربي يمكن إطلاق شرارة الثورة ضد الأتراك.

بينما كان ت. ي. لورنس، (لورنس العرب) الأسطوري، يسلم بوصفه عالم آثار التقارير عن سكك الحديد هناك وعن تحركات الجيوش والطبيعة والطقس وما إلى ذلك برفقة الخرائط اللازمة، كانت غرترود بيل تستغل الخبرات والمعارف التي جمعتها خلال رحلاتها الصحراوية الست. المندوب البريطاني السابق في بغداد مستر لورمير قال عن هذه المرأة: "لم ألتق فيم مضى أبداً مع أحد يتمتع بمثل هذه الثقة اللامحدودة في نفوس السكان المحليين تجاهه مثل غرترود بيل" كان بالنسبة للبريطانيين في غاية الأهمية أن تعرف غرترود بيل كل شيخ عشيرة، وكل شجرة عشيرة، وكل مواصفاتهم وآرائهم السياسية، وكل نبع ماء وخط سكك

حديدية، وتعلم كل زاوية في مناطقهم. هذه المعارف، إضافة إلى عوامل أخرى، مكنت البريطانيين من الحصول على الأسبقية لصالح التاج البريطاني في لعبة الشطرنج الكبيرة والدامية في المنطقة.

ظهرت أسماء مثل عزيز المصري، الذي كان يعيش في مصر ولكنه كان يكن العداء للأتراك. وكان يوجد سيد طالب من البصرة، وشريف محمد الفاروقي ونوري السعيد وجعفر العسكري، جميعهم من ميزوبوتاميا وهم ضباط في الجيش العثماني، جميعهم كانوا يعادون الأتراك. ولكن كان يوجد أيضاً ابن سعود أيضاً. بترتيب من غرترود بيل كان يحصل الفرد، مرة أكثر ومرة أقل على دفعات شهرية. يمكن أن المبالغ كانت تقدر بـ (٢٠٠٠٠) جنيه استرليني. كان البريطانيون يعلمون أنه ليس بوسعهم تقسيم الشرق الأوسط على أمراء القبائل، ولكنهم كانوا يستطيعون التأثير. غرترود بيل كانت مرتاحة وسط شبكة التآمرات تلك. ميزوبوتاميا كانت تحت إدارة نائب الملك البريطاني في الهند، وليست تحت سلطة مكتب الممثلية البريطانية في القاهرة. المنافسة الداخلية كانت في قائمة الحياة اليومية. الادارتان كانتا على قناعة لا تتزحزح مفادها أنه "ليحصل ما يحصل، ولكن بريطانيا تحتاج إلى ميزوبوتاميا." خزان القمح

هــذا بإمكانــه بــالطبع تــأمين إحتياجــات الجيــوش البريطانية، واحتياطه النفطي كان ضرورياً، حيـث يقـع في منتصف الطريق البرية إلى الهند. إنطلاقاً من هنا كـان البريطانيون يخططون لهجوم علـى جيش الإمبراطوريـة العثمانية بمساعدة العـرب. لم يكـن هنـاك موقـع أفـضل مـن سواحل الخليج العربـي للقيـام بالعمـل الـذكي، هـذا يعني التجسسي. سنة (١٩١٧) حـان الوقـت: غرتـرود بيـل عينـت سـكرتيرة شـؤون الـشرق لـدى القائـد البريطـاني الأعلى السير بيرسي كـوكس. مكتبها كـان في بغـداد. كـان المخطط لميزوبوتاميا أن تصبح محمية بريطانية يُنـصب عليها أمير عربـي. حفـل زفـاف غرتـرود بيـل كـان علـى الأبواب. الجميع كان يعلم أنها تمتلك (عقل رجل)، الأمـر الذي لم يَرُق جداً لزملائها الذكور. مثلما كان ينظـر إلى استقلالها المالي بعين الغيظ.

رغم كل نشاطاتها التجسسية فاتها الاطلاع علـى أمـر هائل: تمكنت الممثليـة البريطانيـة في القـاهرة مـن إخفـاء ما سمي بـ "اتفاقيـة سـايكس ـ بيكـو" عنهـا مـدة سـنة كاملة. تقاسم وفق هـذه الاتفاقيـة كـل مـن البريطـانيين والفرنـسيين منطقـة الـشرق الأوسـط فيمـا بينهمـا بكـل دقـة. حـصة الفرنـسيين وفـق الاتفاقيـة المبرمـة كانـت الدولـة الـسورية الـتي يجـب أن تؤسـس، وتـشمل الـساحل

وبيروت إضافة إلى الأراضي الواقعة ما بين كيليكيا وضفاف نهر دجلة الأعلى. أما منطقة النفوذ البريطاني فهي ميزوبوتاميا مابين دجلة والفرات، والتي تشمل مدن البصرة وبغداد وخانقين. جزء من الاتفاقية ينص على رغبة الفرنسيين والبريطانيين بإنشاء دولة عربية مستقلة بحمايتهما. ويجب أن تظل فلسطين مستقلة إلا أن إدارتها سوف تترك للمجتمع الدولي.

استشاطت غرترود بيل من الغيظ، فهي لديها مخططات أخرى. كانت على قناعة بإن منطقة ميزوبوتاميا يجب أن تضم إلى إدارة المستعمرة البريطانية الهند، إضافة إلى تتويج ابن سعود ملكاً عليها، في الوقت الذي أعطى مكتب القاهرة وعداً بهذا المنصب للشريف حسين. وأثناء كل هذه المؤامرات كتبت غرترود بيل إلى أبيها المقيم في لندن (سوف نخلق عالماً جديداً....)

أثناء ذلك وصل البريطانيون إلى حائط مسدود. لم يعطوا فقط الشريف حسين وعداً بأن يصبح ملكاً لسورية المستقبلية، بل وافقوا أيضاً على أن تصبح سورية تحت الانتداب الفرنسي. كما لم يتوقع أحد أن يعلن فيصل ابن الشريف حسين نفسه ملكاً على سورية، ويرفض التخلي عن موقعه. كان فيصل واثق القناعة بأن البريطانيين يحكمون السيطرة على سورية غير أنه

أدرك بعد فوات الأوان أن مصيره، عوضاً عن ذلك، مرتبط بالفرنسيين. وهؤلاء ايضاً قاموا بطرده من سورية.

وهكذا تقاسمت الأمم الأوروبية وفقاً لمشيئتها منطقة الشرق الأوسط: نالت فرنسا الانتداب على سورية ولبنان، واحتفظ البريطانيون بالانتداب على فلسطين. فرنسا وافقت على إلحاق منطقة الموصل إلى الإنتداب البريطاني. مقابل ذلك كانت هاتان الأمتان ترغبان في تقاسم عائدات البترول هناك بالتساوي. يجب أن يستمر هذا الانتداب حتى (تستطيع هذه الأمم أن تأخذ بيدها زمام مصالحها بنفسها).

عبر مرور السنوات طرأ تغير على شخصية غرترود بيل. كانت مبدئياً بريطانية مستعدة لخدمة بريطانيا من دون قيد أو شرط. كانت تعتقد أن بلادها تفعل كل شيء بشكل أفضل، ولكن المعيشة في بغداد كانت تعجبها. بنت لنفسها دياراً إنكليزية مريحة، ساعات النقاشات الفكرية المثيرة ذاع صيتها، حيث كانت تضفي روح المرح على النقاشات العميقة مع العرب. وهؤلاء كانوا يقولون، إذا كانت امرأة إنكليزية تمتلك مثل هذا الذكاء والفهم، كم ستكون مقدرات رجال هذا البلد رائعة. لم تكن تهتم بالمجتمع النسائي بداية، عندما علمت بأنها

تستطيع الوصول عبر النساء إلى رجالهن، وهذا يعني عملياً التأثير على الرجال من خلال زوجاتهم، حينها فقط رصدت وجود هذه الكائنات الأنثوية. رغم الطقس القاتل في بغداد، ورغم حبها لوطنها ولعائلتها التي تعيش هناك، كانت داخلياً تبتعد شيئاً فشيئاً، وتنمو جذورها باستمرار في بلاد ما بين النهرين.

بداية فكرت غرترود بيل بأن يصبح الابن الثاني للشريف حسين، عبد الله ملكاً للعراق المزمع إنشاؤه. كتبت عنه في رسالة إلى والدها في إنكلترا: (على الأقل يقرأ كل صباح أثناء تناول الإفطار صحيفة الفيغارو). كما كتبت لوالدها أيضاً، بأنها أقنعت أمراء العشائر الكردية بالانضمام إلى البريطانيين والانضواء تحت لواء هذه الدولة الجديدة. قالوا لها إنهم سيفعلون ذلك طوعاً، حتى يستطيع المرء أن يرى ما إذا سارت التطورات نحو إنشاء دولة كردية مستقلة، الأمر الذي يفضلونه على كل الخيارات الأخرى.. لم يصغ أحد إلى تحذير الأسطورة (لورنس العرب): "لا تضع الكرد تحت سلطة حكومة عربية" ونستون تشرشل علق على ذلك بالقول: (عدد من الغارات الجوية كفيل بوضع حداً للمتمردين) في مؤتمر الشرق الأوسط الذي دعا إلى عقده ونستون تشرشل في القاهرة في آذار سنة (١٩٢١)، جرى الاتفاق

على تنصيب فيصل شقيق عبد الله، الذي طرده الفرنسيون للتو من سورية، ملكاً على العراق. جرت مراسيم التتويج في آب (١٩٢١) في بغداد، فأصبح فيصل الأول ملكاً.

ترعرع فيصل الأول في إسطنبول. كانت أسرته بالأساس عربية في ميزوبوتاميا، واللغة كانت بالنسبة له غريبة وكان ينطقها بلكنة، وكان على غرترود بيل أن تعلمه جغرافية مملكته لأول مرة. وجد فيها الملك دعماً مهماً وإخلاصا لا يتزعزع تجاهه. ومن جهة أخرى أطلق فيصل الأول يدها لتقوم بأعمال التنقيب عن الآثار، وكلفها بإنشاء مشروع متحف وعينها مديرة لمتحف الحضارات القديمة.

غير أن بغداد في تلك الفترة لم تعد تلك البيئة التي كانت غرترود بيل ترى نفسها في مركزها. لم يعد لها موقع سياسي. فأحست بأنها لم يعد أحد يحتاجها. انتحرت سنة (١٩٢٦). بأمر من الملك ذاته جرت لها مراسيم رسمية، قوات الجيش العراقي أحاطت بجانبي الشارع. وأقيمت مراسيم الحداد في جميع أرجاء البلاد، التي عبرت عن التشريف العام لها واحترامها. المتحف الذي كانت قد أسسته برغبة من الملك ذاته أصبح اسمه (متحف غرترود بيل).

بعد موت الملك فيصل الأول سنة (١٩٣٣) خلفه ابنه غازي كملك. كان عمره لا يزال (٢١) سنة عندما تعرض سنة (١٩٣٩) لحادث سيارة غامضة أدت إلى مقتله. جرى تتويج ابنه فيصل الثاني ابن الأربع سنين ملكاً. تقلد هذا المنصب بصفة رسمية سنة (١٩٥٣). قتل الملك فيصل الثاني سنة (١٩٥٨). الملكية العراقية لم يبلغ عمرها (٥٠) سنة.

مباغته من قبل (رەشەبا)
العاصفة السوداء

أصبح أثناء ذلك أسبوع علاجي الضروري في بغداد من الماضي، ولكن بعد رحلة عودتي إلى عربت أصبحت من جديد في وضع صحي بحاجة إلى المستشفى. رحلة العودة كانت بكل بساطة رحلة قاتلة:

صحيح أني هذه الرحلة حصلت على سيارة (دي سوتو)، ولكن مع سائق آخر، وبدلاً من أن تصل في الساعة السابعة وصلت في التاسعة صباحاً. كانت السيارة جاهزة للانطلاق، وأنا كنت قد جهزت ثلاثة صناديق كبيرة من مؤنة الطريق. في جميع الرحلات السابقة عبر الصحراء جهز السائقون دائماً سياراتهم بكميات كافية من الماء. ورداً على سؤالي بهذا الخصوص قال السائق وهو يضحك، انه سوف يقود بسرعة، وأننا سوف نصل قريبا، قريباً جداً.

أنتم تعرفون خرائط الطرقات، وأنا اشتريت حمداً لله في بغداد خريطة العراق. أردت أن أتمكن من متابعة خطوات الرحلة. في رحلة الذهاب إلى بغداد سلكنا الطريق عبر الصحراء الشرقية. عندما أصبحت بغداد خلفنا في رحلة العودة أدركت في الحال أننا نسير في طريق آخر: إنه أفضل، لكنه موحش أيضاً. أردت الانتظار بداية كيف ستؤول الأمور. بعد حوالي (٦٠ كم) تقريباً توقف كل شيء، مامن استراحة شايخانه، وما من نبتة ولا حتى عصفور، لا شيء، لا شيء البتة.

فجأة ظهرت لوحة تدل على اتجاه طوزخورماتو. هنا علمت أن السائق سلك الطريق عبر الصحراء الجنوبية الكبيرة. برغم أن هذا الطريق أسرع! قلت لنفسي: لطفك يا رب فقط. بسرعة (١٢٠) كم كان العربي يقود السيارة وكأن الشيطان ذاته قد ركب فوق رقبته. لايمكن للمرء أن يسمي هذه القاع طريقاً، حتى إنها ليست بطريق، إنها ليست سوى رمال مضغوطة، مضغوطة وقاسية بشكل يشبه شريحة خشبية يبلغ طولها عشرات الكيلومترات.

الشمس كانت تقف عمودية وبلغت درجة حرارتها (٥٠) مئوية، وكل شيء يلمع. على بعد حوالي (٣٠) كم إلى اليمين من طريقنا اكتشفت غيمة غبار هائلة الحجم،

كانت تبدو شاحنة هناك. شيئاً فشيئاً أصابني التوتر، فسألت حسين عما إذا كان طريقنا سيفضي بنا إلى اليمين هناك. ضحك فقط وقال: (كل شيء على ما يرام مستر ويتمان) وعلى هذا المنوال انقضت ساعتان.

اكسبت السماء لوناً أحمر مصفراً. في هذه اللحظة تشمم حسين بأنفه وقال كلمة واحدة فقط: (ره شه با)، العاصفة الصحراوية. لم يكن ينقصنا سوى هذا. ولكن الموقف سوف يصبح أسوأ: صدر صوت إرتطام وعلقنا في حفرة رملية من الأمام ومن الخلف. لا فائدة، يجب أن نخرج في هذا الحر ونهاجم العدو. نزعنا القمصان والسراويل والجرابات وبدأنا برفع السيارة بأيدينا. كنا قد تمكنا من إخراج عجلة واحدة من الرمال، حينذاك جاءت العاصفة. بأسرع ما يمكننا عدنا إلى السيارة أغلقنا جميع النوافذ ورحنا ننتظر. كان الأمر مريعا.

رمال العاصفة الصحراوية ملأت كل شق في داخل السيارة. في وقت قصير غمرت الرمال أقدامي. لففت قميصي حول رأسي وفمي. رغم جدية الموقف لم أتمكن من منع نفسي عن الضحك. في الوقت الذي كان حسين فيه يتلو كل آيات القرآن وعد الله الكثير والكثير من الوعود إذا أخرجه، سالماً من هذه العاصفة.

هكذا مثلما جاءت العاصفة فجأة، هكذا أيضاً، انتهت فجأة. كان الأمر وكأنه لم يحدث شيئ. كانت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. يا لله، يا لله، بسرعة بسرعة، هكذا بدأنا مرة أخرى بدفع السيارة. لم يكن بحوزتنا ماء! قرابة الساعة الرابعة وصلنا أخيراً إلى طريق صلب، وبعد قليل وصلنا إلى استراحة (شايخانه). لقد نسيت، يمكن للشاي أن يكون منعشاً. بعد (٢٠٠) كم أخرى وصلنا إلى الاستراحة (شايخانة) التالية. ومرة أخرى اكتشفت: لم أستمتع بالشاي إلى هذه الدرجة منذ أمد بعيد، كما استمتعت به هذه المرة. في وقت متأخر من المساء وصلنا أخيراً إلى السليمانية. أية طريق قصير وجيد هذا الطريق الجديد! إرتميت كالجثة الهامدة على السرير، كانت عظامي تؤلمني وشعرت بالغثيان. عدت لتوي من العلاج في المستشفى ـ والآن أشعر أنني بحاجة إلى مستشفى. لحسن حظي حصلت في اليوم التالي على إجازة، فكان بمقدوري الركون إلى الهدوء والراحة طوال اليوم بعد أن نمت فترة كافية. بالمناسبة قبل أن أنسى: ماذا جرى للدواء المضاد للزكام؟ وأين الجرائد؟ وأين هي رسائلكم؟

كل ما هب ودب

اليوم أمسكت بعقربين كبيرين لونهما بني داكن. هاتان الحشرتان تتحركان بسرعة شيطانية. حبستهما معاً في وعاء زجاجي كبير، إلا أني تعلمت بعد ذلك تجربة مهمة جداً. عندما تحبس هذه العقارب يتضح لها أنه لا توجد لديها إمكانية للخلاص، حينها تقتل نفسها بنهاية ذيلها. سوف أمسك ذات مرة بالعقرب وسأحضره بعلبة معي، حينها تستطيع بيترا أن تعطيه لمعلمة العلوم، التي بإمكانها أن توقظه بالكحول. وسأجد أيضاً جلد ثعبان من أجل المدرسة.

عندما أعود غداً إلى غرفتي سوف أقوم مع حراسي المخلصين بحملة (تفتيش البيت). ماذا ستكون النتيجة؟ ثلاثة إلى أربعة عقارب نكتشفها دائماً. مهما حاولت أن تخبئ العقارب نفسها جيداً، فإن أبو بكر وعلي حسن محمد يكتشفانها دائماً ويرسلان بها إلى حتفها. كل مرة أشعر بالعطف على تلك الكائنات الفقيرة عندما أرى

كيف يجب أن تلاقي حتفها، ولكن لاتوجد إمكانية أخرى. في أوقات معينة تظهر أعداد كبيرة من الخنازير البرية. إنها تأتي من الحدود الإيرانية، يبدو أن الجبال بالنسبة لها أبرد مما تحتمل.

أحد عمالنا وهو محمد علي من بارداكار (Bardacar) ، يأتي كل يوم إلى العمل ممتطياً حصاناً في غاية الجمال. اعتاد أن يعقل حصانه بخيمتي كي ألقي بين الفترة والأخرى نظرة عليه. قبل فترة وجيزة وجب عليَ من دون سابق إنذار أن أرسل رسالة مهمة. وهكذا أرسلت في طلب محمد علي بسرعة. بالطبع سُرَ جداً أن يمتطي حصانه أثناء النهار. أخذ الرسالة وقفز على ظهر حصانه من دون سرج وانطلق فيه كالبرق. كانت رؤيته متعة للعين وهو يختفي. كان حصانه يطارد أسرع مما اعتدت أن أراه في الأفلام السينمائية، غرته منتصبة بالكامل وعمامة سيده ترفرف كالعلم. بعد مضي عشر دقائق كان محمد علي يقف أمام خيمتي ويمد يده لي بالجواب على رسالتي، بعد أن قطع مسافة العشرة كيلومترات ذهاباً وإياباً، بالفعل في عشرة دقائق فقط.

قبل عدة أيام تعرفت للمرة الأولى على تلك النحلات الكبيرة التي لسعتها سامة. طالما كنت أسأل نفسي، متى

سأستخدم لأول مرة علبة الإسعافات الأولية التي كانت دوماً بحوزتي. بكل الأحوال كنت على أتم استعداد، وهكذا جرى كل شيء بسرعة وفق البرنامج الذي طالما كنت أتصوره. وكانت اللسعة عند مفصل القدم اليسرى من الخلف. أخرجت شفرة الحلاقة وجرحت مكان اللسعة بشكل صليب، وضغطت على الجرح حتى خرج كل السائل الأسود ثم بدا يخرج الدم الوردي فوضعت عودي كبريت فوق الجرح، ثم وضعت بسرعة لاصقة الجروح فوقه. شعرت بوخزة ألم. بعدها قليل من البنسلين وانتهى الأمر على خير ما يرام. تورمت القدم أكثر فأكثر وآلمتني طوال اليومين التاليين. بالطبع لم أتنزه خلال تلك الفترة، وسرعان ما عاد كل شيء إلى ما كان عليه. الآن على الأقل بت أعلم كيف تجري الأمور في مثل هذا الموقف.

منذ عشرة أيام جاءتنا هجمة جراد حقيقية. لدى كل خطوة يخطوها المرء يقتل بقدمه جرادة وتقع على ساقه المئات من الذباب. يوجد تقريباً في كل متر مربع (١٥٠- ١٠٠) جرادة تقفز أو تطير في المكان. إلا أنني اعتدت على الأمر ولم أعد ألقي به بالاً.

الأمر الأسوأ هو ما يخص طيور السنونو، إنها تقف في الصباح الباكر وفي المساء المتأخر بالمئات على أسلاك

التلفون التي نصبت على طول الطريق الذي بنيناه حديثاً. عندما أقبل بالسيارة تفر من الأسلاك وتطير عالياً، وتحلق في دوائر فوق الطريق دائماً على إرتفاع نصف متر حتى المتر، ثم تطير وتصطدم بمبرد السيارة للأسف. لدى جميع السيارات نحصي كل يوم (٢٠٠ـ ٣٠٠) سنونو ميت. خسارة، ولكن تلك السنونو لا تريد أن تتعلم. نحاول قدر مستطاعنا ألا نؤذي هذه الطيور، ولكن للأسف بلا فائدة. بالطبع المكان هنا يعج بالأفاعي، ويجب على المرء دائماً أن يفكر أين يتحرك. الأفاعي تحب الدفئ وتركن إلى حيث تجده. وهذا هو السبب لماذا لا أنام في العراء ليلا رغم الحر. إنها تزحف إلى تحت الأسرة. رغم ذلك يوجد ألمان لا يريدون أن يتعلموا، فهم ينامون كل ليلة في الخيام. أمام كل خيمة يجلس حارس مهمته أن يحول دون دخول اي ثعبان إلى الخيمة. صحيح أنهم حراس ليليون، لكنهم رغم ذلك ينامون في الليل. وغالباً لايستيقظون حتى ولو شعر أحد الثعابين بالإزعاج داخل الخيمة. ولكن عندئذٍ، إذا استيقظ الألمان وراحوا يصرخون مرعوبين، حينها يركض الحراس في جميع الاتجاهات مثل الدجاج المذعور.

قبل مدة قصيرة كان علينا أن نرفع تراب الأرض من مسافة طويلة حفرنا حتى عمق متر كي نزيح التراب.

تصنع الأفاعي أوكارها تحت عمق (٤٠) سم تقريباً. وهذا يعني للأسف، إزعاج أفاعٍ كثيرة في أوكارها وفي النهاية التسبب بموتها. في يوم واحد فقط يتوجب غالبا أن تفارق (٨٠ ـ ١٠٠) أفعى منها الحياة. على سبيل المثال، قطعت أفعى من نوع الكوبرا كبيرة إلى قطع بحجم (٢٥) سم. صففت هذه القطع جنباً إلى جنب ثم قست طولها: القسم الأخير منها كان لا يزال يتحرك بعد ساعة. إنه منظر مروع، ولكن الغربان حصلت على وليمة لعدة أيام.

قبل عدة أيام كان عليَّ أن أستطلع عدة مسافات من الأرض، حيث خططت طرقاتنا التي سنبنيها. كنت تلقيت للتو رسالة منكم تتضمن مخاوف بيترا من أن أتعرض لمخاطر الذئاب وتطلب مني أن أكون حذرا منها، فقلت لزميلي الذي يجلس في السيارة: (كارل! هل تتجول هنا الذئاب دائما؟) فأجاب في الحال: (برنارد! أنظر هناك إلى اليسار، ما هذا؟ أيها الآدمي، توقف، هذا ذئب قائد). هذا الإنسان لم ير ذئباً واحداً طوال حياته أبداً، من أين لهذا الشخص بالذات أن يعلم، كيف يكون شكل الذئب القائد؟ رغم ذلك توقفت.

بالفعل كان يربض أمامنا بفاصل (٢٠٠) متر ذئب قائد. رآنا وغادر في الحال واختفى في المنحدر الذي كان

خلفه. بقينا في مكاننا هادئين، لأني من خبرتي أعلم أن الذئب القائد سوف يرجع، صحيح، بعد دقيقتين عاد برفقة ذئاب أخرى، كانوا جميعاً يتقدموا بثقل وبطء. ظهر في ذات الوقت من المنخفض الأول بقرتان، وأنا استطعت فقط أن أقول: (إنتبه، سوف تجري معركة في الحال.) اقترب الذئب القائد من البقرتين حتى أصبح على مسافة (٢٠) متر منهما تقريباً، وخلفه (٩) رؤوس من أتباعه. أحسست بجفاف حلقي بالكامل.

فجأة ظهر خلف البقرتين الأوليين (١٣) بقرة أخرى. ولكن جرت فيما بعد أمام أعيننا مطاردة من نوع خاص: ظهر مئة عراقي، والأهم أنه معهم خمسة كلاب أفغانية نحيفة ورشيقة وسريعة جداً. كان بإمكانكم أن تشاهدوا الآن معركة صيد! كانت المسافة في البداية بين الذئاب والكلاب حوالي (٤٠٠) متر. إقتربت الكلاب الأفغانية من الذئاب بسرعة (١٠٠) كم في الساعة أكثر فأكثر، تقلصت المسافة الفاصلة إلى (٥٠) متراً، عندها اختفت مجموعة الذئاب بسرعة البرق في المنخفض التالي، فانتهت المطاردة. كم كنا نرتجف، لكننا لم نكن خائفين، فنحن نعرف أن الذئاب لا تنقضَ على البشر. إنها تخاف منا إلى درجة لا تستطيع فيها مهاجمتنا.

أنا لم أقل بعد إني قبل فترة ليست طويلة تبادلت النظرات من مسافة قريبة جداً مع واحد من هذه الذئاب. كنت في الطريق ووجب عليَ أن أذهب إلى (الخلاء). توقفت وأسرعت إلى أول منخفض، كان هذا مخططي. نظرت إلى اسفل المنخفض، كان يقف هنا ذئب مع حوالي (١٢) ذئبا خلفه. كاد قلبي يتوقف عن الخفقان. ما العمل؟ هنا تذكرت كارل ماي وروايته (عبر كردستان البرية)، التي قرأتها بداية هنا فوق في كردستان البرية. بالمناسبة، هذا المؤلف وصف كردستان كما هي بالفعل، رغم أنه كما يقال عنه، لم يكن هنا أبداً. بحسب إرشاد كارل ماي أطلقتُ صرخة مريعة، نظر الذئب إليَّ مصعوقاً، استدار لشدة خوفه وراح يعدو ويعدو وإناثه من خلفه. هل رأيتم، أنا أستطيع الدفاع عن نفسي أمام الذئاب أيضاً، بفضل كارل ماي.

بما أنني أكتب عن موضوع الحيوانات، سأحدثكم بإيجاز عن كلبتنا نيللي. كنت مساء الأمس أقرأ رسالتيك عزيزتي إيلا، عندما قفز شيء ما على باب غرفتي. من خلال صوت الخربشة أدركت أن هذا يمكن أن يكون فقط نيللي. قفزت إلى الباب بسرعة وفتحته، فرأيتها تقف أمامي وهي مغطاة بالدماء. كانت جريحة أسفل البطن بغزارة. أحضرت نصف ليتر يود بسرعة، أمسكها رجلان

أثناء قيامي بعلاجها. كانت نيللي هادئة إلى حد كبير. ظلت دقيقة أخرى ساكنة، نظرت إلى اسفل بطنها، ثم نظرت إلي، نظرت مرة أخرى إلى أسفل بطنها، ثم اقتربت بعد ذلك مني وراحت تلعق ساقي. كانت تنظر حزينة إليّ كأنها تريد أن تقول لي: (باشا) أي فعلت جيداً.

بعد يومين استيقظ زميلي كريستيان في الثانية ليلاً على صوت خرمشة على باب غرفته. هو أيضاً فتح الباب باسرع ما يمكن، فاندفعت نيللي إلى الداخل واستقرت تحت سريره، بعد لحظات قصيرة سمع أصوات ستة جراء صغيرة. ثلاثة من هذه المخلوقات الصغيرة لم تتمكن من تحمل برودة تلك الليلة، والثلاثة الآخرى، ابن وابنتان اعتزت بيللي بها. اصبح الآن بحوزة هذه العائلة ركنا دافئاً وجميلاً في إحدى الخيام. إنها جراء ظريفة جداً.

عدا نيللي توجد كلاب أخرى أيضاً، إنها كلابي. تستلقي على مدخل الدرج وتنتظر أن أجلس في (اللاندروفر)، وأن ينطلق السائق بالسيارة حينها تبدا المطاردة. بداية عندما تبلغ سرعة السيارة (٨٠) كم في الساعة تنتهي المطاردة. الأب إسمه (ده م ره ش)، أي ذو الفم السود، والأم اسمها (فايدة)، الابن الأول (بوبي)

والثاني (نودر) والثالث (عباس). وسباق السيارات الكلاب هذا يجري عدة مرات في كل يوم.

أكاد أسمع ضحكة صغيرتنا، فالعصافير هي طيورها المفضلة. نعم، هذه الطيور العربيدة المرحة تسكن هنا أيضاً. يوجد منها أمام خيمتي دائماً حوالي ألف عصفور، بما فيه الكفاية على أية حال. عندما أنام في الظهيرة تجلس جميع هذه العصافير بهدوء مثلي فوق خيمتي. إلا أنه عندما يقترب أحد ما من خيمتي، حينها يحدث دوماً الشيء ذاته: ترتفع جميع العصافير في ذات اللحظة في الهواء، فتهتز كل الخيمة. وإذا الزائر غادر الخيمة تهتز كل الخيمة مرة أخرى، لأن العصافير جميعها عادت. إنها لعبة جيدة لتمضية الوقت.

قبل فترة قصيرة استيقظت في الساعة الثانية ليلاً. جهاز الإضاءة كان متوقفاً. من أجل مثل هذا الموقف يوجد المصباح اليدوي دوماً بجانب السرير. انظر هنا، شيء ما يخربش في الخزانة. عندما فتحت الباب قفزت إلى أسفل حافظة الرسائل: إنها فأرة ! مثل هذا الزائر لم أحظَ به في غرفتي على الإطلاق. الحارس يتربص بها حذراً كالفهد.

وضعت المصباح اليدوي على الأرض ووجهت حزمة الضوء باتجاه الخزانة، وأخذت فردة من الحذاء المنزلي

بيدي. نظرت إليها، بادلني النظرة، اقتربت منها، إنها تريد الخروج، ضربتها بفردة الحذاء، دون نتيجة، الفأرة اختفت من جديد تحت حافظة الرسائل. (٢٥) مرة ظهرت من جديد، (٢٥) مرة كانت هي أسرع مني، ولكني كنت أمتلك قدراً كبيراً من الهدوء والصبر على الاستمرار. خلال ذلك أصبحت الساعة الثالثة. كنت لا أزال جالساً أمام الخزانة فوق سجادة الصلاة، وفجأة هرعت الحيوانة الصغيرة متجنبة إياي وتسلقت إلى الأعلى، ثم هبطت ببطء عند زاوية الباب. راحت تشتم بودرة السكر التي كنت خلال ذلك قد نثرتها أمام باب الخزانة. توقفت وراحت تلحس، ولكني هذه المرة كنت الأسرع. ولكن ماذا أفعل بها الآن، إلى اين؟. لدي علبة قهوة نسكافيه فارغة، وضعتها فيها وأغلقت العلبة. في الساعة السادسة وضعتها خارجاً في الساحة. في هذا الوقت جاء الحارس وراح يراقب حتى رآني أذهب، بعدها رأيته من النافذة. بلمح البصر اختفت العلبة في جيبه. سوف تكون مفاجأة كبيرة له عندما سيفتح العلبة، كم أتمنى رؤية وجهه في تلك اللحظة. هذه أيضاً طريقة لتقضية أوقات الفراغ.

أوعزت ببناء طاولة إسمنتية في الحديقة من أجل لعبة (كرة الطاولة). علقت فوقها لمبة كهربائية بطاقة

(٢٠٠) واط، تجلس في الأمسيات فوقها الضفادع، يصل عددها أحياناً (٢٠) ضفدعاً أو أكثر. تبدو الاوركسترا التي يقدمونها وكأنها مكونة من كورس يبلغ تعداده (١٠٠٠) ضفدعة. هذا المكان هو بلد أحلامهم، لأن كل الحشرات، وكل الذباب الذي يسقط من اللمبة الساخنة، تلتقطه الضفادع وتستمع به.

من يجرب المعيشة والعمل ذات مرة هنا، يتعلق بهذا البلد الذي يجذبه للعودة إليه كل مرة من جديد. سمعة الصحراء تغوي المرء، المساحات الشاسعة والشمس والسكون الكبير، رغم الحرمانات الكثيرة والطبيعة التي لا تعرف الرحمة. الليالي هي مُلك للحيوانات. فيها تعول الذئاب، ضحك الثعالب الطفولي يدفئ قلبي كل مرة، صفير التيوس وصيحات الدببة، وخفقات أجنحة الطيور، هذا كله يجذبنا بقوة نحن الأوروبيين. حتى أولئك الزملاء جميعهم، الذين دائماً يقولون (لن نعود مرة أخرى أبداً)، إنهم أوائل من يرسلون أعداداً لا نهاية لها من الرسائل ويقولون فيها:

(نريد العودة إلى الشمس، ألمانيا باردة جداً....)

وبينما أستمتع بكل وعي بالطبيعة من حولي، أجلس هنا في خيمتي وأكتب. قمت بحملة ترتيب وتنظيف عامة في خيمتي، أنتن تعرفنني كم أحافظ

على النظافة والنظام. وهكذا أيضاً في خيمتي. غطاء الطاولة بلون المربعات الزرقاء والبيضاء يضفي جواً من البهجة، ولكن القمة تكمن في باقة الزهور التي فوق الطاولة. كنت أتمنى أن أقطف لكم أيضاً باقة من هذه الزهور التي تعج أمام خيمتي.

ولكن يجب عليَ ألا أحدثكم دائماً عن الحيوانات الخطيرة كالعقارب والأفاعي أو الأقل خطراً كالذئاب. توجد أيضاً هنا حيوانات ظريفة، ولهذا السبب أود أن أحدثكم ذات مرة عن تأملات مميزة بشكل خاص.

عزة ومحمود،
صانعا الكرات الصغيرة

هذه هي قصة الكثيرين من جعلان الروث التي طالما تأملتها أثناء عملها كلما سنحت لي الفرصة، على مايبدو فعل هذا الكثيرون قبلي بكل دهشة، كما تستطيعون أن تقرؤوا ذلك في كتاب (نواعير الماء على نهر الفرات)، الذي نصحتكم بقراءته. والآن استمعوا إلى رؤيتي:

راقبت في هذه الأيام مجموعة من جعلان الروث أثناء عملها النشيط على كومة من روث الحمير. كانت تقطع أجزاءاً من هذه الكومة بأرجلها الأمامية ودرع رأسها الحادة، وتصنع من هذه الأجزاء حبات كروية الشكل. ويدحرجون هذه الكرات على الأرض الرملية الرخوة. معظم الجعلان تعمل أزواجاً، رغم أن الفرق بين الحشرتين من حيث الشكل ليس كبيراً، ولكن يوجد فرق في الحجم، وأعتقد أنهم يعملون كل زوجين معاً. كانت دروعها الداكنة تلمع تحت أشعة الشمس، وكان يبدو عليها كأنها تتعرق نتيجة عملها الدؤوب.

جميع هذا الصراصير تشكل مجتمعاً نشيطاً، وإذا كان صحيحاً فإن حركات الحيوانات كلها لها معنى ومغزى، حينئذ عزيزتي إيلا هنا يجري شيء بالنسبة لي لا يمكن إدراكه. على سبيل المثال، لماذا يجري ذلك الجُعل السمين مسرعاً من كرة إلى أخرى، يتوقف لدى كل كرة برهة بينما الآخرون يتوقفون عن عملهم؟ إنها أحجية بالنسبة لي ! ربما يعطيهم إرشادات تقنية حول قضايا النقل، أو ربما شيئاً له علاقة بمراقبة نوعية العمل. عدد من الجعلان اليافعين يلعبون بدون هدف بقطعة صغيرة من الروث، إلا أنهم لا علاقة لهم على الإطلاق بصنع الكرات. ولكن أكثر الجعلان مشغولة تماما بالعمل.

اثنان منهم شكّلا بالنسبة لي تسلية من نوع مميز. لقد تمكنا من صنع كرة كبيرة وملساء، وكانا بصدد نقلها. الأسمن من هذين الجُعَلين بقائميه الأماميين اللتين تلفتان النظر بخطواتهما الثقيلة نحو الأمام، بدا لي كالذكر. والجعل ذو البنية الأكثر خفة تصورته الأنثى. ما يفعله هذان الاثنان هنا كان في غاية الأهمية.

دار الذكر حول الكرة عدة مرات ذهاباً وإياباً، بالضبط كما يدور حمال حول حقيبة، يتمنى أن يقدم على حملها أحد غيره. لكنه في النهاية وجد أنه لا بد من أن يحدث شيئ ما، فدس قفاه أسفل الكرة وراح يدفع

نفسه بقوائمه الأمامية. هكذا بدأ السير إلى الخلف، وأنا تكون لديَ الإنطباع. الذي مفاده كان يقول، لايخطر القيام بذلك إلا ببال لأضعف.

سوف أطلق اسم (محمود) على الذكر واسم (عزة) على الأنثى. وكيف كانت طريقته في الحركة، كأنه كان يقول: (عزيزتي عزة! ألم نتمكن من تحريكها بشكل رائع؟ فيما بعد هناك تحت الأرض سوف نقوم بتلميعها قليلاً، ولكن يجب علينا بداية إخراجها من هذا الزحام) عزة دفعت الكرة بقائمتيها الأماميتين. إنظروا الآن، ها هي الكرة تبدأ بالتدحرج. ولكن محمود يعمل بدقة أكبر من عزة، إنها تقوم بحركات كثيرة ليست ضرورية، وغالباً تتسبب في فوضى وهي تسير وراء محمود.

تحركت الكرة عدة سنتيمترات حتى وصلت قرب كتلة يابسة من الطين بحجم الكرة تقريباً، والتي تعيق حركة تدحرجها إلى الأمام. كان هناك متسع كافٍ لدحرجة كرة الروث من حول كتلة الطين، ولكن الأثنين فكرا بالتأكيد: (دوماً بإتجاه الأنف إلى الأمام، لا بد من وجود مكان.) ياللّعنة، دفعا وحاولا التقدم بالكرة، لكنها لم تتقدم. (هيا ادفع)، هتفت عزة، التي وقفت على قائميها الخلفيين ودفعت الكرة. بالجزء الأعلى من جسمها بكل قوتها. محمود، الذي أثارت عزة حماسته،

دبت الحيوية فيه ودس قفاه أسفل الكرة من جديد، حيث غاص حتى منتصف جسمه في الأرض الرخوة، وراح يدفع بقفاه نحو الأعلى وعزة انزلقت إلى الخلف وسقطت على ظهرها، حيث وقع كل الوزن على بطنها.

ضحكت أنا.

ولكن الأجمل سيأتي الآن: (الضخم السمين) هرع متبختراً إلى المكان ولحق به جُعَل (شاب سمين) آخر، سرعان ما راح يتبادل نظرات ذات مع عزة، ومحمود أحس بذلك. فترك كرة الروث جانباً وانقضَ على الجُعل الشاب، قبض على خناقه وبدأ عراك مرير بينهما. وعزة؟ كانت تتفرج. هنا جاء (الضخم السمين) وراح يدفع كرة الروث بمساعدة عزة مبتعدين، في الوقت الذي كان الآخران يتابعان عراكهما، (المتبختر السمين) ـ هذا يعني (الضخم السمين) ـ وعزة وجدا فتحة كبيرة في الأرض، فدحرجا كرة الروث فيها ويبدو أنهما بدا (شهر العسل) في هذه الحفرة.

أخيراً انتصر محمود في معركته مع المنافس الشاب، الذي ابتعد عن المكان مجرجراً نفسه أبعد ما يمكنه عن ساحة المعركة. تنفس محمود الصعداء ودار في دائرة بحثاً عن كرة الروث وعزة خاصته، التي كانت إختفت. حسناً

إذاً، فكـر علـى مـا يبـدو، بـأن الخيبـة وهـي الخيبـة والخسارة هي الخسارة.

أسرع محمود بالعودة أدراجه إلى روث الحمـار، اقتطـع لنفسه قطعة منه، وراح يكور ويدحرج، إلى أن صنع كرة روث مصقولة بشكل جيد. انظروا ماذا يحدث هنا، عـزة الثانية أتت، تداعب الاثنان معاً، ثم راحـا يـدفعان بكـرة الروث معاً حتى عثرا على ثقب في الأرض، فاختفيا فيه. وهكذا وجد محمود أيضاً بديلا، وربما تمكن هو أيضا من الاستمتاع بشهر العسل.

القرد (فيبس)

الرجال الشباب يحبون السفر إلى كركوك. ساعات السفر الأربع يمكن تحملها، وهناك يجدون تسلية متنوعة أكثر مما هو متاح في السليمانية. رجع السيد تشاوكو وآدولف بالفعل وبرفقتهما قرد هندي صغير! ماالذي علينا أن نفعله مع قرد؟ هنا حيث لدينا ما يكفي من الحمير (ذوي الساقين). أنبتهما كما ينبغي، وبعد ذلك تركت الأمر بداية لأرى ما الذي سيحصل.

أثناء الليل فكرت: ما هو المكان الأفضل لنوم هذا الحيوان الصغير. على سؤالي في الصباح التالي، أين القرد الآن، جاءني الرد التالي بصوت منخفض: (إنه في الخارج خلف القضبان في حظيرة الأوز)

نصفَ ميت ونصفَ متجمد جلس القرد الخجل في زاوية من القفص ونظر إليَّ مرعوباً وشديد الإرتباك. (أيها الحمقى) كان هذا كل ما استطعت قوله لهذين

المشتريين، (والآن أسرعوا في بناء إسطبل). ولكن أين؟ لحسن حظ الجميع أفرغت لهم غرفة في بيت المفتيشين العراقيين. في الساعة الخامسة عصراً كان بإمكان القرد الانتقال إليها.

تم تقسيم الغرفة بشبكة من السلك المعدني الناعم والجديد. يوجد الآن في القسم الأمامي مدفأة من نوع (علاء الدين). في الغرفة بالداخل توجد أرجوحة وعارضة كي يتسلق عليها وصندوق مغطى بالقطن وفوقه لحاف يمكن للقرد أن ينام فوقه بشكل جيد. كان هذا عبارة عن ترحيب به. القرد أيضاً ظهرت بوادر السعادة عليه. أصبح يأكل كميات لا يستهان بها من البرتقال والموز والفستق وجوز الهند. رؤيته ممتعة جداً. كان يفضل الجلوس على المدفأة، لكنه في المدخل.

عوضاً عن ذلك كان يأخذ اللحاف ويلفه على رأسه، بحيث لا يظهر منه شيء سوى وجهه.

كل من يزور القرد عليه أن يحرص على جيوب بنطاله، لأنها في الحال تتعرض للتفتيش من قبل القرد وتفرغ. في المرة الأولى اختطف علبة سجائر والتهمها على الفور. اضطررنا لحجزه وراء حاجز، لا يجوز أن يدمن على النيكوتين. وأعطيناه اسماً أيضاً، أصبح قردنا يسمى (فيبس).

الطبيعة أقوى

أثناء ذلك أصبح عيد الميلاد الأول الذي قضيته في العراق خلفي، وأنا مسرور بذلك أيضاً. بعيد عنكما أنتما الاثنتين يغلب على هذا العيد الحسرة فقط. كنت لا أزال غير مدرك لما سيأتي من ظروف دراماتيكية. اليوم الأول من عيد الميلاد كان يوم عطلتنا الوحيد. ولكن عندما استيقظت في الثامنة صباحاً، سمعت ورأيت كيف السماء تمطر بغزارة. استمر الوضع على هذا المنوال طوال اليوم. وهكذا بحثت في إذاعة (الموجة الألمانية) عن برامج فيها أغاني عيد الميلاد الجميلة. النتيجة كانت:

إنهمرت الدموع على خدودي مثلما كان المطر ينهمر وينهمر. ثم إنتهت أغاني عيد الميلاد الألمانية من (الموجة الألمانية) بأصوات أجراس برج كولونيا في هذه الأمسية المقدسة ووحدتها. اليوم الثاني من عيد الميلاد كان يوم عمل اعتيادياً بالكامل. إلا أن الأمطار الغزيرة

كانـت قـد خلقـت صـحراء طينيـة، ولم يكـن بالإمكـان تحريك أية آلية كبيرة، رغم ذلك أمر السيد المدير العـام: إلى العمل. المدير العام يدعى بالفعل "عصفور" ارتديت ملابس سميكة تلائم الطقس واستقليت سيارة بعجلات عملاقة كي أقوم بجولة استطلاعية لتقدير الخسائر التي سببتها الأمطـار الـتي اسـتمرت فـترة طويلـة، وانطلقـت حوالي الساعة العاشرة، وصلت القسم الذي يسمى (قـوارا كول Quara Caul، الـذي أطلقنـا عليـه اسـم (بيـسبي كـولا) هنــاك التقيــت بــزملاء يعملــون في قــسم آخــر يستقلون سيارتي (لانـدروفر). قـال لـي أحـدهم: (جيـد أنك أتيت. أنت معك بالضبط السيارة التي نحن نحتاجها. يجـب عليـك أن تلحـق بنـا إلى (تلـة الـشجرات الـثلاث) لمساعدتنا في حـال علقـت سياراتنا بإمكانـك سـحبها، لأن سيارتك تستطيع ذلك!) سـؤالي القلـق، عمـا إذا كـان هـذا ضرورياً في هذا الطقس السيء، عقب عليه أحدهم بعـدم المبـالاة المبالغـة في البداهـة. وتحـذيري الثـاني مـن أن المرتفـع هنـاك لا يمكـن صـعوده، جـرى تجاهلـه بتعليـق مستهتر: (حينها يمكننا العودة) ملاحظتي الأخـيرة يجـب أن أحتفظ بها لنفسي، إذا لا أحد إهتم بالتعقيب عليها.

وهكذا انطلقنا، طين ثـم طـين، ومـرة أخـرى طـين، صعود جبـل وهبـوط جبـل. بعـد مـسافة (٢ كـم) فقـط

همد محرك سيارة (اللاندروفر) الأولى بالكامل. وبعد (١٢) كم أخرى علقت (اللاندروفر) الأخرى أيضاً في الطين. سيارتي العملاقة فقط كانت لا تزال تعمل بكامل طاقتها.

على هضبة عالية بعد (كوني ره ش) لم ينتبه سائقي، فغاصت سيارتي العملاقة الجميلة الجديدة أيضاً في الطين وعلقت بالكامل. علقنا حتى الرقبة في الطين ولم يعد بإمكاننا الخروج من دون مساعدة. وبنفس الوقت رأيت كيف تتحول المخاضات الصغيرة تحتنا إلى أنهر هادرة تجرف كل ما يقف في طريقها معها. لكني رأيت أيضاً أنني المسافر الوحيد من بين الجميع الذي ينتعل جزمة مطاطية ويرتدي ملابس سميكة. قطعنا في الساعتين الأخيرتين مسافة (١٤) كم. لازال امامنا (١٢) كم أخرى حتى نصل إلى (تلة الشجرات الثلاث). هناك توجد عربات مجنزرة بإمكانها أن تسحبنا من الطين. من أية اتجاه علينا إحضار المساعدة إذاً؟

(هكذا)، قلت أنا بجفاف (أنتم المرشحون ذوو الأحذية القصيرة، أنا الوحيد من بيننا الذي يرتدي ما يلائم الطقس، ابقوا جميعكم هنا، أنا سأحضر عربة مجنزرة، وانطلقت سيراً على الأقدام.

كان الطين يلتصق بجزمتي، وكان لا يزال الأمل يملؤني، ولكني عندما صعدت التلة الأولى ونظرت إلى الوادي، حينها لم أصدق عيني، هناك ينهمر نهر جارف عرضه (٢٠) مترا تقريبا وعمقه (٢) متران. يا إلهي، قلت فقط لنفسي. بعد مسافة (٢)كيلومترين كان عرض النهر لا يزال (٤) أمتار، ولكن شدة تياره أقل حدة. حاولت القفز، (ماكو)، لا فائدة، وجدت نفسي مرتميا في النهر. بطريقة ما تمكنت من التسلق خارج النهر، أفرغت جزمتي من الماء وأقدمت على المحاولة التالية.

لم يعد يخيفني أن أبتل، فأنا مبتلٌ بالكامل. هكذا رحت أخوض عبر الطين والمياه ثم أفرغ جزمتي كل مرة من الماء. انهمرت موجة جديدة من الأمطار يرافقها البرق والرعد. الساقية التالية التي كانت صغيرة في الوادي، بلغت عرض (٢٥) مترا تقريبا وعمق (٣) أمتار. المعابر فوقها جرفتها المياه. فوق في الأعلى بعد مسافة (٥) كم في الجبال المرتفعة، كان لا يزال عرض النهر (٣) امتار وعمقه (١,٥) متر، ولكن لا يزال تياره قويا. شعرت بالوحدة بالكامل. ووقعت في المصيدة، لأنه من خلفي ومن أمامي لم يكن هناك شيء آخرى سوى المياه.

عندما وصلت بعد ثلاث ساعات إلى (تلة الشجرات الثلاث) كنت قد قطعت ستة مثل تلك الأنهار الجارفة.

رآني الزملاء هناك أشبه بسيارة قطعت الطريق بمفردها في مثل هذه العواصف المطرية. المساعدة الفورية كانت عبارة عن إبريق شاي وربع ليتر ويسكي وعلبة لحم. أثناء تفريغ جزمتي من الماء كانوا يعدون العربة المجنزرة للانطلاق. ولكن بلا فائدة، فقد علقت في الساقية أسرع مما كنا نتصور. أيضاً الخيل التي قدمها لنا الشيخ للمساعدة كانت أضعف قوة من الطبيعة.

في النهاية أعطاني الشيخ حماراً وخمسة حمالين. نعم، نعم حماري: حملني مطيعاً عبر كل الأنهار، والمياه تغمره من رقبته حتى أسفل ذيله. وأنا؟ كنت أمتطي ظهره. بعد ساعتين وصلت على (إكسبريس الحمار) إلى أصدقائي (المرشحين ذو أنصاف الأحذية). ضحك الجميع: (حضر السيد ويتمان بإكسبريس الحمار)، بينما كنت أرتجف من البرد.

إلا أنني الآن سمحت لنفسي بالاستمتاع بالشماتة. المسافة التي أمامي (١٤) كم حتى قاعدة الـ (بيبسي كولا) قطعتها ممتطياً الحمار. السيد بفنيك الذي ندين له بـ (رحلة البفنيك) هذه (البفنيك هو بمثابة الفلس بالعملة الألمانية ـ المترجم)، ووجب عليه أن يسير خلف حماري راجلاً. أما بقية (المرشحين ذو أنصاف الأحذية)،

كان عليهم أن ينتظروا عند سيارتي الجبلية وانتظار مساعدتنا. وقد كان عليهم أن ينتظروا طويلاً.

هذه المرة اضطررنا لقطع ثمانية أنهار جارفة، بينما أنا أمتطي طوال الوقت على ظهر حماري المطيع. السيد "بفنيك" الذي يخوض في الماء حتى صدره، عليه أن ينتظر خلفنا، بينما أنا أمتطي (إكسبريس الحمار). الانتقام طعمه حلو. بينما أنا كنت في الساعة العاشرة ليلاً، بعد حمام ساخن وكأس ويسكي كولا كبيرة، كنت مستلقياً في فراشي الدافئ، كان على (المرشحين ذوي أنصاف الأحذية) أن يقضوا ليلتهم في السيارة الباردة. فقط عالياً على ظهر الحصان تمكنت في الصباح التالي من الوصول إلى مركز إدارة الشركة العامة في عربت. الأمطار التي لم تتوقف بعد الهطول حولت كل شيء إلى سرير من طين، لا تستطيع أية شاحنة أو سيارة عبوره.

في تقرير شخصي للسيد "فوغل" (معنى فوغل عصفور بالعربية ـ المترجم) قلت له ما يلي: (هناك في الجبال دعوت إلى ربي أيها السيد "فوغل" لو كنت معنا في الحفلة هناك، لأنك كنت حينها سوف توعز عن حق بقفل الدكان. من الأفضل لك إصدار أمر بمنع تحرك الآليات، أيا كان نوعها في الحال. من يريد أن يصعد إلى

الأعلى حتى تلة (الشجرات الثلاث) عليه أن يمتطي حصاناً أو حماراً) نظر إليَّ بغباء، ووافق على اقتراحي.

اعتقدت في اليوم الثاني من عيد الميلاد هذا بأن العالم انهار. البرق والرعد والصدى، وأنا كنت وحيداً بالكامل في هذا الممر البعيد والطويل. كان الأمر مروعاً. رأيت كل العراق في هذا اليوم وهو يكشف لي عن مزاجه المروع. سوف لن أساهم مرة أخرى أبداً في مثل هذا الشيء. على أعلى قمة، قبل وصولي إلى الهدف بقليل، إلى تلة (الشجرات الثلاث)، وجدت معي سيجارة لم تزل جافة بعدُ وعودَ ثقاب وحيدا عليه القليل من الكبريت. رغم العاصفة تمكنت من إشعال السيجارة الأخيرة. وهكذا جلست على صخرة ورحت أدخن السيجارة الأخيرة هذه وأفكر بكما، أنتما عزيزتي. يا آلهي، ما الذي دار في ذهني حينها من افكار.

والآن، نعم لقد انتهى الأمر، ولكن نسيانه... لا أستطيع أبداً! كان هذا يوم بابا الثاني من عيد الميلاد يا عزيزتي. بسبب غضبي من هذه الجولة اطلقت عليها اسم (رحلة بفنيك في اليوم الثاني من عيد الميلاد). بعد تحقيقات اختصاصية ثبت أن هذه الجولة كانت حماقة بحتة.

والآن أنا مستلقٍ في الفراش منذ يوم الخميس ومصاباً بزكام خفيف. الدكتور ماير أعطاني إجازة مرضية لمدة ثمانية أيام كي استرد قواي، وهذا ما احتجته بالفعل. الأمطار توقفت وفي الخارج طقس صيفي حار. رغم ذلك مدفأة علاء الدين خاصتي تعمل، لأنني لم أزل بعدُ أرتجف. طلبت جهاز راديو من المعرض كي أستمتع في المساء بالأغاني الجميلة من إذاعة (الموجة الألمانية). وبالأمس استمعت إلى خطبة جميلة للسيد تيودور هويس بمناسبة نهاية السنة. خطط رجالنا الشباب لحفلة مفرقعات مميزة لرأس السنة: (٤) أنابيب بعرض (١٥) سم مملوؤة بغاز تفجير! كان الانفجار مدوياً إلى درجة أننا أبلغنا الشرطة لدى سماعنا هذا الدوي. أنا أيضاً اعتقدت أن مركز الشركة برمته تناثر في الهواء.

كما قلت قبل قليل: الانتقام طعمه حلو. وفق مشيئة المدير العام السيد "فوغل"، الأول من كانون الثاني يجب أن يكون يوم عمل. بعد منتصف الليل سافر الرجال الشباب مسافة (١٥) كم، إلى حيث توجد الحفلة الألمانية التالية، واحتفلوا هناك بالليلة حتى بداية اليوم الأول من السنة الجديدة حتى وصلوا إلى حالة السقوط، حيث ناموا جميعاً نوماً عميقاً. صحيح أن السيد المدير العام أوعز بالعمل في (١) كانون الثاني، ولكن لم يأت إلى

الشركة أي موظف. وأنا مستريح في فراشي انحنى جسمي من شدة ضحكي عندما سمعت تبريرهم جميعاً أمام السيد المدير العام: (كنا نحتفل بليلة رأس السنة، وبالأمس مساءً استيقظنا) ليتكم رأيتم ردة الفعل على وجهه. منذ إستراحة السرير الإجبارية هذه بدأت مرة أخرى بقراءة الكتب.

كيف يمر الوقت مسرعاً. اليوم الثاني من عيد الميلاد في العراق أيضاً أصبح خلفي وبعد سنتين في كردستان عدت أخيراً إلى الديار، إليك عزيزتي إيلا وإلى محبوبتنا بيترا. لا أريد أن أعود بأفكاري إلى الماضي، يجب أن ألهي نفسي وأريد في الحال الكتابة عن رحلة عودتي. بينما أوروبا كانت تحتفل بيوم الأول من آيار، هذا يعني (يوم العمل) (عيد العمال كان يسمى في ألمانيا الغربية بعيد العمل - المترجم)، كان شهر رمضان بانتظاري. استقبلتني بغداد بالأمطار الغزيرة، وعلمت في الساعة التاسعة أن جميع القطارات المتجهة إلى الأعلى نحو كركوك محجوزة، ولهذا طلب لي المكتب سيارة أجرة في الساعة الحادية عشرة. تحت العواصف المطرية التي يرافقها البرق والرعد تمكنا من الوصول حتى جالافا (Jalawa) على طريق جيدة.

سيارة الـ (دي سوتو) الأمريكية كانت متينة، ولكن بعد جالافا كانت الطبيعة مرة أخرى هي الأقوى، هذا يعني أن الطين كان الأقوى. في كفري عندما منتصف الطريق، اتضح لي أنه لا يمكن التفكير بإمكانية عبور تيار سيل يبلغ ارتفاعه (١,٥) متر إلى (٢) مترين. بعد تسع ساعات، نعم لقد قرأتم صح، بعد تسع ساعات من الدفش والشتم، ومنظرنا يشبه الخنازير البرية، تمكنا بعد جهود جهيدة من إدارة السيارة إلى الاتجاه المعاكس لنسير في السيارة نصف الطريق الذي قطعنا لنعود مرة أخرى إلى جالافا (أو جلافي)، كي أستقلّ القطار. هناك كانت برقية ملقاة في المحطة (الخط الحديدي جرفته الأمطار، القطارات لا يمكنها السفر.) وهكذا سافرنا النصف الآخر من المسافة التي قطعناها وعدنا إلى بغداد. تناولنا الطعام في كوخ طيني، اللبن الرائب مع بيضتين مقليتين. لم تتلقّ معدتي شيئاً طوال اليوم، وهي بدورها اشعرتني بذلك. كان طعاما لذيذا. رغم أن المكان كان قذراً. رافقنا المطر والبرق والرعد طوال الطريق حتى وصلنا إلى بغداد في الساعة الرابعة صباحاً.

صباح اليوم التالي في تمام الثامنة قدموا لي النصيحة في المكتب: (عليك الطيران في الخطوط الجوية العراقية إلى الموصل، ومن هناك تأخذ التاكسي إلى

السليمانية) أجبتهم في ثورة غضب: (مستحيل، لن أفعل هذا أبداً. لن أصعد في هذه الخردة البريطانية البالية ذات المحركين، وخاصة في مثل هذا الطقس، يستحيل أن أطير فيها) في تلك اللحظة أتى سائق الأمس وأعلمني أن الطريق عبر الصحراء أصبح سالكاً من جديد. دعونا ربنا أدعية قصيرة ثم صعدنا إلى السيارة وانطلقنا بسرعة (١٢٠) كم عبر الصحراء.

كانت الشمس عالية ودرجة الحرارة تبلغ (٤٠) مئوية. الأمر الذي أدهشني، أن ما كان بالأمس مغموراً بالسيول وبالطين، أصبح اليوم غبارا. بعد مضي خمس دقائق أصبح شكلنا يشبه الطحانين. بعد خمس ساعات وصلنا إلى أول استراحة (شايخانة). كانت السيارة القادمة من كركوك كأنها قادمة من معركة طينية. تحدثت مع عدد من الناس وسمعت منهم أن الطريق في حالة سيئة جداً. وهكذا قوينا أنفسنا بمزيد من الشاي ووجبة طعام، لكننا تابعنا بعدها طريقنا.

حفرة تلو الحفرة، كلها مليئة بالماء، ندخل في واحدة ونخرج من أخرى، أغلقنا النوافذ، ثم بوم، علقنا وبدأت المياه تتسرب إلى السيارة. مرت سيارة (دووج) فسحبتنا وخلصتنا. حوالي الساعة السابعة تقدمنا أكثر بقليل فقط من اليوم السابق في كفري، ولكن باتجاه الغرب

أكثر. استطعنا غسل السيارة وتناول الطعام وشراء مؤنـة لبقيـة الطريـق. حتـى كركـوك تناولـت اثـنتي عـشرة برتقالـة حلـوة. كانـت الطريـق جيـدة، ولكـن خرطـوم مبردة المحرك تمزق وإضطررنا لإصلاحه بما هـو متـوفر لـدينا مـن إمكانيـات. كنـا نقـف كـل (٢٠) كـم كـي نملأ المبردة بالماء. استمرينا على هـذا الإيقـاع إلى أن وصـلنا إلى كركوك، ومـن ثـم تابعنـا طريقنـا إلى الـسليمانية. كانـت الـساعة قـد بلغـت الثالثـة بعـد منتـصف الليـل. قبـل أن أغط في نوم عميق في (بيـت العـصفور)، هـذا يعـني بيـت الـضيافة بمركـز إدارة الـشركة، سمعـت أن الأيـام الأربعـة التاليـة هـي عطلـة رسميـة. كانـت هـذه إجازة كنـت أنـا بأمس الحاجة إليها بعد نهاية إجازتي.

هنـا فـوق أيـضا هطلـت أمطـار بـشكل جنـوني في الأسـابيع الأخـيرة. بجانـب مدينـة خيـامي الأخـيرة حـط البدو رحالهم مع قطيع كبير من الجواميس النهرية. إنها حيوانـات قويـة وجميلـة ويجـري حلبهـا يوميـا، وهـذا الحليب يتم إرساله كل صباح إلى الـسليمانية. أثنـاء ذلـك أصبح حليـب الجاموس بالنـسبة لـي ألـذ مـشروب. لـدى الفيـضان الـذي حـصل قبـل فـترة قـصيرة سـقط حيـوان كبير من الجواميس في تيار نهر تانجرو، والله فقط يعلـم كيف حدث ذلك.

علق الجاموس في أحد أنفاقنا البيتونية التي تحتوي انبوباً بيتونياً ضخماً لعبور الماء منه. انحصر الانبوب البيتوني وغرق بشكل مريع. طافت المياه التي تجمعت وانحسرت فوق الطريق، واستغربنا لماذا ظل الانبوب البيتوني من الطرف الآخر جافاً. الآن عرفنا الحل. الجاموس عالق داخل الانبوب. والآن كيف يمكننا إخراج هذا الحيوان العملاق من الانبوب؟ السيد "هيرينغ" وجد حلاً، طلب قضيباً حديدياً بطول (٢٥) متراً، دببّه في مقدمته، ودفع بهذا القضيب في مؤخرة الجاموس حتى خرج من حلقه في المقدمة. ثم ربط بالقضيب سلسلة حديدية بطول (٢٠)متراً، وبوساطة عربة (فيكرز) مجنزرة تم سحب الحيوان البائس خلال (٢٠) دقيقة من الإنبوب.

بعد مضي (٢٤) ساعة فقط لم يتبق منه سوى عظامه. كان المستغلون لبقية هذه التراجيديا التي راح الحيوان البائس ضحيتها، هم الغربان والنسور والكلاب والثعالب والذئاب وما تبقى من الطيور الجارحة والحيوانات الكاسرة التي أنهت قصة الفيضان هذه. ما الحاجة لدائرة التخلص من جثث الحيوانات النافقة. الطبيعة تقوم هنا بهذه المهمة على اكمل وجه.

صليب أحمر، موديل (صناعة ذاتية)

يتمتع جميع أعضاء الشركة بالطبع بأفضل رعاية طبية. في السليمانية، بعيدأ من هنا مسافة (٦٠) كم، يوجد طبيب ألماني لديه عيادة يقوم الدكتور ماير برعايتنا. إلى أن يأتي من ألمانيا طبيب لرعاية مهندسي الشركة ، يقطع الدكتور (ماير) بشكل دوري مسافة الـ (٦٠) كم ليأتي إلينا، كما يسافر إلى الأقسام البعيدة جميعها. زوجته نمساوية وابنتاه تدرسان في فيينا في مدرسة داخلية. للأسف لم أستظرف هذا الطبيب من كل قلبي. سوف أحكي لكم عن السبب الوجيه مرة أخرى. آمل أن يصل طبيبنا قريباً.

أنشأنا في قسمنا ما يسمى (مكتب محطة الإسعاف)، بإمكان عدد معين من موظفينا أن يتلقوا الفحوصات والعلاجات الطبية من قبل الدكتور "ماير" إذا دعت

الحاجة. بإمكان هذه المحطة استيعاب عشرة رجال. في الوقت الحالي ثماني أسَرة مشغولة. في أغلب الحالات يتعلق العلاج بحالات بسيطة، ولكن في هذا الطقس يجب على المرء أن يتوخى الحذر الشديد. أريد أن أشرح الآن ما الذي يعاني منه هؤلاء الثمانية: رقم واحد أصيب بحرق في قفاه. رقم اثنان داس فوق مسمار ولديه جرح متفتح. رقم ثلاثة مثله. رقم أربعة اصابته الماء. رقم خمسة التواء في عموده الفقري. رقم ستة تورم في السيقان. رقم سبعة إسهال شديد. رقم ثمانية لديه معدة مريضة وهو يعاني من آلامها. وأنا ذاتي في كامل الصحة والعافية وبشرتي مسمرة كالزنوج.

هذا الموقف لدى الأمريكان مختلف بالكامل عما هو عليه لدينا. منذ فترة قصيرة بدأ هؤلاء هناك في الجبال العالية ببناء سد دربنديخان. الإقامة هناك متعة بحد ذاتها. توجد لديهم مدرسة خاصة بهم من أجل أطفال موظفيهم.

ويوجد سوبرماركيت ضخم يحتوي من البضائع عروضاً نحلم نحن هنا في الوادي فقط بالحصول عليها. ولكن الذروة القصوى تكمن في أنهم يمتلكون حتى مستشفاهم الصغير الخاص بهم مع أطباء ممتازين.

بالنسبة لنا نحن الألمان إذاً لا يوجد طبيب واحد في دائرة قطرها (٦٠) كم. بالنسبة للسكان المحليين يجب أن يحلوا هذه المشكلة بطريقتهم، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج سيئة أكثر مما هي مفيدة. لهذا السبب عودت نفسي على العناية بكل عمال قسمي كمسعف طبي. الكل يعلم أن بإمكان المرء المجيء ليَ ما بين الساعة (١٢,٣٠ حتى ١,٣٠). أقتطع هذا الوقت كل يوم من استراحة الظهيرة خاصتي. خبر مثل هذا النوع من المساعدة ينتشر بسرعة الريح في كل الأرجاء. من خلال ذلك واجهت مواقف مختلفة: ظريفة وحزينة ومريعة، وقليلا من كل شيء. هنا عدد من الأمثلة.

قبل ثلاثة أيام أصيب عاملي علي سعيد أحمد بمرض شديد وتعرض لحَمى شديدة. وفق تعليمات مديرنا يجب ألا يعالج هؤلاء الرجال. ولكن كما تعلمون أنا لا أستمع لمثل تلك القسوة الغبية. كانت الساعة العاشرة مساءً. كان علي سعيد أحمد مستلقياً على لحافة فوق الأرض وهو غارق في العرق وفاقد الوعي. قمت بقياس حرارته، كانت تبلغ (٤٠) درجة. أعطيته حقنة في أعلى فخذه الأيسر، وجلست قرب (سريره) ثلاث ساعات. إنخفضت الحمى. في الصباح التالي أعطيته ثلاث

حبات اسبرين، وصباح اليوم مرة أخرى، والآن عادت إليه حيويته وهو يعمل.

غير أن بالأمس جائني محمود مساءً وهو محنياً من شدة الألم وكان يتنهد قائلاً، أنه لم يعد يستطيع احتمال الألم. رداً على سؤالي، متى كانت آخر مرة ذهب فيها إلى الخلاء، أجاب وهو ينظر إلي مندهشاً، قبل ثلاثة أيام. هكذا إذا، أعطيته ملعقة طعام من زيت الخروع، فابتلعه مطيعاً ـ وظل يجلس في الخلاء تحت المطر حتى صباح اليوم. اليوم عاد حيوياً ويشع بالعافية. إنهم لا يعرفون بيوت الخلاء، بكل بساطة يحفرون حفرة صغيرة، ثم يردمونها بكل عناية بعد أن يقضوا حاجتهم فيها. ضحكنا جميعنا من كل قلوبنا. مساء اليوم أتى إلي وأحضر لي معه كبادرة شكر وعاءاً كبيراً مليئا بحليب الماعز وأعرب عن رأيه بالقول: (سيد ويتمان، أنت تعرف أكثر بكثير مما يعرفونه أولئك الناس في مستشفى السليمانية).

هذا يشرفني جداً، رغم ذلك فأنا أعرف حدودي. قبل فترة ليست بطويلة أرسلت أحد العراقيين على الفور إلى مستشفى السليمانية، حالته كانت تفوق قدرات صليبي الأحمر الذاتي الصنع.

في مرة أخرى جاء أحد العمال، اسمه حسين، في خارج الوقت المخصص (للعلاج)، إلى خيمتي. أحدهم رماه بحجر. عندما نزع غطاء رأسه الكردي، هنا لم أستطع رؤية موضع الجرح في البداية بسبب الدماء الكثيرة التي كانت تغرق رأسه. طلبت سطل ماء بسرعة وغسلت له رأسه ونظفته أمام الخيمة. هؤلاء الاخوة لديهم شعر نابت بطول (٢) سم، كيف أتمكن من الوصول إلى مكان الجرح في وسط الرأس؟ تذكرت أنني واجهت مثل هذه الحالة قبل سنتين. وهكذا بللت الرأس وأخذت سكين جيب وبدأت بحلاقة الشعر. تساقط الشعر مثل شظايا الزجاج. كان المريض يتأوه متألماً، لكنه تحمل الألم. في النهاية وضعت (المرهم الأبيض)، هذا يعني البينسلين، وفوقه لاصقة جروح، وكان كل شيء قد أصبح على ما يرام. لم أكن أعلم أن الشعر الواقف المبلل يمكن بهذه السهولة حلاقته. المرء يتعلم كل مرة دوما شيئاً جديداً.

يوجد أيضاً مرضى رفيعي الشأن. أحد الأيام كانت الساعة الرابعة عندما زارني الملا وهو يحمل القرآن تحت أبطه. بالطبع أعطيت هذا الزائر الرفيع الشأن ما يليق بمقامه من الوقت. باشر الصبي بإعداد الشاي بينما تحادثنا نحن في شؤون الدين. بالطبع أرغب أنا ايضاً في معرفة الكثير عن الله ومحمد، وعن العادات والتقاليد

المتعلقة بالزواج. ما سمعته هنا من أشياء سرعان ما أدهشني إلى درجة كبيرة إلا أني سأكتب لكم فيما بعد حول هذه الدردشة.

الأمر هنا يتعلق بمرضه. بعد نصف ساعة تقريباً من الحديث العام بدأ بحذر بالحديث عن سبب زيارته. لديه حبة في ساعده الأيسر ويجب أن ألقي عليها نظرة. رداً على سؤالي: (لماذا؟)، أجاب: (الناس يتحدثون عن امتلاكك لشيء ابيض، وهذا بالتأكيد سوف يفيدني أنا أيضاً. أنا أعلم أن جميع من ساعدتهم شفوا ولم يعد لديهم أي آلام) من دون تردد ألقيت نظرة على الحبة، ثم علبة الإسعاف. لم تبدر منه أية ردة فعل عندما ضغطت على الحبة ودهنتها بـ (شيء ما ابيض)، ثم ضمدت الحبة بكل عناية وأنا أقول له: (عليك العودة إلى هنا في صباح اليوم الخامس) وعدني بذلك وهو يتمنى من الله لأجلي الكثير. أصبحتم تعلمون الآن ما هو المصطلح البديل لاسم البنسلين: شيء ما أبيض.

بالطبع توجد مواقف ايضاً أحتاج أنا نفسي فيها إلى خدمات (الصليب الأحمر). كنت أسير في الطريق وكان علي أن أعبر من فوق نبتات، فقفزت فوقها قفزة صغيرة، فأحسس بوخزة ألم في بطة ساقي اليسرى: تمزق في العضل. ذهبت في الحال إلى الدكتور "ماشكه" في

السليمانية، إنه طبيب الشركة الذي أتى أخيراً. حدد نقطتين ثم حقنني بينهما وضمد ساقي. وطوال الوقت كنت أحس بألم مريع. سافرنا من السليمانية إلى مكتب الشركة الرئيس في عربت. كانت تمطر فتزحلقت السيارة وانزلقت في حفرة فعلقنا. اعتقدت أن ساقي سوف تنفجر. الاستراحة في الفراش كان لها مفعولها، أحسست بالراحة. السير بالعكازات مضنٍ. اعتباراً من يوم بعد الغد سوف أركن تلك العكازات إلى زاوية ما. لا داعي لقلقكم بشأني، ولكني استلقي في الشمس في الخارج، أقصد في الخيمة أفضل من غرفتي، عدا ذلك أستطيع هنا في الخارج مراقبة العمال. بالمناسبة، كان تاريخ الحادثة: الجمعة (١٣) من الشهر. (تصادف يوم الجمعة مع (١٣) من الشهر إشارة في منتهى الشؤم لدى الألمان ـ المترجم).

بالطبع يوجد لدينا نحن الألمان طبيب شركة، ولكنه في العادة يكون دائماً طبيباً عاماً فقط، وإذا احتجنا إلى طبيب اختصاصي حينها يجب السفر إلى السليمانية التي تبعد (٦٠) كم. يوجد هناك طبيب مختص في الأنف والحنجرة والمجاري التنفسية، إنه بارع. في الوقت الحالي للأسف يجب علي زيارته مرة كل ثلاثة أيام. ولا أحتاج

إلى السفر إلى بغداد من أجل طبيب الأسنان، فالآن يوجد في السليمانية حديثاً طبيب أسنان بارع.

بالطبع أحرص جداً على مراعاة عادات هؤلاء الناس، أقوم في البداية بفحص (الزبون)، واسأله بالتفصيل عما يعانيه، وإذا لم أعرف بكل وضوح حقيقة مرضه أبعد يدي عنه. أنا أفعل بالضبط فقط ما تستطيع كل أم وكل جدة. وبهذا لوحده أستطيع تقديم مساعدة كبيرة جداً.

ألمان يوجد في كل مكان

قبـل وقـت طويـل وجـب علـيَّ حمـل علبـة قهـوة نسكافيه إلى مكان كان وصـف العنـوان كالتـالي: تـسافر في الصحراء مسافة (٣٠) كم، ثم بعد ذلك ترى شجرة، وهنا تحت يقع بيـت. والآن يعـيش هنـاك الزميـل "بـرونس" مع زوجته وابنه الصغير بيتر، وأثنـاء ذلـك اصـبح لديـه الآن أخـت صـغيرة، وهـو سـعيد جـداً بوجـود عائلتـه الصغيرة معه. صحيح أن زوجته تشتم بلهجتها البايرية (نـسبة إلى بـايرن أو بافاريـا جنـوب ألمانيـا وعاصـمتها ميونـخ ـ المترجم) قائلة: (هذا جنون خالص، سوف يكون لـ (سيب) شـأن معـي إذا طلـب مـني مـرة أخـرى الـذهاب معه إلى أي مكان) إلا أنها تسايره وتسايره، طالمـا الأطفـال لم يبلغوا سن المدرسة الإلزامية بعد.

الموقع عملي جداً بالنسبة للشركة، ولكنه ليس هكـذا بالنسبة لأوروبية شـابة. أقـرب متجـر يقـع مـسافة (٧٠)

كم عنها، ولكنها مسافة مميـزة، حيـث تحتـاج إلى خمس ساعات كي تقطعها. الويـل لهـا إذا نـسيت شـيئاً، جيرانهـا هـم الدببـة والـذئاب والأفـاعي والثعالـب والحمـير (ذات الأربعة قوائم)، وبنـات آوى والتيـوس الجبليـة والعقـارب ومـا شـابه ذلـك. لا أستطيع الامتنـاع عـن الـضحك كلمـا سمعت قـصف شتـائمها المدفعيـة بالبايريـة حـول: (هـذه المنطقـة الـتي تخلـى الله عنهـا، والمنطقـة الـتي لعنهـا الله و....)، ولكنها روح دعابة، عنـدما يستطيع المرء رغم كل ذلك أن يضحك.

الصغير بيتر رغم كل شـيء في غايـة الـسعادة، جميـع أطفال القريـة الكـرد يعـشقونه ويفعلـون كـل مـا يطلبـه منهم. حتـى أنهم تعلمـوا منـه اللهجـة البايريـة. كرديتـه أفضل من ألمانيته. عنـدما تسأله أمه باللغة الألمانيـة يـرد عليهـا في الحـال باللغـة الكرديـة، الجميـع في القريـة يفتخرون بـ (الألماني الـصغير) إنـه يمتطي ظهـر الحمـير والخيول والجمال كما يفعـل ابـن العـشرين سـنة. الـصغير يأكل بالطريقة الكردية، من دون شوكة وسكين وملعقة. لا يوجد لديه هنا إحتكاك مـع أولاد ألمـان، اصـدقاؤه هـم أطفال القرية الكـرد وهـم يفعلـون كـل مـا يطلبـه مـنهم دون قيد أو شرط.

ما الذي ستصبح حاله عليه إذا ذهب في يوم من الأيام إلى المدرسة في ألمانيا؟ لقد قال حديثاً لأحد الضيوف بجدية تامة: (أسرع، أنت أيها الرجل المسن، هيا بسرعة، رغم ذلك أهلاً وسهلاً) لا أريد أن أفكر بماذا سيجيب الصغير بيتر عندما ينتقده المعلم في "بايرن" بقوله له: (أنت يا راعي الحمير). عند المساء كان على الأم أن تبحث عن الصبي وهي تمتطي الحصان، لتجده في أحد أكواخ القرية مختبئاً أو نائماً. إنها تريد أن تأخذه معها للتبضع في السليمانية، إلا أنه أسرع وأختبأ في الجبال بسرعة، حتى سمع طبل الغابة يبلغه بأن (الأم سافرت). في الحال جمع حوله قطيعاً من الصبيان يبلغ حوالي المئة، وهو في وسطهم القائد من دون منازع. سلوكه أمامنا دائماً في غاية الأدب والتواضع والتوازن، وكما يقال (صبور).

تسكن في السليمانية عائلة تدعى لامبريخت. إنها من دون أطفال، لهذا السبب كان بوسعهم ايضاً أن يجدوا الوقت كي يأتوا إلى هنا بواسطة قطار الشرق السريع. مدة السفر الخالصة دامت تسعة أيام. في تركيا علقوا بين الثلوج مدة يومين. قبل ذلك تعرضوا في الطرق ما بين ساريفو وسالونيكي أثناء نومهم لسرقة شيكاتهم السياحية بقيمة (٩٠٠) مارك ألماني و(٥٠٠) مارك نقداً.

الزوجة مثل أية برلينية أصلية أخذت الأمر بنوع من المرح. الرحلة بحد ذاتها أمتعتها جداً، إلا أنها تعلمت أن على المرء أن يظل مستقيظاً باستمرار. بعكس أم الصغير بيتر، إنها تستمتع بقضاء الوقت هنا. ولكن يجب الاعتراف بان منزلها مريح ويقع (٦) كم بعيداً عن السليمانية، وهي بالتأكيد تجد تسلية بانتظام في زياراتها للسوق في السليمانية.

في بداية فترتي العراقية كتبت لكم عن دكتورنا ماير، وقلت إني لا أستلطف هذا الإنسان، وبأني في مناسبة أخرى سوف أكتب لكم عنه. بشكل ما لم يعد هذا الموضوع مهماً: سمعت أنه مات. الآن أريد أن أحكي لكم قصته.

بعد مجييء قبل سنتين بفترة وجيزة هربت السيدة ماير رقم (١) مع رجل عراقي. طلقها زوجها وتزوج بالرقم (٢) وهي من فيينا. الرقم (٢) هذه كانت (شبقة). الدكتور ماير ذاته عالج أربعة مرضى من الأكراد علاجاً خاطئاً فماتوا نتيجة ذلك. ومريض أوربي مات بين يديه أثناء إعطائه له حقنة كالسيوم. كان موعد المحكمة بعد أسبوع، ولكن قبل المحكمة أرسل (المتصرف) في طلبه. هناك كان على الدكتور ماير أن يسمع ما يلي: (زوجتك تمارس العهر مع جميع الرجال

في المنطقة، ومع العراقيين ايضاً. خلال ثمانية أيام يجب على زوجتك أن تغادر بلادنا) يقال أن الدكتور ماير أجاب (هل يجب علي أيضاً أن أدفع تذكرة طيران هذه المرأة إلى الديار؟)، المتصرف أجاب: (نعم).

الدكتور ماير سمم نفسه، والسيدة ماير رقم (٢) اختفت لمدة (١٤) يوماً. أرملته تزوجت بالفعل بعد انتحار زوجها بفترة قصيرة من عشيقها العراقي. قريباً جاءت إبنتها البالغة (١٨) سنة من فيينا لزيارتها، وأصابتها صدمة مريعة عندما سمعت، بأنها، أي الإبنة، قد تم بيعها إلى مدير بنك في السليمانية عمره (٣٨) سنة كي يتخذها زوجة. ولكن يبدو أن الصغيرة كانت ذكية، فهي لم تعترض وإنما فقط قالت: أريد في البداية أن أنهي شهادة البكالوريا في فيينا ثم سادرس الطب، ولأجل هذا طلبت مبلغ (٢٠٠) دينار شهرياً، وسوف تسكن لدى خالها في فيينا، وبعدها سوف يرى المرء ما الذي يمكن أن يفعله. كانت تعلم أنها حتى ذلك الحين ستبلغ سن الـ (٢١)، وهو سن البلوغ القانوني. المرء لا يحتاج هنا إلى اختراع القصص. الحياة من حولنا تعرض لنا أحلى القصص.

من حيث المبدأ أنا أحب هذا المتصرف، ولكن استمعوا لما سمعته في نهاية قصة الدكتور ماير عن طريق

الحاكم: في عربت حيث توجد مكاتب شركتنا الرئيسية حصلنا أخيراً على حوض سباحة خاص بشركتنا. جرى التدشين بالقفز من على لوحي القفز الذين يبلغ طولهما (١و٣) متراً واحداً أو (٣) أمتار، وذلك من قبل سكرتيرتنا وزوجتي موظفين من موظفينا. وفي هذه اللحظة بالضبط جاء المتصرف مع حاشيته، رأى عرائسنا البحرية، فاستدار وغادرنا مع التعليق: (الله لا يريد أن يرى عروس البحر). يا لرأس الصبي هذا! ولكن كون كل من هؤلاء الرجال يمتلك أربع نساء هذا لا يزعج الله، إنها هدايا من الله.

لاحظت في أيام إقاماتي في بغداد أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية تملك تمثيلاً قوياً في هذا البلد. وخلال مرور السنوات أصبح هذا الحضور أكثر تركيزاً. قبل عدة أيام أتى رجالي وقالوا: (يوجد في سراي السليمانية وفد حكومي من وسط ألمانيا) رغم أن الساعة كانت متأخرة إلا أننا قلنا: هيا بنا إلى السراي. جلسنا بداية في ركن بعيد ورحنا نراقب أولئك الرجال الستة. ثم ذهبت إليهم وقدمت نفسي وقلت: (سمعت أنكم من ألمانيا؟)، كما لو أنهم تلقوا أمراً، نهضوا جميعاً في نفس اللحظة وكالكورس قالوا: (نعم سيدي، لقد استطلعنا سد دربنديخان وسد دوكان. للأسف لا نملك متسعاً من

الوقـت، إقامتنـا موزعـة بالـدقائق، بحيـث إننـا الآن في الظلام عدنا من سد دوكان)، قلت: (لماذا لاتـأتون صباح الغد جميعاً إلينا لتناول فنجان قهوة؟)، هنا يجب عـليهم أن يسألوا (الرجل) أولاً، ثـم في البدايـة لم نحظ بـنعم أو لا. ثـم حـاولوا أن يخلقـوا (جـوأ مـن المـرح). الموظـف العراقي الحكومي شرح لنـا بالإنكليزيـة أن هؤلاء الـسادة مـن جمهوريـة ألمانيـا الديمقراطيـة، فأردفـت أنـا بـالقول: (لقد فهمت ذلك، إنهم من ألمانيا)، فأردف المتحدث الألماني متلعثمـاً: (نعـم، نعـم، ألمانيـا)، والكـل ذهـب في طريقـه، بينما كان رجالي يبتسمون.

في اليـوم التـالي مـر الوفـد بـشركتنا، وتوقفـوا في الساحة أمام المخيم. توقفوا مدة تكفي كـي يقولـوا، أنهـم لا يملكون الوقت لتناول القهوة. سؤالي عما يفعلونه هنـا وبأية صفة هم موجودون هنا، أجيب عليه كما يلي: (أنا مهندس أعلى ورئيس الوفد، والـذي بجـنبي مهنـدس مـن بـرلين، نحـن نـستطلع مـشاريع بنـاء. إنهـم يريـدون منـا تقـديم المـساعدة هنـا) هـذان الاثنـان كانـا رجـال بنـاء حقيقيين، أما الآخرون فهم آيديولوجيون. عـشر دقـائق وكانوا قد اختفوا. لم نتحـدث أيـة كلمـة حـول الـسياسة، ولا كلمة حـول الـشرق والغـرب. الآيـدلوجيون كـانوا مـن ماكديبورغ وشفيرين وهاله ولايبزيغ ودرسدن.

قبل فترة قصيرة اتصل بي قريبي ماكس، أخبرني أنه يريد المجيء بسيارة (فولكس فاغن) عن طريق تركيا إلى الأعلى هنا إلى السليمانية، وسألني إذا كان بإمكاني تأمين تأشيرة دخول إلى هنا. لم اكن أعلم ما الذي كان ينتظرني. وفي النهاية كانت كل الجهود قد ذهبت هباءً لأنه غير مزاجه ولم يصل إلى الأعلى هنا. تلقيت دعوة إلى السليمانة كي اشرح أسباب زيارة قريبي ماكس. بعد أن أبرزت جواز سفر وإقامتي انهمرت الأسئلة: من يكون ماكس، ما هي مهنته، ماذا يريد هنا، هل يمتلك المال، من يتكفل بتكاليف إقامته، أين يسكن، لم أعد أعلم كم إبريقاً من الشاي افرغنا خلال فترة التحقيق هذا. حدث كل هذا بعد أن أصبح عمر طلب الفيزا ثمانية أسابيع. والآن يجب أن يرسل كل شيء إلى بغداد، وقد يتطلب الأمر ايضاً أن أذهب إلى بغداد. كانوا معي في غاية الاستقامة والاحترام، ولكنهم شكاكون. بعد ساعتين كان بإمكاني أخيراً الذهاب.

التقيت بالباب بامرأة شقراء جميلة برفقة رجل أعرفه. حييت الرجل، وكجواب سألتني المرأة بالإنكليزية، فيما إذا كنت ألمانياً. جلسنا نحن الثلاثة في المكتب، واستمعت من جديد قصة أخرى. التقت أثناء دراستها في السويد بزوجها الكردي العراقي. تزوج

الاثنـان وقبـل شـهرين أتيـا إلى الـسليمانية. الحيـاة هنـا تعجبها مع أنها لا تستطيع الخروج مـن المنـزل بمفردهـا. أثناء حديثنا الحماسي كان الموظفون ينظرون إلينـا بـين الحين والآخر وهم لا يصدقون كيف أعامل هـذه الـسيدة بمنتهى الأدب والاحـترام. بعـد أن غـادر الزوجـان المكتـب سألني احد الموظفين كم ابنـة لديَّ: (واحدة). هنا سألني: (هل أسـتطيع الـزواج بها؟)، جـوابي كـان (هـذه ليست وظيفتي، في هذه الحالة عليك أن تطير إلى ألمانيـا وتـسألها بنفـسك). نظـر إلى ببلاهــة، وضــحك الآخــرون علــى حسابه.

حل الأزمات بالطريقة الشرقية

لا يمكن القول بأن منطقة عملي تشبه أكل العسل، لكنني أحب هذا التحدي اليومي. في الوقت الحالي عليَّ بناء طريق في منطقة حقول أرز مغمورة بالمياه، وذلك خلال عشرة أيام، يجب أن تكون طاقة تحمل هذا الطريق ضغط (٣٥) طن. إذا كان هذا ممكناً أم لا، لا يهتم بهذا السؤال أي ديك، يجب أن يتم ذلك بكل بساطة، رغم المياه التي تصل إلى الركب. سوف أواجه هناك شروط عمل، سوف يقول عنها كل إنسان في أوروبا تحت هذه الظروف وبمثل تلك الإمكانيات القليلة المتاحة، (مستحيل). ولكن هذا الكلمة ليست موجودة في قاموس هذا البلد. إذا تم إنجاز العمل، بالطبع سوف يكون المرء مسروراً جداً. وعندما أرى بعد ذلك الطبيعة من حولي. الجبال الجليلة، والإحساس بالوحدة التي

تشعه الجبال، وعندما يبدأ المرء بالتعرف على عادات وتقاليد الكرد في هذه المنطقة، حينها أستطيع القول بصدق أني أحببت هذا الشعب الكردي بكل جوارحي. أحضر لي بالأمس الشيخ (هامين Hamin) طيراً رائعاً ملوناً، حجمه كحجم الحمامة ولكن شكله يشبه (عصفور الجنة).

وضعه الشيخ في كفي، لم أمسكه بقوة، فإذا به بلحظة واحدة يفر طائراً، لكنه لم يبتعد أكثر من مسافة مترين، ثم عاد. يمكن لهذا الطير أن يكون أيضاً فخوراً بألوانه الرائعة.

توجد بالطبع أثناء الحياة اليومية في العمل دائماً مصاعب مع العمال، ولكن تحدث أيضاً مشاكل بين العمال أنفسهم أكثر. (٩٥٪) من العمال مسلمون، وتقريباً نسبة الـ (٥٪) المتبقية يشكلها المسيحيون العراقيون. وهؤلاء العمال يمتلكون شهادات أفضل، ولهذا السبب يشغرون مناصب أعلى. إنهم يعلمون كسائقين ونجارين ومراقبي عمال وما شابه ذلك. صحيح أنهم ينالون أجوراً أكبر من العمال المسلمين، ولكن هذا يكلف هؤلاء المسيحيين ثمناً غالياً أيضاً. الشجارات والطعن بالسكاكين استفحلت أكثر فأكثر. ابتعدنا مدة طويلة عن تلك القصص. صمتنا

طويلاً، ولكن الآن بلغت الأمور النقطة التي أصبح يتحتم فيها علينا التدخل.

قبل ثلاثة أيام في الساعة الثامنة مساء جرت مشاجرة كبيرة في المخيم وأنا كنت وحيداً فيه: هناك. ناديت الحراس في الحال وذهبت مع أحد السائقين بشاحنة إلى السليمانية كي نحضر الشرطة من هناك، كي يسود الهدوء هذه الليلة. قبل أن ندخل في المفرق باتجاه مركز الشرطة قلت للسائق: (نحن الألمان لا نحب مثل هذا النوع من المشاجرات وكما أن المشاجرات في المخيمات الألمانية ممنوعة، ولهذا السبب على من افتعل المشاجرة أن يغادر المخيم في الحال. قبل ان يغادر المخيم نادى أحد المسيحيين قائلاً: (الدنانير الخمسون التي يجب عليَّ دفعها عقوبة قتل كل واحداً منكم سوف يدفعها شقيقي عني بطيبة خاطر، أيها الـ .....) لا أحب أن أذكر تحية الوداع التي قالها لهم هنا. هؤلاء المسيحيون الذين يسمون آشوريين يكرهم هنا أتباع الله كما يكرهون الطاعون. تلقيت في اليوم التالي استقالة فورية من سبعة مسيحيين آشوريين.

(سيد ويتمان، حياتنا هنا أصبحت في خطر).

أنا ذاتيا أحظى بالاحترام من قبل الكرد والآشوريين إلى درجة كبيرة. الجميع يعلم بأنني لا أقف مع أي طرف،

وبأني لا أظلم أحداً ولا أصرف أحد من العمل إلا إذا كان هناك سبب قوي. بعد تلك الحادثة التي ذكرتها للتو أتى إليَ الطرفان وقالوا لي: (سيد ويتمان، جيد أن زعيم المشاجرة قد غادر) وعادت الأمور إلى افضل ما يرام مع ابتسامة شرقية من قبلي وأنا فوق الرافعة، وتعبيراً عن الشكر حصلت من الطرفين على القهوة والبطيخ الذي أصبح الآن مطلوباً من الجميع. الحر يربك البشر بالطبع، بما فيهم نحن الأوروبيون.

لحسن الحظ اكتشفت أعراض (حمى بردية) في مرحلتها الأولى فبادرت إلى خنقها في المهد على الفور. كيف؟ بالاستلقاء في الحال على السرير وإغماض عيني، وعدم التفكير بشيء، وبين الحين والآخر تناول جرعة من الكحول الذي يلذ طعمه لي. وبعد ثلاثة ساعات تعود الأمور لتصبح على خير ما يرام. معالجة الأزمات لا تجري دوماً بهذه السهولة النسبية التي ذكرتها.

أحد حراسي يدعى سليمان، وقد اضطررت قبل فترة قصيرة إلى زجه في السجن. لماذا؟ أتيت صباح يوم السبت إلى القسم واكتشفت أن صندوق عدة تصليح الآلات مع كل ما تبقى من المفاتيح ومفكات البراغي وأشياء أخرى مختلفة قد سرقت. جميع الحراس الأربعة ادعوا أنهم لم يلحظوا شيئاً. وجميعهم في الوقت ذاته أيضاً أرادوا

إقناعي بأنهم لم يغمض لهم جفن. من دون تعليق توجهت إلى قسم الشرطة المسؤول عن منطقتنا في الجبال في مدينة السليمانية. كتب الضابط المسؤول هناك تحقيقاً مفصلاً، وبعد ساعتين كان الحراس الأربعة في السجن: (صدقنا يا سيد ويتمان، سوف نكشف الجاني بالطريقة المألوفة هنا) وحارسي سليمان هو من ضمن هؤلاء الأربعة المتهمين. نال هؤلاء المساكين الضرب ثلاث مرات يومياً، وهذا من عادات هذا البلد مع الأسف، حتى أصبحت أجسادهم سوداء وبنية. كل يوم كان يأتي إلي افراد عائلة واحد منهم ويرجونني أن أسعى لإطلاق سراح الحراس.

كنت أنجز بعض الأعمال الكتابية في خيمة القسم عندما رأيت مجموعة من الخيالة مؤلفة من سبعة رجال: تتجه نحو خيمتي. كان الخيالة يرتدون ثيابا احتفالية وبدا منظرهم فوق خيولهم العربية أخاذاً. أول واحد منهم كان صديقي الملا، ثم تعرفت على شيخ حلبجة ذي السطوة كزعيم من المنطقة، ورجال آخرون من الشخصيات المعروفة. توقعت سبب هذه الزيارة، ولكن لم يطرق بابي أي شخص عربي. التحيات كانت ودية ومن أعماق القلوب. أوعزت في الحال بإقصاء الكراسي من خيمتي وكلفت الصبي بتحضير الشاي وغيره من طقوس

الضيافة. ثم جلسنا جميعنا على السجادة طبقاً للعادات الشرقية في الخيمة. تحدثنا حول الطقس وحول الصحة وحول الخيول الجميلة. بعد الانتهاء من المقدمة دخلوا في الموضوع: رجوني أن أذهب إلى الشرطة وأن أعطي الأمر بإخلاء سبيل الحراس الأربعة.

بهدوء وباحترام وصفت لهم الوقائع. بالتأكيد صديقي الملا كان أذكى أفراد المجموعة وأكثرهم فهماً وتفهماً لموقفي. بعد ساعة أخرى من الجدل والمعالجة قدمت لهم اقتراحي: ١ـ اسافر يوم السبت إلى مركز الشرطة، ٢ـ وأرجو الشرطة أن تطلق سراح الحراس، ٣ـ القاضي الأعلى رئيس أعلى محكمة في السليمانية عليه أن يتدخل ويدلي برأيه في الموضوع، ٤ـ ليس بإمكان الحراس العودة إلى العمل لدى شركتنا، ٥ـ تصرف رواتب الحراس حتى صدور حكم المحكمة بحقهم.

لو رأيتم الوجوه عندما اشعت بالإرتياح والفرح. ولكن أيضاً الجميع كان مرتاحين وراضين بهذا الاقتراح، وكل واحد من الخيالة السبعة دعاني لزيارته. أمر واحد أعرفه وهو أني أحب الذهاب إلى الشيخ عن طيب خاطر، فأنا أتعلم منه الكثير. نعم يا أعزائي هكذا تجري الأمور هنا، مع الكثير من الهدوء والاحترام البالغ، ولكن أيضاً مع هدر الكثير من الوقت.

وغداً سوف أسافر إلى ذلك العش الجبلي. وأنا أحب القيام بذلك: منظر الطبيعة هناك خلاب. عدا أن درجة الحرارة هناك أخفض مما هي لدينا هنا. منذ ثلاثة أيام يتعرق جسمي كنبع (بولر برون) في قرية (التبكن). ماذا عن مناديل الجيب؟ الأمر ليس مضحكاً، لا فائدة من مسح كل العرق. ملايين الذباب تحط على الأنف والساقين، بكل بساطة على كل مكان من الجسد. واليوم جرفت الآليات عشاً للدبابير، وهنا حدثت ضجة وفوضى عارمة. فر الجميع بلا وعي في مختلف الجهات الأربعة، فقط أنا بقيت واقفاً، أحد العمال أحضر برميل نفط خام وفي الحال إنتهى (كابوس الدبابير). نال جميع الفارين نصيبهم من اللسعات، بينما إستغربت كَونَي أنا لم أصب بأية لسعة واحدة.

أحد حراسي يدعى شيخ سليمان يسكن في قرية نائية بالفعل. قبل عدة أسابيع أتى خيمتي مساءً قبل إنتهاء العمل بمدة قصيرة. أخبرني وهو قلق بأن زوجته مريضة (عمره خمسون سنة وعمر زوجته ثلاثون). طلب السماح له بقضاء الليلة لدى زوجته. بالطبع أعطيته إجازة لأجل ذلك.

أثناء طريقي إلى خيمة قسمي مررت بالسيارة عبر قريته أيضاً. حالما لمح اللاندروفر التي أركبها هرع إلي

أحد العراقيين ورجاني أن أتوقف. ثـم قـال لـي بـالحرف الواحـد: (سـيد ويتمـان، زوجـة سـليمان البنجـويني تعطلت) (إنه يقصد أنها ماتت) رغم الخبر المحزن أجبرت نفـسي علـى الإمتنـاع عـن الـضحك بـسبب طريقتـه في التعبير. ولكن للقصة فصلا إضافيا.

بعد يومين فقط مررت عبر هذه القرية مرة أخـرى ولم أصدق مارأته عيني. ما هذا الذي تراه عيوني؟ أربع وعشرون فرساً في منتهى الروعة، ومن بينها فرس ألماني من فصيلة (تراكان)، مزدانة بأجمل السروج. سألت أول وأقرب شخص إلي وأنا مذهول مما أراه، ماذا يجري في دار سـليمان. الجـواب كـان: جميـع هـؤلاء الـضيوف الـذين يمتطون هذه الخيول يعرضون على سليمان الـزواج مـن إحدى بناتهم. اختار واحـدة مـنهن وساوم علـى مهرهـا. علمت من الحارس البديل فيما بعد:

لقـاء (١٥٠) دينـار اشـترى بنتـا في الرابعـة عـشرة، وسيجري الزفاف خلال ثلاثة أيام.

عـاد سـليمان إلى العمـل مبتهجـاً. لم أتمالـك نفـسي بالامتناع عن أن أقول له أنه وفق القرآن الكريم لا يجوز له أن يتزوج مرة أخرى بهذه السرعة. هنـا ابتـسم لـي وقال: (أعلم ذلك يا سيد ويتمان، ولكني علقت سجادة

على الباب بحيث أن الله لايتمكن من رؤية ما يجري في البيت).

قبل فترة قصيرة جاء إليَ ساعٍ من (كالوسيا) (Caluisa) في الجبال وسلمني رسالة مختومة من مدير الناحية مكتوبة باللغة العربية. كان مظهر هذا الكردي تبدو عليه الوقاحة والتعالي، وقال لي أنه يريد أن يعمل لدينا حارساً، وإن معه عدا ذلك مساعدين وعشرة حمالين يريد أن نوظفهم معه. كما قال أنه أنهى خدمته العسكرية للتو ولذلك من حقه الحصول على هذه الوظيفة. بعكس ظهوره الوقح ورد في الرسالة التي تتصف بالكياسة رجاء توظيفه مع مرافقيه إذا كان ذلك بالإمكان. بعد ضحكة الاستغراب الأولى سألته عن رتبته في الجيش: جندي عادي. أعدت الرسالة إليه وأرسلته إلى مدير ناحيته وكلفته إبلاغه بأن يرسل لي عراقياً حقيقياً، لأني لم أرَ مثل هذا الإنسان الوقح في العراق على الإطلاق. ثم قلت له:

انصرف. العمال الدائمون تنفسوا الصعداء عندما انصرف المنافسون المحتملون.

بعد عدة ساعات لمحت سيارة لاندروفر قادمة باتجاهي. جاء مدير الناحية وبرفقته الجندي الوقح. دخل إلى خيمتي بطريقة لطيفة وفي منتهى الأدب، بعد

عبارات التحيات والمجاملات المألوفة وتناول الشاي الساخن أخبرت مدير الناحية عن كل ما جرى، والآن أعطى مدير الناحية إلى مرافقيه الأمر بضرب الجندي عقاباً على سلوكه السيء أمامي. في الختام اعتذر الجندي مني، وأنا قمت بتوظيفه وهو يعمل (على الأقل حاليا) بالفأس والجاروف، والسعادة تغمر وجهه وهو ممتناً لكونه حصل على عمل على الإطلاق.

في الصباح التالي أحضر لي معه ديكاً تعبيراً عن شكره وإمتنانه. كان الحيوان المسكين مربوط القدمين، قمت بفكه في الحال ـ فانطلق في الحال وفر هارباً، وهذا ما كنت أريده. ولكن الجندي ركض خلفه مسافة (٢ـ ٣) كلم، تابعتهما بالمنظار، وكان منظرهما مضحكاً للغاية. ولكنه أخيراً أمسك بالديك وخلع رقبته فوراً، وهو بالتأكيد الآن يشوى على الأسياخ في مكان ما.

أريد أن أضيف شيئاً إلى موضوع الرغبة في الحصول على وظيفة حارس. الحصول على وظيفة حارس هي أمنية كل كردي، وذلك لأنه يحصل على أـ بدلة عمل، ب ـ كتفيات كبيرة على كتفيه، ج ـ ويمكن أن يحصل على مسدسين يضعهما على نطاقه، د ـ وخنجر كردي تقليدي يضعه على صدره، ثم عدا ذلك، نعم عدا ذلك

إنهم رجال يصولون ويجولون عندما يأتي أحد ما ولديه نية ما...

يجب عليَّ أن أكون دائماً في غاية الحرص، ليس فقط على التعرف على المشاكل بين العمال، بل إيجاد الحلول لها أيضاً، موضع منضدتي في الخيمة الذي يتيح لي أن أرى جميع النشاطات بين العمال، لم أختره بالصدفة. لقد أرسل لي المكتب سائقاً لأجل قيادة آلية كبيرة، رغم أنه ليست لديه أية معلومة عن هذه الآلية. ما أن امتطى هذه الآلية سرعان ما كاد يدهس أكثر من عامل من العتالة، الذين لم يقفوا مكتوفي الأيدي فتسلق (٣٠ ـ ٤٠)منهم الآلية وجروا السائق المغفل وأنهكوه بالضرب المبرح. جاء هذا المغفل المسكين إلى خيمتي، بالطبع عالجت جراحه ثم أرسلته إليه مرة أخرى، ولكنني أبقيت عيني عليه. عندما علمت فيما بعد أنه مسيحي أيضاً، علمت أن أيامه لدينا سوف لن تطول. وهكذا جرت الأمور أيضاً. أثبت أنه لا يفيدنا بصفة سائق، فوجب علي صرفه من العمل = واسترد المسلمون راحتهم.

لا تظنوا أني في طرف المسلمين، لا، لا، لكنني أيضاً لا أحتمل أن يسخر الإنسان ويذم دين الآخرين، وهذا بالضبط ما يقوم به مسيحيو هذا البلد فيما يخص المسليمين. ولهذا السبب تشرع السكاكين دائماً وتحدث

المشاجرات. بالنسبة لي بإمكان الجميع إذا شاؤوا أن يتشاجروا حتى يهلك بعضهم الآخر، فأنا لن أحرك ساكناً. خلال ذلك أصبح لدي تصور عن ملاحقة المسيحيين في روما القديمة. إني أشفق عليهم، ولكن لدي انتقادا تجاه المسيحيين: إنهم يتصرفون باستعلاء وبشموخ مبالغ، وهذه صفات ليست بحميدة. أنا لا أنحاز إلى طرف ضد طرف آخر وأريد دوما الحفاظ على موضوعيتي. مثال آخر من مجموعة حل الأزمات.

مترجمي سادار مسيحي. قبل فترة وجيزة كاد المسلمون أن يردوه قتيلاً من الضرب. كنت أراقب المشهد من بعيد، في النهاية أتى إلي مدمى الوجه، وقال: (سيد ويتمان، أنت أيضاً مسيحي، أليس كذلك، يجب عليك الآن أن تساعدني!) كان الجميع يقفون حولي، وهم مترقبون لما سأفعله في تلك اللحظة. ماالذي علي فعله؟. هنا قلت لسادار عن طريق حارسي علي سعيد أحمد: (أنت مسيحي سيء، وأنا لا أساعد مسيحياً سيئا، دع المسلمين بحالهم حينها لن يضربك أحد. الضرب الذي تلقيته للتو كنت تستحقه، فأنا رأيت كل شيء بالضبط) عزيزتي إيلا، لقد فغر فاهه وأصابه الإحباط ـ ومنذ ذلك اليوم أصبح سلوكه في غاية الاحترام، لم يعد يتمادى على المسلمين أو يتهجم عليهم، وأنا أصبحت مرتاح البال. لا

يزال لدي نموذج آخر عن (حل الأزمات)، وهو الإتصال بالشرطة، في هذه الحالة ليس فقط سادار سيضرب مرة أخرى من جديد، بل المسلمون ايضاً، وهذا بدون سبب.

عزيزتي إيلا، أنت لا يمكنك أن تتصوري على الإطلاق مدى الحقد بين هذين الدينين. التعصب وعدم التسامح يسممان التعايش السلمي، وهاتان الآفتان موجودتان للأسف في كل مكان. لا أستثني من ذلك الدول المسيحية الصرفة، أنا وأنت بالذات عايشنا مرحلة ما بعد الحرب بكل ما فيها من مرارة.

ماذا يفعل المرء عندما تشتكي الزوجات (رقم ١، رقم ٢ ، رقم ٣، إلخ) من قلة العناية من قبل أزواجهن؟ في الوقت الذي قامت الدنيا فيه ولم تقعد في مكتبنا، كنت أضحك من أعماق قلبي. بما ان جميع السائقين أصيبوا بالمرض إضطررنا لإحضار الطبيب المتعاقد العراقي الدكتور فايلينغر، وهو بالمناسبة ألماني. حقن الطبيب كل سائق إبرة، وإبرة أخرى بعد يومين، وأعطاهم إجازة مرضية لمدة أربعة أيام. فجأة سافر هؤلاء السائقون بسيارة الركاب إلى بغداد، ومن هناك ارسلوا تقارير طبية أيضاً تعلن عن إستمرار مرضهم (١٢) يوماً آخراً. هكذا هو الشرق الأصلي.

سيأتي ما هو أروع من هذا: وجب على الدكتور فايلينغر المجيء مرة أخرى، فحص المريض بكل دقة، أعطاه حقنة وكتب له إجازة مرضية لمدة ثلاثة أيام. أطلق العامل المريض الشتائم ومزق الإجازة المرضية، ثم ذهب إلى طبيب عراقي في السليمانية، وبعد عودته مساءً أظهر لنا إجازة مرضية لمدة عشرة أيام قامت القيامة في مكتب الشركة , بينما ضحكت أنا ولفتُ الانتباه هناك الى أنه أ) الانفعال فقط يضر بالصحة ، و ب) أننا لا نستطيع أن نغير من الأمر شيئا ، لأن قرار الطبيب ملزم

عاد خلال ذلك جميع المرضى الى العمل ، وهم يتجنبون اللقاء بي...

قصة عيد ميلاد المسيح في الانجيل وعلاقتها بالحكايات الشعبية التي كانت سائدة حينذاك، هذا كله معروف بالنسبة لنا. وهذا بالضبط ما يحصل عندنا هنا. بما أن المعهود هنا أنه يجب على الجميع أن يكونوا في قراهم، لهذا السبب كان بإمكان المرء أن يرى من يوم الأربعاء حتى يوم الجمعة ما يشبه هجرة حقيقية لشعب. كانت الشاحنات والمركبات الصغيرة والجمال والحمير والخيول والعربات تعج بالرجال والنساء والأطفال والأمتعة إلى درجة لم يتبق فيها مكان لحبة عنب. كانت صورة ملونة ورائعة. وماذا حدث بعد ذلك؟

مُنع تجول الأفراد والمركبات من الساعة الخامسة صباحاً حتى الخامسة مساء بهدف إحصاء كل شيء. هل نجح الأمر؟ أنا أشك في ذلك. واليوم يعود الجميع من جديد، والصورة ذاتها قبل عدة ايام تتكرر، مع فارق أن الناس يأتون من جهات مختلفة.

قبل عودتي من ألمانيا بيوم واحد فُقدت من خيمتي شبكة جديدة واقية من البعوض وبطانيتان جديدتان وشرشف ومخدة. كان الحارس نائماً فتم سوقه في الحال إلى مركز الشرطة. الخسارة كانت قيمتها معروفة، ولكن يجب ألا يتم تجاهلها. إذاً كان أول عمل وظيفي وجب علي القيام به هو الذهاب إلى مركز الشرطة وإبلاغهم: (خطأ من المكتب، تم العثور على كل شيء). نظر الحارس إلي بعيون تشع سعادة ـ ولكنه استعجل قليلاً بسعادته. عدنا إلى الخيمة وحصل الحارس على مسامحتي، إلا أني فرضت عليه تحمل ثمن الأشياء الجديدة التي اشتريناها عوضاً عن الأشياء المفقودة والبالغ (١٠) دنانير. وهذا يعادل راتب شهر بالكامل، ولكن الأهم من هذه الخسارة حقيقة أنه يمكنه العودة إلى العمل مجدداً. بعد حل المشكلة بهذه الطريقة المعروفة هنا جاءت تحيات الشكر القلبية من العمال الكرد. كانت وجوه العمال يغمرها الانفعال وتقول، يا

إلهي يجب علينا الآن أن نجتهد في العمل، ولكن الجميع يعلمون بأني كنت عادلاً وبأني أقف إلى جانبهم وأدافع عنهم.

قبل فترة قصيرة سافر ليلاً الألمانيان حوالي الساعة العاشرة إلى قرية قريبة فيها فرع لشركتنا من أجل إنجاز مهمة صغيرة، فاصطدمت سيارتهم بشاحنة عراقية. كانت النتيجة هي تحطيم كامل للعربتين، ولكن الألمانيان كانا محظوظين: تمكنت لقاء دفع مبلغ (١٥٠) دينارا من إخلاء سبيلهما من مركز الشرطة وجلبتهما إلى المعسكر.

يتجادل في الوقت الحاضر كبار رجال الدين والمشايخ حول أي يوم سوف يظهر هلال القمر في هذه الأيام، لأنه في ذلك اليوم سوف يبدأ العيد الإسلامي. جماعة تقول: (السبت في ٩/٢٧ والجماعة الأخرى ترد: (كلا، يوم الغد في (٩,٢٥)، لأن يوم الجمعة هو بكل الأحوال يوم عطلة، وهكذا سيكون هناك أمل بالحصول على يومي عطلة متتاليين. من المفهوم أن الجماعتين تفضلان يومي عطلة متتاليين. المستعجلون يقولون (٩/٢٥)، الجماعة الأخرى التي تحسب وفق اكتمال البدر الأوروبي تقول: (٩/٢٧). ونحن الأوروبيون صابرون ومستعدون لقبول ما يعرض علينا، المهم بالنسبة لنا أننا سنحصل على

العطلة. وفي يوم الخميس، قبل نصف ساعة من نهاية الدوام، علمنا أنهم اتفقوا على يوم (٩/٢٧)، حيث برأيهم يكتمل البدر. فيما يخصنا لا يهم، ما يهمنا هو أننا سنحصل على استراحة لمدة يومين كاملين.

وسرعان ما أتى إلي علي سعيد أحمد ليرجوني أن أعيره سيارة اللاندروفر لأيام العطلة المقبلة. قبل (١٤) يوماً تعرض شقيقه طه لحادثة في ورشة البناء أصيب بكسر في ساقه، وهو يريد أن يأخذه إلى بيتهم في قرية بوتشن في الجبال، وهي تقع مباشرة تقريباً على الحدود الإيرانية. رداً على سؤالي: (هل يوجد طريق على الإطلاق يؤدي إلى هذه القرية؟) أجاب بسرعة نسبية: (نعم). أعطيته موافقتي. كان يجب عليكم أن تروا تعابير وجهه عندما رآني في اليوم التالي صباحاً في اللاندروفر، وقلت له: (سوف آتي معك، أريد أن أرى الطريق.) صمت مطبق. دفعنا بالحمالة مع المريض داخل اللاندروفر، فجأة ظهر هناك أربعة رجال آخرون، وقال علي: (هكذا أفضل) لم يَرُق الأمر لي كثيراً.

وانطلقنا إلى عربت ومن هناك بإتجاه حلبجة، ثم تابعنا الطريق باتجاه الجبال. لمسافة (٢)كيلومترين كان كل شيء على ما يرام، ثم لم يعد أي آثر لطريق. نظر سائقي إليَّ، ونظرت أنا إليه. فهمنا بعضنا الآخر من دون

كلمات. عند الوادي الثالث اتجهنا إلى الأعلى يساراً، وفجأة توقفنا، إذ لم يعد بإمكاننا متابعة المسير بكل معنى الكلمة. عدا المريض وأنا، وجب على الآخرين النزول من السيارة وإزاحة الصخور والحجارة التي تسد الطريق أمامنا لمسافة (١) كيلومتر. فقط بعد عملية التنظيف هذه أصبح بإماكننا متابعة رحلتنا.

كان سائقي ينظر إلي فقط، دون أن يقول أية كلمة. كنت أشير له بساعدي الأيمن رويداً، رويداً. عندما وصلنا إلى ارتفاع (١٥٠٠) م لم يعد هناك فجأة سوى درب للحمير فقط بتعرجات ومنحنيات لا تنتهي، على يسارنا انحدار كالجدار بعمق (١٠٠) م مقابل ذلك كان إلى يميننا فقط صخور مرتفعة كالجدار. بين العجلات اليسرى والمنحدر لم تكن المسافة تتعدى (١٠)سم. وهكذا سرنا حتى وصلنا إلى إرتفاع (١٨٠٠) م. لم يكن هناك أي أثر لطريق. وبعدها رأينا فجأة إلى اليمين في الأعلى قرية في السفح الصخري، هذا يعني عدة أكواخ، وهي كانت قرية بوتشن.

أصبت بالذهول: لقد وصلنا إلى جنة صغيرة. رأينا أمامنا غابة من أشجار الكرمة الجميلة والشمس تعانق أشجار الدراق. كان عالما قائماً بحد ذاته. الناس هنا في الأعلى لم يسبق لهم أن رأوا سيارة على الإطلاق.

لو لم أسافر معهم لما اضطر الرجال لتنظيف الطريق من الحجارة والصخور، بل كانوا سيوقفون اللاندروفر ويحملون الحمالة مع المريض إلى القرية. هكذا أعلن مرافقونا. ولكني الآن هنا، وأنا مرتاح للحل الذي وجدناه.

كان يقف على سطح أعلى منزل حوالي (٥٠) رجل، وعدد كبير من الأطفال، والجميع يحدق بنا بدهشة. وعلى مدخل القرية كانت تجلس حوالي (٢٠ـ ٢٥) فتاة وهن يتجاذبن أطراف الحديث، وكن بلا حجاب وجميلات جداً. إنهن كائنات في غاية الروعة. إذا قام المرء بتلميعهن سوف تصبح كل منهن منافسة للإمبراطورة الإيرانية ثريا. رحب الشيخ علي سعيد أحمد، والد علي، بي بحفاوة. دخلنا في الأكواخ متسلقين ثلاثة سلالم إلى الأعلى، وأنا استمتعت بالمناظر الخلابة لأشجار الكرمة وبالوادي في الأسفل وبالصخور الشاهقة الارتفاع. بحركة من يديه أشار لي شيخ علي سعيد أحمد: (هذا كله ملكي)

السطح بأكمله كان مفروشاً بالسجاد العجمي الجميل. هب جميع الرجال وقوفا لدى ظهوري وبدأت طقوس الترحيبات الشرقية بالإنحناءات وعبارات الترحيب الكثيرة. صعدنا بعد ذلك بواسطة سلم إلى البيت الأعلى.

كان في الحوش حوالي (١٢) امرأة يطبخن الطعام، إلى اليسار منهن كانت زاوية الشاي، ثم بنفس الاتجاه تلي غرفة المؤونة.

النظام هنا يمكن أن يكون من صنع ربة منزل ألمانية. كل شيء مرتب ومصفوف بكل عناية ونظافة، التمور، الدراق والعنب، العسل والزبدة في جلود الماعز وأكياس القمح... إلخ. إلى اليمين من المطبخ كان يوجد غرفة كبيرة، وهي أيضاً مفروشة بالسجاد العجمي الجميل. أدخلوني إليها فاسترحت على هذا السجاد. كنت أرتدي بنطالاً طويلاً وقميصاً ابيض مع ربطة عنق وفوقه كنزتي المحاكة يدوياً. رغم الموسم الحار للسنة، فقد كان الجو هناك في الأعلى بارداً وحمدت الله أني كنت ألبس الملابس المناسبة.

أحضروا لي كبداية شاياً، ثم توالت المواعين النحاسية، بداية وعائين (مقطع كل واحد منهم متر واحد)، يحتوي الأول على الأرز والثاني على دجاج، ثم وعاء مليء بلحم الخروف وآخر بيضاً مسلوقاً، وآخر خبزاً، ثم وعاءاً يحوي لحم الماعز مع صلصة البندورة والبصل التي تحتوي الكثير من الفلفل والفليفلة. ولكن كان يوجد أيضاً وعاء فيه ماء من أجل غسل الأيدي، لأن تناول الطعام يتم بالأصابع.

أثناء ذلك أصبح عدد الرجال في الغرفة (٣٠) تقريباً، حيث جلسوا ملاصيق للجدران وراحوا ينظرون بدهشة كيف يمكن أن يتناول الجرماني الشيخ طعاماً كردياً حقيقياً. لم أتمكن من تناول الكثير، فقط دجاجة واحدة ونصف وعاء من لحم الماعز بصلصة البندورة والبصل، إنها ممتعة (كقصيدة شعر)، إضافة إلى الخبز و (٤) بيضات. لم أتناول من لحم الخروف والأرز سوى القليل. لقد كان طعاما رائعاً تم تحضيره في غاية المحبة والذوق. بعد غسل الأيدي قدموا لي قهوة شرقية ممتازة في فناجين رائعة. والآن أكلت حتى أصبحت أشبه كرة وزنها أطنان. والجميع منذهل حول إمكانياتي اللغوية.

لدى مغادرتي توقفت في الحوش وسألت عليًا خارقاً بذلك العادات: (من تخص هؤلاء النسوة؟.) هنا أجاب والده بفخر: (هؤلاء هنا زوجاتي، وتلك هن زوجات أبنائي، وهكذا فإن الله لم يرحمني، البقية هن بناتي.) لم أعلق على العبارة الأخيرة وقلت: (هكذا، أية منهن هي أم علي؟)، هنا بدت السعادة على امرأة، وسيد البيت قال: (هذه هنا). تقدمت منها خطوتين وإنحيت أمامها إنحناءة شرقية بحتة وقلت لها: (طعامك كان رائعاً)، وبإشارة من يدي إلى بقية النساء تشكرتهن وتوجهت إليهن مباشرة بالقول: (أولادكم جميعهم في غاية الجمال،

حمى الله أفراد عائلة علي سعيد أحمد جميعهن) غمرت السعادة وجوه النساء وتعالت عبارات الشكر والترحيب. كان الرجال سعيدين بوجود أول أوروبي بينهم وبالعبارات التي سمعوها منه.

أخذني الأب في الأحضان ورافقني بالكلمات الطيبة طوال الطريق، ثم رافقتني كل القرية إلى السيارة. غمرت السعادة علي بسبب الإنطباع الجيد الذي تركته لدى أهل قريته وبسبب سلوكي الطيب كأول أوروبي دخل هذه القرية. أعطوني كمؤونة طريق سلة تمر وسلة عنب وسلة مشمش وسلة تين وسلة دراق وسلة جوز، إضافة إلى ذلك أرسلوا معي كحماية خاصة أربع رجال من القرية كي يرافقوني ويؤمنوا وصولي إلى الطريق الرئيسية وخروجي من الجبال. في النهاية كان على هؤلاء الرجال أن يقطعوا طريق العودة إلى القرية سيراً على الأقدام لمدة ست ساعات. كم كان الرجال سيحتاجون من الوقت لو كانوا حملوا المريض على الحمالة سيراً على الأقدام؟ وعندما وصلنا إلى الطريق الرئيسية أعطيت سائقي مبلغ (٥٠٠) فلس وأنا في غاية الراحة لأنه عبر بي درب الحمير بأمان وسلامة.

عبر لي عبيد عبد الله وهو أول رئيس لسائقي الآليات الكبيرة عن طلباته الحالية، زيادة الراتب على

سبيل المثال، وغيرها. إنه إنسان مؤدب وطيب ومنفتح. يبلغ من العمر السابعة والعشرين تقريباً، وهو متعدد المواهب. عربي معتد بنفسه وطموح و.... إلخ. أستطيع دائماً التفاهم معه. عندما أتحدث معه، أفعل ذلك من حيث المبدأ ببطء، فهو ينظر باستمرار إلى فمي. ولكن عندما يتكلم عبيد معي أنظر دائماً إلى الأرض، لأنني إذا نظرت إليه أثناء ذلك فإنه يبدأ بالتلعثم في الحال، وهذا ما لا أريده لأنه بالنسبة لي شخص ذو قيمة كبيرة.

أمضيت عيد الفصح هذه السنة بطريقة مميزة بالكامل: وذلك في محكمة السليمانية. تعرض أحد موظفينا النمساويين لهجوم من قبل أحد السكان هنا. تم إخلاء سبيل المهاجم بعد أدائه القسم بالقرآن على أنه بريء، وحكم على الضحية بدفع غرامة قدرها (٣٥٠) فلس. لم يكن ذلك عادلاً، ولكنه يلائم الموقف الجديد. هذه المسألة لا تخصني، ولكني كمسؤول قسم أتحمل مسؤولية موظفي وعمالي، وبهذا أتحمل مسؤولية أخلاقية إزاء هذه الغرامة.

قبل فترة تسبب أحد سائقي شاحانتا بحادثة أدت إلى تلف الشاحنة بالكامل. السائق الألماني تعهد بأخذ الخسارة على عاتقه. بعدها سمعت أن مديرنا العام السيد هاوسمان أرسل إلى السائق فاتورة بقيمة (٥٨٤٠) مارك

ألماني، الأمر الذي حدا بي طرح السؤال الجاف: (منذ متى لدينا نحن صيدلية وأسعار صيدلية؟ أنا لا أصدق أنهم يقصدون بجد الحصول على هذا السعر الزائد إلى هذه الدرجة) لقد وافق على اقتراحي بأن يدفع بدلاً من المبلغ المذكور فقط مبلغ (٢٨٠٠) مارك ألماني. وبهذا وجب على الحمار ذي الساقين أن يوفر مبلغ (٣٠٠٠) مارك ألماني. كان يوم الجمعة، أخيراً أستطيع أخذ كفايتي من النوم ـ غير أني سمعت بالفعل طرقات على نافذتي. فتحت عيني وأنا لا ازال نصف نائم، وسمعت: (أريد ان آخذ حصتي من البحص!) ولكنني طلبت من الحراس إقصاؤه عن المعسكر. إلا أن نومي ذهب أدراج الرياح. بعد عدة ساعات جلسنا بعضنا أمام بعضنا الآخر وفي الحال بدأ يتكلم كالشلال: (لقد دفعت النقود، لماذا لا تعطيني البحص؟) تنفست عميقاً ثم ضحكت وقلت له بكل هدوء: (مكتوب في القرآن أن الله خلق ستة أيام للعمل ويوماً للراحة، عدا ذلك نحن نحتفل اليوم بعيد مولد محمد وعلينا أن نصلي، وعدا ذلك جميع الألمان نائمون، وإذا ايقظتهم سوف أتعرض لمصاعب جمة) رد علي بفظاظة: (أستطيع أن اقوم بكل شيء بنفسي أيضاً!) لكنه اندهش من جوابي عندما قلت له: (بالله عليك، أنت لست بأفضل من الآخرين. بدلاً من (١٠٠) متراً

سوف تحمل (١٥٠) متراً مكعباً، ثم سوف تحلف بالله العظيم بأنك حملت فقط (١٠٠) متراً مكعباً، ليس أكثر ولا أقل. أنت لا تعلم ما هو المتر المكعب ولا تستطيع القراءة والكتابة. عُد غداً في وقت غير وقت الصلاة) حتى انه اقتنع بذلك وإنسحب مع شاحناته الثلاث.

وهددت الحارس: (إذا تركت غريباً يدخل إلى المعسكر في مثل هذه الساعة المبكرة، وهذا في يوم مولد رسولنا محمد، حينها إما سأصرفك في الحال من العمل، أو سأفعل بك ما فعلته بحارس المولدة قبل ايام) وهذا كان مجدياً.

قبل عدة أيام استيقظت من النوم في الساعة الثالثة ليلاً وأنا مبلل بالعرق واكتشفت أن المبردة تضخ هواءاً ساخناً. إذاً نفد الماء من المبردة. ارتديت بيجامة الرياضة بسرعة وأسرعت إلى الأعلى إلى غرفة المولدة، فرأيت في الحال أحد الحراس جالساً على سطح غرفة التجهيزات، وعندما لمحني أراد أن يهرب بلمح البصر، لكنني ناديته: (تعال إلى هنا، تعال، عليك أن تتعاون معي وإلا حَذارِكَ أن تصدر مجرد صوت واحد.)

انظروا إلى هذا، عليه أن يراقب الجو بينما حارس المولدة مستلقٍ على الأرض البيتونية ومكّورٌ جسده مثل علامة الاستفهام ويغط في نوم عميق. كانت عجيزته جاهزة للتلقي! بكل ما لدي من قوة ركلته ركلة على

قفاه. كان نومه عميقاً بحيث إنه احتاج بعد الركلة إلى أربع ثوانٍ حتى صدر منه ردة فعل ونهض واقفاً. غطاء رأسه انفك ونزل على وجهه بحيث حجب عن عينيه الرؤية. وعندما أدرك من الذي يقف أمامه راح يدور حول نفسه حوالي عشر دورات كالقرد الذي لا يعرف أين هو ولا ماذا يجري. وطوال فترة دورانه كان يضع يديه على عجيزته. أخيراً تمكن من إدراك الموقف وعاد إليه رشده. ركض إلى لوحة مفاتيح المولدة وأدرك أنه ثمة شيء لا يسير على ما يرام، عاد بعد لحظات وصرخ (لا يوجد ماء) انطلق كالصاروخ، جلب الحارس الاحتياطي لمساعدته في إعادة تشغيل المولدة.

قفزت جانباً لأني توقعت ما سيحدث الآن، لقد ضغط قبل عدة دقائق مضخة زيت المحرك ــ والآن نفر الزيت وغطى وجه هذا الناعس. تم ملء خزان الماء في فترة قصيرة، وعادت المبردة تضخ هواءاً بارداً من جديد، وأصبح بإمكاني العودة إلى السرير. ضحكت في السرير على كل ما جرى، ولكن الأمور تجري رغم كل شيء.

جاء في اليوم التالي الطباخ صابر وسألني فيما إذا كنت قد ضربت الحارس. من دون أن أنطق بأية كلمة دفعت صابر باتجاه الورشة العليا وهناك رويت له كل قصة المغامرة الليلية. الحارس المسكين لم يحك أنه ضبط

نائماً، ثم أضاف: (تلقي ركلة على العجيزة أفضل من الفصل من العمل) فيما بعد روى الحارس لصابر بماذا ركلته، وهذا نال إعجاب صابر.

الملابس الصحيحة

لقد تعودت على فصول الطقس هنا، فأنا عايشت هذه الفصول عدة مرات فصلا بفصل. درجة الحرارة في هذه اللحظات (نحن في شهر أيلول) في النهار عند الظهيرة تبلغ (٤٠) درجة، وهو حر محتمل. إلا أن الليل بارد بدرجة حرارته التي تنفخض إلى (٢٨) درجة. عندما أضطر إلى الخروج من المنزل في الصباح الباكر يجب أن أرتدي كنزتي الصوفية فوق القميص وسترة فوقها. حوالي الساعة السابعة أستطيع أن أنزع السترة، وبعد قليل الكنزة الصوفية أيضاً. درجة حرارة الظهيرة في هذه اللحظات التي تبلغ حوالي (٤٠) درجة رائعة، إنها ليست حارة ولا باردة. عندما يقترب المساء يجب أن تكون الكنزة الصوفية والسترة في متناول يدي. إحدى المرات باغتني قبل الظهر إنخفاض جوي في درجة الحرارة في قسمي. انخفضت درجة الحرارة إلى (٢٨) درجة. بدأت أرتجف بشدة. أسرعت إلى البيت وارتديت سروالاً داخلياً

طويلاً وكنزة صوفية وسترة فوق القميص. فأنا لا أرغب أن يصيبني البرد.

في البداية كان لدي مشكلة مع الحذاء. كم سخرتم مني عندما إشتريت الحذاء الخشن والضخم. اليوم أعلم كم كان شراؤه ضرورياً، وأنه كان ينبغي علي شراء زوجين منه. التصليح الأول الذي أجريته للحذاء كان سيئا جداً بحيث يقشعر بدن كل إسكافي ألماني لدى رؤيته. ولكن لدى الإسكافي الثاني كنت محظوظاً أخيراً. لم يكلفني تبديل الكعب والنعل إضافة إلى الواقيات المعدنية سوى (٣,٢) مارك ألماني. هذه المرة سوف ينزع الإسكافي الألماني قبعته أمام هذا الإنجاز الرائع ونوعيته المهنية. رغم ذلك لدى زيارتي القادمة للوطن افصل زوجين من الأحذية وفق المقاس الدقيق لأرجلي حتى ولو بلغ ثمنهما (٥٠) ماركا ألمانيا. يجب أن افعل ذلك. بفضل عنايتي الجيدة لا زالت أرجلي بحالة جيدة رغم الرمال.

جواربي ايضاً لا يمكن القول عنها بأنها في افضل حال. من أجل موسم البرد لدي جوارب رياضية تدفئ القدمين جيداً، وهي مصنوعة من صوف الغنم والتي يرتديها الكرد هنا. إنها خشنة وتسبب الحكة قليلاً ايضاً. إلا أنني سرعان ما اعتدت عليها، المهم إنها تدفئ أقدامي

جيداً. أحد أصدقائي الكرد من الموصل يريد في أول زيارة لبيته أن يحضر لي معه من هناك كنزة ذات قبة عالية محاكة من صوف الغنم. قال لي إن سعرها ملائم ولا يتجاوز أكثر من (٣) دنانير. وسوف يسأل كم يبلغ ثمن صديرية مبطنة بصوف الغنم. أنا بحاجة لمثل هذه الصديرية. سمعت للتو من التاجر "ساكو" أن باخرة جديدة أفرغت حولتها في البصرة، التي تحتوي إضافة إلى البضائع الأخرى جوارب هنغارية، يبلغ سعر الزوج منها (١٢٠) فلساً. لا بد أن يصل يوماً ما جزء من هذه الحمولة إلى الأعلى هنا ويتدحرج إلى كردستان.

تحدث هنا في شباط تقلبات في الفصول والطقس. الليالي قارسة البرودة وتنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر. عندما أخرج في الصباح من المنزل يجب أن أرتدي ملابس دافئة، فأرتدي إضافة إلى القميص الكنزة والسترة، وبالطبع بنطالا طويلا. أتمتع بالنهارات عندما تبلغ درجة الحرارة في الظل إلى (٣٠) درجة، إنه دفء لذيذ، عندها أخرج من خيمتي لأول مرة من دون سترة. اعتباراً من الساعة السادسة عشرة (الرابعة عصراً) يجب جلب السترة وإرتداؤها. إذا لم يكن المرء مستعداً لهذه التقلبات الجوية فإنه سرعان ما يصاب بنزلة برد.

صديقي، الملا

عبر السنين بنيت علاقة صداقة حميمة جداً مع هذا الملا من (ياكشي). ربما تتذكرون: أتى إلي قبل حوالي ثلاث سنين عندما كان مريضاً وكان يريد (هذا المرهم الأبيض) أي البنسلين.

جاء إلى معسكرنا قبل مدة لأجل موضوع عمل خالص. بعد تحية (السلام عليكم) المعتادة وكل ما يليها من عبارات الترحيب التي تقال في مثل هذه المواقف، أتى بعد نصف ساعة إلى الحديث عن سبب زيارته الفعلي (كم هي اجرة آلية كبيرة من آلياتكم في الساعة؟)، دهشت قليلاً وقلت (مع سطل الجرف (٧) دنانير، وبدونه (٥) دنانير في الساعة.) فكر قليلاً ثم قال: (أريد حفر بئر هناك في الخلف)، وأشار بيده بإتجاه تقريبي، ثم تابع قائلاً: (سوف يستغرق ذلك قرابة ثلاث ساعات، كم تريد مقابل ذلك؟)، قلت: (٣٦ دينارا) قال: (هل

يمكن ذلك مقابل ٢٠ دينـارا أيـضاً؟) قلت: (لا يمكـن، ٣٦ دينـار ويجب أن تـدفع مقدماً)، قـال: (سـوف نتحـدث في الموضوع مرة أخرى) قلت: (كما تـريد) إنهم يريدون كـل شـيء مقابل لاشـيء. بعـد عـدة أسـابيع أسـتأجر الآليـة الكبيرة بشكل نظامي مع سطل جرف، اتفقنا فيما بيننا على سعر (٢٨) دينارا.

لقد عرفت وتعلمت الكثير من هـذا الرجـل الـذكي. شـرح لـي إحـدى المـرات تـاريخ ميزوبوتاميـا القـديم والتـاريخ الإسـلامي أيـضاً، ووصـفه لـي بـأدق التفاصيل. قمت بتدوين بعض الملاحظات والمخططات، الأمـر الـذي يشعره بالاعتزاز دائماً، والآن سوف ألخص لكـم ماشـرحه لي:

كـربلاء هـي المدينـة المقدسـة بالنـسبة للمـسلمين في العراق، هذا يعني بالنسبة للشيعة، الذين يعود أصلهم إلى علي صهر النبي محمـد. بعـد مـوت محمـد في سـنة (٦٣٢) ميلادية حـصل نـزاع بـين أتباعـه. لم يكـن لمحمـد أولاد، ولكن كان لديه ابنتان، رقيـة وفاطمـة. الـصغرى فاطمـة كانت متزوجة من ابن عـم أبيهـا علـي. مـن هـذا الـزواج أنجبت ولـدين: الحـسن والحـسين. تـوفي الـنبي محمـد مـن دون أن يسمى أحد خليفة له.

تم انتخاب أبي بكر بعد ذلك، وهو أبو زوجة محمد الثانية عائشة. كان قائده الأول خالد، الذي أسماه المسلمون (سيف الله المسلول)، لأنه نشر الإسلام عبر الحروب التي قادها. توفي أبي بكر فأصبح خليفته عمر الذي اغتيل في المدينة. فأصبح الخليفة عثمان، الذي كان زوج ابنة محمد الكبرى رقية. جرت إزاحة عثمان والآن أصبح علي هو القائد. نازعه على هذه القيادة الخليفة الأموي. لجأ علي إلى العراق. ولكن حماته عائشة هاجمت عليا وقادت جيشا ضده. يقال إن الجمل الذي كانت تمتطيه من كثرة السهام التي أصابته أصبح يشبه الخنزير البري. اسر علي حماته عائشة وأرسلها إلى المدينة. من طرف آخر اختلف علي مع الخليفة معاوية وتعرض للاغتيال في الكوفة. نشأ صراع بين الابن الثاني لعلي (الحسين) بدعم من أتباع الشيعة ويزيد خليفة معاوية، وانتهى بمذبحة كبيرة في كربلاء.

في مذبحة كربلاء هذه سقط الحسين قتيلاً، وتم إرسال رأسه إلى الكوفة. تعتبر بالنسبة للشيعة، الذين يشكلون جماعة كبيرة من المسلمين، أسماء علي والحسن والحسين مرتبطة بمذبحة كربلاء ولا يمكن فصلهم عنها. يحج كل سنة آلاف الحجاج من جميع البلدان الإسلامية إلى جامع الكوفة الضخم، إلى النجف وكربلاء

كي يصلوا على قبور هذه الشخصيات التراجيدية. من بين هؤلاء الحجاج السنويين ايضاً شاه إيران وزوجته الإمبراطورة ثريا. توجد هناك أثمن الكنوز التي تجمعت من الهدايا التي يجلبها الحجاج، كما يقال أيضاً أن قبب الجوامع هناك مغطاة بصفائح الذهب الخالص. الفرس الذين يسكنوا هناك بينهم أفضل صاغة الذهب والفضة. حتى قبل عشر سنوات كانوا يطوفون سنويا برفات جثة الحسين بلا رأس، الذي هو حفيد النبي محمد، عبر شوارع المدينة المقدسة وأثناء هذا الطقس تدرك الحجاج (الحالة) وهم يرددون باستمرار (يا حسين، يا حسين) يمنع التصوير اثناء هذا الطقس.

بالضبط هكذا روى لي الملا قصة الشيعة. أتمنى أن تسمعوا قدر مستطاعكم، أنت وبيترا، قصص تاريخ ميزوبوتاميا المليئة بالأسرار وتطلعوا على ما جرى قبل قرون عديدة في هذه المنطقة وكيف كانت.

كما حكي لي شيخ (ياكشي)، اسمه الحقيقي بالمناسبة حسين: كانت بغداد فيما مضى قرية صيادين على ضفاف دجلة وأصبحت في أقصر وقت أكبر نجمة. الخليفة العباسي الثاني المنصور (٧١٢ــ ٧٧٥ م) بدأ في بناء هذه المدينة سنة (٧٦٢) م. وإحتاج إلى (٤) أعوام كي يتم بناء بغداد. (بالمناسبة، العباس كان عم الرسول). أبو حنيفة،

الذي قبره اليوم موجود في الهاشمية، أدار عملية البناء التي احتاجت إلى (١٠٠٠٠٠) عامل ومراقب ومعلم بناء. ويقال أن أبا حنيفة سرق من مدينتي دمشق والكوفة أجمل قطع الزينة ليزين بها مدينة بغداد.

تحت قيادة هارون الرشيد (٧٨٦ــ ٨٠٩ م.)، حفيد المؤسس المنصور، بلغت بغداد أوجها. يقال إن هذا الخليفة هارون الرشيد جمع ثروات طائلة. وجعل من مدينة بغداد مركزاً للثقافة الإسلامية. وكانت الحفلات التي أقامها أسطورية. يحكى أن زوجة هارون الرشيد زبيدة أخذت معها ثلاثة ملايين دينار في رحلتها إلى مكة للحج. وقد تم بناء حمامات على طول الطريق إلى مكة بهذه الأموال، من أجل أن تتمكن السيدة زبيدة من الوصول إلى مكة وهي نظيفة. ولا زالت هذه الحمامات حتى اليوم صالحة للاستعمال.

أقيم حفل زواج ابن هذين الإثنين المأمون، وقد وقف فيه مع زوجته على بساط من الذهب. ونثرت فوق رأسي هذين العروسين الشابين آلاف من أغلى وأفضل اللآلئ في العالم. جرت حفلة الزفاف هذه في قصر الخليفة (بقاعة الشجرة). كان يوجد في هذه القاعة شجرة بالحجم الطبيعي، غير أنها كانت مصنوعة بالكامل من الذهب والفضة، والطيور الواقفة على هذه

الشجرة كانت مصنوعة من الجواهر. كانت جميع هذه الثروات تجلب بالسفن عبر نهر دجلة إلى الأعلى. كانت بغداد في تلك المرحلة مركزاً للفنون والعلوم. وكما هو معتاد اختلف الأبناء الثلاثة بعد موت الأب، ونشب صراع فيما بينهم انتهى بانتصار الخليفة المأمون.

احتل هولاكو، ابن أخي جنكيزخان، بغداد سنة (١٢٥٨ م.) ودمرها. وجرت تصفية جميع أتباع العباس، ويقدر عدد من قتلوا بـ (١٠٠) ألف قتيل. سنة (١٤٠٠ م.) عاد المغول مرة أخرى، ولكن هذه المرة تحت قيادة تيمورلنك الأول. هذا الهجوم أتى على ما تبقى من مدينة بغداد. لم يعد من شواهد هذا العصر الذهبي لمرحلة حكم هارون الرشيد سوى المسجد القديم. ولكن عندما ينظر المرء إلى الآثار المكتشفة للحضارة البابلية، حينها يستطيع أن يكّون انطباعاً كيف كانت بغداد ذات يوم.

حال وصولي إلى بغداد قمت بزيارة متحف غرترود بيل (المتحف الوطني ـ المترجم) في بغداد وتفحصته بكل دقة. أصابتني بالدهشة فرادة هذه الآثار المكتشفة البالغة القدم في الماضي السحيق، التي تجعل المرء يفكر مرة أخرى في ذلك العصر: شظايا حجرية من رأس سيف فارس صليبي، التمثال الأسود للملك حامورابي مع آلة

الجنك (hange) من بلاد أور، المدونات على الألواح الفخارية البابلية، كما يرى المرء هناك كتابات من العصر البابلي القديم والحديث والباكر إضافة إلى العصر الآشوري.

إذا سافر المرء من بغداد بالسيارة نحو بعقوبة سوف تظهر أمامه التلال التي غطاها الكلدانيون الأوائل، وهي أبراج عبادة تسمى الزقورات. من بين هذه المكتشفات يوجد المكان الذي كان ابراهيم العبري يقطن فيه والذي اتجه منه إلى حران على ضفاف الفرات الأعلى، أي إلى ميزوبوتاميا. عندما أرى هذا كله أشعر بأني صغير جداً. يذكر في الإنجيل القديم أن تجوال الأب الأول للبشرية (آدم) بدأ في هذه المنطقة. والآن يرقد كل شيء تحت رمال الصحراء.

كشف النقاب سنة (١٩٢٧) عن مقبرة ملك أبارغي الشهير وسيكوباد المليئة بالكنوز الذهبية. وجميع هذه الأشياء الثمينة، كالخناجر ورؤوس الأسود الذهبية ورؤوس الثيران وضعت إلى جانب قلائد الزهور الذهبية في الخزائن الزجاجية في متحف غرترود بيل هذا في بغداد. يرى المرء هناك الواح جلجامش الفخارية، الذي كان ملك أوروك. كتب على هذه الألواح أن أوتونبشتم كان آخر من عاش من الناجين في سفينة نوح. يحكى أنه

لم يطلق فقط الحمام والغراب من السفينة، بل السنونو أيضاً. ثم يرى المرء هناك من عصر حامورابي البابلي، الذي يقال إنه عاش في عصر إبراهيم، عمودا من الغرانيت نحت عليه بالخط المسماري أكثر من (٣٠٠٠) سطراً تجسد القانون البابلي. يحكى أن حامورابي كان رجلاً بارعا جداً.

الآشوريون، الذي يوجد منهم الكثيرون هنا في الأعلى، كانوا يشكلون قبل حوالي (١٢٠٠) سنة قبل الميلاد قوة عظمى. تحت قيادة الملوك آشور ناصربال وسالامانو الرابع وتغلات بلاسر الثالث وسرجون الثاني وابنه سناحريب (الذي دمر بابل) في الفترة الواقعة مابين (٨٠٠ ــ ٩٠٠) قبل الميلاد تشكلت جيوش عالية القوة والتنظيم. كان ظهور الإشارة النارية على الجدار في ذلك العصر أثناء حكم القيصر نابونيدوس وإبنه بيلشاصر، تلك التي تنبأ عبرها الرسول دانيال بانهيار الإمبراطورية الآشورية. وقد تحقق ذلك عبر كورُش حوالي سنة (٥٣٩) قبل الميلاد. يردد الناس هنا حتى اليوم: (حيث يضع الآشوري قدمه لا ينمو العشب) يقال أيضا عن الآشوريين إنه جرى نفي وإبادة شعوب بأكملها تحت قيادة ناصربال الثاني، وجرى ترحيل الحثيين من الجبال الكردية، والآشوريين من الجنوب، إلى سورية، بالضبط كما فعل

الملك نبوخذنصر مع يهود مملكة يهودا بعد أن امتنعوا عن تأدية الضرائب التي اتفق الملك نبوخذنصر معهم على أن يدفعوها له. إذا كان يوجد أيضاً قبل حوالي (٢٠٠٠) سنة مشاكل لاجئين.

ماذا تبقى من كل عظمة هذه المدن، نينوى وبابل ونمرود، ومن أور الكلدانيين ومن كيش وآشور؟ لا شيء، فهذه المدن أصابها الخراب وغمرتها الرمال بالضبط مثل سدوم وعمورة. مجرد حكايات قديمة، آثار وأساطير يحيكها لي شيخ ياكشي بأسلوب رائع ودقيق. وبينما كان يحكي لي بحماس لا ينضب أبداً، كيف كانت الأيام الغابرة في هذا البلد، البريق الذي يشع من عينيه يثبت لي كم يحب بلاده.

بينما كان يحكي لي حكاياته الرائعة، كانت الأمطار في الخارج تهطل بشدة والرياح تعصف بدرجة (١٠). كان علي حسن محمد يمسك بأوتاد الخيمة كي يحول دون أن تقتلعها الرياح وتطير من فوق رؤوسنا. أيام مثل اليوم تمتعني بشكل مضاعف، إنها تخلق أجواءاً لحكايات من هذا النوع، وتوضح أمام عيني فوق أية أرض أعيش وأعمل. وصديقي القديم شيخ حسين يقول لي باعتزاز: (لقد كان هؤلاء الكلدانيون فنانين كباراً، الذين أحيوا بابل نبوخذنصر الجديدة بإبداعاتهم. كانوا أساتذة

الشكل وأصحاب إبداعات فنية حقيقية لا يمكن أن يلحق الضياع بها. فقط مدينة واحدة بقيت حية: أربيل. إنها مذكورة في الإنجيل بإسم أر ـ با ـ إيلا. تقع هذه المدينة التي يسورها جدار قديم فوق تلة يرتفع (٣٠) متراً. من الواضح أنه لا تستطيع أية مدينة الصمود لآلاف السنين، وهكذا هو حال أربيل أيضاً. استخدم البشر الأساس الذي كان قد تدمر في إعادة البناء كل مرة من جديد. وهكذا نتج عن ذلك أن مدينة أربيل توسعت وازداد عدد سكانها عبر مئات السنين. حصل سكان هذه المدينة على المياه من الآبار والأقنية المتوفرة داخل جدارها. فلم يكن بوسع اي عدو خارجي أن يتسبب بالعطش والجوع لأهل هذه المدينة.

كما حكى لي الشيخ حسين: آوت أربيل عبر مئات السنين لاجئين مشهورين. هرب داريوس إلى أربيل بعد أن خسر معركة أمام الإسكندر المقدوني الكبير، وأن الإسكندر الكبير هذا مدفون في أربيل. وأن السلطان صلاح الدين الذي حارب الصليبين سكن في أربيل لفترة ما. حتى أن المغول لم يتمكنوا من احتلال أربيل واضطروا إلى تركها وشأنها.

هذا المسن الطيب الحكيم، شيخ ياكشي حسين حكى لي حكايات جيدة وجميلة وقديمة كثيرة عن هذه

البلاد. إذا سنحت لي الفرصة مرة أخرى بإمتلاك الوقت الكافي مثل اليوم فسوف أحكي لكم أيضاً قصصاً أخرى، كي تسمعوا عن بلاد ألف ليلة وليلة هذه، عما جرى في الماضي وما يجري اليوم، أنتم أعزائي الذين تعيشون ظروفاً سياسية صعبة.

أعود إلى تحذيري وأحكي لكم اليوم قصة خيول كما رواها لي شيخ حسين وكتبتها. السماء تبرق وترعد في الخارج. والمطر يهطل كما لو أن السماء تفرغ سطولاً من الماء وتحول الطبيعة حولي إلى بحيرة من الماء. ولكن هذه الغيوم الرعدية برعدها وبرقها تخلق مرة أخرى بالضبط تلك الأجواء التي تفتح قريحتي للكتابة. أثناء المطر أنال الراحة ولا يجب علي الخروج إلى العمل. هذا الهواء المليء بالأسرار والسماء السوداء كالغراب، هكذا كان الطوفان وهنا شيد نوح سفينته. كلما سمعت وعرفت أكثر، فهمت الناس هنا أفضل وازداد ونما احترامي لهم ولثقافتهم.

تروي إحدى الأساطير هنا في الشرق، بأن الله عندما أراد خلق الحصان، تكلم إلى الرياح قائلاً: (أريد أن أصنع منك كائناً من أجل أن يحمل من يعبدني. هذا الكائن يجب أن يحبه عبادي ويحترمونه، وأولئك الذين لا يتبعون تعاليمي يجب أن يخافوا منه) من ينظر إلى

الحصان العربي بإمعان يدرك المغزى العميق لهذه الكلمات. أنا تكون لدي الاعتقاد أثناء ذلك، بأنه لا يوجد أنبل من هذا الكائن، هذا الحصان العربي النقي العرق المتحدر من أحدى القبائل الخمسة الشهيرة هذه، الرائع في جماله وقوامه الملكي. إنه يشبه بحركاته أنثى فتية مقاساته رشيقة. عيونه حيوية وذات تعبير بليغ، وأذناه رقيقتان، ورقبته طويلة وتشبه الرياح. إذا قلت لأحد عمالي: (ماذا ستفعل إذا أعطيتك مبلغ (٢٠) دينار الآن هدية؟)، الجواب الفوري سوف يكون: (سوف أشتري حصاناً عربياً من أحدى هذه القبائل الخمسة) هذه القبائل، أي الأعراق الخمسة هي: قبيلان، صقلاوي، عبيقان، حمادي، وعبدان. هذه الأعراق الخمسة هي أنبل الأعراق التي خلقها الله. العربي يقول: أصيل = نبيل.

هذا هو حلم العربي، بعده فقط تأتي المرأة. من بين هذا الأعراق الخمسة تتمتع المهرة الصقلاوية بالموقع الأول. كما لاحظت في أغلب احتفالات الزفاف: يأتي الضيوف وهم يمتطون الخيول، في مقدمتهم الشيوخ فوق الخيول العربية، الصقلاوية، وعلى صدورهم أحزمة طلقات الرصاص، والبنادق معلقة بشكل مائل على أكتافهم. وكيف يرقصون بخطوات بديعة وحركات رائعة. جلد الحصان يلمع وفق موقع الشمس في السماء

ويتغير من الأصفر حتى الأحمر. يصبح المرء هنا من عشاق الخيول الحقيقيين، فأنا لا أترك فرصة تسنح لي إلا وسارعت إلى ركوب الحصان. أنا لم أكتب لك عن ذلك حتى الآن لأني أعرف أنك تخافين من ركوب الخيل. أرجو ألا تقلقي. يا عزيزتي إيلا، على المرء أن يتعامل مع الحصان بكل بساطة كما يتعامل مع المرأة: برقة وحماية، ومع الإطراء، وبين الفينة والأخرى بتقديم قطعة من السكر. قبل فترة وجيزة كنت أريد الذهاب في السابعة صباحاً إلى الشيخ وسؤاله عن شيء ما. هو ذاته لم يكن موجوداً، ولكن دزينة من الكلاب تكلفت بالقيام بضجيج صاخب بعوائها. كانت تقف أمام البيت امرأة كردية رائعة الجمال. أثناء إرتباكي بالكلاب سألتها:

(بحق الله، كيف تدبرون أموركم مع هذا القطيع الكبير من الكلاب)، الجواب الذي تلقيته منها بسرعة بديهية مذهلة جعلني أشعر بالحيرة: (وهل ولدتها أنا في هذا العالم؟). أثناء طريق عودتي مررت براعي أغنام كردي. الموسيقى التي كان يعزفها بنايه لامست شغاف قلبي.

عرفت من الشيخ أيضاً، لماذا لا توجد غابة في العراق. الألواح الفخارية المكتشفة في نمرود تشير إلى أن منطقة ميزوبوتاميا، كما في فلسطين والأردن كانت تحتوي في

العصور الآشورية والبابلية على عدد كبير من الغابات. الحاجة الماسة إلى الأخشاب شجعت على إنهاك قوى الغابات وفنائها. ثم أضاف مبتسماً: (تصوَرْ ـ أيها المحترم ـ، إذا قمنا أنا وأنت مساء اليوم بغرس شجرة وعلم بذلك عربي واحد، كن على يقين بأننا في الصباح التالي سوف نجد عوضاً عن الشجرة جثث عدة رجال، تعاركوا فيما بينهم وقتل بعضهم الآخر من أجل هذه الشجرة)

على سؤالي حول الوثيقة التي يستخدمها البدو الرحل أثناء عبورهم الدائم للحدود في عدة اتجاهات، أجابني: (لا يهتم أولئك الناس بوثائق العبور على الإطلاق)

توجد أيضاً بين الشيخ وبيني هواية مشتركة: إنها العمل في الحديقة. كل يوم أفرح بالفترة من الساعة الخامسة والنصف حتى الساعة السادسة والنصف. لأن البرنامج يتضمن في هذا الوقت (العناية بالحديقة) يجري رش العشب بالماء، وري الورود، ولا أنسى الأشجار. بعض شجيرات الورود لا تريد أن تتفتح بالكامل، ذبلت أوراقها وأصبح بعضها مصفرة. ولكن بفضل ريها المستمر انتصبت أوراقها وعادت خضراء من جديد. أشجار الطلح والصنوبر تتفتح بشكل الجيد. تفتحت في إحدى أشجار الطلح منذ يوم الأمس زهرتان رائعتان. عند مخرج

المرآب إلى هذه الحديقة الرائعة وضعت باباً مزدوجاً من الشبك المعدني الدقيق. الآن نستطيع ترك باب المرآب مفتوحاً كي نستمتع بالهواء الطلق، من دون أن تتسلل الحشرات إلى الحديقة. كما بنيت منصة من أجل لعبة كرة المضرب، وبهذا أدخلت السرور إلى نفوس اصدقاء الرياضة بيننا.

صديقي الآغا الكردي

بدأت العلاقة بيننا منذ خمس سنين بطلبية حجارة بسيطة من متعهد محلي. اليوم بعد مضي سنوات عديدة، أعلم كيف كان اللقاء الأول مع صديقي في المستقبل. اسمه الآغا نامق مصطفى. الآغا هو شخصية تتمتع بنفوذ واسع، يستطيع المرء أن يقول ايضاً، إنه في مقام أمير. بكل الأحوال وزنه أميري بقوامه الذي يبلغ (١٨٠ سم). عبر علاقاتي مع هذا الأمير الكردي عرفت ذات مرة كيف يمكن أن تكون الضيافة والصداقة الكردية، وإلى أية درجة تبلغ من الكرم والمحبة.

لدى الآغا نامق اسرة كبيرة نسبياً. أعمار زوجتيه (٥٥ و ٣٠) سنة. لم يكن لديه أكثر من زوجتين أبداً. جميع أفراد اسرته ينظرون إليه بصفته السيد، والجميع فخور به. لقد عرفني بذاته على كل أفراد أسرته.

كلما جئت لزيارته اصافح كل زوجة، وكل مرة يسرهم مجيىء ويقبلن كتفي دلالة على الإحترام، بينما أنا بصفتي موضع احترامهن، أقبل رؤوس النساء، وأثناء كل ذلك أضع يدي اليسرى على قلبي وأقول مع إنحنائة رشيقة (خوش حال) تشرفت. وكل مرة ألتفت إلى الآغا وأعبر له عن فائق احترامي لزوجاته الجميلات (فعلاً)، وهو يغمره السرور والانفعال كل مرة. لديه عنبر كامل من الأطفال. فيما بعد علمت أن معظم هؤلاء الأطفال هم أبناء وبنات إخوته وأخواته. إضافة إلى هؤلاء توجد أيضاً أربع نساء وأربع فتيات من أجل خدمة المنزل.

بينا توجه زوجاته جميع الخدم في أعمال الطبخ والغسل والخدمة، نجلس أنا والآغا في حوش بيته الرومانسي. تؤمن لنا العديد من أشجار النخيل والتين الضخمة الفيء البارد، ومياه النبع تخرخر وتجري وتنشر برودة أخرى. جلسنا على كراسي منخفضة ومريحة ورحنا نتحدث عن الأيام القديمة. إنه يحبني منذ عدة سنوات، وأنا بدوري أكن له نفس الشعور. ثقته بي لا حدود لها.

في زيارتي الأخيرة له، أراني مع زوجته الأولى كل غرف منزله وكل زاوية فيه. بعدئذٍ همس بشيء لزوجته، ثم هو ذاته انسحب إلى داخل المنزل. هنا

قادتني زوجته من يدي، وغادرنا المنزل مروراً بقطعة أرض ودخلنا في مغارة بين الصخور. توقف الزمن: إنه زمن ميزوبوتاميا في عصوره الأولى. عندما عدنا إلى المنزل، ذهبت إلى سيد البيت، أنحنيت أمامه وقلت له فقط: (نامق آغا) عرفت الآن، إنك فعلاً آغا حقيقي* تسميته بالسيد نامق لم تعد ملائمة. مثل هذا السر يكشف عنه المرء فقط أمام صديق حقيقي، عندما يثق به ثقة عمياء. ذكروني في عيدالميلاد كي أروي لكم حول هذه الموضوع بقية القصة.

في وقت لاحق كنا نجلس أنا ونامق آغا في مكتبي وكان لدينا إحدى الطلبيات لننجزها، عندما أخبروني: (سيد ويتمان توجد سيدة مسنة تريد أن تكلمك). الآغا وأنا دهشنا فعلاً وتبادلنا نظرة تساؤل، وخرجنا معاً من المكتب.

---

* أمضى والدي عيد الميلاد سنة (١٩٥٩) معنا في المانيا، وعندما سألناها عن نامق آغا، سمعنا منه ما يلي: إن مغارته المحفورة في الصخور والتي تسمى (غرفة ميزوبوتاميا) كانت مستودعا للأسلحة، كل مغارة تفضي إلى مغارة أخرى، وجميعها مليئة بشتى أصناف الأسلحة، جميعها أسلحة روسية. قال والدي أيضاً: الآن أعلم أنه سوف يحدث هنا يوماً ما بالضبط ما حدث في سدوم وعمورة. أنا أخاف على صديقي الآغا).

المرأة كانت تبدو هرمة جداً. إنها في الأربعين تقريباً بلا أسنان وخداها موشومان، وفي طرف أنفها الأيسر حلق. ثدييها متهدلان إلى الأسفل إلى درجة أن المرء يستطيع أن يعقدهما حول ظهرها. كانت قذرة وبدينة جداً وتفوح منها رائحة لا تطاق. ولكن عينها تبدوان خداعة وفي طرف فمها سيكارة أيضاً. وسرعان ما أطلقت في الحال مطالبها: (كلابكم قطعت أحد عجولي، أريد منكم (٣٠) ديناراً. إذا لم تدفعوا هذا المبلغ سوف أذهب إلى الشرطة وإلى المحكمة في السليمانية). لم أصدق ما تسمعه أذناي، لكني بادرت إلى التصرف في الحال: صباح هذا اليوم كان عجل ملقى على الطريق مسافة (٢) كيلومترين من هنا، وقد صدمته شاحنة. فسألتها بكل احترام: (أين بالضبط جرى تمزيق العجل؟) الجواب كان (هناك بالطبع ، حوالي ٥٠م بعيداً من هنا), قبل أن تكمل كذبتها قطعت عليها الطريق: (هذا الكلام لايصدقه أي عاقل) وإذا لم تغادري المعسكر في الحال فسوف أزج بكِ في السجن. لكنها أصرت على ادعائها رغم تفنيده من قبل سائقي.

هنا تدخل نامق آغا واستخدم عبارات لا أعرف سوى جزءه منها فقط. ثم أعطى المرأة الهرمة (١٠٠) دينار، فغادرت والفرحة تغمرها. لم أفهم منطق هذا التصرف،

ولكن نامق آغا أطلق ضحكة فقط وقال: (سيد ويتمان، إنها بحاجة للنقود, الناس هنا لا يملكون النقود، إن الله يجد دائماً طريقاً. شيء واحد يجب ألا يفوتك: اسمي يفرض عليَّ فروضه) هذا هو الشرق الأصيل. لم يعد بوسعي الضحك.

في مرة أخرى أتى إلى مكتبي من دون سابق تخطيط وفاجأني أثناء كتابة رسالة إلى إيلا ـ زوجتي. هنا طلب مني السماح له أيضاً بكتابة رسالة لك. كتب بخط جميل ونظيف وواضح رسالة، ليس باللغة العربية وإنما باللغة الكردية، إلا أن اللغتين تكتبان بنفس الأحرف. كان فخوراً جداً بكونه كتب رسالة لسيدة ألمانية، لزوجتي أنا. مضمون الرسالة على الشكل التالي تقريباً:

(السيدة ويتمان، طاب صباحك، وليحل السلام عليك. نحن ننظر إليك وننتظر خروجك قريباً من المستشفى. بعد مضي وقت قصير، حوالي (٥٦) يوماً سوف يكون السيد ويتمان في عيد الميلاد معك. أتمنى لك حظاً سعيداً والسلام طوال الوقت. السيد ويتمان يتحدث عنك كل يوم، إنه بحاجة إليك وإلى ابنتك وهو لا ينسى أبداً زوجته وابنته بيترا. سيدة ويتمان أرجو أن تكتبي لي، لا يهم ماذا. اكتبي لي باللغة الإنكليزية. الرجاء أن ترسلي لي السيد ويتمان قريباً. مدام، السيد ويتمان هو

بالنسبة لي بمثابة أخ في العراق في كل الأوقات. ليحل السلام عليك دائماً.

التوقيع: الآغا نامق مصطفى)

أليست هذا رسالة رائعة؟ يجب أن تراعي في ردك عليها ما يلي:

عليك إرسال التحيات إلى زوجاته وأطفاله، ولكن لاتتطرقي إلى عددهم. اسألي عن حال المنزل والأشقاء والأعمال. وتوجهي بالدعاء إلى الله كي يحمي رخاء العائلة وصحتها، وأن يبعد عنهم قبل كل شيء الشرور.

كلما جلسنا عند صديقي الآغا في الحديقة حدثني دائماً عن شعبه والاعتزاز يشع من عينيه. تعود حضارة الكرد إلى التاريخ القديم، حتى يمكن القول إن هذه الحضارة هي أقدم من الحضارة السومرية مع الشخصية الأسطورية جلجامش ملك أوروك، إنها تعود إلى (٣٠٠٠) سنة قبل ميلاد المسيح. كتبت الأساطير والملاحم التي تتحدث عن نشوء الشعب الكردي بالتفصيل الدقيق، من أجل أن تطلع عائلتي أيضاً على هذه الأساطير والملاحم، وهذا أيضاً يثير اعتزاز صديقي الآغا:

(كان يوجد في قديم الزمان ملك ظالم ومستبد اسمه الضحاك من بلاد شهرزور. كان الملك الضحاك يعاني من مرض مريع: لقد نما على كل كتف من كتفيه ثعبان أوتنين. من أجل تهدئة تلك الوحوش وجب عليه أن يقدم لها يومياً دماغ طفلين لتلتهمه أصاب اليأس والحيرة رعيته، لأنه لم يعد هناك أطفال. فلجؤوا إلى الحيلة: بدلاً من أدمغة أطفالهم راحوا يذبحون الخرفان الصغيرة ويطعمون الثعابين والتنانين أدمغتها. الأطفال الذين جرى إنقاذهم بهذه الحيلة كانوا يرسلونهم إلى الجبال، الموطن الحقيقي لكل كردي، فكانوا يعيشون هناك بأمان. وهذه كانت بداية تشكيل الشعب الكردي.

في هذه البلاد، شهرزور، كان يعيش كاوه الحداد وكان موضع احترام وتقدير. وجب عليه التضحية بثمانية من أطفاله. وبدون رحمة سلبوه أيضاً الطفل التاسع والأخير. كان هذا الاضطهاد والذل أكبر من أن يتحمله كاوه الحداد. تمكن من حشد الجماهير، واجتاحوا معاً قصر الطاغية. كان كاوى شخصياً هو من قتل الملك الضحاك بضربة من مطرقة الحدادة خاصته. وخلص بذلك شعبه من هذا الشريرة)

حدث كل ذلك في (٢١) آذار في السنة (١٢٣٤) قبل الهجرة، اي ما يعادل تقريباً (٦١٢) قبل الميلاد. وقد كان

بالضبط (٢١) آذار سنة (٦١٢) قبل الميلاد، عندما هوجمت العاصمة الآشورية ودمرت. كان المهاجمون هم الميديين، الذين يتكلم الكرد حتى اليوم لغتهم. هكذا تروي الأسطورة.

إنه لا يتعب ايضاً من رواية القصص عن أشهر الشخصيات الكردية في كل العصور. السلطان صلاح الدين، يوسف بن ايوب، المعروف باسم السلطان صلاح الدين (١١٣٧ــ ١١٩٣ م). وهو معروف بإيمانه وعدالته وحماسته للعقيدة الدينية. صلاح الدين كان هو الملك الذي انتزع القدس من أيدي الصلبيين، ونال عن جدارة لقب (سيف الإسلام).

منذ مدة طويلة لم أتحدث عن صديقي الآغا. لدى عودتي إلى العراق لم أكن أعلم أن صداقتنا الحميمة بينه وبيني ستتطور إلى هذا الحد. أثناء ذلك أصبحنا أيضاً في سنة (١٩٦٢). لدينا الآن هنا خمسة أيام متتالية هي عطلة ما يسمى العيد. وكما في كل عام يجري الجدل حول اليوم الذي سيبدأ العيد فيه. علماء الفلك يحسبون، يطرحون ويجمعون، ثم جاء الإعلان الرسمي بطلقات المدافع وأصبح لدينا خمسة ايام إجازة العيد. منذ اليوم الأول للعطلة تأنقت وتوجهت لزيارة الآغا نامق. غمرت السعادة وجهه لدى رؤيتي. قدم لي ابنه الصغير آوات

بكل اعتزاز، الذي كان يرتدي الملابس الكردية. إنه فتى رائع يتحدث العربية كما يتحدث الكردية. كان الآغا يود الحديث في الشؤون السياسية، ولكني كنت أتهرب منه، فابتسم وراح يحكي لي وانا أستمع إليه بكل دقة.

بعد سنة توفي صديقي ناميق آغا. لقد تم كشف علاقته مع رجال الملا مصطفى البرزاني. أنا أستطيع التخمين فقط بأن الآغا أثناء التحقيقات معه لم يعترف بأية معلومة. النتيجة: قطعوا له لسانه وأحرقوه. بعد فترة نقاهة طويلة عاد يصدر صوتاً، ولكن لم يعد يتمكن من التعبير. وأصبح يرافقه باستمرار رجل من أفراد أسرته. بعد ذلك وجب عليه الدخول إلى المستشفى بسبب مرض بسيط. هناك زرته أيضاً. عندما خرج من المستشفى أطلق عليه النار من الخلف في مدخل المستشفى. كنت أعلم أن زوجتيه الإثنتين كانتا حاملتان. أنتما تعرفان أني كنت دوماً محايداً، ولا أنحاز إلى طرف دون الآخر. ولكن يوجد دائماً حالات استثنائية. نامق آغا كان صديقي. لقد توليت أمر وصول كل زوجاته إلى قراهن في الليل الضبابي. كنت ملزماً بواجب الصداقة هذا تجاه الآغا. افتقد صديقي الآغا جداً.

كرم الكرد
وتعلقهم العاطفي

تنتقل مدينة الخيام الخاصة بكاملها كلما انتقل المركز الرئيسي للقسم الذي أديره في الشركة. إذا أصبحت المسافة بعيدة كثيراً عن المعسكر، أظل عند الظهيرة في الصحراء. صحيح أن طعام الغداء يكون في الخارج بسيطاً، ولكن رغم ذلك يتم إعداد مائدة جميلة. حراسي يعلمون أنه يجب أن يكون دائماً باقة زهور على الطاولة حسب موسم السنة، وأني لا أتناول طعاما من دون أن يكون هناك غطاء للطاولة. بالنسبة لي من المهم أن أعيش بين جدراني الأربعة وفق طريقتي حتى ولو كنت بعيداً عن الوطن. بعكس وقت الظهيرة في المعسكر حيث يقرع بابي دائماً، لا يزعجني هنا في الخارج أحد في خيمتي أثناء نوم ما بعد الظهر. في حالة عدم تجاوز درجة الحرارة ظهرا (٢٨ ــ ٣٠) درجة، لدي في الخيمة

دوماً بطانية صوفية. والشبكة الواقية من البعوض تحميني من جميع أنواع الحشرات الطائرة، بينما يحرص حارسي المخلص عبدا لقادر معروف على ألا يزعج نومي لا إنسان ولا حيوان، وهذا يعني الثعابين. إنه فعلاً حماية في منتهى الإخلاص تجاه سيده.

نصبت قبيلة هادئة من البدو خيامها (١٠٠)م بعيداً عن خيمتي , وهي من مناطق كركوك. سوف أقدم لكم إحصاءاً صغيراً عن هذه القبيلة. يتبع هذه القبيلة (١٠٠) جمل و (٤٥٠٠) رأس غنم وحوالي (٥٠٠) بقرة و (١٠٠٠) ماعز وحوالي (١٠٠) حمار والعدد المطلوب لذلك من الكلاب، إضافة إلى عدد كبير من الأطفال والنساء الذين يعملون من بزوغ الشمس حتى غروبها دون كلل أو ملل، فينسجون البسط والسجاد من شعر الماعزة وصوف الأغنام. في الوقت الذي يجلس فيه الرجال يشربون الشاي ويحكي بعضهم للبعض الآخر الحكايات ويتداولون الشؤون السياسية. يوجد هناك حركة ذهاب وإياب دائبة.

بصفتي جارهم كنت لديهم ضيفاً ثلاث مرات، كل مرة لمدة ساعة. كان الحديث كل مرة مفيداً وممتعاً. الشاي والخبز واللبن يجعلون الحديث أكثر إثارة. إحدى المرات كان حوالي (٣٠) رجلا يجلس في نصف دائرة أمام

خيمتي، شيخ القبيلة كان يتوسطهم. كانوا يريدون الحديث معي. كان حارسي قرب النار يقوم بإعداد الشاي. هذا العدد الكبير من كؤوس الشاي استعارها من هؤلاء البدو. إذاً الدردشة يمكن أن تبدأ.

بشكل مبدئي يتكلم شيخ القبيلة فقط، وجميع الآخرين ينصتون. الموضوع الرئيسي كان (العراق وألمانيا). لم أرتح لهذا الموضوع، لأنني أصبحت أعرف هؤلاء الأخوة هنا، وأردت أن أصل إلى نهاية هذه الموضوع، ويجب علي ذلك بأسرع وقت ممكن، ولكن كيف؟ من دون أن يدري شيخ القبيلة مهد لي جسراً للوصول إلى ذلك، عندما سألني عن أدولف هتلر قائلاً: (إنه لا يزال حياً، أليس كذلك؟) أجبته (كلا، لقد أطلق النار على زوجته وعلى نفسه، وتم حرق جثيتهما بالبنزين وفقاً لأوامره مسبقاً. وهكذا، فهو الآن ميت). خيم صمت الأموات على الجميع ودهشة عدم تصديق! نهض الجميع في ذات الوقت، ألقوا التحية واختفوا جميعهم في الحال. وأنا أصبح بإمكاني متابعة عملي من جديد. تكتنف شخصية هتلر هنا بمثل تلك الأساطير! إنهم مقتنعون بالفعل أنه لا يزال حياً، ولا يريدون تصديق أنه مات بالفعل.

قبل عدة أيام كنت مدعواً لأول مرة لدى الشيخ غفور. إنه واحد من الكرد القلائل الذين يهتمون بسكنهم بشكل خاص. يبلغ من العمر (٢٦) عاماً ويشبه جواهر لال نهرو إلى حدما. إنه مؤدب جداً ولطيف وتبدو عليه الكياسة، وشعرت بجاذبية إليه. وهو المالك الوحيد لمناطق كبيرة تضم عدداً من القرى الكبيرة والغنية. مكانة هذا الشيخ و دائرة نفوذه تتناسب مع المساحات الشاسعة لأراضيه.

لفتت أنظاري ألوان السجاد الشرقي البديعة في بيته، وكذلك طقوس الترحاب كانت مؤثرة للغاية. ثم بعد ذلك الطعام ! مُدّ على السجاد الشرقي البديع غطاء بلاستيكي بمساحة (٢×٣) م فقط لنا نحن الاثنين. وضعت فوقه قرابة (١١) وعاء، فيها دجاج ولحم غنم وعجل وأرز، وبجانبها أنواع مختلفة من الصحون، ولأول مرة في العراق أرى الشوكات والملاعق على المائدة.

وقبل الطعام أحضر الخدم أوعية فضية تحتوي ماءاً حاراً من أجل غسل الأيدي. من أجل الاحتياط جلبت معي مترجمي باولوس، كي لا أفوت كلمة مما سيقول لي هذا الشخص المهم. صحيح أني أصبحت أستطيع المحادثة خلال هذه المدة، ولكن إمكانياتي اللغوية ليست إلى هذه

الدرجة من الكمال. تناولت ما فيه الكفاية من الطعام، كما لو أني لم أتناول الطعام مدة أربعة أسابيع

ما لم أنوه به قبلا هو أن: مترجمي باولوس يتقن الإنكليزية والفرنسية والعربية والكردية، عدا اللغة الألمانية! باولوس كان مع الجنرال رومل ثلاث سنوات أثناء حملته في أفريقا!

الشيخ غفور كان يريد تشييد طاحونة تعمل بالدفع المائي، ويريد شراؤها من ألمانيا، ورجاني مساعدته في ذلك، وأنا ساعدته عن طيب خاطر. كما سبق وذكرت أنه بارع جداً. التقيته للمرة الأولى قبل قرابة السنة. جاء إلى قسمي صاعداً وهو يمتطي جواداً وبرفقة كلبه الأفغاني. وبالرغم من أنه دعاني واستضافني مرات عديدة ومنذ زمن طويل، ولكن من طرفي لم يتح لي الوقت لدعوته. لدى هذه الوجبات الطويلة يحتاج المرء إلى وقت أطول مما يحتاجه لتناول وجبة الغداء في ألمانيا. الأمر الذي اثار إعجابي دائماً في هذا الشيخ، أود أن أقول تقريباً، هو الهدوء النبيل الذي يشع منه.

بعد عدة أيام مررت عبر قرية (sareicn) سارايان، هنا أوقفني الشيخ غفور وسألني عما إذا كان بالإمكان أن آخذه معي إلى السليمانية. حمل فريقه إلى السيارة الحقائب والصناديق والراديو والدجاج والبط والأوز وما

شابه ذلك. يا إلهي، يا إلهي، أنا أعلم أن سيارة اللاندروفر خاصتي واسعة، ولكن كم يتسع فيها من أشياء بالفعل، هذا عرفته الآن. بعد الـ (٥٠) مترا الأولى كانت المفاجأة الكبيرة ووجب علينا أن نتوقف: قفزت دجاجتان بريتان من إحدى السلات وابتعدتا باتجاه الجبال. اضطررنا للعودة إلى سارايان، وجميع الرجال في سارايان خرجوا للبحث عن هاتين الدجاجتين البريتين. إيلا، لو رأيتي هذا الكرنفال لكنتي مُتي من الضحك.

تصوري (٢٠٠) رجل يركضون كالدجاج المذعور خلف دجاجتين من النوع البري، صعوداً وهبوطاً على الجبال، ثم يعتقدون أنهم وجدوهما، ولكن سقط (٥٠ ــ ٦٠) رجلا في الأوحال. صعدنا أنا والشيخ إلى أعلى تلة ورحنا نراقب المنظر من هناك. كانت ابتسامة غامضة تشع من وجهه وأنا لا أكاد أستطيع الوقوف من شدة الضحك. وهنا أخيراً طارت هاتان الدجاجتان الطائرتان بارتفاع (٢) متر فوق رؤوس الرجال وحطتا فوق السيارة على غطاء المحرك. هبط الشيخ وذهب بروح هادئة إلى السيارة، أمسك بالدجاجتين ووضعهما في السلة من جديد، وكأن شيئا ما لم يحصل. والرجال أصابتهم الحيرة. فلا أحد منهم يدري إلى أين طارت الدجاجتان.

ثـم اكتـشفوا أن الـدجاجتين موضـوعتان في الـسيارة، واعتقدوا أن الأمر برمته كان مجرد مزحة من سيدهم.

أثناء ذلك شرح لي الشيخ غفور ببـالغ الهدوء: (لـدي هاتان الدجاجتان منذ سنين، وهما ليستا معتادتين على السفر بالـسيارة، لهـذا الـسبب أرادتـا أن تـسلما سـاقيهما للريح. وأنـا أعلـم بـأن الـدجاجات تتعـب وتنهـك عنـدما تتعـرض للملاحقـة، وفي النهايـة تعـود إلى النقطـة الأولى التي انطلقت منها، حتى ولو استمر الأمـر سـاعة كاملـة. رجالي لديهم الكثير من الوقـت والـركض يفيـدهم) مـاذا تقولي إزاء هذا الموقف؟ فيما يخصني أنـا، لم أعـرف مـاذا علي قوله، وفكرت قائلا في نفـسي: (يـا إلهي، مـاذا دهانـا نحن الأوروبيين الكافرين).

الحادثة التالية ليست بأقل طرافة: علي سعيد أحمـد أصـبح أبـاً لتـوأمين. يـوم إعطـاء الأطفـال الأسمـاء، بعـد ولادتهـم بثمانيـة أيـام تلقيـت الـدعوة لحضور المناسبة، لكني لم أذهب. كلفت أحد الزملاء بـشراء نونيـة (وعـاء لتبول الأطفـال) بورسـلان صـنع (ينـا) (مدينـة في شـرق ألمانيـا شـهيرة بهـذا البورسـلان والـذي أخـذ اسمـه منهـا المترجم) كهدية.

بداية مزحنا وضحكنا ثـم قلنـا: (إذا كـان لـدى المـرء شـيطانان فإنــه بالتأكيـد سـيحتاج إلى مثـل هـذه الأداة)

أرسلت خادمي علي عبد الكريم إلى الأب الشاب كي يقدم له هدية السيد ويتمان. عاد إلى الخادم عند المساء وهو يحمل لي عبارات الشكر الجزيل. بعد عدة أيام جاء علي سعيد أحمد لزيارتي، وهو يحمل مرة أخرى عبارات الشكر الجزيل من زوجته على تلك الهدية الثمينة، و (الطعام أصبحت طعمته ألذ، إنه وعاء طبخ بديع!) هنا أصابتني صدمة وكادت تطيح بي أرضاً، فقلت له: (علي، هذا الوعاء هو من أجل أن يجلس فوقه الأطفال في الليل لأجل...)، ولكنه هز رأسه فقط وقال لي: (لا يمكنني تصديق أن الألمان يفعلون هذه الفعلة في أوعية طبخهم!) أنا استسلمت، وأثناء ذلك تسحر زوجة علي سعيد أحمد لعليها وأطفالها الوجبات العراقية في نونية من بورسلان "ينا" صحة وعافية. نادراً ما ضحكنا مثل هذا الضحك.

القصة لا زال له جزء مكمل لا يقل عنها طرافة. ذهبت إلى السوق في السليمانية، فجأة اقترب مني أحد التجار، قبل يدي وأراد أن يقبل قدمي، الأمر الذي تمكنت من تفاديه، وراح يشكرني. من أجل ماذا؟ وهكذا أرغمني على الدخول إلى متجره، وأثناء تناول الشاي حكى لي ووجهه يشع بالسعادة: (قبل مدة طويلة باعني شخص ما حمولة كبيرة من أوعية بورسلان "ينا" وهي

تأخذ مكاناً ثميناً في مستودعي ولا أحد يريد شراءها وكم دعوت إلى الله كي يرسل لي من يشتريها، ثم جئت أنت، سيد ويتمان، وأهديت زوجة علي سعيد أحمد واحداً من هذه الأوعية البديعة. والآن جميع جارات علي سعيد أحمد يردن شراء نفس وعاء الطبخ الذي لدى زوجته. جميعهن أتين إلى متجري، وأنا بعت أخيراً كل ما لدي من هذه الأوعية. لهذا السبب أريد أن أشكرك).

إذاً أدخلت السعادة بالنونية هديتي هذه إلى قلب علي سعيد أحمد وزوجته، وقلوب جميع الجارات والتاجر! كنت مضطرباً إلى درجة لم أعد أدري ما الذي كان علي شراؤه من السوق. عدت إلى المعسكر وأردت الاستمتاع بكأس من الشاي، لم أجد مطرقة تكسير السكر - السكاكر كنت قد نسيتها. وضعت قطعة السكر بين ركبتي ورحت أنشر منها شظايا سكر بالمنشار. ولكن العيش بدون سكاكر جريمة.

أحد مراقبي العمال لدي محمد علي من (نومال) حصل على إجازة مرضية مدتها (١٤) يوماً مقابل دفع دينار واحد، وهو يعلم بأن أيام الإجازة المرضية تدفع أجرتها بالكامل. وبما أن خادمي توفيق مريض أيضاً، كان يجب علي تنظيف غرفتي بنفسي، ثم أخذت دوشاً.

وأحضر محمود القهوة. كان يوم جمعة، وهذا يعادل يوم الأحد (يقصد يوم العطلة في ألمانيا ــ المترجم) كانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً حين قُرِع الباب، ودخل محمد علي من (نومال) يحمل بيده اليسرى دجاجتين مكبلتي الأرجل، وباليد اليمنى صرة قماشية فيها عشرة بيضات. نزع حذاءه واستراح فوق سجادتي. أود أن أترجم لكم الحديث الذي دار بيننا مباشرة بالألماني (سيد ويتمان، المرض انتهى، غداً أود العمل).

ــ (وصحتك؟ هل أنت على ما يرام؟ لا شيء ينقصك؟)

أعطيته سيكارة وكأس كوكاكولا مع الثلج. ثم راح يجول ببصره في أنحاء غرفتي وشعر بالراحة كوني لم أعد للحديث عن (المرض) مرة أخرى. وهكذا غادر الغرفة، وعلى السجادة ترك الدجاجتين والعشرة بيضات خلفه. كانت هذه طريقته في التعبير عن شكره وارتباطه العاطفي بي.

يمدني الشيخ غفور بشكل منتظم وبكميات كبيرة بالفواكه. موقع القسم الذي أديره من الشركة يقع حالياً بالقرب من منزله مع الزوجة الأولى. وزن القطعة الواحدة من البطيخ الأحمر يصل إلى (١٥) كيلوغراماً، إضافة إلى هذا تصلني دائماً سلال مليئة بالبندورة

والخيار، وبدون أن ننسى (٢٥) كيلوغراما من العنب، الذي أكلت بنفسي منه (١٠) كيلوغراما. أما بقية الخضار والفواكه أوزعها على الآخرين دائماً. عدا كميات كبيرة من الفواكه لا أستطيع أن آكل شيئاً آخر في درجة الحرارة المرتفعة هذه. وهذا على ما يظهر جعلني ضعيفاً، لأني أشعر بالتعرض لنزلة برد وما شابهها ولكن الدكتور ماشكه يأخذ أمر إصلاحي على عاتقه.

التعلق العاطفي لدى الكرد يمس شغاف القلب، ولكن بعض الأحيان أود ليّ أعناقهم بسبب هذه الصفة. تمام الساعة السادسة صباحاً سمعت قرعاً قوياً على الباب، رغم أنه يوم العطلة وأنا أستطيع فيه أن أنام على راحتي أخيراً، فتحت الباب غاضباً من هذا الإزعاج ولدي نية في أن أرمي المزعج إلى أخر المعمورة، فرأيت أمامي خادم خيمتي أبو بكر بوجه بشوش مع (٤) دجاجات وإوزة واحده و (٢٠) بيضة وعشر علب من السكاكر! رغم ذلك صرفته وعدت في الحال إلى السرير، ولحسن الحظ تمكنت من النوم بسرعة مجدداً. نهضت في الساعة العاشرة و ذهبت لتناول الفطور. فرأيت المفاجأة كاملة على طاولتي: (٤) دجاجات وإوزة و(٢٠) بيضة و(١٠) علب سكاكر، الدجاج والإوزة كالمعتاد مقيدة الأرجل.

سوف يسحرلنا المشرفون على المطبخ وجبات لذيذة من هذه المفاجأة.

عند اقتراب الظهر سافرت من دون سائقي نحو السليمانية وكنت على عجلة قرب مفرق معمل الإسمنت كانت خمس نساء ينتظرن سيارة ركاب، توقفت قربهن، ولكن عندما تعرفن عليَّ، أنا الكافر أجلس لوحدي في اللاندروفر، ترددن بالصعود. إلا أن حركة دعوة صغيرة بيدي سهلت عليهن الصعود إلى السيارة. السير مسافة (٦٠) كم ليس سهلاً. أصغرهن، عمرها (١٤) سنة تقريبا جلست في الأمام بجانبي. كانت تضحك ولكنها تغمض عينيها. قدمت لكل واحدة منهن سيكارة مما كسر جدار الجليد فيما بيننا، على الأقل قلت أنا لهم: إنني ألماني. فبدؤوا يتحدثون فيما بينهن طوال الطريق. عندما وصلنا إلى السليمانية أنزلتهم من السيارة، وأصغرهن بجانبي خطفت يدي بغته وقبلتها ثم قالت: "ألماني زور باشه، ألماني زور ممنون" = ألماني! جيد جداً، شكراً جزيلاً، جيد جداً. بالنسبة لي كان هذا بمثابة حادثة لا تستحق الذكر إلا أنها تبعث السرور في النفس، وأصبحت أملك تجربة جديدة أخرى

فجأة ظهرت في مرأبنا (٤) نساء مع (١٢) طفلاً. كان الجميع يرتدون ملابس جميلة ويبدون نظيفين وتبدو

عليهم ملامح الجمال. سألتهم إلى أين يودون الذهاب. في الواقع "سرضجنار cHorsHina بعيدة جداً، وهكذا وضعتهم جميعهم في اللاندروفر وانطلقت بهم إلى نقطة الهدف. النساء الأربع جميعهن بَدَوْنَ سعيدات ومرحات. الأطفال جلسوا في الخلف والرضع في الأحضان. التفكير بسير هؤلاء الأطفال الصغار كل هذه المسافة البعيدة على الأقدام سبّب لي الألم. فيما بعد أتى إلي أحد عمال مستودعنا وشكرني لأنني أقليت زوجاته وأطفاله بالسيارة. كأن صاعقة أصابتني. هل كل هذه النسوة هن زوجاته وهؤلاء الاثني عشر طفلاً أطفال هذا العامل النحيف في مستودعنا. وقلت له أيضاً: "الآن أفهم أيضاً، لماذا أنت مريض دائماً، وفي النهار كسول"، وهو ابتسم فقط.

ولكن عزيزتي إيلا، هذا الرجل يعتني بزوجاته، فهو نظيف وملتزم وسعيد ويشكرهن على كل خدمة يقدمنها له. إذا استمر سنتين أخريين على هذا المنوال سوف يصبح لديه سرية حماية كاملة من الأطفال. وهذا كله يحدث في غرفتين.

التعلق العاطفي ودفء المشاعر أراهما في مختلف المواقف. كانت الساعة السادسة، وأنا كنت بعدُ في فرعنا،

وكان خادمي الإيرانى الصغير بكر قدم لـي للتـو قهوة رائعة في خيمتي، هنا توجه اهتمامي إلى الخارج:

كان صبي كـردي صغير يقترب باتجاه خـيمتي وهـو يمتطي حماراً ويبدو ممتلكا زمـام أمـور حمـاره. اقـترب الاثنان أكثر فـأكثر، فاسـتطلعت أن أراقـب الموقـف بـشكل أفضل. بينما كان يمسك بإحدى يديه بالحمار، كان يلـوح باليد الأخرى برسالة ويكرر هاتفاً:

"سـيد ويتمـان، سـيد وتيمـان" وناديتـه بـدوري "اقـترب" قفـز الكـردي الـصغير أمـام خـيمتي إلى الأرض بسرعة البرق، أدخل يده في صديريته وأخـرج كالـساحر كمية من البريد، إنه بريد الحمـار الـسريع، أربـع رسـائل وصحيفتين ألمانيتين.

سـاعي البريـد الـصغير هـذا لا يتجـاوز عمـره التـسع سنين. وكان ساعي بريد بارع، بكل سرور نظرت إلى هذا الصبـي. امتطى حماره ولكزه فانطلق بـه كـالبرق، لكنـه كان يلتفـت باتجـاهي وينظـر إلـي عـدة مـرات، هـل كـان السبب يا تـرى هو خوفه مـن أن أسـترد منـه البخـشيش؟ عنـدما وضـعت في يـده قطعـة الخمـسين فلـسا نظـر إلـي نظرة شكر وامتنان، ولكـن أيـضاً عـدم تـصديق، كأنـه لم يسبق لـه أبـداً أن رأى مثـل تلـك القطعـة مـن النقـود في يده الصغيرة.

العمل في المطر والماء وفي المستنقعات

أثناء فترة عملنا ننال نصيبنا طوال السنة من المعاناة من كل نوعٍ وصنف. حرارة الفرن وبرودة القطب المتجمد، ولكن من الماء أيضاً. ولكن لا تتصوروا أن هذه الحالات تحدث مثلما يجري في ألمانيا، هذا يعني عندما تمطر ينتعل المرء ربما جزمة مطاطية، وربما تكفي ايضاً مظلة واقية من المطر جيدة.

عندما يهطل المطر هنا، حينها تنفتح خراطيم السماء بالمعنى الحرفي للكلمة. الماء لا يستطيع الجريان بنفس السرعة التي يهطل بها من السماء. الأخاديد الجافة عادة في الصحراء وعلى سفوح الجبال تمتلئ بلمح البصر وتتحول إلى أنهار جارفة. الأمر هو من ناحية على الشكل التالي: في مثل هذه الأيام لا نستطيع استخدام العربات الثقيلة، ولذلك لا نستطيع العمل أيضا.

ولكن ما هو أسوأ من التوقف عن العمل هي الأضرار التي تنجم أثناء استراحتنا الإجبارية التي تتسبب بها ضخامة أذى الطبيعة. أنا شخصياً لا يؤثر فيّ موسم الأمطار هذا على الاطلاق. أثناء النهار الحرارة لا ترتفع أكثر من (٣٥) درجة مئوية، وهذا ببساطة أبرد مما يجب.

قبل أن نبدأ ببناء الطريق الفعلية يجب علينا أغلب الأحيان "شق طريق" مساعد. عشر ساعات من المطر المتواصل كفيلة بأن تلحق الخراب الكامل بمثل هذا (الطريق المساعد) رغم متانته. جلست على ضفة اخدود كان صغيرا في العادة، ووجب عليّ أن أرى بأم عيني كيف جرف التيار الجارف هذا (الطريق المساعد) قطعة قطعة. وقف على الضفة المقابلة عدد من سكان الجبال الذين كانوا يريدون السفر إلى السليمانية، ولكن من دون فائدة، خيبة أمل بالطبع. إحدى ورشاتنا لبناء جسر بالقرب من منطقة (طق طق) جرفها السيل بالكامل ودمرها، لم يبق هناك أي شيء على الإطلاق. بلغت قيمة الخسائر حوالي (٦٠٠) ألف دينار عراقي، وهذا يساوي (٧,٢) مليون مارك ألماني. تكفلت الدولة العراقية بتعويض هذه الخسارة ودفعتها بالكامل.

قبل عدة أيام كان الأمر مختلفاً. في البداية هبت عاصفة تشبه الإعصار، وفي الختام هطلت الأمطار. بداية

اقتلعت الرياح خيمتي مثلما فعلت بخيمتي الحراس وحملتها وطيرتها في الهواء كالألعوبات ثم مزقتها إلى نتف - وأنا كنت مستلقياً تحتها.

لم تكد تلك المرحلة تمضي عندما التفتُ إلى خلفي رأيت الصحراء اللامتناهية خلف مستودع وقودنا تحترق. فكرت كم هو جيد أني أصر بشكل دائم على أن تكون صهاريج المياه لدينا مملوءة. خلال نصف ساعة كانت النار قد أخمدت. كانت وجوهنا جميعاً قد اسودّت من الدخان، ولكن العمل استمر.

عند المساء ظننت أن العالم سيفنى. قوة الرياح وصلت إلى (١١) درجة. طار كل شيء ليس ثابتاً في الأعالي باتجاه الله وإيران. أنا ذاتي انبطحت على الأرض وتشبثت بها كي لا أطير أنا أيضاً إلى إيران. وفي النهاية انهمر المطر مرة أخرى كأن السماء فتحت سواقيها. وفي الصباح التالي هواء ساكن وسماء صافية زرقاء لا أثر فيها لأية غيمة وكأن شيئاً لم يحدث بالأمس.

كيف يستطيع البشر هنا العيش مع طاقة الطبيعة هذه، هذا ما رأيته بأم عيني في نفس اليوم. في اليوم التالي لليوم الذي بلغت قوة الرياح فيه (١١) درجة قمت بجولة في قطاع شركتنا عند الظهيرة ،وعندما وصلت إلى المنطقة (٤٠٨) ، حيث يوجد طريق القوافل القديم الذي

يصل ما بين إيران وبغداد، رايت أرتالاً لانهائية من القوافل البدوية آتية من إيران. أية صورة هذه! كانوا يسيرون باتجاهي، رجال وحيوانات، أغنام ومعز وجمال ونساء وأطفال، راجلين وممتطين الحمير، وكل ما يملكون من متاع مُحَمل على العربات، وخيامهم على ظهور الحيوانات. ـ لم يكن لدي آلة تصوير، للأسف.

طوال مدة ساعتين كانت القافلة تمر بي، وجوه الرجال ملوثة بالدخان، والنساء والأطفال يقودون الدواب. الأطفال الصغار على ظهور النساء. كان يبدو على (٨٠٪) من النساء والفتيات (الأمل المرح). كن قد رفعن أثوابهن من الأمام حتى الصرة، بحيث إن المرء بإمكانه رؤية البطون السمينة أو البطون العجفاء لديهن. اقتربت مني صبية فارسية صغيرة وجريئة وطلبت مني سيجارة. قدرت عمرها بـ (١٧) سنة، وكانت تحمل طفلاً على ظهرها، ومن الأمام كانت بطنها المليئة مكشوفة. وهكذا أعطيتها سيجارة، وأخذت النفس الأول من سيجارتي وفجاة خطفت هذه الماكرة سيجارتي أيضاً من فمي وأسرعت مع سجائري والفرحة تغمرها لتنضم إلى القافلة التي تتجه نحو بغداد. ماذا يمكن للمرء في هذا الموقف أن يفعل سوى الضحك من كل قلبه.

أثناء ذلك أعيد بناء مدينة خيامي، ولكن هذه المرة بالقرب من إحدى القرى. بهذه الطريقة إقتربت قليلا من سكان القرى، وبهذا أصبح بإمكاني أن أتعلم الكثير من التجارب. سكان المنطقة العالية قليلاً لم تصبهم العواصف حتى الآن بأية أضرار. القرية تتكون من سبعة أكواخ، وهي تحتوي تحت سقوفها المواد التالية: (٤٥) امرأة، (٢١) رجلا، حوالي (٧٠) طفلاً، (٣٠٥) شاة و (١٥٠) ماعزا و (٤٠٠) بقرة تقريباً، إضافة إلى (٧٤) حماراً وحوالي (٢٠) كلباً و (١٢) حصاناً ايضاً، والجميع متحدون وراضون بالعيش تحت سقف واحد.

كان عليّ الضحك طوال اليوم عندما رأيت كل ما أحضروه إلى خيمتي: دجاج وبيض ولبن رائب وقمح وخبز صاج (يقصد تنور ـ المترجم) وفخذ خروف (الذي أستسيغه إلى أقصى حد). فقط ما الذي بإمكاني أن أفعل بكل هذه المواد؟ عدم قبولها سيكون أكبر إهانة، وهكذا أخذتها معي إلى مطبخ معسكرنا.

التغني بالحمار

مسار هذا اليوم كمسار العديد من الأيام الأخرى. تعطل الآليات الكبيرة هو جزء من مسير أغلب الأيام أيضاً، لكنها أصبحت تعمل من جديد بعد عملية تصليح ناجحة. مقياس درجات الحرارة يشير إلى (٣٨) درجة، حتى أن عدة نسمات تهب وهناك عدة غيمات في السماء، إلا أنها مجرد غيمات ضلت طريقها، لأنها سوف تغادر بعد ساعة واحدة باتجاه ألمانيا. كميات المياه المخزنة لدينا تستمر بالتناقص، وهذا يعني أن حميري ذات الأربع قوائم سيكون لديها أحمالها، وستجلب دوماً المياه إلى هنا.

كل حمار يحمل ثلاثة صفائح معدنية على اليمين وثلاثة على اليسار سعة كل منها (٢٠) ليتراً، وهذا يساوي (١٢٠) ليتراً، فيكون مجموع ما تجلبه الحمير الثلاثة في كل نقلة يساوي (٣٦٠) ليتراً من الماء. وهي

تنجز كل يوم (٦) نقلات. أنا أحتاج يومياً حوالي (٢٠٠٠) ليتر من مياه الشرب. تبعد النبع عن الورشة (٢) كم تقريباً. يبلغ طول الورشة الحالية مسافة (١,٥) كم. وهذا يعني أن على كل من الحمير الثلاثة أن يسير كل يوم مسافة (٢٠) كم وهو محمل بهذه الأحمال. كما توجد أيام أيضاً يجب على الحمير فيها السير مسافة (٣٠)كم، لأن حاجتنا إلى المياه تختلف من فصل لآخر من السنة، وهذا يعني أنه يجب عليها أحياناً جلب عدد أكبر من صفائح الماء. وضع الرجل المشرف على هذه الحمير صاجاً معدنياً على ظهر كل حمار وفوقه عارضة خشبية على طول ظهر الحمار، مثبت فوقها ثمانية مسامير بحيث يستطيع تعليق أربعة صفائح على كل جنب من جنبي الحمار سعة الواحدة منها (٢٠) ليتر بهذا الحمل (١٦٠) ليتراً، أي ما يساوي (١٦٠) كغ. يجب على الحمار أن يسير مدة (١٠) ساعات.

لا يزال حتى اليوم بالنسبة لي أمراً غير مفهوم، لماذا يقول الأوروبيون دائماً: (حمار غبي). على العكس من ذلك، إن هذه الحيوانات الوديعة ذكية. إذا "بلغ السيل الزبى" بالنسبة للحمار ولم يعد يطيق التحمل حينها يستلقي في مكانه ويتمرغ في الرمال. حينذاك تتلف الصفائح ويذهب الماء هدراً، ومن ثم يجب المضي في

النقلة من البداية. أستمتع غاية المتعة عندما أرى كيف يقوم الحمار بمثل هذه الحيلة بالرجل الذي يقوده. اليوم كان دور شيخ بابا شيخ الذي يبلغ من العمر (٥٠) عاماً. عندما انتهى يوم العمل لم يكد ينزل الرجل سرج الحمار الخاص بنقل الماء سرعان ما راح الحمار يأخذ (حمام رمل) بداية. وإذا لم يكن الآن شيخ بابا حازماً، سوف لن يرى من حماره سوى نهاية ذيله ، لأن الحمار سوف يقفز ويعدو بسرعة إلى قرية شينار حيث فيها إسطبله، وفي هذه الحالة على شيخ بابا أن يلحق حماره سيراً على الأقدام، رغم أنه كان يتمنى أن يعود إلى قريته ممتطياً ظهر حماره. إذاً في حالٍ لم يرى شيخ بابا سوى ذيل حماره فقط، وهذا سيكون خطأ فنياً، فإن شيخ بابا سوف يلحق بالحمار مسافة (٨) كم سيراً على الأقدام.

عندما تأتي عاصفة (ره شه با) المريعة، حينها يصبح تصرف الحمار غريباً. إنه يدير قفاه باتجاه العاصفة ولا يتحرك من مكانه قيد أنملة. ومهما تلقى من الضربات حتى الموت فإنه يظل واقفاً كالعصى.

إذن يجب ألا يقول أي أحد: "هذا الحمار الغبي" كلا هذا لايجوز، إنها بالفعل كائنات طيبة ومخلصة. أنا أحب هذه الحيوانات جداً. إنها صبورة وصبورة، ومرة أخرى صبورة. كلما همست في أذن كل من هذه الحمير ذات

القوائم الأربع، أحصل على الجواب: "إي آ، إي آ، إي آ) (التعبير عن نهيق الحمار في اللغة الألمانية ـ المترجم).

تمنحنا أيام ما بعد عاصفة (ره شه با) دائماً عدة أيام إجازة من العمل، وهي مناسبة مثالية للسفر إلى سد دربنديخان، كي نتسوق هناك لدى الأمريكان. في طريقنا إلى هناك رأيت (١٦) امرأة محملة حميرهن بالحطب، الذي سوف يصنعن منه في بيوتهن عرائش للوقاية من اشعة الشمس. كانت الحمير تجري مسرعة والنساء يهرولن ورائهم. ضحكاتهن وصلت إلى سيارتي. الساعة الثامنة بالنسبة لي لا زال صباحا باكراً، أما بالنسبة لتلك النسوة فإنهن جميعهن يرغبن بالانتهاء من إنجاز عملهن قبل أن يبلغ حر النهار ذروته. إنهن لا يتحملن الحر مثلنا. تعلم المرء هنا في الأعلى: لا فكرة لدى الناس هنا عن تخزين المنتوج الزراعي، ولكن الشتاء الماضي كان قاسياً إلى درجة أن الناس هذه السنة زرعوا أكثر، وهم حالياً يعملون مجتهدون بالحصاد اليدوي (بالمنجل) ويدرسون بالجرجر. ولكن لا تسألوني كيف. هؤلاء الكرد هنا بؤساء ومتخلفون. غالباً ما أرثي لحالهم من كل قلبي. كل فلاح ألماني سوف يفتح عينيه وأذنيه وفمه من الدهشة لو رأى طريقة الفلاحين بالعمل هنا. ولكن رغم بساطة اسلوب العمل فإن المحصول جيد.

يوجد في بازار السليمانية موقف من نوع مميز: إنه موقف للحمير والخيول والأغنام والدجاج..إلخ. هناك توضع ذوات القوائم الأربعة ويُؤمَن عليها مسورة بجدار طيني. أجرة الوقوف في هذا الموقف هي مبلغ (٤) فلوس، يساوي تقريباً (٤,٥) بفنيك ألماني. أردت أن أتأمل هذه الدواب بروية وهدوء، هنا وقف الحارس بجانبي وسألني: "هل تريد أن تشتري أو تستأجر واحداً منها؟" فأجبته بجفاف: "كلا، كلا حمير ذوو قائمتين إثنتين لدي ما فيه الكفاية منهم"، فأطلق ضحكة طويلة، ثم سأل: "والجمال هناك؟"، فأجبته: (كلا، نحن أنفسنا جمال لأننا هنا في العراق ونعمل في هذا الطقس"، ولكن هذا لم يفمهه الحارس بالكامل، وهذا أفضل.

بعدئذٍ ألقيت نظرة على الدجاج في سوق اللحوم. يبلغ سعر الكتلة المؤلفة من أربع دجاجات مقيدة الأرجل (٨٠٠) فلس، ما يعادل (٩,٦٠) مارك ألماني. لدى رؤيتي سوق اللحوم الحيوانية فقدت شهيتي. لو كان هؤلاء التجار في ألمانيا لكانوا سيلقون عقوبة الإعدام بسبب انعدام مقومات النظافة. ثم سوق منتجات الحليب. جميع البائعات فيه نساء عربيات. أمام كل واحدة منهن قدر مليء باللبنة. أنوفهن وشفاههن

مزدانـة بحـلاق صـغيرة. كلـهن بـدينات وقـذرات وكـن بأصبعهن يمزجن اللبنة وهن ينـادين:

"لبنة جيدة جداً، لبنة حامضة جداً، لبنـة مـاعزة، لبنة غنـم"، باللغة الكرديـة. تلـك الماعزة. لـو رأت امـراة اوروبيـة تلـك المشاهد لما استطاعت تنـاول الطعـام لمـدة شهر كامل.

أحبائي المفضلين الحمير أنجزوا مهمة مميـزة تـستحق الثناء، وذلـك في قطـاع معقـد جـداً. كـان علينـا أن ننقـل تلة، ولكن تقنياً كان مستحيلاً أن نـستخدم إحـدى آلياتنـا الثقيلة. ما العمل إذاً؟ أحضرت (فرقة الحمير خاصـتي). نفخت في اذن قائدها "إي آ، إي آ، إي آ" فرد عليَّ بـسعادة وبصوت أعلى من صـوتي بثلاثـة أضعـاف "إي آ، إي آ، إي آ" ثم بدأ تنفيذ المهمة: وضعنا الواقيات على ظهورهم، وعلقنا من كل طرف سلة كـبيرة. وسـارعت الحمـير بهـذا صـاعدة الجبـل إلى الأعلـى. وهنـاك يمـلأ العمـال الـسلال بالأتربـة والحجـارة. والآن تهـبط حمـيري إلى الأسـفل كـي تفرغ حمولتها. بعد عدة أيام تمكن الحمير مـن إنجـاز مـا لم تـتمكن الآليات الثقيلة مـن إنجازهـا. لا يـستطيع أحـد هنـا بحـضوري اسـتخدام الـشتيمة الـتي تـزعم أن الحمـار غبي. لأني دائما أرد عليها: "أنت تقصد بالتأكيـد الحمـار ذا القائمتين، أليس كذلك؟".

فصول السنة في كردستان

أريد الآن أن أشرح لكم قليلاً عن فصول السنة هنا. صحيح أني أعيش في الشرق، ويزعم أنه هناك الشمس مشرقة باستمرار والجو دافئ، ولكن عليكم ألاّ تأخذوا وتفسروا هذا الكلام حرفياً. في جنوب البلاد بما فيه البصرة، ولكن الوسط أيضاً وفي منتصفه بغداد، الطقس هناك أرحم مما هو عليه هنا في الشمال. تقع السليمانية ما بين خطي الطول (٣٥ و ٣٦)، وتعلو عن سطح البحر (٨٠٠)م تقريباً. جميع قطاعات العمل التابعة لي ترتفع إذاً بمعدل (٨٠٠ ـ ١٠٠٠)م فوق سطح البحر. وأنا أعيش في المناطق القريبة من الجبال الإيرانية، كما سبق أن ذكرت أكثر من مرة.

كانون الثاني:

على الرغم من الدفء النسبي فأنا لا أستطيع أن استغني في شهر كانون الثاني هذا عن معطف الفرو

والمعطف الطويل. عندما نهضت من النوم قرأت درجة الحرارة (٢) تحت الصفر، والآن في الساعة (٩,٤٥) أصبحت درجة الحرارة (٢٤) فوق الصفر. إنها برودة شديدة ويجب أن أحتفظ بجاكيت الفرو والمعطف، وإلا سأرتجف بشدة. ولكن إذا ارتفعت درجة الحرارة فوق (٣٠) درجة تصبح محتملة. ولكنها لا تصبح مريحة إلا بعد أن تبلغ (٤٠) درجة. طقس شتائكم في ألمانيا أيضاً لا يلائم الناس المسنين، كما لا يلائمني أنا على الإطلاق.

شباط:

(مدفاة ـ علاء الدين) المخلصة خاصتي تحت المنضدة وتبث الدفء إلى اقدامي. الشاي التقليدي أمامي عليه أن يتكفل بتدفئة أحشائي، والمعطف السميك يتكفل بالتدفئة الخارجية. محطتي منخفضة (٣٠)م عن حدود والثلج الذي يغطي حالياً المناطق على إرتفاع (٨٢٠)م. أنا أرثي لحال العمال. هطلت الثلوج بالأمس بلا رحمة، فكان المساكين يرتجفون من شدة البرد. رغم أن درجة الحرارة ارتفعت في استراحة الغداء إلى (٣٢) درجة، ولكنها حتى المساء ستعود إلى الانخفاض لتصبح (١٠) درجات فوق الصفر، أو ربما تنخفض أكثر. وهذه الانخفاضات الشديدة خطيرة. وفي ذات الوقت تتمتع هناك في الأسفل

بغداد بالدفء. الإصابات بالبرد هي جزء من حياتنا اليومية. بالرغم من درجات الحرارة المنخفضة تصبح الطبيعة شيئاً فشيئاً وديعة.

بعد هطول المطر لمدة قصيرة اكتسبت الطبيعة من حولي في الحال حلة خضراء في كل مكان. وأينعت الزهور في مساحات شاسعة، وبينما أنا أكتب الآن توجد أمامي فوق المنضدة باقة طازجة من شقائق النعمان. وعلى الطرقات يقف الأطفال الكرد وبايديهم باقات زهور النرجس التي قطفوها بأنفسهم ويصيحون: (الباقة بعشرة فلس، الباقة بعشرة فلس" ومن يشتريها؟ بالطبع نحن، عدة ألمان. أتوقف كل يوم على الطريق لأشتري منهم باقتين. يجب أن تشاهدوا ولو مرة واحدة عيون هؤلاء الأطفال وهي تشع بالامتنان والشكر عندما أضع عشرة فلوس في أيديهم. الأطفال طيبون، وأنا أشعر بالغبطة بهؤلاء الأطفال الكرد.

آذار:

الجبال مكسية بالثلوج، ودرجة الحرارة صباحاً لا تتجاوز (٣) تحت الصفر. مقياس درجة الحرارة سوف يشير عند الظهيرة إلى (٣٠) درجة فوق الصفر، وهذا يعني لا برودة ولا دفء، وأنه من الضرورة بمكان ارتداء

سروال داخلي صوفي. السيدة شتروبل قالت لي والتفاؤل وجهها يطفح بالتفاؤل: "أليس كذلك سيد ويتمان، الآن سوف تبقى مشمسة." وجوابي: "أرجوك، أرجوك ستمطر حتى شهر آيار، وذلك إلى درجة يمكننا أن نغرق في المطر" السماء الصافية خداعة، بعد (٥ ـ ٦) أيام مشمسة وبدرجة حرارة تبلغ (٣٠) درجة سوف تأتينا بالتأكيد (٥ ـ ٦) أيام ممطرة. الأمر الذي لا أجده بهذا السوء.

خلال ذلك وصلت إلى هنا العصافير والبلابل والدراريج أيضاً. وبين الحين والآخر يرى المرء البجع والديوك البرية. بعد أن اختفت الثلوج أصبحنا الآن نعاني من عاصفة (ره شه با). لقد تعجبت كيف ظلت خيمتي في مكانها على الإطلاق، لأن كل شيء حملته الرياح إلى السماء. أكثر ما آلمني هو خسارة قبعتي التي طارت باتجاه سورية. كانت غالية الثمن، فقد كلفني (١,٥) مارك ألماني...

اللون الأخضر يطغي على كل مكان، وموسم الأمطار يشارف على نهايته. منذ الساعة (١١,٣٠) قبل الظهر تبلغ الحرارة في الظل (٢٧) درجة، بحيث أستطيع الجلوس في العراء مرتدياً كنزتي الصوفية السميكة. أنظر الآن إلى الروزنامة وأنا أرى أن عيد الفصح قد اقترب موعده. لم

أعد أفكر بمثل هذه الأعياد على الإطلاق. أثناء ذلك غادر جميع السائقين العرب أيضاً إلى الفلوجة، تقع (١٠٠) كم غرب بغداد. كميات الثلوج المتراكمة هنا في الأعلى اضطرتنا للتوقف عن كل عمل. كان من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات حول موعد عودتهم. خطوط الهاتف بين السليمانية وكركوك كانت مقطوعة بسبب تراكم الثلوج. طلبنا من مركز الشرطة في سد دربنديخان أن يخبروا عن طريق مركز شرطة جلولاء قرب بغداد، كي يخبروا مركز شرطة الفلوجة. بينما كنا نحن غاطسين في الثلوج كان هؤلاء الإخوة مستلقين تحت في الفلوجة تحت أشعة الشمس مع نسائهم فوق فراشهم ويستمتعون بالإجازة غير المتوقعة، لكن مدفوعة الأجر.

أصبح لدينا الآن طقس عيد الفصح. توجد أمامي باقة زهور جميلة وبيضة عيد الفصح، صبغتها عن طريق قشر البصل باللون البني. ولكن فرحتي الأكبر كانت سماعي تحياتكم عبر إذاعة (الموجة الألمانية). بالطبع أيام الفصح بالنسبة لنا هي أيام عمل بالكامل. والآن سأقدم لكم تقريراً عما حدث في هذه الأيام الربيعية وبدرجة حرارة (٢٧) مئوية.

حديقتي أصبحت بحرا من الزهور. الحقول التي تحيط بنا أصبحت مشبعة باللون الأخضر. فرحتي

الكبرى هي في رؤية الخرفان الصغيرة. إنها تشبه خرفان عيد الفصح بالضبط، التي كنا نستمتع برؤيتها في قرية (آلتنبرغ) على جبل (مولنبرغ). إنها تسير بأعداد كبيرة، بحيث أعتقد أحياناً أني أرى الآلاف منها.

ولكن يظهر أن أعداد الضفادع أكثر من الخرفان، والأوركسترا المسائية التي تنعق بها تبدو ظريفة. والجوارح تسعدها المائدة المليئة بما لذ وطاب، ومن أكبر الضفادع حتى أنها شبع منها. اختفت الذئاب مرة أخرى، ولكن في المقابل توجد أعداد كبيرة من الغربان. إنها تقوم بأعمال التنظيف والترتيب.

كان لدي جولة تفتيشية تمتد من بدايتها إلى نهايتها مسافة (١٦٠) كم، فأوقفتني أثناء الطريق امرأة مسنة جداً جداً وطلبت مني أن أحملها معي في السيارة. كان أمامنا رجل مسن أيضاً يمتطي حماراً، وخلفه بمسافة (٥٠)م كانت تسير ثماني نساء أخريات، جميعهن تقريباً يحملن على ظهورهن أطفالاً رضعاً. طبعاً توقفت قربهم وبلمح البصر أصبحن جميعهن خلفي في السيارة. وقبل أن يدرك حارس الحريم ما جرى انطلقت بالسيارة وتجاوزته، فأطلق خلفي السباب والشتائم، فراحت النساء تضحك وتصفق فرحات، ثم بدأن بالغناء.

كان على الحمار المسكين أن يدفع ضريبة غضب سيده، الذي انهال ضرباً بعصاه على الحمار البريء وهو يحثه على اللحاق بالسيارة ونسائه. طلبت النساء في كاكوكول (KAKUKO) أن أوقف السيارة، فنزلت جميع النساء. كن جميعهن سعيدات ورحن يتمازحن ويتضاحكن، وواحدة منهن اختطفت يدي وقبلتها قائلة (الله يرحمك). ثم جلسن جميعهن على حافة الطريق لينتظرن (حارس الحريم)، أو (سائق الحمار). سوف يسخرن من الرجل العجوز، وأنا حصلت على متعتي كـ "جنتلمان) غربي. يا لهذه النسوة، إنهن يلاحظن مثل تلك الأشياء.

نيسان:

منذ اليوم بدأت أعتقد بنهاية العالم. لا يستطيع المرء أن يرى أبعد من مسافة (٥٠)م. لون الهواء المحمل بالرمال أصفر غامق. تبدو جميع مصابيح الكهرباء كأنها تشع ضوءاً مزرقاً. الأمر يثير دهشة مرعبة. التفت إلى اليسار، حيث يجري نهر تانجر، غير أني لا أستطيع رؤية أبعد من (١٠) أمتار. كل شيء يبدو غامضا بشكل مرعب، ويثير الغثيان في المعدة. إستحممت ثلاث مرات، ولكن الرمل الناعم يلتصق بالجسد في كل مكان

كالطحين. الهواء يحبس النفس. الضوء الذي وصفت لونه في البداية بالاصفر الغامق وبالمزرق، أصبح ذهبيا بالأصفر. وهذا كله استمر يوماً ونصف اليوم. ولكن يمكن لهذا الشهر أن يكون غير ذلك ايضاً: دافئ (٣٥ـ ٤٠) درجة، ويمكن أن يكون الطقس فيه بشكل يضع المرء فيه كنزته الصوفية في الخزانة.

على سبيل التغيير يحمل نيسان فيما بعد أيضاً مرة أخرى أمطاراً غزيرة جداً. المكان من حولي أصبح بسواد الغربان. يوجد ضوء فقط عندما تبرق السماء دفعت واحدة (٣٠ـ ٤٠) مرة. خرجت إلى الطريق كي أتفحص الأضرار التي نجمت عن هذه الأمطار والعواصف. وجب علي خلال هذه الجولة أن أتوقف مدة نصف ساعة، لأنني لم أعد أستطيع رؤية الطريق بسبب هطول البرد (أسنان العجوز) الذي حباته بحجم بيوض الحمام. مساءً كان يجب توصيل الطباخ إلى السليمانية. وعندما اقترحت أن يأخذوا معهم بالسيارة ألمانيا آخر، لم يعجبهم هذه الاقتراح ـ فيما بعد شكروني على حاستي السابعة: كان الطوفان في السليمانية قد وصل إلى ارتفاع (٥٠) سم، ودخلت المياه إلى محرك اللاندروفر، وعلقت في الماء. الألماني الذي اقترحت أن يرافقهم بالرحلة تمكن من إصلاح السيارة وإعادة تشغيلها.

آيار:

يا للحسرة، أين (شهر المتعة أيار)، كان يوم الأمس بارداً جداً، مجرد (٣٠) درجة مئوية، وبعد الظهر هطلت الأمطار أيضاً، وأنا كنت أرتدي مجرد قميص بنصف أكمام. يجب على المرء أن يأخذ معه دوماً سترة ما. يمكن أن تحدث في شهر آيار انخفاضات في درجات الحرارة في منتهى الحدة. فجأة أصبحت درجة الحرارة (٢٠) مئوية، وانهمرت سيول المطر الغزير، وأنا بدأت أرتجف من البرد. قبل أن أصاب بالبرد القارس عدت مسرعاً إلى المعسكر وارتديت سروالاً داخلياً طويلاً وكنزة صوفية وقميصاً سميكاً وسترة وحذاء مطاطيا. ولكن لم يكن هذا كل شيء. العاصفة المطرية تحولت إلى برَد. مدة نصف ساعة تساقطت من السماء كرات جليدية بقطر (٥) سم. بدا وكأن الله حطم جبلاً جليديا وغربله بغربال فتحاته قطرها (٥) سم فوق رؤوسنا. ولكن الكلام بينى وبينكم، بالنسبة لي هكذا أفضل، لأن هذا الوقت يحتسب من وقت الحر. أنتم ترون، قضاء الشتاء في ألمانيا يعني موتي. ومقابل ذلك انقضى الآن وقت المطر. عندما أسافر في الصباح الباكر إلى عربت، حينها تشع الشمس بوجهي بالضبط، وسوف أكون من الشاكرين لوكنت أملك نظارات

شمسية بلورها قاتم. وفي الطريق أثناء العودة إلى المعسكر مرة أخرى أسير وعيوني تتعرض لأشعة شمس المغيب.

درجات الحرارة أصبحت مثالية، حوالي (٣٠ ـ ٣٥) في الظل، و (٤٠ ـ ٥٠) تحت الشمس. ولكن للأسف لا يستمر هذا الجمال لأكثر من أربعة أسابيع فقط. بعد أربعة أسابيع سوف لن يكون لدينا سوى أرض محروقة. ولكن هذا المستقبل، في الحاضر الطقس رائع: أينما اتجه نظر المرء دائماً يرى اللون الأخضر نما عالياً، ولايصدق أن هذا المكان هنا كانت الثلوج تغطيه.

تصوروا لقد بنت أربعة من طيور السنونو أعشاشاً لها في ممري. تغمر السنونو الفرحة والحيوية. أنهض من النوم في الخامسة صباحاً وأذهب إلى الحمام. تكون السنونو جالسة على الحبل، فتتأملني أثناء حلاقة لحيتي. وعندما أذهب إلى المرافق تقفز إلى الرف أمام المرآة وتزقزق لصورتها في المرآة. كم أستمتع في صباحاتي بطيور السنونو هذه. حول معسكرنا ومن جميع الجهات انتصبت غابة من خيام البدو وقبل عدة أيام أصبح المكان مكتظاً أيضاً بالبشر، الكثير من النساء، ولكن أعداد أكبر من الأطفال. والآن تبدأ مشكلة وهي تسمى (المياه). مياه نهر تانجرو بنية اللون، ومياه الأمطار غير صالحة للشرب أيضاً.

يجب أن تشرب النساء والأطفال، ولكن ماذا؟ بشكل عام أمنع دخول غرباء إلى المعسكر. وهكذا رأيت هذه الأيام حراسي يضربون بعض النسوة عند المساء عدة مرات، لأنهن حاولن الدخول إلى المعسكر. وعندما عدت مساء اليوم إلى المعسكر كانت جمهرة غفيرة من النساء والأطفال تجلس أمام باب المعسكر. رداً على سؤالي شرح لي الحارس: "جميعهن يريدن الماء" كانت سيارتي اللاندروفر لا تزال بعد في وسط البوابة، فالتفَت جموع النساء والأطفال حولها، منهن الجميلات والقبيحات. لم أرِدْ حدوث سوء فهم بسبب اللغة، فطلبت من مترجمي صابر أن يترجم لي ما هو مطلبهم، ومرة أخرى سمعت: "ماء، ماء" ببساطة لم أتمكن من المقاومة، نظرت إلى الجهة الأخرى حيث تجري مياه نهر تانجرو القذرة وفكرت بألمانيا وقلت: "حسناً، ولكن على الجميع أن يظلوا جالسين أمام مدخل المعسكر. يجب على الحراس أن يملؤوا قرب المياه وجلبها إلى بوابة المعسكر"

طوال ثلاث ساعات كان الحراس يشتمون ويلعنون بدواخلهم لأني وافقت، وهم السادة الحراس عليهم أن يجلبوا لهذه النساء الماء إلى بوابة المعسكر. ولكن، أنا لدي عيون نساء وأطفال شاكرة، وأنا لست مخطئاً عندما أقول إن عددا من الفتيات كن مستعدات لإعطائي عن طيب

خاطر قبلة شكر. (٨٠٪) من النساء المجتمعات أمام بوابة المعسكر كن حاملات في الشهر الثامن. جدير بالمراقبة كيف كان يجب عليهن أن يحملن القرب الثقيلة المليئة بالماء. هذا المنظر آلمني جداً، بينما السادة يجلسون ويتناولون الشاي. وعندما تحتاج النساء غداً مرة أخرى للماء، سوف يتوجب على السادة الحراس مرة أخرى أن يملؤوا القراب بالماء لهذه النساء المسكينات.

حزيران:

منذ الساعة السابعة صباحاً بلغت درجة الحرارة (٤٢) مئوية، وفي الظهر تصبح (٤٥) درجة مئوية في الظل، و (٦٥ــ ٧٠) درجة تحت الشمس. لماذا يجري الحديث هنا دائما عن درجة الحرارة في الظل على الإطلاق يبقى هذا لغزاً بالنسبة لي: في الواقع لا يوجد هنا ظل أبداً. إضافة إلى هذا توجد هنا الملايين من الذباب. الحشرات الطنانة والبعوض هي أسوأ أنواع الحشرات. لا يراها المرء دوماً، لكنها تغني وتدخل في كل مكان: في الآذان والأنف والعيون... الخ. إنها شعب مخادع.

عندما أجلس مع أحد الضيوف في الخيمة يجب على ثلاثة عمال مساحة أن "يصنعوا هواءً"، هذا يعني يحركوا الهواء. عندما ترون في المجلات صورا للخدم

السود وهم يحركون المراوح اليدوية لأسيادهم، حينها لا ترون سوى الجانب المريح من حياة الرخاء، أما ما هو مخبأ خلفه، فأنتم لا تستطيعون تصوره: (السباب والشتائم التي تنهال على الحشرات الماكرة، إضافة إلى العطش، والعطش، ومرة أخرى العطش). حارس خيمتي حميد صالح سعيد من قرية (ياكشي) عمره (١٦) سنة وهو مجتهد. إنه يطهو الشاي طوال النهار. توجد دائماً ثلاثة كؤوس مملوءة بالشاي على المنضدة، وهي مغطات من فوق، كي لا يحصل المرء على "شاي الذباب" وهكذا أشرب طوال النهار هذا الشاي المخفف. كل يوم أجلب معي إلى الخيمة (٤٠) ليتر من الماء، كي يطهو به خادمي الشاي ويغسل الكؤوس، ولكني استخدمها أنا أيضاً لغسل يدي. أغلب الأحيان تكفي هذه الـ (٤٠) ليتراً من الماء حتى الظهر فقط، بعد ذلك يجب إحضار (٤٠) ليتراً مرة أخرى. أنا أشرب شاي المخفف بالليترات، والعمال يشربون الماء بالأطنان.

الماء في هذا الجزء من العالم هو مادة ثمينة. جميع الينابيع جفت، لا يرى المرء سوى أرض بنية محروقة، وهذا أعيشه للمرة الثالثة في هذا الصيف. أشعر بخوار جسدي وثِقله، مثل جميع الناس هنا. أثناء الكتابة الآن أرسلت (٤٠) ذبابة على أقل تقدير بلطاشة الذباب إلى

العالم الآخر. أضع تحت يدي منديلاً أثناء الكتابة، بدون هذه المساعدة ستصبح أوراق الرسائل مبللة بالكامل. أثناء هذه الأشهر الصيفية القاسية أقضي في الظهر ساعتين في الخيمة، أنام خلالها تحت الشبكة الواقية من الحشرات. رغم أن درجة الحرارة في هذه اللحظة هي (٤٩) مئوية في الخيمة إلا أن بعض النسمات الباردة تهب قادمة من الجبال.

لقد تراجع الحر بشكل ملحوظ، أصبحت درجة الحرارة تحت الشمس (٥٦) مئوية فقط، وهذا يمكن احتماله. ما يرهقني ويصيب جسدي بالخوار في هذه اللحظات هي العواصف الصحراوية، عاصفة (ره شه با) القوية. إنها تأتي من الهند وتجلب معها كل ما هو قذر وسيء. قدم إلينا ضيف من الأمريكان الذين يعملون في سد دريندیخان. داهمتهم منذ فترة قصيرة عاصفة (ره شه با) قوية إلى درجة أن هذه العاصفة الصحراوية جرفت معها مبنى سكنياً خشبياً جديداً طوله (٢٠)م وعرضه عشرة أمتار. براميل النفط المملوءة تدحرجت وسقطت في الوديان. والبراميل الفارغة تطايرت كالصواريخ عالياً في الهواء. كان على جميع الرجال الحذر والانتباه إلى أقصى حد، كي لا يسقط واحد من تلك البراميل الطيارة فوق رؤوسهم. هذا يحبط المرء ويثبط

عزيمته ويصيبه بالكآبة. لا يرغب المرء سوى بالنوم. بعد أربعة أسابيع سوف تصبح درجة الحرارة مابين (٣٥ ـ ٤٠) مئوية فقط ـ إنه الاستجمام الخالص.

منذ الصباح أتت الحمير ذات القوائم الأربع، قادمة من إيران باتجاهنا. إنها محملة بالكامل بسلال الفاكهة. وما أن أصبحت الخيام والبشر مرئيين بالنسبة للقافلة، حتى علا صراخ الفريق المرافق للحمير: "عنب، عنب"، ثم سارع الخادم، ولكن السطل كان بيده، بالعدو نحو البائعين. وراح يتفحص جميع السلال المحملة على ظهور الحمير، ويتذوق طعم العنب من كل سلة حتى عثر على السلة التي تحتوي أفضل العنب وقال: "كيلوغرامين اثنين"، فاخذ البائع الميزان وتناول حجرا من الطريق ووضعه في كفة الميزان اليسرى، ووضع العنب في اليمنى. الوزن دائماً صحيح. الخادم يقول دائماً: "نصف السطل (١)كيلوغرام والسطل المملوء (٢) كيلوغرامان. وكل هذا لقاء (٥٠) فلسا. تبدو الجسارة على وجوه هؤلاء البائعين وأنا لا أرغب باللقاء بهم في الليل، ووحيداً.

تموز:

الحر يزداد باستمرار. منذ عدة أيام لدينا (٥٤) درجة مئوية في الظل (أتمنى لو كنت أعلم، أين هو

الظل) و (٨٤) درجة مئوية تحت الشمس. وجب علي الذهاب إلى السليمانية بسرعة. كانت الساعة تقارب الثانية ظهراً، ولكني لم أر اي إنسان في الشوارع. كان الجميع يجلسون في الظل، أي في مداخل الأبنية وتحت أي سقف واقٍ. كل الدكاكين مغلقة. ببساطة إنه حر لا يطاق. من لم يعشه لا يستطيع أن يتصوره: لا عصفور ولا دجاجة، حتى ولا حمار، ولا ماعز وجمال يمكن أن يرى تحت اشعة الشمس، الجميع يجلس هناك، حيث تتوفر بقعة ظل. أثناء الليل تظل درجة الحرارة في العراء ما بين (٣٦ ـ ٤٠) مئوية.

الحرارة في غرفتي ليلاً لا تطاق وتكاد تفقدني صوابي. أقف تحت الدوش خمس أو ست مرات، ولكن من أين سيأتي الماء البارد فقط، الماء الذي يأتي تبلغ حرارته (٤٠) درجة مئوية. الجو في المكتب بارد بدرجة حرارة (٣١) مئوية. أنا سعيد بهذه الرحمة: المبردة استنفدت طاقتها وتوقفت يخرج من الأرض ويأتي مع الحر بشكل متزامن كل ماهو ليس مرغوب به من الحشرات. بالعي الفئران، أي الثعابين، يتواجدون الآن بشكل كثيف إلى درجة أن المرء كثيراً ما يتعثر بها، ثم يصاب تقريباً بالسكتة القلبية. بهذا السوء أيضاً هم الجراد. إنه يرتطم بالزجاج الأمامي لسيارتي، ولم يعد بإمكان مساحات

الزجاج إزاحتهم. إذاً يجب علي أن أتوقف وأن ازيح تلك الحشرات بيدي. ولهذه المهمة بالذات أضع في السيارة قفازات سميكة، لأن هذه الكمية من أشلاء الجراد الملتصق على الزجاج تجعل النفس تتقزز. عند المساء يجب على الحارس تنظيف السيارة كلها بالماء والمجحاف. يجب علي أن ألبس القفاز أيضاً، ولكن لأسباب أخرى: لا يمكن للمرء أن يلمس فقاعات الحروق في الحديد بدون قفاز. حاستي السابعة أغلب الأحيان لا تخيبني، وأنا لدي الإحساس بأن الحر سيزداد أكثر. بالأمس كانت عندي الألمانية من السليمانية وقالت لي بشكل جانبي: "أثناء وجودنا في البيت لم نعد نرتدي أية قطعة ملابس، لم نعد نحتمل ذلك، وإذا جاءنا ضيف من دون موعد مسبق، فهذا لا يهمني على الإطلاق، بإمكان هذا الضيف أن يعود أدراجه، وأن يأتي لزيارتنا في أوقات أكثر برودة. الآن أعرف أنا أيضاً، لماذا سكان الأدغال عراة، ليس لأنهم لا يملكون أوراق شجر، كلا، بل لأنه حتى ورقة شجر واحدة لا يمكن احتمالها." يجب أن أعطي الحق لهذه المرأة فعلاً. كانت ترتدي ثوباً بسيطاً من الكتان بحمالات كتف عريضة وفتحة صدر مربعة الشكل، ثم تابعت حديثها قائلة: "لا أرتدي أي شيء تحت الثوب، لا حمالة صدر ولا أي شيء آخر. هذا كله بالنسبة لي أكثر مما

يجب" وأنا أرتدي رغم كل شيء قميصاً داخلياً، وذلك بسبب امتصاص العرق. ثلاث مرات أقوم بتبديل ملابسي بالكامل. الخادم لديه مايقوم به. ولكن الغسيل يجف خلال عشرة دقائق، ومن أجل الكيّ أحتاج إلى خمسة دقائق فقط. السيء في الكيَ: أثناء ارتداء الملابس المكوية تحس بحرارتها التي تشبه حرارة المقلاة. لعل الله يعطيكم ذات مرة، أنتم الجرمان، نصف الحر الذي عندنا. إنها مجرد دعابة، اعتباراً من منتصف أيلول سوف تؤول الحرارة رويداً رويداً إلى الانخفاض، وبعد أربعة أشهر آمل أن نحظى بأول مطرة.

ما هو سيء أيضاً مثل الحر، هو الغبار الرملي. إنه يقفدني رشدي ويعيق عقلي. سوف أشكر الله عندما ينتهي كل شيء هنا وأعود إلى الديار. يوم الأمس كان اليوم الأكثر حرارة في هذه السنة. بلغت درجة الحرارة فيه (٥٠) مئوية في الظل، و (٨٠) تحت الشمس رغم ذلك استيقظت ليلة الأمس وأنا أرتجف من البرد. فيما بعد خلال حر النهار لا يشعر المرء بارتفاع درجة الحرارة إلى هذا الحد. عندما عدت إلى المعسكر أثناء استراحة الظهر كان الجو لطيفاً، سواء في غرفة الطعام أو في غرفتي. لقد شعرت بالمتعة، رغم أني كنت أرتجف كما لو أن درجة

الحرارة (٢٠) مئوية. شعرت بضعف في ركبتي وكأنها أصبحت طرية كالزبدة.

أخذت على الفور كأسا من الويسكي الخالص، وتدثرت بثلاث بطانيات. شغلت المبردة، ولكن إضافة إلى ذلك أشعلت "مدفأة علاءالدين" عند نهوضي من الفراش بدلت ملابسي الداخلية والشراشف ثلاث مرات. أنا سعيد لأن طريقة العلاج الصارم التي استخدمتها رحمتني وأنقذتني. ذات مرة ذهبت إلى حديقتي. موجة الحر التي تلقتني ولفحتني كانت جحيما خالصا. لم أغادر غرفتي طوال يومين، وبالمقابل كتبت الكثير من الرسائل.

نصبت خيمتي على ارتفاع (٨٠٠)م فوق سطح البحر. الشمس تبدو كقرص أبيض باهت. الهواء مليء بالغبار والتنفس صعب جداً. الرمل يدخل في كل مكان، ولهذا السبب تصرصر الأسنان. الأنف مسدود باستمرار.

بحمد الله النظارات تحمي العيون. كل شيء لزج. درجة الحرارة في الخيمة (٤٤) مئوية وتحت الشمس (٦٤) درجة.

كما هو الضباب عندكم، عندنا العاصفة الرملية. إنها تشل كل شيء. في بغداد وجنوب العراق شلت حركة الملاحة الجوية بالكامل. ويقال إن أكثر من (٥٠٠) مسافر

ينتظرون رحلاتهم في مطار بغداد. وهذا يعني بالنسبة لنا أننا لن نتلقى أية رسائل ولا أية صحف ألمانية. رغم ذلك أحاول كل يوم أن أكتب لكم شيئاً آملاً بعثوري قريباً على ساعي بريد.

رغم أني للسنة الخامسة هنا، يمكن أيضاً أن أقوم بحماقة. أنا أشرب دائماً فقط شاياً ساخناً، ولا أتناول على الإطلاق مشروبات مثلجة. ولكني رميت بكل حذري جانباً وتناولت في أحد الأوقات شاياً بارداً وعصير برتقال وكل ما هو بارد، فحصل ما يجب أن يحصل. أصبحت بحاجة إلى اشتراك دوري للمرافق (إشارة إلى إصابته بالإسهال ـ المترجم). أصابتني نزلة برد قوية عند المساء مصاحبة بحمى بلغت فيها درجة حرارتي (٣٩,٦)، وعدا ذلك كنت بمفردي في المعسكر، الجميع كانوا في السينما. تناولت حبوبا مضادة للحمى وبلعت ثلاثة ملاعق طعام من دواء مضاد للإسهال وغيرت ملابسي الداخلية ثلاث مرات. كل هذا فعلته بمفردي. بعد (١٤) ساعة أستطيع القول إنني بعد علاج الخيول هذا أصبحت بنسبة (٩٩٪) على ما يرام، غير أني لا زلت اشعر بالضعف قليلاً.

آب:

عاصفة " ره شه با" بقوة رياح (١٠ ـ ١١) تحطمني بالكامل. أجد نفسي في مزاج بلغمي: لا أستطيع أن أقرر شيئاً، ولا رأي لي في اي شيء، ولا توجد لديَ شهية للطعام. ولكنني أنا لست الوحيد الذي يعيش مثل هذه الحالة، الجميع يعاني من عاصفة "ره شه با" يجب أن أشد عزيمتي كي أنهي أخيراً هذه الرسالة التي بدأتها. بعد أربعة أشهر سيعود من جديد عيد الميلاد. التفكير فقط ببرودة عيد الميلاد عندكم يجعلني أشعر بالتعرض لنزلة برد رغم أن درجة الحرارة الحالية تبلغ (٤٤) مئوية. بدأت منذ الآن اشعر باختلاف درجة الحرارة بمقدار (٢ـ ٣) درجتين إلى ثلاث درجات:

أيلول:

خلال ذلك انتقل سكني إلى قلياسان التي تبعد فقط (١٠) كم عن مدينة السليمانية. عندما أفكر بالـ (٤٠) كم التي كنت أقطعها في الذهاب والإياب إلى السليمانية، تبدو لي هذه المسافة مجرد دعابة. وما الذي أعايشه كله دائماً كل صباح: قوافل الحمير المحملة بالأخشاب والبندورة والعنب والخيار والبطيخ والدقيق.. وماشابه ذلك. وقطعان من الماعز والأغنام والأبقار، التي ينتظرها

السكين. وذوات القوائم الأربع المخلصة هذه قطعت مسافة (٣٠- ٤٠) كم في مسيرتها. ذوو القائمتين الإثنين متدثرون بالملابس كأن مؤشر مقياس الحرارة يشير إلى (٣٠) درجة تحت الصفر، رغم أننا لا نزال في شهر أيلول. بين القطعان المختلفة يرى المرء ناراً مشتعلة، إنهم يطبخون شايهم هناك من أجل التدفئة الداخلية. إياكم أن تظنوا أنهم يحيدون عن الطريق ولو بمقدار ميليمتر واحد، وهذا مهما أطلقت الزمور عالياً وطويلاً. هنا لا يفيد شيئاً سوى الانحراف إلى الحقول وتجاوزهم.

تشرين الأول:

موسم الحر الحقيقي انتهى. درجة الحرارة أصبحت في النهار الآن (٣٠) مئوية. مقياس درجة الحرارة في خيمة العمل يشير في الساعة (١١) قبل الظهر إلى (٢٩) درجة مئوية. أرتدي الملابس التي تليق بدرجة الحرارة المنخفضة: صدريتي الجديدة وجوارب سميكة طويلة ومعطفي الصوفي فوق القميص. السراويل الداخلية الطويلة هي أوراق رابحة. كما يبدو الجو الآن، سوف نحظى قريباً بالمطر، الذي ننتظره منذ فترة طويلة، نحن بحاجة لهذا المطر من كل بد. غالباً ما أسأل نفسي، مماذا تتغذى الحيوانات هنا؟ كل الأماكن هنا جرداء، ولا

يوجد سوى نباتات شوكية وشجيرات. إشترينا قبل فترة قصيرة بقرة، وعندما بدأ قصابنا الألماني بتقطيعها اكتشف أن قصبتها الهوائية مليئة بالديدان. صباح اليوم التهمت الغربان وبقية الطيور الجارحة والثعالب جثتها ولم يُبقوا على شيء منها. العظام المتبقية كانت تلمع من شدة نظافتها. الضيوف الليليون يبدو أنهم كانوا من الكثرة بحيث لم يتركوا لكلابنا شيئاً على الإطلاق.

تشرين الثاني:

في اليوم الأول من هذا الشهر كنا لا نزال نحظى بدرجات حرارة مقبولة، في النهار (٣٦) درجة فوق الصفر، ولكن في المقابل ليلاً (١٢ـ ١٥) درجة فوق الصفر، وهذا بارد جداً. نعم، بالطبع أنا أحرص دائماً على ارتداء ملابس دافئة. بعد ذلك باغتنا إعصار رملي مريع واستمر لمدة يومين. طوال يومين طار كل شيء في الهواء، فعلاً ارتفع كل ما هو ليس مثبتاً. الحرارة انهارت إلى (٣) درجات مئوية، ثم ارتفعت ببطء خلال النهار إلى (٢٠) درجة مئوية. جسمي بدأ يرتعش جراء البرد. كانت درجة حرارة (٣) فوق الصفر كارثة بما يكفي بالنسبة لنا، ولكن من المتوقع أن يسوء الوضع أكثر، سوف يكون لدينا (٤) درجات تحت الصفر. قمم جبال

إيران العزيزة تغطيها الثلوج. في النهار السماء صافية ولا أثر لأية غيمة فيها.

إن الله يريـد أن يـذكرنا مـرة أخـرى، مـاذا يمكـن لسواقيه، عندما يفتحها، أن تتسبب بـه. ارتفـع منسوب نهر تانجرو أمام معسكرنا يوم الجمعة فيما بـين الساعة العاشرة حتى الثانية عشرة ظهراً، قرابة مترين. بعض بيوتنـا غمرتهـا المياه. أسـرعت بالحـال بقطـع التيـار الكهربائي وحولتـه. وأوعـزت بضخ المياه خارج البيوت المليئة بها وإعادة تأهيلها مـن جديـد، ثـم عـدت للعنايـة بعيني. كَوْن المطر ينهمر في الخارج باستمرار، وذلك من يوم الخميس حتى الأحد، لم يعد يزعجني على الإطلاق. كنت منهك القوى ولا أريد سوى الراحة.

ولكن ما هو الأسوأ جاء يـوم السبت صباحاً.لم يعد هنـاك معـابر تـضح المياه إلى سـد دربنـديخان في الأعلى. "معبرنـا الـشهير"، والـذي يبلـغ عرضـه (٥,٥)م وارتفاعـه (٧)م لم يعـد باستطاعته تحمل التيـارات، ونهـر ديـالى طافت مياهه فوق ضفتيه وحطمت عـدداً مـن الجسور. في جولة تفقدية ألقيت نظرة على كـل الجسور والمعـابر المائيــة وسـجلت ملاحظـاتي بكـل هـدوء. وضـع سـد دربنديخان فوق كان مـدعاة لليـأس أكثـر. إنهـار جسران وجرفهمـا التيـار بالكامـل. وغمـرت المياه جميـع منافـذ

الطرق وجرفتها. منسوب المياه؟ (١٠,٥) متر. سافرت فوراً إلى إدارة البناء العليا، وأمليت تقريري على السكرتيرة. صباح اليوم التالي في تمام الساعة السابعة سافرنا إلى المواقع التي أصابها الضرر لكي نقدر الأضرار، وهذا فيما يخص المال وفترة إعادة البناء. بلغت قيمة الأضرار: (١,٥) مليونا ونصف مليون مارك ألماني. الموظفون البيروقراطيون لم يصدقوا الأمر، لأنهم لم يروا في حياتهم شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق.

الأضرار التي أصابت السد كانت أكبر. وجزء من السكك الحديدية جرفته المياه - كما غمرت المياه الطرقات. الله سوف يساعد في إصلاح الأمور وإعادتها إلى نصابها. أفضل شيء في هذا الموقف، هو أن المرء لا يفكر بعيد الميلاد.

في خيمة قطاعي اتخذت كل الإجراءات اللازمة إستعدادا لفترة البرد في هذه السنة: أمام الطاولة توجد (مدفأة علاءالدين) ثانية. وضعت أمام جدران الخيمة الداخلية طبقتين كبيرتين من البلوك. ورصفت أرض الخيمة بنوعية جيدة من الحصى، وهذا يساعد على حفظ الحرارة بشكل أفضل، فأستطيع النوم في استراحة الظهيرة. خلال الأشهر الماضية أوعزت للصبي الذي يعد

الشاي في الخيمة علي حسن محمود بتجميع روث الحمير والأبقار والخيول والجمال من أجل طبخ الشاي.

غير أني بسبب البرد طلبت تزويدنا بشاحنة مليئة بالحطب من الإدارة العليا للشركة. والآن ابتلع الشيطان نصف شحنة الحطب. كل واحد أخفى قطعة أو اثنتين تحت ثيابه وأخذها معه، ثم قال لي بكل جدية: "لم يعد لدينا حطب" وجوابي: "حسناً، ولكن اعتباراً من يوم الغد ابحث عن روث الخيول فهو يحترق أفضل من الحطب وناره تستمر فترة أطول."، وهنا علق على كلامي: "ولكنه الآن مبلل" وأنا أجبت"عليك إذاً أن تنفخ أكثر كي تجففه، فأنت لديك ما يكفي من الوقت لإعداد الشاي" عندما أطلب الحمولة التالية من الحطب سوف يصعب عليه الخيار بين جمع روث الحيوانات أو الأفضل له أن يريح نفسه باستخدام الحطب لإشعال النار.

العواصف الرملية في هذا الشهر مشكلة بحد ذاتها. استطعت بجهد جهيد فقط الوصول إلى السليمانية. السيد (ليشه) سوف يطير غداً من سد دربنديخان إلى بغداد، وبعد ذلك من هناك إلى ألمانيا، وهنا عليه أن يحمل معه ليس رسائلي أنا فقط. عاصفة (ره شه با) كانت من الكثافة بمكان حيث أني فقط بالضوء وببطء

استطعت قيادة السيارة والتقدم بها. عدا ذلك، انتابني الشعور بأني أجلس فوق "بساط الريح" وأطير في الهواء. فجأة انتقلت العاصفة الرملية إلى ارتفاع (١ ــ ١,٥)م وبقوة رياح (١٠ ـ ١٢) وراحت تعوي وتصفر. الغريب في الأمر، أن فوق هذا الـ (١,٥) متر كانت الشمس مشرقة والحرارة مرتفعة. أصيب جميع عمالنا بآلام في البلعوم. هذا نموذج مثالي لوقت الانتقال إلى فترة الأمطار. بالمناسبة، أنا أشعر بالسعادة لوجود أناس شباب حولي، حيث لا مجال لتسلل أفكار مثبطة إلى نفس المرء.

لم نكن نتوقع أن يقع هذا الشتاء ايضاً على رؤوسنا بهذه القسوة. تهب علينا رياح جليدية قادمة من الجبال الإيرانية التي تغطيها الثلوج. رغم مدفأتي (علاء الدين) ارتديت فوق كنزتي الصوفية صدريتي السميكة. ولكن خيمتي في القطاع مريحة. سألني ضيف في زيارته القصيرة بخيبة: "ألا يحق لي بحكم منصبي في الشركة، الحصول على مكتب في مبنى حجري؟" فشرحت له: "هنا لدي الهدوء الذي أبغيه، هنا أستطيع من الساعة (١٢) حتى الساعة الواحدة ظهراً النوم بشكلٍ رائع من دون أن يزعجني أحد. ولكن في المعسكر يوجد دائماً هناك من يبحث عني ويريد شيئاً مني. لقد حاولت ذلك منذ فترة قريبة لمدة ثلاثة أيام. ثم هربت، ورغم البرد

أحس هنا في الخارج بالراحة"، منظر الجبال وهدوء الصحراء، أحب هذا.

أثناء ذلك حصلنا على كميات وافرة من الثلوج. في مثل هذا الطقس البارد والثلوج تتجول الذئاب هنا بهذه الأرجاء في مجموعات كبيرة. اليوم صباحاً راقبت (١٢) ذئباً. أثناء الليل تمكنت من افتراس معزاة وشاة. قطيع آخر من الذئاب التهم كبد عجل، وكخلفية، ابتلع ثعلب أوزتين كتحلية. العنوان: ليلاً، عندما تحيا الصحراء. وفي القرى تقف الحيوانات ملتصقة بعضها ببعضها الآخر، وتتدافع منتظرة علفها.

لايوجد عادة ادخار المؤونة بالشكل المعروف لدينا في ألمانيا. يجب عليهم أن ينتظروا حتى تذوب الثلوج، الأمر الذي يجلب أعداداً كبيرة من وحوش الصحراء من جهة أخرى، ويجعلها تستغل الموقف. لقلق في لحظة وداع يجلس على عمود الهواتف ينظر حوله بحزن ويسأل نفسه، بماذا كان الله يفكر عندما أرسل كل هذه الثلوج. الجوع زاد من عدائية الذئاب، وهكذا أعطيت التعليمات أثناء سفرهم بأخذ كل إنسان ينتظر وسيلة نقل في الطريق، كي لا يؤول مصيره فريسة للذئاب. لقد حدث ذلك بالفعل في بعض القرى الجبلية. كما منعت رجالي من الذهاب سيراً على الأقدام إلى أي مكان.

كانون الأول:

أمطرت بالأمس طوال اليوم، وأنا أمضيت يوما في المكتب. كانت درجة الحرارة في الليل (٤) مئوية، وهنا يستطيع المرء بداية بعد الساعة العاشرة الخروج لقياس درجة الحرارة. ذات مرة كنا محظوظين لأن الزئبق زحف إلى (٣٠) درجة مئوية عند الظهر. رغم السروال الداخلي الطويل والكنزة الصوفية، فقد نلت إصابة قوية بالبرد.

العمال العرب
في كردستان العراق

تعتبر شركتنا في العراق مانحة فرص عمل ذات أهمية كبيرة كشركة أجنبية. لدى توظيف العمال من السكان المحليين يجب علينا مراعاة، قواعد وشروط معينة. والالتزام بها وهذا الأمر أدى بالتالي إلى أن يكون معظم موظفينا من العرب من جنوب البلاد. وهؤلاء إذاً عمال ضيوف في بلدهم ذاته. إنهم في الحقيقة مساكين بالضبط مثلي: إنهم يعيشون منفصلين عن نسائهم وعوائلهم. ما أن يقرر المشايخ أن عيدا ما "بالمصادفة" قريب من عطلة نهاية الأسبوع، حتى يتجه هؤلاء في الحال بإتجاه الديار. إذا لم يعلق المرء في الطين، وإذا لم يباغت من قبل عاصفة "ره شه با"وإعاقتها، نعم، حينها يمكنه أن يصل إلى بغداد خلال سفر تسع ساعات بالسيارة. الأذكياء منهم يصبحون هناك مرضى،

ويرتبون تقارير مرضية طبية، وبهذا يمدّودون على حساب الشركة إجازتهم في الديار. لدى إبراز هؤلاء العمال لتقاريرهم الطبية المرضية يحصلون من شركتنا على أجورهم كاملة عن فترة غيابهم. بعد عودة المجازين هؤلاء، أسمع أروع القصص:

لنأخذ مثلاً عابد عبد الله من الفلوجة إلى الغرب من بغداد وحميد خالد من بغداد. الاثنان رجعا أخيراً إلى زوجتيهما بعد فترة غياب استمرت شهرين. عابد قال لي، الزوجة الاولى فرحت جداً، الزوجة الثانية تشاجرت معه لأنه أطال الغياب. إنه متزوج بالثانية منذ اربع اشهر فقط، بينما في المقابل تزوج من الثانية منذ عشر سنين. وهذا هو السر، القصص متشابهة لدى الجميع. وحميد، غاوي المتعة العجوز هذا، إنه متزوج بثلاث نساء: "كل شيء على ما يرام" سألته: "هل الجميع راضون بالفعل؟" ابتسم بمكر وقال: "قمت بخدمة الجميع على أفضل مايرام." إن الله سوف يكون راضياً جداً عن حميد لأن القرآن يفضي، بأن الزوجات يجب أن يحصلن على نفس القدر من الإهتمام. قبل بداية الشهر المقدس رمضان يجب عليهم بالتأكيد العودة إلى الديار مرة أخرى، لأنهم يجب أن يصوموا خلال أسابيع رمضان هذا. ليس فقط ممنوع أن تلمس شفاههم

الماء أو الطعام أثناء النهار، بل لا يجوز أيضاً أن يلمسوا زوجاتهم، ولهذا السبب لا يسافر أحد منهم تسعة ساعات بالسيارة عبر الصحراء. وماذا أفعل أنا؟. أكتب وأكتب، وهذا كي لا أشغل نفسي بالتفكير!

ليس من غير المعتاد بالنسبة لشهر آذار أن يكون لدينا الآن عواصف مطرية قوية ولمدة طويلة. ولكن أمام الخيمة كان لدينا ضجة أخرى أيضاً. الذئاب هنا. وقفت على بعد (٢٠٠) متر تقريباً مجموعتان كبيرتان منهم، عدد كل منهما (١٢) ذئباً. انتصب كل من زعيمي القطيعين الكبيرين في المقدمة مثل جبلين لا يتزحزحان. والبقية خلفهما على أهبة الاستعداد. من فوق نظارتي رحت أراقب هذه الوحوش وأفكر وأسأل نفسي: ما هو هدفها ياترى. نحن هنا بعكس اتجاه الرياح، إذاً ليس بمقدورهم أن ينقضوا علينا. القائدان يُمتعانني. إنهما يتمتعان ببنية جسدية قوية وضخمة، الإناث بخلافهما، إنهن نحيلات إلى درجة كبيرة. إقتربت الذئاب، واقتربت، حتى أصبحت مسافة الـ (٢٠٠) متراً الفاصلة بيننا (١٥٠) متراً، ثم (١٢٠) متراً، ثم (١٠٠)متر، ثم أصبحت على بعد حوالي (٦٢) متراً مني. الإناث دائماً إلى الخلف (٢٠) متراً. والآن اقتربت إلى مسافة (٤٠) متراً. ثم إنطلقت هنا ضجة خلف الخيام، توقفت الذئاب

لثوانٍ، أنظار الذئاب توجهت إلى الزعيمين وأنظار ذوي القائمتين أيضاً ـ بعدها فرت الذئاب. بعد حوالي مسافة (٥٠٠) متر توقف القطيعان، على ما يبدو كي يعقدوا (إجتماعاً إستشارياً)، ولكن كان القرار أن تكون وجهتهم هي الجبال من جديد. هل كنت خائفاً؟ كلا، كان مسدس الحارس من عيار (٨) م مليمتراً بالقرب مني. كان بإمكاني أن أترك الذئاب تقترب مني لمسافة (١٠) أمتار. لا تنسوا أن الذئاب لا تهاجم الإنسان.

كان العديد من العمال على الضفة المقابلة لنهر تانجرو يراقبون هذا الاستعراض من مسافة آمنة. منسوب مياه النهر ارتفع حالياً جداً، والعمال الذين يسكنون على الضفة الأخرى يجب عليهم أن يقطعوا النهر يومياً مرتين على الأقل، الذي تصل مياهه حالياً إلى أعناق بعضهم. زوارق أو عبارات أو جسور، هذه أمور لا يعرفها هؤلاء الناس، لا سبيل آخر سوى الخوض في الماء وعبور النهر بهذه الطريقة.

من يرى هذا المنظر يومياً لا يهتم بالأمر كثيراً. ولكن من وجهة النظر الأوروبية، لايمكن للمرء سوى الضحك، ولكن بذات الوقت يتأسف لحال هؤلاء البشر فقط. بالنسبة للكرد ذاتهم يعتبر هذا مسألة طبيعية.

وقريباً سوف أجلس بالسيارة باتجاه كركوك، ومن هناك سأتجه إلى بغداد مستقلاً "قطار ضواحي شفابن" في طريقي إلى الديار وذلك لأول مرة منذ سنتين. آمل أن يكون الحظ حليفاً لي أكثر من أحد الزملاء: حيث فتح الله كل خراطيم السماء بالكامل وأجبر قطار الضواحي على التوقف، وفاتت رحلة الطائرة في بغداد هذا الزميلَ. بالنسبة لرجل أعزب لا يهم الأمر كثيراً، ولكن بالنسبة لي تعتبر كارثة. حتى يوم سفري آمل أن يتم إصلاح الثلاث كيلومترات من سكة الحديد التي جرفتها سيول الأمطار. المروحية التي يمتلكها الأمريكان (التي تطير من سد دربنديخان إلى بغداد) محجوزة في الأسبوعين القادمين للأسف. ولكن لا تقلقوا، سأصل في الموعد المحدد كما خططت ـ حتى ولو اضطررت لامتطاء واحد من أعزائي الحمير عبر الصحراء إلى بغداد.

جلب لي حارسي باقة ورد قطفها حديثاً. إنه من المعلوم: "عندما يحصل المدير على ورود كثيرة طازجة من جنة عدن، حينها تكون الأجواء صافية" هذا صحيح! أتمنى لو كان بإمكاني أن أجلب لكم هذه الباقة الرائعة من الورود معي. كما أتمنى أيضاً أن تتمتعوا أنتم أيضاً في هذا اللحظة بالذات بسكون البرية هنا معي. الأمطار غطت كل شيء بالطين ولا يمكن لأية آلية كبيرة

أن تعمل. الجو هنا ساكن إلى درجة أني أستطيع سماع العصافير تزقزق. البلابل تغني. منذ أيام وصلت أسراب من مختلف الطيور. والسنونو بنت أعشاشها وراحت تضع بيوضها بكل همة.

مشروع البناء الأكثر جنوناً

قبل عدة أسابيع أتى السيد "مديرنا العام" ودعاني إلى جولة في الـ "لاندروفر" إلى (بيركي) في الأعلى. إنه يريد أن يرى شيء بصحبتي. أحسست بإحساس غير مريح. أفضل من أية تفصيلات من قبلي توضح الصورة المرفقة بالرسالة بالتأكيد. يقع وادي عرضه (١٠) أمتار بين مرتفعين جبليين، إرتفاع كل منهما يبلغ (١٥٠) متراً تقريباً. يمر في هذا الوادي طريق عرضه (٤) أمتار وخلف الجبل مباشرة هناك وادي آخر فيه طريق ميلان الصخور فيه (٢٠٪). وفي هذا الوادي الثاني يجب علينا أن نبني معبراً مائياً بطول (١٢٠)متراً. أنا فكرت بضيق المكان فقط، وبالمياه والجبال، والتفكير بالبناء اصابني بالرعب.

دون أن أنطق باية كلمة هبطت إلى الوادي. بعد نصف ساعة قلت لـ (مديرنا العام): (عزيزي السيد

كوشوشينسكي، هذه مسألة فيها مخاطر جمة وغير مضمونة العواقب.) فأجابني بكل هدوء: "هذا واضح بالنسبة لي، هل بإمكانك تنفيذ ذلك؟" فإشترطت: عدم التدخل بمجريات العمل، وعدم تحديد موعد مسبق لمدة العمل، وإعطائي حرية كاملة في العمل. بداية، بعد أن أعطيته يدي كقسم على الإلتزام بالإتفاق، نطق هذا المخضرم الماكر بالكلام قائلاً: "لايريد أي مهندس في شركة طريق الشمال هذا المشروع لأنه حسب رأيهم يستحيل تنفيذه. بعد مضي ثلاثة أيام من التحقيقات والتخطيط الشامل بدأ المشروع يكتسب ملامحه، وأصابت الدهشة الجميع. وبعد أربعة ايام أخرى كان قد جرى نقل (٤٠٠٠) متراً مكعباً من الصخور و (٢٠٠٠) متراً مكعباً من التراب، وبهذا تم إزالة العقبة الأولى، ولكن ينابيع المياه في السفح الأيمن تشكل خطورة إنزلاق كبيرة. يجب توقيف العل بداية بشكل مؤقت. كخطوة أولى أوعزت ببناء ساقية بيتونية بإرتفاع (١) متراً واحداً وعرض (٢,٥) متراً، من أجل تحويل مجرى المياه عبرها. وكل هذه الإجراءات توجب إنجازها في الأوحال القذرة. ثم إنهمر المطر بغزارة أيضاً، ولم يتبق أمامنا سوى التوقف عن العمل والإنتظار كي تجف الأوحال قليلاً.

كي أستفيد من الوقت صعدت بجرافتي إلى الأعلى فوق "قمع السكر" لو رايتم عيون المشاهدين. كانوا يتسائلون: "ماالذي سيفعله ويتمان هذه المرة؟"، الآن بعد يومين تحول "قمع السكر" خاصتي إلى هضبة. رغم أني تخوفت بداية من المشروع، غير أني إستمتعت بتنفيذه وأحسست بنوع من الرضا عن الذات أيضاً. رفض جميع مهندسي شركة "طريق الشمال" هذا المشروع بإعتباره "ليس قابلاً للتنفيذ"، والآن يثبت مجرى المياه الذي نفذته هناك، بأنه بلى قابل للتنفيذ. ماهو الأجر الأفضل لقاء هذا المشروع؟ هو أني لم افكر بعيد الميلاد، عيدالميلاد الثالث الذي اقضيه هنا في الصحراء بدونك وبدون بيترا. رغم أني سمعت بأن جميع الذين سافر بإجازة إلى الديار، وبدون إستثناء اصيبوا بالإنفلونزا في ألمانيا. أحدهم عندما طار كانت درجة الحرارة هنا (٤٢) مئوية فوق الصفر، وعندما وصل إلى النمسا كانت درجة الحرارة في مدينة "سل على البحيرة" (٣٠) مئوية تحت الصفر. هذا كان إختلاف (٧٢) درجة مئوية للحرارة، وذلك خلال مدة (٢٤) ساعة. سوف يتفاجئون مرة أخرى عندما يعودون. وأنا أجلس هنا كالباشا في خيمتي. ورغم ذلك أحصي الأيام، التي تفصلني عن أن أكون عندكم في آذار.

برنامج عملي للسنة التي أمامي تقرر بشكل واضح: طريق طوله (٦) كيلومترات، وهذا يعادل تحريك مايقارب (٥٤٥٠٠٠) متراً مكعباً من الأرض مع مايتبعه من جسور ومعابر مائية. وكدعم حصلت على مجموعة آليات ضخمة رائعة، جميعها من ماركة "باكر" الممتازة والعريضة. وأصبح لدي ما مجموعة (١٠٨٠)حصان طاقة محركات من حولي. أستطيع بطاقة هذه الآليان تحريك (٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠) متراً مكعباً من الأرض يومياً. سوف اسجل من أجلك أصوات هذه الضجة على شريط كاسيت.

كتبت لكم أن مشروع "قمع السكر" خاصتي توقف بسبب هطول الأمطار القوية. ولكن عاودنا العمل عليه في وقت ما، ثم من جديد إضطررنا إلى التوقف: التلفزيون الألماني من كولونيا يريد تصوير فيلم طوله (٣٠) دقيقة عن مشروعي. الحماسة والإعجاب بالموقع طغت على طقس الترحيب بفريق التصوير: "إنظر كم هو بديع هذا الموقع. مثل هذه المناظر لم نحظى بتصويرها أبداً، لم نر خلال الخمسة ايام تصوير التي قضيناها أجمل منها." المصور قام بتصوير كل مايمكنه، وكان ذلك على حسابي، لأني على الدوام كنت أحرص ألا أدهسه بإحدى الآليات: "سيد ويتمان العمل هنا رائع، كيف تسير كل هذه الأمور بهذه السلاسة. عندما يرون

قسمك في المانيا سوف ينبهرون!" صورونا، المدير هاوسمان وأنا في لقطات كبيرة. سوف يخبركم المنتج عن موعد بث الفيلم، كي تريان أنتما الإثنتان مشروع "قمع السكر" خاصتي في التلفزيون وتعجبون به.

منذ مدة طويلة لم يكن لدي وقت للكتابة. أستمتع جداً عندما يكون لدي الكثير من المشاغل، وهذا جزء من الحياة هنا، ولكن هذه المرة مشاغلي تكاد تخنقني. تحويلة طريق ميرادي يجب أن تنتهي حتى تاريخ (١٠/٣١)، ولايزال هناك الكثير من العمل قبل أن تنتهي. الكل يريد مني شيئاً ما. كنت على وشك أن أنتهي، فجاة وفي ذات الوقت يطلب مني:

١ـ كسارة حجارة للرصيف، ٢ـ مدحلة حصى، وكسارة نحاته، وماكينه رش القار. وجميع آلياتي الكبيرة كانت بكل الأحوال تسير في شارع بإتجاه واحد، وجميع هذا في منعطف لايمكن رؤية شيء مما يحدث فيه. ماالعمل؟.

هنا أوعزت لأحد الكرد الوقوف يسار الخيمة بعشرة أمتار فوق تلة، حيث يستطيع من هذا المكان رؤية كل شيء. ثم أعطيته علمين كبيرين: أحمر = السير بإتجاه الوادي، وهذا يعني أن كل من هو فوق يستطيع النزول، وعلم أبيض = السير بإتجاه الجبل، وهذا يعني الجميع من تحت يستطيع السير بإتجاه الأعلى. لماذا ليس علم

أخضر؟. من هذه المسافة البعيدة لايمكن التمييز بين الأخضر والأحمر. وهكذا تم تنظيم حركة الآليات على افضل شكل. كان السيد هاوسمان يراقب مايجري طوال ساعات، ثم قال بطريقته: "لماذا تشتم، كل شيء يسير كما يجب! الأمور على خير مايرام، لقد نظمت الأمور بشكل جيد جداً." لأول مرة تركت العمال يعملون يوم الجمعة المقدس ـ وعند المساء إنتهينا من إنجاز العمل في الموعد المحدد. والآن تجري جميع الأمور كما جرت العادة، وعاد إليّ هدوئي.

صدقوني، لايمكن لمشروع بناء أن يكون صعب بما فيه الكفاية. أنا أحب التحدي. ولكني الآن إستلمت مشروعاً جعلني أهتز وأشعر بالقرف، وأهز برأسي فقط، وهذا "المشروع" هو منتوج مهندس يحمل شهادة دبلوم من المانيا. الظروف كانت أسوأ مما كانت عليه في قسمنا الأول بعد الحرب في "باورن"، وإذا أراد المرء أن يكون هنا أفضل فإنه يحتاج إلى طاقات لا حدود لها.

لم يعد يحتمل السيد المهندس الألماني فاستقال وترك ورائه "إسطبل خنازير"، شرح المدير هاوسمان وهو يهز راسه: "كان لدينا هنا في قلياسان مستشاري بناء ومهندسين وخبراء بناء حكوميين، ولكن بداية الآن يستطيع المرء السكن والعمل هنا." عندما يستلم المرء

بشكل إضافي مشروعاً مهدماً بالكامل، حينها يستطيع أن يسمح لنفسه بقدر من الأنانية الصحية، وبهذا كان أول ماقمت به هو إصلاح غرفتي. المريح الآن أنني اسكن بعيداً عن السليمانية فقط مسافة (١٠)كم.

السكان المحليين، ولكن الموظفون الألمان ايضاً، كانوا مضطربون بسبب رئيس القسم الجديد. حتى أني كنت قد سبق وسرحت بعضهم من دون فترة إنذار قبل ثلاث سنوات. غير أني تفاجأت الآن إيجابياً من موقفهم المنفتح والإيجابي تجاهي. لقد ذاع صيتي خلال هذه السنوات بأني أطالب بنوعية عمل عالية. وفي حال حصولي على ذلك يمكن للمرء أن يتفاهم معي على أحسن وجه، وإذا لم احصل على مطلبي، فأنا يمكن أن أكون إبليساً.

تسير أعمال الترميم بجانب الأعمال اليومية الإعتيادية بشكل جيد. وبشكل خاص يندهش الألمان، كيف فقط كانوا يستطعون الحياة في مثل (أسطبل الخنازير) هذا. عند هدم السقف الطيني أصيب ما لايقل عن (٥٠) عقرباً بالذعر. مايسمى بغرفة الحمام والمرافق كانت تعج بالعقارب بإستمرار، وعندما يتمختر أحد العقارب على حائط غرفة الحمام بكل راحة، أعالجه بضربة فاصيب جزئه الخلفي، الجزء الأمامي يسقط على

الأرض ويتـابع سـيره. إلا أن الـضربة الثانيـة بقطعـة القماش ترسله إلى العالم الآخر بشكل نهائي. عـن أوضـاع المطبخ لا أريد الحديث بتاتاً. بالتأكيـد (١٠٠٠) صرصـار، وجحور الفئران في كل مكان.

أحـد المشاريع الأولى كـان الحفـر بحثـاً عـن المـاء، لـدى عمق (٤) أمتار نجحنا. خـلال خمسة أيـام كـان كـل شـيء قد إنتهى، وقمنا بتدشين بئر الماء. ولكن لاتـسألوا كيـف! مضخة الماء باتت تعمل، وأعطيت الإيعاز بتغطيـة فتحـة البئر بقرص من البيتون كي لاتسقط الأقذار فيه.

قبـل ذلـك كـان علينـا أن نلـتقط الحشرات مـن علـى سـطح المـاء بـشبكة تنظيـف. العامـل كـان يحمـل شـبكة التنظيـف المربوطـة بعـصا بيـده، وباليـد الآخـرى كـان ينظـف أنفـه بإصـبعه، ثـم رمـى بالقـذارة في المـاء! نحـن فقدنا عقولنا. وعندما أدرك من خلال صراخنا مافعله، خلع حذائه وقفز في الماء بملابسه القذرة، وأخـرج قـذارة أنفـه مـن المـاء واستعرضها أمامنـا بكـل فخـر وإعتـزاز، وصاح: كل شيء على مايرام. أمام هـذا القـدر مـن الغبـاء الجاهـل لا أسـتطيع سـوى الـذهاب ومغـادرة المكـان. في النهايـة أفرغنـا جميـع الخزانـات مـن الميـاه، واحـضرنا مـضختين جديـدتين ونظفنـا الخـزان البيتـوني بـشكل جيـد. اخـذنا بالحسبان انـه عنـدما قفـز في المـاء البـارد

جراء الرعب يمكن أن يكون قد تبول فيه. يا آلهي هؤلاء الأطفال، يجب على المرء أن يكون بإستمرار حذراً معهم.

التجهيز تطلب أيضاً الكثير من الوقت والجهد والمبادرة، إضافة إلى إعمال العقل والتفكير. من ضمن اشياء أخرى إحتجنا أيضاً إلى بساط طويل (ممشى). أخيراً وجدت ضالتي في البازار، ولكن كانوا بساطين يجب تخيطهما ببعضهما الآخر كي يكفيان لملئ المساحة المطلوبة. قال البائع: "إنشاء الله، غداً" فأجبته فقط: "اليوم" هنا بسط البائع البساطين في الشارع وجلس فوقهما وراح يخيطهما. أثناء ذلك سار فوق البساطين خاصتي حمير محملة. وجميع الناس العابرين وماعزة وأغنام، وهذا طوال مدة ثلاث ساعات. بلغ سعر البساطين مع تخيطهما (٥٠٠) فلساً، وإجرة حمال إلى السيارة (٥٠)فلساً. وفي المعسكر تم غسل البساطين وتنظيفهما بشكل جيد. إذا أردت هنا شراء سجادة عجمية، يفرشون لك جميع مالديهم من السجاد في منتصف الشارع. كل شيء يمر فوقها، دواب وسيارات وبشر، بينما البائع يمتدح البضاعة بلغة وردية بليغة، ويقول: "هذه مشيئة الله.

الملك يأتي، الملك يذهب

لقد سبق لي أن شرحت لكم في رسائلي السابقة التي تضمنت تقارير عن السياسة والإنكليز وغرترود بيل، وكيف نشأت الأسرة الملكية هنا في العراق. لم أتوقع حينذاك أني سوف ارى شخصيا هذا الملك الشجاع الصغير، الملك فيصل الثاني ، هنا في الأعلى في كردستان. ولكن الآن الخبر الرسمي مفاده: "الملك سيأتي" ولكن الجميع أيضاً وكل فرد منفعل إلى أبعد حد: القرية الكردية أمام بوابتي، والسليمانية،وإدارة الشركة العليا، الكل يقول "الملك سيأتي". إنه يملك الشجاعة فعلاً بالمجيء إلى كردستان هنا، إلى جزء من بلاده حيث أدنى نسبة في البلاد ترغب به. ورغم ذلك، أو ربما ايضاً بالذات لأجل ذلك، الكل فخور وشاكر ايضاً لهذه اللفتة الملكية.

أوعزت بإسم الشركة ببناء قوس نصر إحتفالي. وقد تم تزينه بأعداد كبيرة من العلم العراقي. وسط هذا الكم الهائل من الألوان الزاهية كانت صورته تلمع، صورة الملك فيصل الثاني، توقفت عن العمل جميع ورشات شركة "طريق الشمال" في تمام الساعة العاشرة من يوم (٦) تشرين الثاني، وإنطلق الجميع لرؤية هذا الطقس الإحتفالي وماسوف يحدث فيه. كان الألمان مسلحين بكاميراتهم وينتظرون بنفاد صبر، كالآخرين من السكان المحليين، موعد ظهور ملكهم" تقارير الشرطة كانت تنقل إلينا آخر الأخبار خطوة بخطوة: "الملك لايزال في السليمانية" إذا لازالت (٢٠) كيلومتراً تقريباً بين الملك وبيننا.دعانا مدير الناحية كي ننتظر وصول الملك معاً أمام قسم الشرطة في عربت. الكرد قاموا بكل الإجراءات إستعداداً للمناسبة، فزينوا الشوارع، النساء والأطفال إرتدوا ملابسهم الإحتفالية التقليدية الملونة التي أحب منظرها. في الواقع لديهم أفضل المواقع: على الاسطحة. إصطف جميع تلامذة مدارس المنطقة على طرفي الشارع الرئيس. ووقف رجال الشرطة بين الأطفال تفصل كلاً منهم عن الآخر نفس المسافة، وهم يحملون بنادق تعلوها الحراب. جميع الكرد من كل الطبقات أتوا، ومع كل منهم ثلاثة أغنام. وفق عادتهم يجب ان يضحى

بهذه الأغنام من أجل الملك. كون أننا نحن الجرمان عملنا بهذه العادة أيضاً أمر يمكن فهمه. خرافنا الثلاثة البيض ايضا كانت جاهزة من أجل التضحية بها في سبيل تشريف الملك.

في تمام العاشرة وصلنا الخبر: "غادر الملك للتو السليمانية" دب النشاط الآن بين أفراد الشرطة. مرة أخرى جرى تبديل مواقع الشرطة، أعيد تلميع البنادق مرة جديدة. حتى الخيول التي كان افراد الشرطة الخيالة يمطتونها أصابتها عدوى إضطراب الفرحة. أثناء ذلك وقف كل (١٠٠) متراً شرطي في وضعية "سلاحك قرب قدمك"

جميع المواطنين الذين يتوقع منهم إثارة القلاقل تم بكل الأحوال "إحتجازهم" من قبل الشرطة، وهؤلاء لم يكن عددهم قليلاً. حالة "إحتجازهم" غاية في الظرافة: جلس جميع المحتجزون الآن أمام مركز الشرطة مع أفراد الشرطة الذين يراقبونهم، وكان الجميع يشرب الشاي! الكثير من الشاي. صحيح أن أفراد الشرطة كانوا يراقبونهم، ولكن هذا لم يعكر عليهم ذلك الإستمتاع بشرب الشاي على الإطلاق. إنها طريقة جيدة لوضع من يتوقع منهم القلائل تحت الرقابة. إلا أنني عندما رأيت هذا المنظر أمسكت بطني بيدي من شدة الضحك. على

الأقل، ايضاً هؤلاء الذين تم تصنيفهم "مثيرون للشغب" يسمح لهم بالإستمتاع بإلقاء نظرة على الملك. ربما نحن الأوروبيون نستطيع أن نتعلم شيئاً ما ايضاً من طريقة التعامل هذه؟. ومن لايعلم ماالقصة، لايستطيع أن يعلم أن قصة شرب الشاي هذه تدور حول "بشر محتجزون لدى الشرطة"

واخيراً حانت الساعة "الملك غادر للتو حدود المدينة. الملك يأتي!" عندما دقت الساعة (١٢) ظهراً بالضبط دخلت السيارة الأولى في مجال نظرنا، ولفت إنتباهي في الحال التسلح الثقيل. في السيارة الثانية جلست الشرطة العراقية. بداية في السيارة الثالثة، هنا كان أخيراً: الملك فيصل الثاني.

والآن بدا الهرج والمرج. فجأة قفز جميع أصحاب الأغنام والخراف إلى الشارع. كل شي جرى بسرعة البرق وبدقة تامة. خلال ثوان معدودات فقدت تلك الخراف البيض رؤوسها! جرت الدماء أنهاراً في الشارع أمام قافلة السيارات التي كانت تمر. توقف الملك لبرهة وإنحنى إنحناءة ملكية صغيرة بكل جلال. كان شكله في ثيابه العسكرية الخاكي البراق يوحي فعلاً بالشباب والجمال. ملاحظة جانبية: إنه بالفعل شاب في سن الثامنة عشر. إلى جانبه كان يجلس عمه، الأمير "فلان وفلان". الجميع

صفق، والخراف المساكين الذين فقدوا رؤوسهم تمت إزاحتهم جانباً، مايسمى تضحية الشكر تجاه الملك إكتملت والمرء قام بما يجب عليه أن يقوم به.

نحن الجمهوريون المساكين أثار إعجابنا الظهور الشجاع للملك الشاب في كردستان البرية. هنا في الأعلى لايحب المرء أن يراه سوى من الخلف، ويفضل ألا يراه على الإطلاق. رغم ذلك كان من دواعي سرور كل شخص أنه راى الملك ذات مرة شخصياً. ربما راى الملك فيصل الثاني أيضاً صارية العلم العالية في معسكرنا. لقد تدبرنا أمر تعليق علم ألماني كبير.

الآن يأتي القسم المريح. أخذنا راحتنا مع جميع المواطنين الآخرين في نهاية الإحتفالية في (الجايخانة) الموجودة في الساحة، ورحنا نستعيد مجريات أحداث الساعة الأخيرة مرة أخرى. ثم حدث الأمر: تم بناء قوس النصر أمام مركز الشرطة بالضبط، وإحتاج إلى عمل ثلاثة أيام، ولكن بكل أسف إكتشفوا أن إرتفاعه ليس كافياً لمرور جميع أصناف السيارات. وفي هذا الجزء من البلد لاتوجد معابر مرورية، ولذلك لم يفكر أحد بأن عبر قوس النصر هذا تستطيع سيارة الملك المرور، ولكن ليس الشاحنات. خاصة الشاحنات التي يحملها العراقيون بإرتفاع (٤ حتى ٥) أمتار من المستحيل أن

تتمكن من العبور تحت قوس النصر هذا. وجد المرء الحل. وضعوا حاجزاً في منتصف الطريق بسرعة، وبهذا أغلقوا الطريق السابق. وقف إلى يمين ويسار قوس النصر شرطيان، اللذان راحا ينظمان حركة المرور الطبيعية ويحولانها إلى نوع من الحركة الدائرية حول قوس النصر. وقبل وصول موكب الملك بقليل أزاحوا الحاجز. ومر الملك عبر قوس النصر.

وبينما كنا نشرب الشاي ونتحادث، رأيت شاحنة قادمة بسرعة. كانت محملة حمولة عالية بأكياس القطن، وفوقها جلس حمالون ولكن ليس لفترة طويلة. حدث إرتطام، وعلقت هذا الشاحنة بحمولتها العالية بقوس النصر. إنهار قوس النصر مثل بيت كرتوني، أكياس القطن والحمالون تدحرجوا على أرض الشارع. بالطبع هرعت الشرطة بسرعة إلى المكان، إذ أن الحادثة وقعت أمام عقر دارهم. قاموا بإعتقال الحمالين المتدحرجين وابرحوهم ضرباً بأعقاب بنادقهم. السائق ذاته كان لايزال عالقاً في حجرة القيادة المقلوبة وينظر ببلاهة وعدم تصديق إلى قوس النصر. كان منظراً لايمكن وصفه، ضحكت حتى سالت دموعي.

عاد الملك في عتمة المساء. قوس النصر كام محطماً، بالتأكيد قال الملك لنفسه: "أنتم بالنسبة لي موالين

ظرفاء للملك"، ولكنه سوف يأخذ الأمور جميعها بروح دعابة ومرح.

بعد ثلاث سنوات: مات الملك. تغيرت بشكل مفاجئ أمور سياسية كثيرة. أنا أحمد ربي كل مرة بسبب وجود محطة إذاعة "الموجة الألمانية" إنها تقوم بإعلامنا بدقة وموضوعية حول الحقائق، تأنى بنفسها عن كل أنواع التعليقات. الأمر الآخر الذي يريحنا، أن عاصمتنا بون أتخذت موقف الحياد الكامل.

نلتصق جميعنا في أوقات فراغنا بجهاز الراديو ونلتقط مختلف المحطات في العالم. صحيح أن بغداد تبث برنامجاً باللغة الألمانية، ولكن مذيعته من ساكسن (ولاية في شرق ألمانيا يصعب على الألمان الاخرين فهم لهجة اهل هذه الولاية ـ المترجم). لايمكن مطالبة اي إنسان بسماعها. عدا ذلك بالمرة، أن معلوماتها لاتتطابق مع المعلومات التي تبثها "الموجة الألمانية" قتل الملك وجميع افراد أسرته وبما فيهم ولي العهد ورئيس الوزراء.

هذه التطورات تذكرني بسنة (١٩٣٣) في ألمانيا (تاريخ إستيلاء هيتلر على السلطة في ألمانيا ـ المترجم). ولكن هذه المرة اشد قسوة وحزماً. الشعب يهلل، وهذا أعرفه ايضاً فيما مضى. ونحن ساكنون كالفئران. إن الموضوع شأن داخلي ونحن مجرد ضيوف هذا البلد لا أكثر. غيرأن

القلق سيطر على الكثيرين من الأجانب الموجودين هنـا. خلال ذلك تم إبلاغ المدير العام لشركتنا بشكل رسمي، بأننا نحظى بافضل حماية من الحكومة الجديدة، وعلى هذا إعتمدنا. يجب علينا بكل بساطة الإعتماد على ذلك. سوف تطلعون على بعض المسائل عبر وسائل الإعلام عندكم، أنا لاأستطيع للأسف المغامرة بكتابة تفصيلات في الرسالة. لم يصل بريد إلينا منذ عدة أسابيع.

أصبح لدينا "مهندس قصر جديد، وهو السيد الألماني شولتزه. إنه شخص غير مريح أبداً ومتعصب. يعتبر نوع من "حلقة وصل" بين الحكومة وشركتنا. أحضر السيد شولتزه معه من بغداد، بعد محادثاته مع الحكومة الجديدة، الأوامر التالية من ضمن كثير غيرها والتي لاتشمل شركتنا لوحدها فقط، بل تسري بشكل عام على جميع الشركات التي تعمل هنا: يجب العمل بشكل أفضل، لايسمح للأجنبي أن يصبح مزعجاً، وإذا حدث ذلك، حينها لاتوجد لا محاكمة ولا سجن، وإنما سيعدم في الحال.

فيما يخص موضوع أمننا هناك إخبار إيجابية. نحن لدينا حماية جيدة ويجب عليكم إلا تقلقوا. الحكومة الجديدة تبذل الجهود لكي تعيد فرض الهدوء والنظام على البلاد.

أعـود للحـديث عـن إذاعـة "الموجـة الألمانيـة" مـرة أخرى. كل أربعـاء في تمـام الـساعة الـسادسة مـساءً يوجـد برنامج تقدمه المذيعـة هيلـده شـتالماخ عنوانـه "الكـلام بيننا" منذ عدة أسـابيع لم اتلـق أيـة رسـالة مـنكم، ولا أنتم مني بالتأكيد. وهنا كنت آمل أن تتصلوا بـ "الموجة الألمانيـة"ربمـا، خاصـة كنـا في يـوم "٢٤تمـوز)، يـوم عيدميلادي، وهكذا جرى. سـالت الـدموع على خـدودي عندما سمعت المذيعة هيلده شتالماخ حال بداية البرنـامج تقول: "الـسيد برنـارد ويتمـان في الـسليمانية ـ العـراق، تبعث لك زوجتك وإبنتك بيترا التهاني القلبية بمناسـبة عيد ميلادك، وتأملان ألا يكون لقلقهمـا مـبرراً." لحـسن الحـظ كنـت بمفـردي في غرفـة المطعـم فكـان بوسـعي أن أترك العنان لنفسي وأترك الدموع تنهمـر إلى مـالا نهايـة على خدودي. هذه التمنيات والتحيات المفاجئة منحـتني طاقـة كـبيرة جـداً. مـرة أخـرى في الـساعة (٩,٥) مـساءً سمعنـا جميعنـا معـاً هـذه التحيـة مـن إذاعـة "برنـامج أفريقيا"، وفي الصباح التالي في الـساعة الخامـسة سمعتها مـرة أخـرى في "إذاعـة أمريكـا الـشمالية" بالإجمـال سمعت تمنياتكم وتحيـاتكم خمـس مـرات، كـل مـرة مـن محطات بث لجزء مختلف من الكـرة الأرضـية. وهـذا كلـه حدث في يوم عيد ميلادي الخمسين.

لا تصلنا هذه الأيام أية رسالة، كما أننا لانعلم أيضاً فيما إذا كان بريدنا يصل إليكم. رغم ذلك أنا أستمر بالكتابة وأعطي ما أكتب لكل من تسنح لي الفرصة برؤيته من الأوروبيين المسافرين. بهذه الطريقة أتمكن من تفادي الرقابة في بغداد. الرقابة الألمانية هي في المناسبة النازية السابقة. لم أكن الوحيد الذي توقع أن يحدث ذات مرة هذا الإنقلاب. ولكن هذا العنف لم أتوقعه. مقارنة بهذا يعتبر هيتلر صبي يتيم.

الرياح تعصف أكثر شدة

حسب إذاعة الـ "الموجة الألمانية" سوف تتابع شركة الطيران الألمانية الـ "لوفتهانزا" رحلاتها إلى بغداد إعتباراً من اليوم. هذا يعني: "الأمل بوصول بريد من قبلكم، وأنا أنتظر أيضاً كي أعلم فيما إذا وصل بريدي إليكم. طريقتي في الترقيم عملية. إذا ضاعت مرة إحدى الرسائل، أستطيع دائماً إرسال الرقم الضائع مرة أخرى من جديد. أنتم تعلمون بأني أحتفظ بنسخة فوتوكوبي من كل رسالة.

ربما تتساءلون ايضاً، لماذا أرسل في الفترة الأخيرة جميع رسائلي بالبريد المضمون. وهاهو الجواب: قبل مدة قصيرة خطر ببالي بعد أن غادرت مكتب البريد، أنه من الأفضل أن اشتري عدداً من الطوابع البريدية، وعدت إلى البريد. وهنا رأيت في حال دخولي إلى البريد كيف يضع موظف البريد الرسالة في أحد الصناديق عوضاً عن كيس البريد. سوف أختصر عليكم: المخادع أخذ فقط إجرة

البريد، ولكنه لم يستخدم هذه النقود من اجل الطابع، بل وضع النقود في كيسه. ولم يحصل هذا مع رسائلي فقط. وهكذا اكشفت لماذا لايصل جزء من رسائلي إليكم. منذ ذلك الحين ينظر موظف البريد إلي نظرة حمقاء، لأن كل رسالة من رسائلي اصبحت أرسلها في البريد المضمون، وفي هذه الحالة لايستطيع التلاعب.

في الوقت الحالي يجب على كل منا العمل أكثر مما مضى: عدد كبير منا أصبح قلقاً ويعمل بلا تركيز، أصابهم الإرهاق واصبحوا مرضى. كانوا فرحين تماماً عندما تم إرسالهم إلى الديار، أي إلى ألمانيا. أثناء ذلك تمكنا من تجاوز كل المصاعب على أفضل وجه، رغم أن كل شيء كان قاسياً ولا زال. لحسن الحظ إن السكان العرب والكرد يستلطفون الألمان ويحبونهم جداً. فقط المرء لايستطيع أن يرى من كل بد أننا ألمان. كان هناك إجماع عام بأن نبقى بعد نهاية الدوام في المعسكر، وألا نسافر إلى السليمانية التي تبعد (٢٠)كم، ولا إلى كركوك أو إلى الموصل. أرسلت الدعوات تلو الدعوات إلى الله، ورجوته أن يخلصنا من كأس المرارة هذا.

وفي وسط هذه الظروف الهائجة يعتقد مديرنا العام الطيب بالفعل بأنه حتى سنة (١٩٥٩) سوف ننتهي من كل مشاريع شركة (طريق الشمال) هنا فوق. هنا لا

استطيع سوى القول "إن شاء الله" أنا أستطيع التفاهم معه بشكل جيد، ولكنه بشكل عام إنسان قاس وصارم ولايعرف الحلول الوسط. من ناحية أخرى إنه بالضبط هكذا كما نحتاجه أن يكون في المفاوضات مع الحكومة. الحكومة في بغداد تنظر إلى عملنا بتقدير وإحترام عاليين، طرقاتنا أصبحت بشكل خاص في هذا الوقت إستعراض جيد لإرادة العمل الألمانية بالنسبة لهذا البلد. الحكومة الجديدة تبذل كل مافي وسعها لمساعدتنا.

رغم هذا، لدينا جميعنا إحساس بعدم الراحة ونسأل أنفسنا في كثير من الأحيان، فيما إذا كنا سوف نرى مشاريعنا هنا تعيش مرحلة التدشين وفق الأصول. مرة أخرى من جديد لايصلنا اي بريد، ناهيك عن صحفي الألمانية. والحال هكذا، لا اعلم انا ايضاً فيما إذا كان بريدي يصلكم. ربما بإمكانكم إرسال خبر بهذا الخصوص عبر إذاعة "الموجة الألمانية"

نحن بحاجة هنا إلى أعصاب كالأسلاك الشائكة. الأمور تشبه الوضع ايام هتلر سنة (١٩٣٣)، مع الفارق أن الطقس هنا أكثر دفئاً، وأن الكثير من الرؤوس الخشبية يتوهمون بأن الكفار ليس لهم الحق في الوجود. يستفحل الموقف بإتجاه أن يصبح لعبة صبر وتحمل. سوف نرى فيما إذا كنا سنحبس أنفاسنا فترة كافية.

إضافة إلى ذلك إذا لم تكن الناحية المالية على مايرام، حينها لامغزى لهذه التضحيات ايضاً. في ظل هذه الظروف تعتبر قسوة المدير العام هاوسمان الصارمة عملة ذهبية. حتى الآن تمكن من الحصول على الأموال الضرورية من بغداد.

في مثل هذه المواقف أكون من الشاكرين حين يكون لدي أعمالاً كثيرة. منذ عدة اسابيع لم أتمكن من إيجاد الوقت للكتابة. عندما يقف المرء (١٥) ساعة على قدميه، حينها يسقط مساء في سريره ولايستطيع التركيز على اي شيء. المكسب في موقف كهذا هو: لايخطر على بال المرء أن يفكر. رجتني السكرتيرة بإلحاح مرات عديدة إنهاء الملفات المطلوبة مني. وهكذا اقدمنا على رهان: إذا لم اسلم حتى يوم السبت في السابعة صباحاً الملفات المطلوبة مني، سوف يتحتم علي أن أتبرع بثلاثة صناديق بيرة، مايساوي (١٢٠) مارك ألماني. طوال نهاية الأسبوع، من الخميس مساءً لغاية صباح يوم السبت تمام الساعة الخامسة والنصف، عملت بلا إنقطاع. في تمام الساعة (٦,٠٠) صباحاً وضع المراسل الملفات على طاولة السكرتيرة. فإنفجرت ضاحكة، لأن الآخرين كانوا قد شربوا صندوق البيرة الأول إعتماداً على شكهم في نجاحي. عندما أتيت في الساعة الحادية عشرة إلى المكتب

صرخ الجميع مستنكرون بإتجاهي: "أنت خداع ماكر، يجب علينا الآن أن ندفع ثمن صندوق البيرة بأنفسنا." صحيح أن اصابعي تؤلمني، وأحس ايضاً بنقص النوم. ولكني سعيد بمحفاظي على لياقتي العالية في العمل. أعتقد أنه واضح بالنسبة لك أني لن ادفع ثمن البيرة (١٢٠) مارك ألماني. هذه النقود هي من نصيب رجل عيدالميلاد في "ألتبكن" في جبال "إك"

إنظروا إلى ملاحظات السفير الألماني بتاريخ تموز (١٩٥٨). صحيح أن السنة قريباً ستشرف على نهايتها، ولكن الظروف لم تتغير كثيراً.

فيما يخصنا في الواقع فقط الفقرتين(٢): "الوضع في دربنديخان" والفقرة (٧): "الموقف العام بالنسبة للمواطنين الألمان في العراق" أنا افضل هنا الإعتماد على نشرات الأخبار الرائعة من إذاعة "الموجة الألمانية" وعلى حقيقة أننا في حالة الطوارئ، خلال ساعتين على أكثر تقدير، نستطيع الهروب عبر الحدود الإيرانية.

رغم ان التعليمات والأوامر تتكرر بإستمرار من الحكومة في بغداد بمعاملتنا نحن الأجانب معاملة لائقة، ألا أننا نشعر أن الأجواء تغيرت كثيراً. الملك مات... تعيش الجمهورية الجديد... تسقط الجمهورية... يعيش الملك... خرجت الأمور عن نطاق السيطرة، وتوقفت جميع

الأعمال. نحن فقط لانزال نعمل مادام هناك هواء، اقصد نقـود. الجمـاهير تـصرخ يوميـاً: "نحـن جيـاع، نريـد الخبـز." إنهـم يتظاهرون، ولكن في الليـل فقـط. هـذا لا يوحي بنهاية جيدة.

رئيس الوزراء الجديد عبدالكريم قاسم نيتـه طيبـة، ولكن لاحيلة بيده إزاء الفوضى الكبيرة التي تعم الـبلاد. هنا اتباع الملك، وهناك أتباع قاسم، ثم الناصريين ايـضاً، كما لايمكن نسيان المثقفين. نحن نـرى ونـسمع كـل هـذا، ومـرة أخـرى نحـن سـاكنون كـالفئران وننتظـر مـاالـذي سوف يحدث لنا. اثناء ذلك فطن السادة إلى شيء ـ بعكس "ليخـرج جميـع الأجانـب"، لأنهـم الآن لم يعـد لـديهم عمل. أيضاً تم إرسال (٤٠) موظف من شـركتنا إلى ألمانيـا. وقد تم تسليمهم بطاقات الطيران. لم يعد لدى الحكومـة نقود، وبهذا نفترق عن مسببي الفوضى لنا.

الأجواء هنا تغيرت بالكامـل، ولم يعـد هنـاك إمكانيـة لمقارنة أي شيء بما كانـت عليـه الأمـور فيمـا مضى. كـل شـيء أصـبح غاضـب وقاسـي ووقـح. قبـل عـدة اسـابيع جـرت مـشاحنة بينـى وبـين واحـد مـن عناصـر أولـئك الميليشات إلى درجـة أنـي اشـهرت المسدس بهـدف إرعابـه، وأنـتم تعلمـون بـأني مـن حيـث المبـدأ لا أحـب إسـتخدام السلاح. صحيح أن الموضوع هـو حالـة إسـتثنائية، إلا أنـه

هزني رغم ذلك. أنا أحمد ربي بوجود السيد هيرينغ هنا بقربي. إنه إنسان ذكي ويتمتع بروح دعابة حكيمة، ونحن نجلس في الأماسي معاً ونحاول أن نفهم ونفسر الأوقات العصيبة في هذه البلاد. سوف يسافر السيد لانغه بعد دقيقتين إلى المانيا، وسوف يحمل هذه الرسالة معه. وبهذا سوف نتجنب الرقيب في بغداد، وأنا استطيع الكتابة دون أن أحسب حساب الرقابة.

عن طريق راديو بغداد جرى إعلامنا بلهجة المانية - ساكسية صافية، أن مجموعة من الضباط ذوي رتب عالية، كتيبة كاملة، مع (٢٨) عربة ذهبوا لإثارة القلاقل. رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم حدد (٥٠٠٠) دينار عراقي جائزة لمن يساعد في العثور على هذه الكتيبة. وهؤلاء الكرد البريون؟ حالما حل الظلام سرعان ماشكلوا حواجز في الطرقات، وتسلحوا بالعصي والفؤوس والمعاول. وكانوا يعتقدون حقاً أنهم بهذه الطريقة سوف يتمكنون من الحصول على مبلغ الـ (٥٠٠٠) دينار. على الأقل أذاعت الحكومة عبر الإذاعة ارقام السيارات. يا آلهي، هؤلاء المؤمنون، هل يعتقدون بكل جدية بأن هؤلاء "المتمردون" سوف يأتون إلى هنا عبر الحدود، في الوقت الذي يستطيعوا أن يسلكوا الطريق عبر الصحراء بإتجاه

سورية، الطريق الأسرع والأكثر أماناً في السيارة. بأية حال: الإنفعال في البلاد بلغ درجة عالية.

السيد والسيدة كريمبس ليس لديهم أدنى فكرة عن كل ذلك. كانا يقودان السيارة في الظلام، من السليمانية إلى "بيركي" وصلوا حتى "كاني رش" حيث واجهوا أول حاجز: رأوا صفائح قديمة وصناديق وبراميل زيت فارغة وخلف كل هذا قطاع الطرق هؤلاء. كارل ماي (كاتب ألماني كتب روايات عن بلدان وشعوب مختلفة رغم أنه لم يغادر ألمانيا طوال حياته، رغم ذلك لاقت روايته العديدة إقبالاً جماهيرياً واسعاً. منها روايته "عبر كردستان البرية" والكاتب يلمح هنا إلى هذه الرواية ـ المترجم) ذاته لم يكن بوسعه وصف ذلك بطريقة أفضل. ولكن بالنسبة للزوجين كريمبس أثار هذا المنظر الرعب في نفسيهما. إذاً قطاع الطرق هؤلاء أوقفا سيارتهما وأثاروا عاصفة. ولكن عائلة كريمبس ضبطا أعصابهما. لقد تمكنا من الهرب بقيادة السيارة ارتجاعياً، ثم جاءا إلينا وهما يلهثان وطلبا مساعدتنا. كانت الساعة قد أصبحت الثامنة مساءً: لانريد أن نفوت علينا رؤية هذا الإستعراض، ذهبت وأنا منتعلاً الحذاء المنزلي برفقة السيد تشاوكو بإتجاه قطاع الطرق، وخلفنا الزوجين كريمبس.

ثم وصلنا إلى الحاجز ـ كانت مجموعة من العصاة، مسلحون بالعصي والمسدسات، ومتمترسون هنا خلف حاجزهم المرتجل، هؤلاء المغامرون الجسورون الأبطال. نزلت من السيارة، لم ينبس أحد ببنت شفة. لمست الصناديق وقلت: "أزيحوها" نظروا إلي وتعرفوا عليَّ، "السيد ويتمان!" ماذا تعتقدون؟: بدون اية كلمة أصبحوا فجأة لطفاء وفتحوا الحاجز بلمح البصر. وعبر لغة "طبال الغابة" ابلغوا الحاجز التالي. قبل أن نصل إلى هناك كانوا قد فتحوا الحاجز التالي. عدت إلى قطاعي - حيث كان الحارس الليلي يغط بالنوم العميق. وهكذا توجب عليه أن يتقبل إيقاظه بطريقة فظة. ثم عدت إلى المعسكر. لدى كل حاجز كان الجميع ينادي: "سيد ويتمان" والطريق تفتح من تلقاء ذاتها. السيد تشاوكو وأنا ضحكنا من أعماق قلوبنا من هذه البساطة الطفولية. (٥٠٠٠) دينار تعتبر ثروة كبيرة، وأنا لاأستطيع أن اخرج هذه الفكرة من رؤوس هؤلاء البشر الفقراء الذين يريدون الحصول على هذه الثروة. ربما بالإمكان أن يصبح الأمر حقيقياً، ويلهم الله برحمته فيجعل المطلوبين يمرون من هنا.

المستوردين الطازجين تثير في نفوسهم مثل هذه الظروف الرعب والهلع، أما نحن العراقيون القدماء لم

تعد تستطيع تلك الظروف أيضاً أن تهزنا. والألمان الذين يتم حالياً تصديرهم سوف يأخذوا معهم ذكرى طازجة أخرى على الطريق. (٢٨) فرد من هؤلاء إستقلوا سيارات نقل الأشخاص بإتجاه كركوك، حيث مدير الشرطة في السليمانية لم يمنح إجازة السفر إلى كركوك. متى يستطيعون الحصول عليها؟ إنشاء الله. كما يقول مثل قديم: "الثورة تأكل أطفالها"

عبر مراسل خاص تسلمنا من الحاكم (المتصرف) لائحة قوانين الأجانب الجديدة:

١ـ من أجل السفر إلى كركوك يجب كل مرة تقديم طلب تصريح سفر لدى الحاكم.

٢ـ من اجل السفر من كركوك إلى بغداد يجب تقديم طلب لدى حاكم كركوك للحصول على تصريح سفر.

٣ـ من أجل السفر إلى جميع الأماكن الأخرى يجب تقديم طلب تصريح سفر لدى حاكم المنطقة المعنية.

وبهذا نكون رعايا المتصرف ومصير رقابنا بيده يتحكم بنا وعلينا إطاعته بلا قيد أو شرط.

الأمور تصبح أكثر أهمية. حان الوقت كي ننصرف من هنا. إنطلق اليوم صباحاً المدير العام هاوسمان من سد دربنديخان إلى بغداد على متن الطائرة، فهو يريد أن يحاول للمرة الأخيرة الحصول على المال. كيف كان

يقول ملك ساكسن؟. "أزيلوا قذارتكم بنفسكم" ـ وهـذا كلـه أسـتطيع كتابتـه فقـط. لأنــه لـدي الآن مـن جديـد فرصة لتفادي السيد الرقيب. أنا مشتاق لك إيلا ولإبنتي بيترا. ممنوع أن أفكر بعيد الميلاد بتاتاً. أرجو أن يـصلني حتى ذلك الحين بريداً منكم.

إنها ليلـة عيـد المـيلاد في سـنة (١٩٥٨)، لـديَ نـوع مـن الإحساس، وفتحت الراديوعلى محطة "الموجة الألمانيـة"، وهنا كانت المذيعة هيلده شتالماخ تقـول: "لايوجـد اليـوم سوى التحيات بكم الهائل، ولهذا السبب سوف ابدأ بالحال، وذلك وفق أقسام الكرة الأرضيـة. أنـادي أوسـتراليا ـ تحيـة ـــ أنـــادي الـشرق الأوســط، الـسيد برنـــارد ويتمـــان مـــن السليمانيـة، لدي تحية لك من زوجتك إيلا وإبنتك بيترا، ومن أختك إيملي والعائلة، ومن أختك آني والعائلة....

في هـذه الظـروف الـصعبة يـصبح المـرء بـالطبع أكثـر حساسية، فإنهمرت دموع الفرح على خـدودي، وإنهمـرت فقـط. تـشاوكو وهيرينـغ قـالا: "يارجـل، يارجـل، أنـت الوحيد في الشرق الأوسط الذي أرسلت له التحيات." لقد سـررت جـداً. صـحيح أننـا جلـسنا جميعنـا معـاً جلـسة مريحة وتناولنا طعاماً شهياً، إلا أننا لم نستمع إلى برامج إذاعية فيها أغاني عيدالميلاد.

لم نكن نرغب بتذكر عيدالميلاد، لقد إستمعنا فقط إلى أغاني "شلاكر" وموسيقى خفيفة. لدى أغاني "الشلاكر" يكفينا الحزن فيها، عندما نستمع إلى ريدي كوين وهو يغني أغنيته "حارقة رمال الصحراء الساخنة" كلمات هذه الأغنية تنطبق على حال كل منا، وتنفذ إلى أعماق ارواحنا، وقبل أن تنهمر الدموع على خدودنا نسارع إلى تبديل المحطة. المدير العام هاوسمان أمضى أيام العطلة في القاهرة. بإعتباره "مهوس كرة القدم"، بعد عودته تحدث فقط عن المبارتين اللتين لعبهما الفريق الألماني في القاهرة. وأنه عدا ذلك، أيضاً أقام في ذات الفندق الذي أقام فيه "سيب هيربيرغر" (لاعب ومدرب ألماني كان مشهوراً - المترجم) وهذا بالنسبة له تتويج لكل المتع. وكي لاتسمعوا مني أشياء حزينة فقط عن عيدالميلاد عندنا هنا. سوف أحكي لكم عن متعتي الخاصة بعيد الميلاد: كان يجب علي من كل بد الذهاب إلى الحلاق، ولذلك تواعدت مع الشيخ سعيد وسافرنا معاً إلى سد دربنديخان إلى حلاق ــ الكرد. السؤال الأول: "مموج؟"، وأنا: "لا، فقط تقصير" الدفع لحلاق - الكرد يتم عن طريق الشيخ سعيد، الذي أعطيته قبل ذلك النقود. بعد ذلك جلسنا في جايخانة كردية ثم تناولنا شوربة الدجاج والدجاج مع الرز

والخبـز ورحنـا نـدردش. إجـرة الحلاقـة وطعامنـا نحـن الإثنـان معـاً مبلـغ (٥٠٠) فلـس مايـساوي (٥,٨٠) مـارك ألماني. لوكنت أنا ذاتي دفعت للحلاق كان يجب أن أدفـع على الأقل (١٠) ماركات ألمانية. كان الـشيخ سعيد فخـوراً بـالجلوس براحـة معي، وأنـا كنـت فخوراً لأنـي خـدعت الكرد. كانوا ينظـرون بكل إستغراب: أنـا أطلـب والـشيخ سعيد يدفع.

تغير الموقف هنا بشكل راديكالي جداً، إلى درجـة أنـي لم أعد أجرو على الخـروج بمفـردي. أصبح رشـيد منـذ ستة أشهر ليس فقط سائقي الشخصي، بل مرافقي أيضاً. إنـه قـوي البنيـة كـالثور، ويقـف بجـانبي بـشكل يخـافوا منـه، بـسبب بنيتـه الجـسدية فقـط. طولـه (١٨٥) سـم ويبلغ وزنه (١١٠) كغم، وهو شخص له قـوة ثـور. عنـدما تحدث مشكلة ما، أظهر فقط بداية عنـدما يكون رشـيد برفقتي. مجرد أن يرونه يعم الهدوء. قبل الأمس شكرت ربي بشكل خاص جداً لأجل هذا المرافق. توجب علـيَ أن أسرح عشرة عمال. كان عليكم رؤية الثورة التي حدثت. جاء رشيد وأمسك بخنـاق زعـيم المتمـردين، رفعـه عـدة مـرات في الهـواء - وأصبح الجميـع سـاكناً. قبـل أن يـأتي رشيد إلينا كان يملك ثلاث شاحنات وسيارة أفراد. كانـت تجارته تسير على أفضل مايرام. سوء حظه كان يكمن في

أنه كان يهرب أكثر مما يجب. عندما حدث الأمر تمت مصادرة كل ماالديه من بضائع وسيارات. ولهذا السبب إنه يقود سيارة المرسيدس عندي. عندما فضضنا ثورة المتمردين إتجهنا في طريق العودة إلى المعسكر.

رأينا في الطريق مجموعة من التلاميذ الصغار في طريقهم إلى المدرسة في "شينارا" (CHiNARA)، نظر رشيد إليّ فقط، أومأت له موافقتي بهزة من رأسي وفي الحال حمل عصابة الأطفال في السيارة وساربهم مسافة (٦) كيلومتر إلى المدرسة في "شينارا"، بينما بقيت أنتظر عودته. اثناء صعود الأطفال إلى السيارة لفت إنتباهي صبي صغير، كانت قصة شعره جميلة جداً. في الأمام غرة، في الخلف تموجات إلى الأعلى وإلى الأسفل بشكل يشبه طبيعة سطح القمر. لم أر مثل هذه القصة أبداً.

فترة إنتظاري لم تكن مملة. على بعد (١٥) متر إلى يساري ترك عدد من عمالي أوعية طعامهم. وهذا ماجلب قرابة (١٠٠) عصفور. يبدو ان العصافير قالت لنفسها: بهذه الجودة وبهذا الرخص وبهذه الوفرة لن نحصل على طعام بهذه السرعة. وراحوا يلتقطوا الطعام بحيوية وطاقة تثير الإعجاب. لفت هذا المنظر إنتباه أحد العمال، إقترب منهم وكشهم، فطارت العصافير وعاد

العامل إلى عمله. ولكن في الحال ـ عاد عدد من العصافير مرة أخرى لتناول وجبتهم. لم يخطر على بال أحد من العمال فكرة وضع حارس للعصافير. يالهؤلاء المؤمنون السذج.

بعد عدة أسابيع ستاتي شخصية مهمة في زيارة إلى السليمانية. صدر إيعاز إلى جميع ذي القائمتين والأطفال بالحح إلى المدينة من اجل الترحيب والحفاوة بالضيف الكبير. ونحن لدينا عطلة. هناك بوادر عاصفة تتلطى، مثلما كانت الأجواء فيما مضى أيام "إرنست روم" ولكن فقط بشكل أكثر خطورة.

حجم أعمالنا يتناقص بإستمرار، الأمر الذي يضطرنا إلى تسريح أعداداً كبيرة من العمال. ولكن الجميع يريد العمل، ولايوجد لدينا عمل للجميع. والعمال الذين لايزال لديهم عمل يريدون نقوداً أكثر، وهو مالا نملكه ايضاً. وبالتحديد هذه هي الأجواء التي إستغلتها وأزكت نارها نقابة الحزب الشيوعي العراقي، التي كانت تزداد قوة.

إذأ يوجد "إجتماع" مع قيادة النقابة. إستمعت بكل هدوء إلى جميع مطالبهم. ولكن من العسير جداً أن يتمكن المرء من فهم كل شيء في خضم هذا الخليط اللغوي. هذا يتكلم كردي، والآخر يتكلم عربي، إضافة

إلى ذلك تركماني وإنكليزي. حديثاً أصابني صداع في رأسي اثناء إجتماع من هذا النوع من الإجتماعات الطويلة التي تتضمن مثل هذا الخليط اللغوي. وأنا لا أستطيع الإعتماد بالكامل على المترجمين: لقد لاحظت أنهم لايترجمون غالباً نقاطاً تعتبر. مهمة بالنسبة لي، وأنا لا أحب أن يخدعني أحد. أنا أفضل صداع الرأس. كما هو الأمر في كل مكان في العالم يستخدم أكبر المحتالين والمجرمين أكبر الكلمات. لقد تعرفت على هذه النماذج وعرفتهم، وسوف أتاكد واسعى ألا يعمل لديَ أحد منهم. وإلا سوف نصبح مشفى أمراض عقلية، بكل الأحوال لاينقص الكثير كي نطلق هذا الأسم علينا.

وهذه هي مطالب نقابة الحزب الشيوعي بعد شد وجذب:

أ- نقل العمال من وإلى ورشات العمل (نقوم بذلك دائماً).

ب - عدم تسريح عمال وحراس. (هذا غير ممكناً).

ج - عدم منع الصلاة إلى الله. (لانفعل ذلك أيضاً).

د - تأمين مياه للشرب كافية. (يوجد مايكفي منه).

ه - زيادة لأجور للجميع (مرفوض)، وكثير غيرها من المطالب.

الحكومة الجديدة فقدت سيطرتها على زمام الأمور، وفلتت عقالها من أيديها. يريد المرء بناء شيئاً جديداً، ولكن الأمر لاينجح، فكل شيء ليس مضموناً، ولا أحد يعلم ماالذي سيجلبه الغد معه. إنهم متأكدون في نقطة واحدة فقط: الأوروبيون لا حقوق لهم. في أحد إجتماعاتنا الداخلية لتقييم الأوضاع، لفت إنتباه موظفينا إلى أننا نخضع لكل قوانين ومحاكم هذا البلد الذي يستضيفنا، مما سبب الإحباط للعديد من الموظفين. ولكننا يجب أن نتعايش مع هذه الحقيقة. يقع على عاتقي بإستمرار أعمال البناء النفسي والأخلاقي لدى موظفينا.

جرت محاولة إغتيال لرئيس الوزراء عبدالكريم قاسم، وهو يرقد في المستشفى. تلتها حملة إعتقالات عشوائية. سمعت من سائق رجع للتو من بغداد، أن إبنه كان لحظة وقوع محاولة الإغتيال في شارع الرشيد بالصدفة، وكان هذا سوء طالعه. تلقى الضرب على الطريقة المعهودة في البلاد، ثم ارسل إلى الأب فيليب، كما نسمي السجن هناك. كان لدى الأبن آلاف الصحبة في السجن. الآن سوف يعلن عن عطلة وسيصدر عفواً. تبدو الأيام القادمة مثيرة للقلق.

رغـم ذلـك يوجـد حاليـاً مايـدعوا إلى الإحـساس بالراحة. أصبح يسمح لنا في الوقت الراهن بالسفر من ـ وإلى خارج البلاد. قبل فترة إنتظر أحد الأمريكان مدة أربعة أسابيع من أجل السفر خارج البلاد. سوف يكون الأمر مثالياً إذا ظل عبدالكريم قاسم في المستشفى حتى موعد سفري بتاريخ (١٢,٢١). سوف لن أشعر بالراحة إلا عندما تقلع الطائرة من الأرض وأرى بغداد من فوق.

ولكن حتى ذلك الحين على جميع من حصل على مثل تلك الموافقة على السفر من وإلى البلاد أن يتعامل مع كل تعقيدات الحياة اليومية. جاء ممثل الحاكم وقال: "اليوم عطلة، ولايسمح لكم اليوم بالعمل" نظرت إليه فقط دون أن أفقه مرامه، وأجبته: "ومن أين أتيت بهذه الحكمة" فأجاب: "عبر الراديو اليوم صباحاً. عبدالكريم قاسم تحدث بالراديو في الليلة الماضية!" فأجبت: "حقاً! كم أنتم أذكياء: مساءً في الساعة (٩,٥) يبدأ منع التجوال ويستمر حتى (٥) صباحاً. هل تستطيع أن تقول لي فقط، من يستطيع الخروج في هذا الوقت، كي يوصل لنا هذا الخبر؟ سوف نعمل اليوم وإنتهى. سوف نؤجل هذه العطلة إلى يوم الغد. فانسحب بكل هدوء وغادر. إنهم يمتلكون أعصاباً ويمتلكون

إعتقادأت ونفوسا. لولا أن كل شيء بهذه القسوة، سوف لايسعني سوى الضحك.

ماجرى معي بالأمس يناسب الأجواء السائدة في الوقت الراهن. كان علي أن اقضي حاجة في المدينة، ركبت في اللاندروفر ولدى الإقلاع صدر صوت إنفجار يصم الآذان. أنبوبة العادم تحطمت بالكامل. ولكن لم يكن بوسعي الآن مراعاة ذلك، فتابعت قيادة السيارة. اثناء عبوري مركز مدينة السليمانية كان لدي فسحة كافية من المكان. الكرد ظنوا أن الشيطان ذاته جاء، وجوه الشرطة كانت تشع بإبتساماتهم العريضة. كان قدومي يسمع عن بعد عدة كيلومترات. ساورني إحساس مريح، أني أخيراً لا أحتاج إلى إستخدام زمور السيارة.

قبل فترة كنا في حفلة عند الأمريكيين في سد دربنديخان. عادة مايعرضون عليّ قضاء الليلة في بيت ضيافتهم. أحياناً أقبل الدعوة أيضاً، لأنني في الصباح التالي أستطيع تبضع بضائع جيدة في متجرهم. ولكن هذه المرة فضلت العودة إلى المنزل. قبل أن أنام إستمعت إلى نشرة أخبار الساعة الثانية ليلاً من إذاعة "الموجة الألمانية" في الساعة الرابعة صباحاً أيقظني السيد تشاوكو بطريقة خشنة: لصوص. أبواب غرفة الطعام

كانت مخلوعة، الراديو ومدفأتي "علاءالدين" إختفوا. في المكتب كانت النوافذ قد حطمت، وأختفى جهازي قياس.

جاءت الشرطة في الحال إلى موقع الجريمة. أثناء ذلك أصبحت الساعة الخامسة صباحاً. لحسن الحظ أني لم أنم تلك الليلة في سد دربنديخان. كنت أرتدي بيجامتي الرياضية الكحلية الدافئة، فالطقس أيضاً كان بارد جداً. وفي الساعة (٦,٣٠) أتى قاضي المحكمة من السليمانية، وفي الثمانية الشرطة الجنائية. وهكذا إستمر الوضع حتى الساعة (١٢) ظهراً.

مرة أخرى سقطت كالأموات في السرير، ولكن فرحتي بنوم جيد تلاشت. الحارس الذي لاعمل لديه سوى حراسة هذا المبنى جرى إعتقاله وسوقه إلى السجن. أوعزت بوصد جميع النوافذ والأبواب بصفائح حديدية.

بعد عدة اسابيع تم كشف اللصوص والمجرمين. إنهم ثمانية أشخاص، ستة منهم يقبعون الآن في سجن السليمانية، وأثنان منهم فروا عبر الحدود إلى إيران، بداية بعد موعد المحاكمة سوف نسترد بقية المسروقات. بعد أن ضرب اللصوص عدة مرات إعترفوا. إستدعيت إلى مركز الشرطة، وأنظروا هنا، كان جهاز الراديو ماركة "شاوب لورنس" هناك إضافة بقية المسروقات في محكمة السليمانية. بالطبع إمتدحت الشرطة على جهودها

الكبيرة، وقد سرهم ذلك جداً. ولكني سررت بشكل خاص أننا إستعدنا أخيراً راديو الموجة القصيرة.

سمعت في الليلة التالية أصوات تبادل إطلاق نار قوي مع الشرطة. في الساعة الثالثة صباحاً تم إيقاظي: وقف أمامي عدد من العرب الذين يبدون مغامرين، مصابون بالجروح، وأجسادهم مدماة في عدة أماكن. طلبوا إستخدام هاتفنا للإتصال بالشرطة. كانوا في طريقهم من بغداد إلى السليمانية، عندما أوقفتهم في شارع معسكرنا عصابة مسلحة. تعرض السائق والشخص الذي كان يجلس بجانبه إلى التهديد ببنادق محشوة وتعرضا للضرب، ثم نهبت شاحنة المرسيدس بالكامل. أخذوا منهم كل بضاعتهم. والطقس ذاته من جديد. الشرطة، القاضي، الشرطة الجنائية.

في الحادية عشرة صباحاً ذهبت مع مديرنا المالي إلى مكتب الحاكم. قدمنا له إحتجاج رسمي، وطلبنا منه حماية أفضل. قالوا لنا: " لقد تم القبض على الجناة...." الأمر الذي اشك فيه. ولكن على الأقل منذ تلك الحادثة أصبح لدينا عنصران من عناصر الشرطة بشكل دائم.

رغم ذلك حدث شيئان جميلان في هذا اليوم. أعلنت (إذاعة الموجة الألمانية) في برنامجها الكبير: "السيد

ويتمان، تحياتك إلى زوجتك قمنا ببثها، ونحن نأمل أن تكون رسالتنا قد وصلت إليها. المخلصة، هيلده شتالماخ.
يبدو أنكم الآن تلقيتم مرة أخرى إشارة مني بأني لازلت حياً. يبدو ان السيد الرقيب في بغداد لديه الكثير من الأعمال، فهو يجب أن يقرا رسائل جميع الألمان الذين يقيمون في البلاد هنا. الفرحة الثانية كانت حفلة رائعة جداً في ضيافة النمساويين الذين بنوا مصنع سجائر "هاوني" إنهم إنتهوا من بناء المصنع وهم الآن بإمكانهم العودة إلى ديارهم. أحضروا لي معهم (١٠٠٠) سيجارة من السجائر التجريبية. أنتم تعلمون كيف أستهلك السجائر.

أنتم تسألون، لماذا جميع رسائلي إليكم فتحت ظروفها ثم إعيد لصقها. هذا هو الدليل على أن الرقيب في بغداد يمارس عمله. يجب أن يقرأ كل مانكتبه ونرسله إلى ألمانيا. إنهم يراقبوا الصحف الألمانية أيضاً، ويقولوا لأنفسهم بالتأكيد: هؤلاء الألمان هناك فوق في الجبال، إنهم يفرحون بقراءة الصحف القادمة من ديارهم، حتى ولو وصلت إليهم بعد أربعة أسابيع.
سوف أحتج ذات مرة من جديد في السفارة الألمانية في بغداد حول البطء الشديد في وصول الصحف إلينا. لقد إشتركت في صحيفة "دي فيلت" التي يجب أن تصلني بالبريد الجوي، ولكن يجب ان أنتظر وصولها نفس الفترة

التي تصل فيها صحيفة "فيستفيليشه فولكس بلات" بالبريد العادي، أي عبر الطريق البرية. إذا تأخرنا بتنفيذ مشاريعنا التي كلفتنا الحكومة العراقية بها، علينا أن ندفع لهم غرامة تأخير، وهي دنانير كثيرة عن كل يوم. وبالضبط هكذا إذا تعاملت الحكومة العراقية مع قسم المراقبة بهذا الشكل، حينها سيصل البريد بطريقة أسرع. والآن أنا في إنتظار أن أسمع منك، ماالذي فعلته المراقبة برسالتي هذا اليوم...

تحدث هنا خلال الفترة الأخيرة عمليات سطو وسرقة كثيرة، إلى درجة أننا بدأنا نرى في كل زاوية ووراء كل حادثة أزمة، إستمعوا إلى مايلي:

في بداية كل شهر يطير مدير الحسابات في سد دربنديخان بالطائرة إلى بغداد، من أجل جلب الرواتب ومجمل الميزانية الشهرية. تحت الحراسة المشددة إلى أقصى درجة. يجري وضع مبالغ (٦٠٠٠٠٠٠٠) ستين مليون دينار عراقي في أكياس ثم تغلق. وتحت حراسة مشددة كهذه ايضاً يتم نقل النقود بالطائرة إلى سد دربنديخان، حيث تسلم كل المبالغ إلى المدير العام. يفتح هذا، وفق القواعد المتبعة تحت مراقبة المراقبين، الأكياس الأولى وأنظر، لاتحتوي سوى أوراق، أوراق جرائد قديمة. المبلغ الذي تم إستلامه، حصتنا فقط منه

(٦٠٠,٠٠٠) مارك ألماني، إختفى ولم يعثر على أي أثر منه. أرجعوا كل شيء إلى الطائرة وطاروا إلى بغداد، مباشرة إلى الشرطة. قبطان الطائرة وموظفي البنك والسائق، سحب الجميع من فراشهم ونقلوا إلى مركز الشرطة.

جرى البحث والتحقيق لمدة خمسة أيام. رئيس الوزراء عبدالكريم القاسم تدخل شخصياً، وطالب بتحقيق سريع ودون مراعاة لأية إعتبارات أخرى. في اليوم الخامس بعد إختفاء النقود تم العثور على (٥٥٠٠,٠٠٠) (خمسمائة وخمسين مليون دينار عراقي. السائق قام بتبديل الأكياس.

أوامر الحاكم: إزالة خمسة أمتار من الثلوج

كان يوم عيد ميلادك، إيلا، (٣) آذار، وكنت للتو قد بدأت بكتابة رسالة عيد ميلادك الثانية، عندما بدأت الكارثة: تساقطت الثلوج في الجبال، ولكن لاتسأليني بأية كميات. من (٥ حتى ١١)آذار عملت في العراء مدة (١٣٠) ساعة. ولكني سوف أقص عليك مجريات الأمور بالتسلسل:

في (٥) آذار أتى قائد الجيش وقائد شرطة السليمانية. وطلبوا منا القيام بعملية إنقاذ كبيرة، بكل ما تتطلبه من إستخدام الآليات الثقيلة الضرورية. وفي الوقت ذاته طلب من الأمريكيين في سد دربندیخان المساهمة أيضاً. برزنجة وبنجوين غارقتان في الثلوج بإرتفاع (٥) متر، وأصبحتا معزولتان عن العالم

الخارجي. بشكل موازي وصلني بخصوص الموضوع ذاته، من إدارة البناء العليا في عربت أمر من حاكم السليمانية بفتح الطريق إلى قرية برزنجة، بينما الأمريكان هم أقرب إلى بنجوين.

المنطقتان محاصرتان بالثلوج منذ عدة أيام، ويجب في الحال إرسال الإمدادت إليهما، طعام وعلف للدواب.

لأول مرة، عندما ألقيت نظرة على الخريطة الخاصة، علمت على الإطلاق أين تقع البرزنجة هذه. ياآلهي، إنها في نهاية العالم، إنها ليست بعيدة عن الحدود الإيرانية. ولكن بداية الجميع ينتظر ظهور الحاكم شخصياً، كي نعلم، من سيدفع تكاليف كل هذا. إذا حصلنا على (٤٦) كيلومتر إلى برزنجة، والأمريكان على (٧٦)كيلومتر إلى بنجوين قريباً من الحدود الإيرانية. بمباركة الله حصلت على التكليف من مدير البناء الأعلى بالشروع في العملية الخاصة، الوصول بأسرع مايمكن إلى قرية برزنجة.

كانت الساعة (١١,٥) قبل الظهر. بعد خمس ساعات وصلنا إلى سفح الجبل، حيث كان إرتفاع الثلوج (١) متر ودرجة الصعود (١٥٪)، والفرق في الإرتفاع عن سطح البحر (٣٨٠)متراً. عند الطريق المتعرج الثاني من الطرقات المتعرجة الأربعة حل الظلام، ورافقه عاصفة

ثلجية شديدة. لم يكن بمقدورنا العودة، فقررنا قضاء الليلة تحت سماء الله. لم يكن الخشب من أجل النار متوفراً، ولكن كان بحوزتنا نفط خام. أشعلنا النار بخرق التنظيف القديمة. أصدرت الأمر بترك محركات الآليات تعمل. عند منتصف الليل بلغت درجة الحرارة (١٠)مئوية تحت الصفر. في الساعة الواحدة ليلاً جاءت الذئاب والثعالب، وإقتربت منا حتى مسافة (٧٥) متراً. النار جعلت الوحوش تبقى بعيداً عنا، إلى جانب حماية عناصر الشرطة والبريد. لقد رافقونا، وكان (٩٨) شرطي مترصداً لهذه الوحوش. أمضينا (١٢) تحت سماء الله العارية.

وصلنا الساعة الواحدة ظهراً إلى هضبة عالية إرتفاعها (١٥٠٠) متراً، وكانت الثلوج مستمرة بالندف. إعتباراً من هنا لم يعد بوسع دليلنا الإستمرار في إرشادنا إلى الطريق، وعلقنا مع كل الآليات في الثلوج والأوحال. بناء على طلبي تسلق أحد عمال البريد عامود أسلاك الهاتف التالي وأعلم مدير الناحية وقائد الشرطة في برزنجة بأننا علقنا، وطلب منهم أن يرسلوا لنا من برزنجة إشارة تدلنا على الطريق. قضينا الليلة في العراء ونحن نحرس آلياتنا.

في ظل ظروف شبه مستحيلة عدت إلى عربت، من أجل تأمين المزيد من الآليات. كانت الليلة قد إنقضت حتى حين وصولي إلى هناك وترتيب كل الأمور. في الساعة الرابعة أنطلقنا، وفي الساعة عاشرة وصلنا إلى الآليات العالقة. بعد ساعة من العمل أصبحت الآليات جاهزة لمتابعة العمل. أثناء الليل كان يقبع قرب الآليات (١٠٠) حمار محملين بالأعلاف والمواد الغذائية. أيضاً هذه الحيوانات المسكينة والبشر المرافقون لها أمضوا الليل في العراء تحت العاصفة الثلجية، وإنتظرونا بكل صبر حتى نشق الطريق. حتى الساعة (١١,٥) قبل الظهر تقدمنا (١٠٠) متراً بإتجاه برزنجة، حيث النقطة التي إستطاعت الوصول إليها شرطة خيالة برزنجة مع النساء وحدوداً لنا فيها الطريق بخطواتهم إلى القرية خلال الليل حتى الساعة التاسعة صباحاً.

الرؤية كانت سيئة، ولم يكن بوسعي المغامرة بخسارة إحدى الآليات الكبيرة. وهكذا ربطنا جميع الآليات ببعضها الآخر بسلك شائك طوله (٥٠) متر وقطره (٢) بوصة، وسيارتنا اللاندروفر في المؤخرة كضوء خلفي. خلف أثرنا الذي يبلغ عرضه (٤) أمتار كان (١٠٠) حمار محملين بالإمدادات يلحقون بنا، بهدف إمداد القرية المحاصرة بالثلوج. في الساعة الرابعة بعد الظهر لم تعد

معدتي تحتمل أكثر: النصيحة النموذجية: ويسكي مع الشاي إضافة إلى صندويشة لحم مقدد، التي نادراً ما إستسغتها في هذا الإرتفاع بهذا الشكل. عشرة دقائق تكفي لأن الوقت تأخر. أريد الوصول إلى القرية من كل بد قبل حلول الظلام، لأني لم أرد أن أتسبب للحمير، ولنا نحن البشر بقضاء ليلة أخرى في العراء.

كانت الساعة الخامسة مساءً. آلياتنا تتابع الزحف عبر الثلوج وتكوم يمينها ويسارها جداران ثلجيان بإرتفاع (٥) أمتار. كان البرد قارساً. كانت الساعة تشير إلى السادسة، ولكن كان لايزال أمامنا مسافة (٥٠٠) متراً حتى نصل إلى القرية.

أثناء ذلك أقبل عدد من سكان القرية ليلاقوننا عبر مجرى النهر، وكانوا حفاة. لم يتمكنوا من السير فوق الثلوج بسبب عمقها. إستقبلنا مدير الناحية وشخصيات القرية بحفاوة كبيرة. العديد من أهالي القرية قبل يدي. كانت صورة بائسة. قلت لمدير الناحية: "أرجوك، كل شيء فيما بعد، حل الظلام ويجب علينا الوصول إلى القرية." وتفهم موقفي. من ثانية إلى ثانية أخرى هبط الظلام. أضاءت ثلاثة مصابيح زيتية الطريق لنا. ثم أخيراً وصلنا إلى نقطة الهدف. كانت الساعة تمام التاسعة عندما توقفنا أخيراً أمام دار البلدية

في برزنجة. على الأقل بلغت قافلة آلياتنا التي طولها (١٢٠٠) متر هدفها. وخلفنا وصل الحمير المائة المحملة بالإمدادات التي طال إنتظار السكان لها. كانت اسطحة المنازل تعج بأهالي المنطقة، الذين كانوا يحيوننا بالتصفيق ويشكروننا مرة أخرى. في النهاية إستضافنا مدير الناحية. قدموا لنا طعاماً إفتقدناه، (دجاجاً مقلياً ومعه اصنافاً أخرى عديدة مما لذ وطاب. ولايقل أهمية عن الطعام موقد النار الحار، الذي منحنا الدفئ الذي إفنتقدناه طويلاً. جميع شخصيات المنطقة المهمة جلسوا حولنا في الغرفة، إستمرت الأحاديث حتى منتصف الليل، ثم ذهبنا إلى النوم: أرضية بيتونية، وفوقها السجاد، فراش صوفي ولحاف سميك كانا يلفان جسدي المستلقي داخل بذلتي. نمت كالأموات. أيقظني البرد الجليدي في الساعة الثالثة.

قمت بجولة في البلدة في السادسة صباحاً. أطلقت عليها إسم "دافوس الصغيرة" ولكن كان لدي الآن مشكلة إنسانية: يجب أن أذهب لقضاء حاجتي، ولم أعلم إلى اين يمكن أن أذهب. سائقي فرج شعر بموقفي الحرج، وضع يده تحت ساعدي وقادني إلى مرافق عامة. ياللهول!

دهشتي كانت لاتوصف، وخاصة الإنسان المهندس في داخلي الذي لم يتوقف عن الإعجاب بما رأى. كلا، شيء كهذا، شيء كهذا من النظافة لايمكن وصفه ولم أتوقعه. جميع الصخور كانت تغسلها المياه الجبلية بإستمرار، بعد أن ينتهي المرء من قضاء حاجته، وهذا يجعل الموضوع في غاية الأهمية.

فطور ملوكي على الطريقة الكردية تكفل بمنحنا الطاقة من أجل أعمال تنظيف مركز البلدة. ثم في الساعة الثالثة إنطلقنا في طريق العودة إلى الديار. وصلنا بعد سفر مستمر في تمام الثامنة مساءً. ولكن لمدة قصيرة فقط. ومرة أخرى إنطلقنا في الساعة الرابعة صباحاً بإتجاه برزنجة. صحيح أننا تمكنا من السير في الطريق الثلجي الذي قمنا نحن بفتحه، ولكن لم يكن المسير سهلاً رغم ذلك. علقت إحدة الآليات في الطريق، ولكننا وصلنا رغم ذلك في الساعة الثامنة مساءً إلى الهدف. في الأربع ساعات التالية تجاوزنا جميع الآليات. ثم أتت إستراحة مريحة.

الآن أخذت وقتي بالإستمتاع بشكل أدق بهذه البقعة الرائعة، "دافوس الصغيرة" خاصتي. يقع مركز الشرطة في الأعالي على صخرة كبيرة إرتفاعها عن سطح البحر يبلغ (١٨٠٠) متراً. يبدو البناء بالطراز الأندلسي وكأنه

قصر من قصور حكايات ألف ليلة وليلة. برفقة مدير الناحية وقائد الشرطة رأيت من على السطح بيره مكرون الكبير والرائع الذي يبلغ إرتفاعه (٣٥٠٠)متراً. كان منظر الجبال حتى سد دربنديخان مهيباً ورائعاً.

توجد في البلدة مدرسة جديدة، على الطراز الألماني الحقيقي. ويوجد مستشفى بمعدات حديثة، حتى أنه يحتوي قسم للتصوير الشعاعي.

جميع البيوت مبنية من الحجر، واسطحها مسطحة. إنها تتموضع كأعشاش السنونو: يستطيع المرء السير من الأعلى إلى الأسفل، من سطح إلى سطح. جبال رائعة ونموذجية من أجل التزلج على الثلج. من يعلم في أوروبا، كم هو رائع أن يكون المرء في أعلى موقع من كردستان بالقرب من الحدود الإيرانية.

تناولنا في الساعة (١٢) ظهراً وجبة الوداع الغنية، وفي الساعة الواحدة جرى وداع قلبي لنا، ووصلنا إلى أول قرية في الوادي الساعة (١٢) ليلاً، حيث سمعنا أنه قبل فترة وجيزة إلتهمت الذئاب ثمانية ابقار. في قرية "شيخ" إستأجرت أربعة حراس مسلحين ببنادق قديمة. لو رأى زميلي القديم في المدرسة فريتس من "التنبكن" منظر هذه الكائنات المغامرة بتلك الأسلحة القديمة، سوف يموت من الضحك. وصلنا في الساعة الواحدة ليلاً

إلى "البيبسي كولا" في هذه الليلة أيضاً لم يكن التفكير بنوم هادئ ممكنا. مرة أخرى يجب علينا في الرابعة صباحاً العودة إلى القرية الأخيرة، حيث تقف الرافعة من أجل آلياتا الكبيرة.

في الواحدة ظهراً إنتهت عملية برزنجة الخاصة. كالأموات غطظت في النوم في الثانية ظهراً بعد تناولي عدة كؤوس من الويسكي، وإستقيظت في السادسة من صباح االيوم التالي.

بعد أن أنهيت حساباتي اليوم حول هذه العملية الخاصة، علمت أننا أزلنا حوال (٦٠٠٠٠) متر مكعب من الثلوج، وأننا أنقذنا (١٥٠٠) إنسان، و (٦٠٠٠) ماعزة وغنمة، و(٣٠٠) حصان، و (١٢٠٠) حمار و (٨٠٠) بقرة، من الجوع. أليس هذا الجرد مدعاة للفخر؟. أنا أعتز برجالي جداً، الذين نفذت معهم هذه العملية الصعبة جداً. أحد عمالي تجمدت أقدامه خلال إحدى الليالي الباردة التي امضيناها في العراء. ولكن أثناء ذلك تحسنت حالته إلى حد ما.

وحول الإنقلاب الذي قام به أحد الجنرالات من الموصل، سمعت به بداية الآن، بعد أن عاد الهدوء إلى البلاد من جديد.

"الموجة الألمانية"، الحبل السري االذي يصلنا بالعائلة

ليس فقط أنا لوحدي أقول هنا: "لولا وجود الموجة الألمانية لكنا ضعنا وإنقطعنا عن أحداث العالم؟" صحيح أن لدى العراق محطة إذاعية في بغداد تبث برنامجاً باللغة الألمانية، ولكن لايسعد أحد منا بسماع "السيدة ساكسن" عندما نقارن نشرة أخبارها مع نشرات أخبار المحطات الغربية، يظهر بوضوح أن "السيدة ساكسن" بعيدة جداً عن الصدق.

االموجة الألمانية موضوعية وحيادية، تبث التقارير، لكنها لاتعلق على الأحداث. أنا أطلب دائماً دليل برامجها، كي أختارمسبقاً أية البرامج يهمني الإستماع إليها. إذا كنت في البيت أستمع مباشرة إلى البرنامج الذي إخترته، عدا ذلك يوجد دائماً أحد الزملاء الذي يقوم بتسجيل البرنامج في الموعد المحدد له بآلة تسجيل. ولهذا السبب

يوجد جهاز تسجيل دائماً إلى جانب الراديو في غرفة المطعم. وهو موجود بشكل خاص من أجل تسجيل البرامج التي تهمنا. ولكن ليس فقط البرامج السياسية تهمني، بل إنهم يبثون أيضاً برامج موسيقى كلاسيكية رائعة. مثل "ميسياس" لهيندل، على سبيل الذكر لا الحصر. مثل هذه البرامج الثمينة تعتبر بالنسبة لي متعة خاصة.

قبل فترة قصيرة دخلت إلى غرفة المطعم وفتحت الراديو. لحسن حظي كانت موجهة على إذاعة "الموجة الألمانية"، فسمعت في تلك اللحظة في البرنامج: مرة أخرى إسم يصعب نطقه. السيد برنارد ويتمان في السليمانية، إسم المدينة هذا بالفعل إسم فريد." كنت أفكر بكم، وكم تمنيت أن اسمع منكم شيئاً، عندما حدث هذا فجأة. لا أحد منا يشعر بالخجل، عندما تبلل دموع الفرحة خديه. كان ذلك في الساعة (٧,١٠) مساءً. من شدة فرحتي لم أعد أسمع من يرسل التحيات وماهي الأغنية التي جرى بثها. التحية ذاتها إستمعت إليها مرة أخرى فيما بعد، في الساعة التاسعة مساءً في "برنامج أفريقيا"، ولكن هذه المرة بكل دقة ووضوح. كانت التحيات من عزيزاتي إيلا وإبنتي بيترا. الآن أستطيع

العمل غداً والسعادة تغمرني. سماع التمنيات الطيبة كانت أجمل "بيضات عيد الفصح" بالنسبة لي.

قبل عدة سنوات زرت الآنسة شتالماخ في إذاعة "الموجة الألمانية" في مدينة كولونيا وسألتها في هذه المناسبة عن التردد الذي يستطيع المرء فيه سماع هذا البرنامج: الساعة (٤,٥) صباحاً موجه إلى أمريكا، الساعة (١٠) صباحاً إلى الشرق الأوسط، والساعة (١٢) ظهراً إلى افريقيا. وهنا قالت لي: "الأمر لايعقل، السليمانية تقع في الزاوية الميتة." إنها مخطئة. ولكنها سوف تسر عندما تعلم أننا لانعيش في زاوية ميتة.

كم من المرات كتبت لكم أن "السيدة ساكسن) نادراً ماقدمت لنا معلومات صحيحة. هذا نعرفه نحن جميعاً من هتلر وغوبلز وغورينغ وبقية رجالات الإعلام في المرحلة النازية. الشكر لله توجد الموجة الألمانية، التي توافينا بداية الآن عن أخبار الإضطرابات والتجاوزات التي حدثت في كركوك وعدد من القرى. حصلت على تقرير شاهد عيان عن طريق أحد التجار، الذي عاد اليوم من كركوك.

ليرحمنا الله. جميع الأغنياء من التركمان في كركوك عايشوا "ليلة الكرستال" خاصتهم. (ليلة الكرستال هي تسمية الليلة التي هاجم النازيون بيوت اليهود

ومعارضـــي النازيـــة ونهبـــوا وحطمـــوا ممتلكـــاتهم ـــ المترجم" الكثير منهم تم ذبحهم، أو كما جرى أيام هتلـر تعليـق الـضحايا (١٩٤٤/٧/٢٠) بعلاقـات المـسلخ، وخلـف السيارات وسحلهم في الشوارع حتى الموت. "٥٠٠ ــ ٢٠٠٠) شخـصكان يجـب علـيهم تـصديق هـذا بـذاتهم. الجـيش والشرطة إستخدموا حتى الطـائرات والقنابـل، إضافة إلى الأسلحة الأخرى. فقط بهذه الطريقـة تمكنـوا مـن إعـادة الهدوء والسيطرة على الأمـور. المـرء يـسمع هـذه الأشـياء بكـل بـساطة، ولكـن هـذا أسـوأ مـن شـريعة الغـاب بـين الوحوش المفترسة، ومن تصرفات الأفاعي والعقـارب. هنـا إنـتعش الحزب الشيوعي مرة أخرى. في مثل هذا البلـد لا أستطيع التوقيع على تمديد عقد عملي. وهنا لم تخـسر "السيدة ساكسن" أية كلمة تشير فيها إلى هـذه الأحـداث، حالها حال آدولف هتلر بالضبط.

لـدى هـذه الأكاذيـب أفـضل إغـلاق الراديـو، والإتجـاه بنظـري إلى الخـارج والإســتمتاع بمنظـر مـؤتمر طيـور السنونو المكون من (٥٠٠) طائر. رؤيـتهم يـتمخترون هـي متعة للبصر.

بعـــد عـــدة أيـــام حـــدث شـــيء يـــستدعي الـــتفكير. عبـدالكريم قاسـم أراد مـن كـل بـد أن يثبـت أنـه سـيد الموقف، وهاجم بشكل راديكالي. حتـى أنـه القـى خطابـاً

صريحاً في إذاعة بغداد. نظرنا فقط إلى بعضنا الآخر، وتحققنا فيما إذا كنا نستمع إلى المحطة الصحيحة. هنا سمعنا من الراديو: "النازيون الألمان إرتكبوا المجازر، اليهود الإسرائيليون إرتكبوا المجازر الفظيعة جداً، ولكن ماحدث في العراق، وبشكل خاص قبل عدة أيام في كركوك، أسوأ مما فعله النازيون والإسرائيليون معاً. ولهذا السبب وجه عبدالكريم قاسم الدعوة إلى وسائل الإعلام العراقية، وقدم لهم المعلومات مدة ستة ساعات مرفقة بالتقارير والأفلام والصور الفوتوغرافية الواردة من كركوك." ماسمعته أنا من ذلك التاجر في تقرير شاهد عيانه، جرى تأكيده من رئيس الوزراء: عائلات الأغنياء التركمان، كما ضباط الجيش العراقي الكبار ربطت أعناقهم بالحبال بالشاحنات، وجرى سحلهم عبر شوارع المدينة. جرى دفن عائلات من أغنياء المدينة بنسائهم وأطفالهم. نهبت الدور وأحرقت. النساء والأطفال والرجال جرى ذبحهم بكل بساطة، بعد أن قيدت أيديهم. كان هناك قرابة (١٠٠٠) قتيل، وحوالي (٢٠٠٠ ـ ٤٠٠٠) جريح. بلغت قيمة الأضرار في كركوك لوحدها (٤٠) مليون مارك ألماني. وبلغت أعداد المعتقلين الآلاف.

وهذا كله جرى بثه باللغة الألمانية، يعني باللهجة الساكسية من إذاعة بغداد، مع الملاحظة: الترجمة الدقيقة لما قاله عبدالكريم قاسم.

وفق رأي رئيس الوزراء، الجناة كانوا الشيوعيون وناشطي حركة السلام! أعلن مباشرة منع نشاطات النقابات المحلية - الشكرلله. وإعتقل رجالات الحزب الشيوعي القياديين، وهكذا عاد شيء من الهدوء.

تفتحت الآن عيون قاسم، الملقب بـ "الزعيم"، وأخيراً بدأ بالهجوم الشديد، ولكن الأوضاع لازالت في غاية التوتر، لايمكن للمرء أن يتذكر هنا متى جرت على الإطلاق مثل تلك المذبحة. تقارير عدد من زعماء التجار في كركوك، الذين كانوا شهود عيان، هي أفظع من التقرير الذي ورد في الراديو. سالت الدموع على خدود الموظفين الشباب والمسنين، بل على خدود الجميع أيضاً سالت الدموع أثناء روايتهم للأحداث.

في ظل هذه الظروف، كان وقع ما سمعته من الدكتور شولتزه من ديسلدورف كالبلسم على روحي، عندما سمعت منه عن أماكن المشاريع القادمة، هناك نقاشات تدور حول مشاريع في بلاد أخرى كساحل العاج في أفريقيا، ومالاكا في إسبانيا، إيران، ولكن في جنوب أفريقيا ايضاً. بغض النظر عن المكان: فقط أريد أن

تكون عائلتي معي، وفقط في بلد حيث تكون العائلة أيضاً بأمان. ولكن بداية يجب أن ينتهي بناء "طريق الشمال"، ناهيك عن نهاية فترة الضمان أيضاً.

يصادف اليوم "عيد ميلاد القيصر": (١٨٦١/١/٢٧). هذا فقط بشكل جانبي. إلا أن المهم هو أن هيلده شتالماخ من الموجة الألمانية في برنامجها بالأمس "الكلام بيننا"، قالت التالي: "وفي النهاية لدي قصة من أجل السيد برنارد ويتمان في السليمانية. تسلمت رسالتك وسوف تصلك مواعيد البرامج التالية. ولكني إستلمت رسالة أخرى أيضاً من السليمانية، ومنها أريد ان أقرأ بعض المقاطع... هنا إلتقيت فوق على الجبال البرية في كردستان، على درب جبلي لعبور الحمير، برجل ألماني، وهذا الألماني أعطاني عنوان الموجة الألمانية في مدينة كولونيا... هذا كنت أنت سيد ويتمان، وكاتب الرسالة هو السيد الدكتور ماشكه. أنت تقوم بدعاية جيدة لإذاعة الموجة الألمانية. نحن نتمنى جداً أن نراك في الخريف هنا عندنا. أكتب لنا عن تاريخ مجيئك. المخلصة هيلده شتالماخ." بالضبط هكذا قالت لي عبر الراديو. فكروا الآن، من هم كل من سمعوا هذه الكلمات، وأين في جميع الأنحاء: في أوروبا وآسيا واستراليا وفي شمال وجنوب أمريكا في كل العالم، دون أن ننسى أفريقيا.

العديد من الرجال، من زملائي السابقين، الذين يعملون الآن في أفريقيا وأمريكا الجنوبية والشمالية، والذين سيسمعون هذا، سوف يقولون بالتأكيد: "لايزال السيد ويتمان يعمل حتى الآن في العراق. بعد مثل هذه الكلمات الشخصية التي أتلقاها من هيلده شتالماخ، تصلني دائماً أخباراً من بعض هؤلاء الزملاء السابقين. الموجة الألمانية مؤسسة بالغة القيمة.

مصطفى برزاني،
أمير الثوار الأسطوري

أشعر مرة أخرى بالإمتنان لأني أستطيع إرسال رسالتي مع ساعي خاص. سوف يجلبها إلى البريد إما في فيينا في النمسا، أو في القاهرة. لاشك أن وسائل الإعلام لديكم تتحدث عن الموقف الساخن هنا في كردستان: أصبح للبلاد "زعيما ثانيا) هو حاج ملا مصطفى برزاني. يجب عليكم أن تحفظوا هذا الإسم. في رسائلي إليكم عن طريق البريد سوف استخدم عوضاً عنه دائماً م. م = ماتيوس موللر للإشارة إليه. هذا لا يفهمه السيد الرقيب، وأنتم سوف تعرفون دائماً، إلى من أشير.

ولكن في البداية يجب أن تعلموا بعض الأمور عن محطات حياة هذا القائد الأسطوري الكردي. تاريخ ميلاده بالضبط غير معروف بكل الأحوال مابين سنة (١٩٠١ـ ١٩٠٣). وهو أحد أبناء شيخ مشايخ برزان الكرد.

منذ صغره فقد والده في الصراع ضد أبناء قومه من الكرد، وقضى أيضاً عدداً من السنين مع والدته في أحد السجون العثمانية.

لم يكن قد بلغ سن السابعة عشر حين حارب مع أحد إخوته ضد العثمانيين، وبذات الوقت أيضاً ضد حكومة الإنتداب البريطاني. إلقوا نظرة مرة أخرى على تقريري فيما مضى حول: سياسة، الإنكليز، وغرترود بيل. حينها سوف تدركون ضد من ثار كرد برزان.

إضطر الشجاع ملا مصطفى برزاني إلى الهروب مرات عديدة، من ضمنها هروبه إلى الإتحاد السوفيتي، حيث أمضى هناك (١٣) سنة طويلة. كانت سنوات مريرة بالنسبة له. في وقت ما أدرك ستالين، بأن مصطفى هذا، الذي يحيا بالكاد في ظروف تشبه ظروفه، حيث عمل في معمل صغير، يمكن أن يصبح يوماً ما مفيداً للإتحاد السوفيتي. وإنطلاقاً من هذه الدوافع الأنانية، حصل الملا مصفى برزاني الآن على تأهيل شامل في الأكاديمية العسكرية السوفيتية.

أثناء ذلك عاد برزاني منذ سنتين ونصف إلى العراق. ورآه المرء في صف الجنرال عبدالكريم قاسم، وعلى مايبدو ملا مصطفى برزاني لديه هدف واحد: الحصول على الإدارة الذاتية التي وعد بها.

تاكتيك عبدالكريم قاسم في المماطلة كان مدعاة لعدم الإحترام، مما أدى في النهاية إلى ذهاب برزاني إلى الجبال. وبدأ تاكتيك حرب العصابات، ولكن ظل هذا تاكتيك مرتبط أيضاً بالكرم الكردي التقليدي. كانوا يقدمون الهدايا إلى الآسرى من الجيش العراقي، ويفرجوا عنهم. أما أخلاقيات الجيش العراقي في الحرب فقد كانت تهز الضمائر.

والآن وصلنا إلى العصر الحاضر الذي أعيشه. الآن أعايش يومياً ماالذي يعينه بالنسبة للكرد، أن تكون الحكومة العراقية عدوة له. جميع القرى التي حولي تتعرض إلى القصف منهجياً من قبل طيران الجيش العراقي، والكرد الذين نجوا من القصف إضطروا إلى الهروب إلى الجبال. بيوتهم دمرت، وحيواناتهم نفقت، وحقولهم التي نضجت محاصيلها ذهبت ضحية سياسة الأرض المحروقة في الحرب. كيف يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة، هذا ما لا أعرفه.

وكل يوم يجب علي أن أتدبر أموري مع نشاطات مواطننا الجديد ملا مصطفى برزاني. أثناء ذلك أصبح يسيطر مع الآغوات الكرد على كل المنطقة، من الموصل إلى أربيل، وحتى الأعلى إلى بحيرة سد دوكان. كل هذه المناطق أصبحت بيديه. إنه يحكم هنا! الآن أرسل رئيس

وزراء العراق عبدالكريم قاسم حاكماً جديداً إلى هنا. وهو عربي من سامراء، قاسي وصارم جداً، ويحب النظافة جداً، الأمر الذي لايروق بالطبع لفوضى لملا مصطفى برزاني. المتصرف الجديد حاول بالطبع التفاهم مع برزاني، ولكن الكرد البريون حالوا دون ذلك بنجاح، ولم يتركوا هذا المتصرف يصل إلى دوكان.

قدم برزاني مطالب مختلفة كثيرة، بما فيها مهلة زمنية لتنفيذ هذه المطالب تنتهي بتاريخ (١٩٦١/١/١). ماالعمل؟. ذهب الحاكم بحماية المدفعية الثقيلة إلى "زعيمه" في بغداد، وينتظر أن يعود بعد أربعة ايام تقريباً.

بعد سفر الحاكم بيوم واحد تلقينا أمراً خطياً من رئيس الحكومة بهدم القاعدة البيتونية القائمة عند مفرق كركوك أمام مركز الشرطة، من أجل توسيع الطريق، وذلك حال ورود هذا الأمر. وعلى هذه القاعدة البيتونية ينتصب تمثال نصفي لـ (زعيمنا عبدالكريم قاسم). الأمر الخطي كان ملزماً، وبهذا توجب على الجرمان أن يحطموا الزعيم المحبوب. لقد كان صبي قاسي العظم، وإحتجنا يوماً كاملاً لتنفيذ هذا العمل. كان هناك عدداً غفيراً من المتفرجين. قلت للمدير العام هاوسمان: "لاينقصنا الآن سوى أن يصور هؤلاء هنا

مانقوم به، وحينها ستنشر الصحف أسود على أبيض: الجرمان صلبوا الزعيم. إذا حدث شيء، أنتم تعلمون على الأقل ماحدث بالفعل. علينا القيام ببعض الأعمال التي لاعلاقة لها بمجال عملنا على الإطلاق.

مثلاً، ثلاثة أسابيع لم تعد تصلنا الصحف، والمدير العام هاوسمان قام بإثارة عاصفة بسبب ذلك في السفارة الألمانية في بغداد. فأرسلت السفارة بدورها إحتجاجاً إلى الحكومة العراقية في الحال. فأعلمونا أيضا سبب هذا التأخير: مرة أخرى كتب أحد الذين يسمون أنفسهم خبير في شؤون الشرق الأوسط" تقريراً في إحدى الصحف الألمانية عن كردستان بشكل ينافي الحقيقة بالكامل. ولهذا السبب علينا أن ندفع نحن الضريبة.

المشكلة المفتوحة هي: جميع السكان الكرد هنا في الأعلى يكرهون رئيس الوزراء إلى اقصى درجة. الزعيم يتكلم كثيراً، يعد بالكثير، ولايفعل شيئاً على الإطلاق. إذا إنتهينا من العمل هنا، أرى أن الأمور ستزداد سوءً. لأنه بالكاد توجد شركات أجنبية أخرى توفر فرص عمل. (٧٠٪) من السكان عاطلين عن العمل ولايملكون فلساً في جيوبهم، إنها تراجيديا بائسة حقيقية. إذا ثارت مثل هذه الأرواح الشعبية، التي تجري في عروقها بكل

الأحوال دماء حارة، حينها لا أستطيع سوى القول تصبحي على خير يا ماريا"

الصلة الوحيدة في هذه اللحظة التي تربطنا مع ألمانيا هي الرسائل التي نرسلها وتصلنا بشكل خاص، والموجة الألمانية في كولونيا. والحمد لله هناك حركة كبيرة، ويومياً تزداد وتصبح اسرع.

في ليلة (١) على (٢) حزيران جرى إيقاظي حوالي الساعة الثانية بطريقة فظة: أطلقت صليات من الرصاصات على نافذتي المفتوحة. في الصباح التالي لم أشعر أحد بما حصل، إنتظرت حتى الساعة العاشرة ثم ذهبت برفقة المدير العام هاوسمان إلى الشرطة، فجرى فحص وتفتيش واسع للمنطقة، وتحقيق، ثم كتابة ضبط حول الحادثة. الإضطراب الذي حصل في المعسكر هو أمر أكثر من مفهوم. الشرطة وأنا متفقان في شكوكنا: لقد كانت صليات ترهيبية من قبل النقابة الشيوعية كي تثبت أن عدد الحراس في المعسكر أقل مما يجب. على الأقل قمت أنا بتسريح إثنين من الحراس بسبب قلة أعمالنا. صحيح أني أظهرت نحو الخارج أن الحادثة ليست تراجيدية، ولكني داخلياً متوتر جداً.

توقعت أن يتكرر إطلاق النار على نافذة غرفتي في الليلة التالية. الكل يعلم أني أنام دائماً ونافذة الغرفة

مفتوحة. شكوكي أثبتت صحتها في الليلة التالية. من جديد حوالي الساعة الثانية لعلعت صلية رصاصات في نافذتي، في سريري بالضبط. أحضرت صباح اليوم التالي الشرطة مرة أخرى للكشف عن مكان الحادثة، ومرة أخرى توجب كتابة ضبط طويل.

ولكن بعد ذلك نظر إلي الجميع فجأة غير مصدقين، وسألوني وهم يهزوا برؤوسهم: "وكيف لم تصبك الرصاصات؟" فأجبت "أيها السادة، لقد قضيت طوال الليلة وأنا أقف في زاوية آمنة من الغرفة، لقد أصيبت وثقبت دميتي التي صنعتها من لحاف صوفي. رغم جدية الموقف ضحك الجميع بصوت عال وراحوا يضربوا أفخاذهم.

خلال ذلك جرى إبلاغنا بأمر حكومي: يجب علينا توظيف ثلاثة حراس في الحال! حيث كنا نوظف حارساً واحداً، علينا الآن وضع ثلاثة حراس. إنتظروا فقط، فكرت بيني وبين نفسي. فككت موقعي وأعدت بنائه في الأسفل على جبل بقرب السيد هيرينيغ. مع حارسه أصبح لدينا إذاً الآن حارسان. في اليوم التالي بعد وصول أمر الحكومة جاء مسؤول النقابة الشيوعية إلي. أنا قلت فقط: "إذاً، أيها السيد رشيد، كل الأمور على خير مايرام، أم لا؟." نظر إليَ بغباء وبجفاء تام قال: "نصب خيمتك

هنا في الأسفل ليست بفكرة جيدة. هنا توجد ضجة كبيرة، وبهذه الضجة لن تتمكن عند الظهيرة من النوم جيداً." شكرته بمنتهى المجاملة على عنايته بأحوالي وإنشغاله براحة بالي. غادرني قائلاً: "كان بإمكانك بكل بساطة البقاء فوق على الجبل، وكان بإمكاني توظيف ثلاثة حراس آخرين. ولكن هكذا خاب أمله، وأنا سررت كاللص الذي إنطلت حيلته على الضحية.

لدى كل هذه القلاقل أنا بحاجة ملحة إلى إجازة في الديار مرة أخرى، بحاجة إلى عنياتك، وأريد أن عناق بيترا. ولكن هنا يوجد الآن مشكلة سياسية: صحيح أني أستطيع الحصول على تصريح بالسفر ولكن لاأستطيع الحصول على تصريح بالعودة. تعليقات إضافية على ذلك لاتجدي نفعاً. أنا ذاتي بلغ عندي السيل الزبى، ولا أتمنى شيئاً أكثر من الخروج من هذه الجنة.

السرقات في المعسكر إزدادت، ويجب علي بإستمرار الذهاب إلى الشرطة في السليمانية. تجري الأمور على الشكل التالي: مدير حساباتنا يترجم من الألمانية إلى الإنكليزية، مترجمه يترجم من الإنكليزية إلى العربية، وبما أن قائد الشرطة كردياً، فنحن بحاجة أيضاً إلى مترجم رسمي يستطيع الترجمة من العربية إلى الكردية، في النتيجة يكون لدينا خبيصة, عدت إلى البيت وأنا

مهدور الطاقة، ولكن التفكير بالراحة لم يكن وارداً: كان هناك مسافران إلى ألمانيا، أريد بالطبع أن أرسل معهما بريدي لكم، وهذا نوع من تسهيل العمل على السيد الرقيب في بغداد. إهتمامه بمضمون رسائلنا يمدد الطريق على البريد من العراق إلى المانيا من (٤) ايام تقريباً إلى (٢٨) يوم.

مرة أخرى أصبحت الأجواء في معسكر "الكوكاكولا" كالجحيم. كل ليلة بالفعل يحدث تبادل لإطلاق النار، والشرطة تقف عاجزة تماماً. يجب أن يحدث شيئ ما من أجل تأمين سلامتنا. ذهبت بعد الظهر إلى حجي كولار في بازار السليمانية. كان مكتبه يكتظ بالكرد. كالمعتاد تحيات لانهائية وتمنيات بالصحة والعافية والسؤال على الأحوال حتى جد الجد، ثم الشاي، ومرة أخرى الشاي، وبعض اللغو حول حال تجارته وحال زوجاته وأطفاله. بحنكة وبدون لفت الأنظار دفعت بالحديث إلى إتجاه الموضوع الذي أتمناه، وطلبت منه الحديث معه على إنفراد. إشارة من يده اليسرى صرفت الجميع من المكتب. بعد أن أنهيت ما في جعبتي وعدني: "سوف أتي في الساعة السادسة مساءً إليك في قلياسان."

بداية نهاية وجودنا هنا فوق إذاً بدأت. جاء حاجي كولار جسب الموعد المحدد بالضبط. كان يرافقه حاجي

عمر حسن محمود، وحجي عبدالله شيخ حسين محمود العمر. الإسم االأخير هو الأطول، ولكنه يعجبني أكثر من الأسماء الأخرى. وهكذا اصبح لدي إذأ ثلاثة حجاج دفعة واحدة، رجال "مقدسون"، الذين حجوا جميعهم إلى مكة. خاطبتهم جميعاً بأسمهائهم الكاملة. ثم بعد أن أتخذ حديثنا طابع الود والبساطة رحت أخاطبهم بكلمة "حجي" فقط، حينها شعروا بالراحة وإنبعثت من وجوههم ملامح الفرحة.

النتيجة: هؤلاء الحجاج الثلاثة لديهم إهتمام جدي، بعد أن ينتهي "مشروع طريق شمال العراق"، بشراء جميع معدات معسكرنا، بكل مافيه إنشاء الله. اصبح الآن لدي الكثير من الأعمال الكتابية: إعداد قائمة بكل الآليات التي يحتويها كاراج آلياتنا، إضافة إلى ارقام تصنيعها. لدى تحديد الأسعار اضيف بالطبع مايسمى "الفارق التفاوضي" إلى السعر الحقيقي، كي يستطيع الإخوة القول في النهاية بفخر وإعتزاز: "أثبتنا لهم مرة أخرى كيف يجري المرء الصفقات"، ولكن دون أن يعلموا، أننا كنا االأذكى. مثل هذه الصفقات مرهقة بالعادة، لكنها مثيرة أيضاً. ويجري اثناؤها تناول االكثير من الأطعمة والشاي والقهوة واللبن الرائب والكولا والسينالكو والصودا والماء البارد، واثناء ذلك ورغم إنشغال المعدة

يجب على المـرء أن يحـافظ علـى بـرودة أعـصابه طـوال الوقـت، وأن يحـافظ علـى الإحـترام والمجاملـة. تلـك هـي الوصـية العليـا. ولكـن إذا إضـطر المـرء أن يكـون فظـاً، حينذاك تقوم القيامة، ولكن حتى في هـذه الحالـة ايـضاً، إلى درجـة معينـة. هنـا يحتـاج إلى أعـصاب بقـوة حبـل الرافعة االمعدني الغليظ.

الأعصاب يحتاجها المرء أيضاً لدى الحـوادث الـصغيرة. أوصلني طباخي صابر إلى حجي كولار، ثم إلى المدير العام هاوسمان. قلـت لـصابر: الآن تـستطيع الـذهاب إلى البيـت وطبـخ الطعام، وأن على السائق أن يأتي في الـساعة (١١,٥" ليأخـذني. كـم كنـت متلـهفاً إلى طعـام الغـداء، وذهبـت بسعادة تامة إلى صابر في المطبخ. نظر الـسائق إلى وجهـي المـشدوه وقـال: "صـابر؟ إنـه في بيتـه، أنـت الـذي أمرتـه بـذلك." كـان يجـب عليـه صـياغة كلامـي بـشكل أكثـر تفيصلا، ولكنه كان يجب أن يعلـم ايضاً، أنـي قـصدت بـ "الطبـخ" الطبـخ عندنا في المعسكر، في مكان عمله. ولكـن مـاذا ينفـع الإنفعـال. أبـدلت ملابـسي بـسرعة، طبخـت حساءً، وقمت بتسخين معلبتين: لحم غزال مقلي ولحـم خنـزير مقلي.. إلخ. إستغرقت عملية الطبخ(٢٠) دقيقـة، في الساعة(١٢,٣٠) كان الجميع شبعين، بما فـيهم أنـا. الآن أتى ايضا مشتري، يريد أن يأخذ الآلية التي اشتراها.

مثل تلك الأيام تستهلك كل مالدي من أعصاب. أجد العزاء وأسترجع شجاعتي عندما أستطيع أن أكتب كل شيء إلى زوجتي إيلا، عندما أتمكن من البوح بكل مافي داخلي. يريحني إلى اقصى حد كتابة كل شيء لكم كما حدث. وبينما أكتب لك أستمتع بأكل الكثير من الفاكهة: العنب والدراق والخوخ والتفاح. والتمر والتين لا أحبهما، فأنا أعلم كيف يتم التعامل معهما: تجمع هذه الفاكهة في أحواض كبيرة، ثم يجري تناوب السير فوقها من قبل جميع سكان القرية، يسيروا، ويسيروا إلى مالا نهاية ويدوسون بأقدامهم الفاكهة كلما سنحت لأحدهم الفرصة. ولكن لا تعتقدوا إنهم يقوموا بغسل أقدامهم جيداً قبل قيامهم بهذا العمل.

إستطعت في الرسالة السابقة أن أكتب لكم بصراحة، وأنتم الآن تعلمون، أني عندما أتكلم عن م. م= ماتيوس موللر، أقصد بذلك مصطفى برزاني. وعند أتكلم عن الشمبانيا، أقصد بذلك الأجواء السياسية. الشامبانيا ترغي بشدة. تناقشت خلال هذه الأيام مع المدير العام هاوسمان حول هذا الموضوع. إتفقنا على أن ننتظر (٢-٣) أيام، ولكن قررنا البدء بملئ صناديقنا المعدنية، كي لانباغت من قبل تطورات الموقف. كما بحثت عن أماكن إقامة أكثر أماناً، ووجدت: "زعيمنا" عبدالكريم قاسم

لاتعجبه طعمة هذه الشمبانيا ولا بأي شكل من الأشكال، وأنا أتوقع أن زعيمنا سوف يشطر زجاجة الشمانيا بضربة إلى شطرين، حينها سوف تطفح الرغوة المرتفعة وتنسكب. لدي جهاز قياس جيد، وأستطيع أن ابصر إلى أية درجة سوف تستفحل الأمور.

توجد أيام لايأتي فيها إلى العمل اي من العمال. ولكن في البازار أيضاً جميع المحلات تكون مغلقة في مثل هذه الأيام. العرب يهربون مع عائلاتهم بإتجاه الجنوب. لا أرغب بمعرفة ماقول زعيمنا في هذا. عدا السليمانية، كل شيء بالفعل بيد مصطفى برزاني. جميع أنشطة برزاني تجري ليلاً.

توجد في بداية طريقي "جايخانة"، هناك أتوقف صباحاً قليلاً واشرب كأساً من الشاي. حال رؤيتي أدخل إليها، يقف الجميع تحية لي بشكل لطيف. بعد إلقاء تحيتي "السلام عليكم" أجلس في وسطهم. أسمع كيف يتهامسون فيما بينهم: "مدير قلياسان"، ويمعنون النظر بوجهي، لأن هنا تبدأ منطقة مصطفى برزاني. هنا خط مايسمى الحدود بين العراق العربي والكردي.عندما رأيت هذه الكائنات البرية لأول مرة ـ كارل ماي يحييكم ـ بقيت واقفاً، وبدأت أعد كم عددها باللغة الكردية، فراح الجميع يضحك بصوت عالٍ، وأنا

سألت صاحب "الجايخانة" بالكردية: هل يوجد لديك (٢٥) شاياً؟ " فقال لي: "نعم"، ضحك الجميع، وكان الإحتكاك بيننا قد حصل. وبقيت أنا مدة "كأس شاي" أطول رجالي يريدون جميعهم أن يعرفوا، مالذي يحدث حولنا. في المخزون اللغوي الإمبريالي سوف يسمي المرء هؤلاء البشر ا"المتمردون" هنا نحافظ نحن على موقفنا الحيادي.

إلا أن ذلك لاينجح دائماً. قبل عددة أيام نفد الماء لدينا عند الظهر. تلقى سائق الشاحنة حمه صالح المهمة بالسفر إلى موقع المياه التالي. وعندما لم يعد بعد مرور ساعتين من الزمن، شعرت بالقلق وذهبت إلى موقع المياه في "باب ميردا" هنا أقبل رجل إليَ وقال: "حمه صالح تحطم"). بسرعة البرق عدت إلى المعسكر وأحضرت فيلب شتروبل معي إلى "باب ميردا" كان بإنتظارنا قتيلان وجريح وأربعة نساء ندابات. بينما كان فيليب يقفز إلى الشاحنة المهجورة بأسرع مايمكن، أدرت أنا بدوري سيارتي بأسرع مايمكنني، ولكن سرعان ماطوقت سيارتي. فكرت بأمر واحد فقط: ضغطت على البنزين إلى أقصى حد وإنطلقت عبر الشوارع.

خلال ذلك كان سائق الشاحنة يرقد في مستشفى السليمانية مع رصاصة في بطنه. في رسالة يمكن قراءة

كل هذا بسهولة، ولكن في الواقع هناك الكثير من المظاهر المرافقة، والتي هي كل شيء ماعدا أنها غير جميلة. في السادسة من صباح اليوم التالي سافرت إلى السليمانية. تطغى في العادة على الشارع في مثل هذه الساعة الصباحية حيوية دؤوبة، ولكن في هذا اليوم لم يكن هناك سيارات ولا أرواح. قبل السليمانية بنصف كيلومتر كان الحاجز الأول. رداً على السؤال: "إلى أين؟" غيرت بسرعة البرق الجهة التي اهدفها، وقلت "إلى المدير العام هاوسمان" الجواب: "ممنوع". هنا لم أفعل شيء سوى الشتيمة: "لا تتغابى أيها.. وقدت السيارة ملتفاً حول الحاجز. وكررت العملية عند خمسة حواجز إلى أن وصلت أخيراً فى السابعة إلى المديرالعام هاوسمان. أردنا العودة معاً إلى معسكرنا. ولكننا لم نتمكن من الخروج. بمنتهى الهدوء سألت: "من يقرر هنا الأمور؟" "الجنرال". هكذا، أدرنا السيارة وإتجهنا بإتجاه الجنرال. ألقيت خطابى، إستخدمت فيه كل ما املك من أساليب و كلمات الإقناع. النتيجة: "لا". أثناء الطريق إلى بيت المدير العام هاوسمان، قبل تجاوزنا سار الجنرال بسيارته إلى جانب سيارتنا ولوح بيده وأشار لي بأن أتبعه. إذاً الجنرال شخصياً أوصلنا إلى الحاجز الأول، حتى انه أختار أحد الجنود من اجل مرافقتنا. وسار الجندى بسيارته

أمامنا ونحن خلفه، وحرص على أن نعبر جميع الحواجز أيضاً. وهكذا فتح الحاجز تلوا الأخر أمام سيارتي! كنت أنا أول من سمح له بعبور الحواجز.

في نهاية هذا اليوم أردت ان أرى، ما الذي سيجلبه السفر مرة أخرى إلى السليمانية.

من لا يجرؤ لايربح. كما في. الصباح، كان هناك حواجز كثيرة، ولكن مرافقة الجندى لنا في الصباح فعلت الآن أيضاً فعل المعجزة. جرت عملية إلتفا في حول الحواجز أمام أنظار الجنود بكل وقاحة، حتى وصلت إلى المدينة. بدأ الجنود الآن يبتسمون كلما رأوا سيارتي قادمة. طبيعي أن تستوقف سيارتي، وطبيعي أن تفتش، ولكن بعد ذلك يقف المرء في حالة الإستعداد ويسمع لي بالمرور.

إشتريت في الحال مؤنة تكفي لأربعة أسابيع. دقيق وزبدة وسمنة وقهوة وسكر وملح، وأشياء أخرى كثيرة. يجب على أب البيت أن يقوم بواجباته. ومنذ أربعة أيام أتولى بذاتى الطبخ، بما أن الناس لاتستطيع المجيء إلى العمل، وبالتالي لايوجد طباخ أيضاً.

بعد أن عبرت مع كل هذه المؤونة في سيارتي الحاجز العربي أستوقفني جماعة من (م. م) الذين بلغتهم المعلومات بأن سيارتي مليئة بالمؤنة. إذاً

هـم لايريـدون سـيارتي فقـط، إنهـم يريـدون أيـضاً حمولتها! بالضغط بقدمي على البنـزين إلى أقصى حـد تمكنت من الفرار مرة أخرى. فى معسكر"الكوكا كـولا" جـرت مـصادرة شـاحنة وصـهريج ميـاه مـن قبـل رجال(م.م).

كما ترون: يوجد هنا تهليل، عربدة وضجيج ومرح. كل الأشياء والناس مشحونين بالتوتر. للأسف هذا يرهق الأعصاب جداً. عملنا في الفترة الحالية متوقف. ذهبت إلى دائرة البريد من أجل شراء الطوابع: لايبيعوا الطوابع في الوقـت الحـالي. ولايوجـد بريـد جديـد ولا يـستلموا بريـداً. لاأسـتطيع حتـى الـسير علـى الـشارع الـذي قمـت ببنائه. ولا نستطيع العبور إلى ورشتنا في سد دربنديخان أيـضا. فهنـاك "الآخـرون" ، رجـال (م.م). حتـى مـع معسكرنا لا يوجد تواصل في الوقت الحالي.

يـسود الموقـف الأكثـر عبثـاً علـى الإطـلاق. في اليـوم التالي للإثارة التي وصفتها لكم للتو، تمكنت مـرة أخـرى قبل الظهر من التسلسل إلى المدينة، ولكني لم أتمكـن مـن الخروج منها. وكانت الساعة تـشير إلى (٢٠) دقيقـة قبـل الـ (١٢)، وكان يجب عليَ أن أطبخ طعام الغـداء! "ممنـوع الخـروج!" يـا إلهي، كـم لعنـت وشـتمت باللغـة الألمانيـة. عــدت إلى الجنــرال، ولكــن مــن دون فائــدة. عــدت إلى

الحاجز، حيث كانت جمهرة من كل المراتب تقف هناك. كل الترجيات لم تنفع. هنا وقفت في محنتي، بعدم مقدرتي على طهو طعام الغداء بعدئذ راودتني فكرة. عدت مرة أخرى إلى السيد المحترم وقلت: "أنا قمت ببناء هذا الطريق، وأنتم لم تدفعوا بعد ثمن تكلفته، وأنتم تريدون أن تسدوا طريقي هنا أمامي؟" نظروا إليَ ببلاهة. ثم برقت عيون الجنرال وقال: "ممنوع فتح حاجز الحدود....!" فأجبت: "حسناً" وفكرت في تلك اللحظة ـ هكذا إذن ـ قدت السيارة (١٠٠) متر إرتجاعاً، إلى يمين حاجز الحدود يقع مركز للشرطة، بجانبه إلى اليمين أيضاً كان هناك طريق حقول طوله (٤٠٠) متر يؤدي إلى طريقي. إنطلقت بسرعة (١٠٠) كم في الساعة هابطاً في الطريق الترابي بإتجاه طريقي، نظرت أثناء ذلك في المرآة الخلفية فرأيت "الحيوانات ذوي الرتب العالية والحاجز المغلق، كما رأيت ايضاً كيف كان الجميع يضحكون من أعماق قلوبهم. ثم وصلت إلى الحاجز التالي. كان الجنود يبتسمون عندما رآوني آتياً، وهم أيضاً ضحكوا من ظهوري المغامر. كان يقف عند الحاجز على الأقل (٥٠) جندي مدجج بالأسلحة من كل صنف ونوع. بالطبع كان عليَ التفكير أيضاً بالحواجز التي لازالت أمامي. راقب هؤلاء كل شيء، وضحك الجميع على

شجاعتي وتركوني أعبر الحاجز بهذه الوقاحة. بداية في الدقيقة العاشرة بعد الساعة (١٢) وصلت إلى البيت. يجب تحضير مايؤكل بارداً باقصى سرعة. وفي النهاية خلدت إلى النوم لمدة ساعتين، على الأقل كي أستريح من المغامرات المثيرة التي عشتها اليوم.

ترفع الحواجز مرة لمدة ساعتين، ومرة أخرى تعود إلى النشاط خمس ساعات. مما يدعو إلى الأسف أننا لم نعلم أبداً، متى نستطيع أن نعبر الحواجز بشكل رسمي. في أحد الأيام كان الطريق في الساعة (٦,٥) صباحاً مفتوحاً. وعندما أردت العبور (٥) دقائق قبل الساعة السابعة كان الطريق قد أغلق. وكان نفس الحاجز الذي إستوقفني بالأمس، وكان العناصر ذاتهم الذين يقفون فيه الآن. سترك يارب، قلت لنفسي فقط، عندما طلبوا مني الوقوف إلى اليمين والنزول من السيارة، وكنت طوال الوقت محاصر بالجنود. بكل ما أوتيت من الهدوء نزعت نظارتي الشمسية، نظرت حولي إلى جميع الوجوه، وسألت بينما تعابير وجهي كانت في غاية البلاهة: "مالأمر؟"

هنا إقترب مني "أعلى الحيوانات رتبة" وراح يشتمني بكل مافي جعبته من الشتائم. رغم اني فهمت كل كلمة قالها بكل وضوح، لم تبدر مني اية ردة فعل.

وعنـدما أنتهـى، قلـت بكـل غبـاء: "لم أفهـم أيـة كلمـة"، وضـحكت بـصوت عـال. نظـر إلـيَ نظـرة عـدم تـصديق مايـسمع. طبطـب بيـده علـى كتفـي، ضحك وقـال لـي: "أنـتم الألمان رجال شجعان." ضحك الجميع، وأنا صعدت إلى سيارتي، ولكن توجب عليَ شرب الشاي،

الذي ناولوني إياه عبر نافـذة السيارة، قبـل أن أتـابع طريقي إلى منزل المدير العام هاوسمان الذي كـشر فقـط، لأني رغم كل ماحـدث أتيـت إلى الموعـد الـذي حـددناه في الوقت الصحيح.

خلال ذلـك أعـاد "زعيمنـا" عبـدالكريم قاسـم زمـام الأمور إلى يديه، وأصبـح بإماكننا منذ عدة أيام لأول مرة السفر على طرقاتنـا. يـا إلهـي، مـن يجب عليـه أن يـدفع تـكلفة الأضرار هذه؟

رغـم كل ذلك لا أريد خسارة حـس دعـابتي. بـالأمس مـساءً إصـطدت بمصيدة فئـران مـستديرة فـأرأ. عنـدما رأيت الفأر عالقاً في المصيدة هكـذا، هنـا فكـرت في الحـال: "برنارد، هكذا هي حالنا."، ورفعت المصيدة وحملتهـا إلى الخارج، فتحتها وبلمح البصر فر الفأر هارباً، وأنـا فكـرت "متى أستطيع أنا أيضاً أن أفعل هذا؟"

عاصفة "ره شه بـا" ثـائرة، يبـدو كـأن العـالم سـوف ينهار في الحال. وهذا في يوم جمعتنا المقـدس. نمـت نومـاً

كافياً، وكنت أود تدخين سيجارة في هذه اللحظة، وأنا أنظر أثناء ذلك إلى اليسار عبر النافذة رأيت، أننا بالأمس ليلاً حظينا بزائر. ثور المطبخ كان مجتهداً أيضاً، وقد لوى عنق (٢٠ــ ٣٠) غنمة على الأقل. عدا اللحم رمى بكل شيء. لم يسمعوا على الإطلاق بحساء العظام اللذيذ. الزائر؟ الرجال الشباب طلبوا السيارة مني. إنهم يرغبون بالذهب إلى السينما، وأحد الأزواج يريد الذهاب إلى الطبيب. ماالذي استطع قوله، في الليل لم يسمح لهم بعبور الحاجز. بداية في الساعة الثانية بعد منتصف الليل أظهر عناصر الحاجز، بعد لغو لساعات طويلة، الشفقة ودعوهم يعبروا.

يجب علينا جميعاً البقاء في المعسكر بعد حلول الظلام. مانحتاجه هو (ا- كلاب حراسة جيدة، ـ ب ـ حراس بنوعية جيدة (ستة حراس) من بين الكلاب كلبتي هي الأفضل. إنها وحش مثير ورائع، سوف تلد عما قريب، أستطيع الإعتماد عليها وأنا مغمض العينين. إنها ترقد دائماً تحت نافذتي. أقدم لها الفضلات أيضاً على سبيل المثال، ولحم جيد أيضاً، يجب على السيدة شتروبل في الوقت الحالي أن تكون حذرة بشأن دجاجاتها، لأن نيللي، كلبتي تنظر بشهية إلى الدجاجات. أنا لن أبخل على نيللي بتناول مثل تلك الوجبة لذيذة.

مرة اخرة يفارقنا واحد من الأوروبين القلائل الذين لايزالوا هنا بعد. يغادر البلاد أحد موظفي شركة "هاني" سوف يأخذ هذه الرسالة معه، إذأ استطيع الكلام بحرية. الأيام الماضية كانت جيدة، وارجو أن تستمر على هذا الشكل. إستخدمت بغداد سلاح الطيران بكل قسوة. ولكن كل من يسير في الشارع يجري رميه بالرصاص. القرى تعرضت للقصف، وإحرقت الشجار في الجبال، الأمر الذي تسبب لنا بخسائر جمة، وتسبب في حزننا. الوحيد الذي يغادر المعسكر ويقود اللاندروفر في الوقت الحاضر هو أنا. حافظت على حيادي الكامل، وشربت الشاي مع الطرفين.

معسكري كان منطقة الحياد. وصل الثوار إلى مسافة (٥٠٠) متر من معسكري، وقبل السليمانية بمسافة قصيرة كان الجيش العراقي متمركزأ. الطرفان كانا يبتسمان فقط، كلما مررت بسيارتي بهم. كالمعتاد كانت سيارتي تفتش بحث عن الأسلحة، ولكن شيء من هذا النوع لاأحبه على الإطلاق. عندما اتى سلاح الطيران، هنا إنتهى امر الكرد، فانسحبوا إلى الجبال. وهناك ينتظرون المرة التالية، وهي ستأتي. لن يكون لهذه المشكلة نهاية قريبة. أنا سعيد كوني قرأت هنا في الأعلى رواية كارل ماي "عبر كردستان البرية"، فقط الأمور

هنا أكثر قسوة ووحشية. قتل الإنسان يجري بإستمرار أسرع فأسرع.

أثناء ذلك دخل زعيمنا الحبيب في فم الأسد، وأتي بالطائرة إلى سد دربنديخان في الأعلى. لقد لعب دور "الرجل المتوحش" ، بأنواع الأسلحة التي كانت ترافقه، ببساطة هذا لايمكن تصديقه. لم يأت بأية كلمة عن شركتنا، ولم يذكر سيرة الأمريكيين. كل شيء قام العراقيون به. أحمق القرية هذا.

المدير العام لمشروع السد، الأمريكي تصرف بشكل صحيح: قبل ثلاثة أيام من ظهور الزعيم، سافر بإجازة إلى أمريكا. في النهاية تحادثت مع عدد كبير من مختلف الدبلوماسيين. تحدثت مع البريطانيين والفرنسيين والصينين، ومع الكوريين والرومانيين، لمجرد ذكر عدداً منهم. الرأى كان موحداً، "الخدعة الكبيرة لديكتاتور فاسد"

الألمان يمكنهم أن يكونوا رهائن جيدون

مهما بلغت مرارة وقسوة الموقف السياسي هنا أيضاً، تتوفر لنا بإستمرار فرص تسليات ثمينة. سافر يوم الثلاثاء في زيارة إلى بغداد وفد من الإدارة المالية الألمانية بسيارة تاكسي. فقط السيد المدير العام هاوسمان تسنى له مكاناً في الطائرة الأمريكية في سد دربنديخان. أعاق رحلة عودتهم معاً بالطائرة يوم الخميس الصديق "عاصفة ره شه با"

السيد مديرنا عايش بذلك لأول مرة خلال إقامته لسنوات طويلة في العراق، رحلة بالتاكسي من بغداد عبر الصحراء إلى الأعلى نحو السليمانية. كان الإنطلاق من بغداد في الساعة الخامسة بعد الظهر. كان المرء قد خطط أن الوصول إلى الهدف سوف يكون بداية بعد منتصف الليل. جلس معهم في التاكسي رئيس الذاتية

الأمريكي وأحد موظفينا الجدد. إنه مهندس تخرج حديثاً في ميونخ. عمله هنا في الأعلى، في كردستان البرية، هو أول عمل حقيقي في حياته المهنية، بغض النظر عن فترة التدريب التي أمضاها في ألمانيا.

علي محمد سائق التاكسي لدى إدارتنا العليا في بغداد، سلك الطريق عبر الصحراء، يميناً إلى قرب الحدود الإيرانية، مروراً ببعقوبة وجلولاء في وادي نهر ديالى. الطريق الجبلية إلى سد دربنديخان ممتعة بطريقة مميزة. طرقات جبلية من الصنف الضيق، إلى اليمين صخور مرتفعة بشكل حاد، وإلى اليسار إنخفاض حاد نحو الأسفل. بعض الأحيان تنعكس حال الطريق: إلى اليمين إنخفاض حاد إلى الأسفل وإلى اليمين إرتفاع حاد إلى الأعلى. قبل الوصول إلى الهدف سد دربنديخان بـ (٣٠)كم، يصبح الطريق أكثر ضيقاً، والمنعرجات الكثيرة تمنح الرحلة توابل إضافية.

هنا، خلف منعطف حاد، إستوقفت الرحلة من قبل حاجز. يبدو ان المنظر كان مسلياً جداً: صناديق، وأحجار، وكل مايخطر ببال المرء، كان يسد الطريق. وأمام هذا العمل الفني تمترس رجلان يحملان بنادق في وضعية إطلاق النار. السائق علي لديه طاقة رد فعل سريعة، توقف وسار إرتجاعياً ــ وفجأة دون أن يشعر

الركاب، كان قد إنتصب خلف سيارتهم حاجز آخر. وهنا أيضاً وقف رجلان مسلحان بالبنادق.

الساعة كانت تشير إلى (١١) ليلاً، السماء صافية ومليئة بالنجوم. وفجأة ظهر من اللاشيء مجموعة ثالثة مؤلفة من رجلين بإيديهم مسدسات، وإقتربا من أبواب السيارة وارغما الركاب على النزول: "إرفعوا ايديكم" أحد هؤلاء اللصوص حطم ضوء السيارة ببندقيته. والآن تأتي ذروة القصة: من السهولة بمكان دائماً أن يستمتع المرء فيما بعد بهذه الصورة ويجدها مسلية جداً، ولكن في الواقع تخطر على ذهن المرء أفكار أخرى. "إنزعوا جميعكم الملابس، ولكن كل شيء." ولكن ايضا توجب عليهم أن ينزعوا كل قطعة ملابس. سلب منهم: الساعات والخواتم والنقود والبذلات والملابس الداخلية والأوراق والحقائب وغيرها. ثم ضرب السائق علي لأول مرة. من المعروف أن أعقاب البنادق يمكن لها تحمل ضربات قاسية على جسد المرء. ثم أجبر علي على حمل كيس البريد، الذي كان ملقى في السيارة، على كتفه ورميه في وادي نهر ديالى. (كم من الوقت كنا ننتظر هذا البريد). وأمروا علي بالعودة، الأمر أمر. لدى عودته نال قسطاً آخراً من الضرب. بعد ذلك سحبوه بعيداً، ثم

تركوه يذهب. لم يفكر أحد من فرقة المنحوسين، بأن مفتاح السيارة ظل في جيب علي.

وفي ذات اللحظة كان الرجال المسلحون قد تواروا، كأن الليل قد إبتلعهم. ومعهم إختفت غنيمة دسمة. بقي فقط مديرنا العام والأمريكي ومديرنا المالي وموظفنا الجديد، لوحدهم في الظلام فوق الجبال، لايرتدوا شيئاً سوى، ما أحضروه معهم إلى الدنيا لدى ولادتهم. الصدمة الأكبر كانت من نصيب المهندس الشاب: لأول مرة يقف هنا بدون أمه، بالضبط كما جاءت به أمه إلى الدنيا.

كان على المجموعة إزاحة الحواجز، والتي كانت عديدة، بأنفسهم. صعدوا الجبال، بعض الأحيان زحفاً على أطرافهم الأربعة، حتى وصلوا إلى سد دربنديخان. بهم حيث وصلوا في العتمة، عدا حارس واحد، لم يتعجب أي إنسان من رؤيتهم يدخلون بزي ـ آدم. هذا الحارس قفز مهرولاً، كأنه رأى الشيطان يجري خلفه، عندما راح يبحث عن ملابس طوارئ لهؤلاء الرجال.

عاد السيد المدير العام ليصبح ذاته، بعد أن إرتدى ملابساً كالإنسان: إنذار كبير، وخلال وقت قصير أتت الشرطة، وبرفقة شرطة المعسكر إنطلقت أربعة سيارات لاندروفر إلى موقع الغارة. في هذه الأثناء إنبلج ضوء الفجر الرمادي. وأصبح بالإمكان البدء في فحص مكان

الحادث وجمع الآثار. وجدوا بعض قطع النقود الصغيرة، وصورتين من صور المدير العام هاوسمان وعلبة قلمه الحبر. ووجدوا بالقرب من ضفة النهر كيس البريد، هذا يعني ماتبقى منه. جوازات السفر الثلاثة كانت متسخة أيضاً. ولكنها لحسن الحظ كانت موجودة. ولكن كل شيء آخر إختفى وتلاشى. مجموع الأضرار بلغ (٧٥٠٠) ماركاً ألمانياً.

حاصرت الشرطة عدة قرى، وقامت بحملات دهم على البيوت. في الحالات العادية تخرج أربع دوريات شرطة خيالة. ولكن حالياً يوجد مايسمى "طاعون الخيل"، وقد نفقت (٨٠٪) من خيول الشرطة، الأمر الذي قلص دوريات الشرطة الخيالة بنسبة (٨٠٪). وهذا بالذات ماكان هؤلاء اللصوص يعلمونه. لقد أخفوا وجوههم وصبغوها.

نتيجة عملية "الغرب المتوحش" هذه كانت، منع الأوروبين بعد حلول الظلام من السفر بالسيارات. ولكن في النهاية تكلل بحث الشرطة المكثف بالنجاح. الجناة يقبعون في السجن منذ ثمانية أيام، وسوف يساقوا إلى المحكمة العسكرية في بغداد. عدا النقود والساعات والحلي، ضبطت جميع المسروقات الأخرى بحوزة الجناة.

لكننا رمينا بها في سلة الفضلات، إنها ببساطة لم تعد صالحة للإستعمال، ناهيك عن اللمس.

طريق شمال العراق
إنتهى فترة الضمان بدأت

إنتهينا من بناء مشروعنا "طريق شمال العراق" الآن يجب أن نبقى من أجل فترة الضمان سنة أخرى في البلاد. ممنوع مغادرة آلياتنا الكبيرة التي إستخدمناها، إلى خارج البلاد. يجب أن نحرص على أن تكون جميع الطرقات والجسور وغيرها، التي سلمناها حسب الأصول، وجرى قبولها، في ذات الحال بعد سنة واحدة، وبهذا الشكل تسليمها مرة أخرى.

لن يصيبني الملل، لأننا أثناء ذلك نشارك الأمريكان في سد دربنديخان. نحن لانستطيع أن نترك مجمل مالدينا من آليات، بما فيها الاليات الثقيلة، تركن ساكنة طوال سنة كاملة. طباخي الصغير صابر يعتني بي بكل إخلاص. أول سؤال يطرحه عليّ في الصباح: "سيد ويتمان، اليوم إلى السد؟" ثم يقوم بتحضير الشطائر

اللذيذة. يبدأ بشطائر الخبز، فيضع الزبدة واللحم المقدد فوقها، الذي أشتريه من سد دربنديخان. من أجل شطائر الجبنة يستخدم الخبز الأبيض. يلف الشطائر كلاً على حدا بورق عازل للماء ويضعها في الصندوق العازل للحرارة، كي يظل كل شيء طازجاً. ثم يضع معها في الصندوق الدراق والعنب.

وهكذا أسافر يومياً، في البادية جنوباً، ثم إلى اليسار إلى السد، في أعلى نهر ديالى، فقط (٢)كم بعيداً عن الحدود الإيرانية. في الأيام الأولى كنت أسافر بمفردي بسيارة اللاندروفر: (٩٠) كم ذهاب و (٩٠) كم إياب. نسبة تصاعد الطريق (١٨٪). كما أن الإختلافات في الإرتفاعات كبيرة جداً. عندما كنت أغرق مساءً في سريري، أحس أني منهك القوى ولا أستطيع التنفس. ولم يكن من النادر أن أسافر هذه المسافة ذهاباً وإياباً مرتين في اليوم. بعد أربعة ايام إتضح لي: يجب على سائقي رشيد أن يأخذني بالسيارة إلى هناك. بكل الأحوال عندما أخبرته أني سأسافر لوحدي بالسيارة، نظر إلي نظرة من أحس بإهانة. إذا قاد هو السيارة أستطيع على الأقل أن آخذ غفوة أثناء الطريق.

أعدت نصب خيمتي على ضفة نهر ديالى ايضاً، مع السرير والشبكة الواقية من البعوض وطاولة الكتابة

خاصتي، بالضبط كما كنت أفعل في جميع المواقع السابقة. رغم كل الضجيج الصادر عن الآليات الثقيلة، كنت أقضي إستراحتي في الظهيرة بالنوم من دون إزعاج. في كل صباح تمر قوافل الحمير أيضاً، محملة بسلال الفاكهة. كميات كبيرة من العنب والدراق تعوض لي وجبات الغداء.

لوكان بإمكانكم رؤية إتساع حجم الورشة الكبيرة هنا، لإتسعت عيونكم من الدهشة. هنا تقف وتتحرك الأشياء بأحجام وأعداد كبيرة. سوف أحصي لكم جزءاً منها: (٣١) جرافة، (٢١) رافعة إرتفاعها حتى (٤٠) متر، (١٥٠) حفارة ضغط، (٧٢) حمالة اثقال عالية، (٦٢) شاحنة، (٨٢) سيارة افراد لاندروفر مجهزة بجهاز لاسلكي، (٤٥) مضخة مياه، وهذه كلها تصنع ضجيجاً يصم الاذان - جميل جداً. كلما إزداد الدوي، كلما كان سماع هذه الضجة أجمل بالنسبة لي.

ثم توجب علينا إزاحة جبل صخري إرتفاعه (٢٠٠) متراً. (٦٢) قافلة حفر يجب أن تعمل في الليل والنهار. الكل يعرف في أي توقيت متواتر ومنتظم تحدث التفجيرات. هذا كله أمريكي نموذجي: حيوية وزوابع. مثل تلك الورشات لاتوجد في أوروبا. ماتعلمته لايمكن قياسه.

إنتشر الخبر هنا، أننا إنتهينا من بناء طريق "شمال العراق"، ولكننا لانستيطع أن نغادر البلاد بعد. غمرتنا عروض العمل من كل الجهات. مدينة السليمانية تريد أن نبلط لها مساحة (٤٠,٠٠٠) متر مربع بالأحجار السوداء. سد دوكان، على بعد (١٢٠)كم بإتجاه شمال شرقنا، يريد أن ننفذ له أعمال كبيرة، مدينة كركوك تريد (٧٨٠,٠٠٠) متراً مربعاً من البلاط الحجري الأسود على طريق دربنديخان، أنهم بحاجتنا لتنفيذ هذا وهذا، وهذا المشروع. في الأسابيع الستة الأولى جلبت ارباحاً خالصة بما قيمته (١٨٠,٠٠٠) ماركاً ألمانياً، رغم أننا بحاجة إلى (٨٠) إطاراً جديداً، قيمة الإطار الواحد (٧٥٠) ماركاً ألمانياً حوالي (٦٠,٠٠٠) ماركاً ألمانياً. ربما هذه أخبار جافة بالنسبة لكم. إذاً إليكم هنا شيئاً ما رومانسياً: فرح ديبا، إمبراطورة إيران، رزقت بصبي. هكذا سيعود قليل من الهدوء هنا.

بشكل موازٍ لهذا العمل ابذل أيضاً الجهود من أجل بيع معداتنا وآلياتنا المختلفة. بالطبع التسليم لن يكون قبل إنتهاء مدة الضمان. اليوم صباحاً على سبيل المثال: كانت الساعة السابعة عندما توقفت أمام مكتبي سيارة أمريكية من أحدث طراز، وترجل منها ثلاثة عراقيون. رقم (١) عربي طويل القامة ملابسه كلها بيضاء مع

عمامة وعباءة، رقم (٢) يرتدي الزي الأوروبي وهو عراقي، ذكي جداً أو وسيم الطلعة ورقم (٣) كان السائق. هنا بدأت مقدمة طويلة كما هو بالعادة دائماً. قاموا بتعريف أنفسهم وشربوا الشاي ودردشوا حول أحوال الطقس وماشابه. بداية بعد كل هذا، سألت أنا، ما سبب تشريفي هذا. وهكذا قمنا بجولة على جميع المعدات والآليات، وأنا أدركت غايتهم. العربي كان الممول، والعراقي المهندس، وهم يريدون شراء إثنتين من معداتنا، مع مهندس. ثم سأل العربي بشكل مباشر، فيما إذا كنت أنا شخصياً مستعد للعمل معهم، وماهي طلباتي المالية. بدافع الشقاوة ذكرت له مبلغاً غير واقعياً بالملايين إضافة إلى المصاريف وتذكرة الطائرة. عزيزتي إيلا، لم يرف له رمش، فقط قال: شكراً. وبعد ساعة ونصف غادروا.

أثناء فترة سنة الضمان يجب إضافة أشياء أخرى، أيضاً قياس الطرقات بدقة. هذا العمل أقوم أنا به.... سيراً على الأقدام. في مثل هذه الأيام أنهض في الثالثة صباحاً، وفي الرابعة أنطلق في السيارة، وفي الخامسة يبدأ العمل سيراً على الأقدام. من الساعة (١٢) حتى الساعة الواحدة أعود إلى المعسكر وأنام حتى الساعة الخامسة عصراً، من الخامسة حتى الساعة السادسة أعود لقياس

الطرقات. وفي الساعة السابعة والنصف مساءً أنهار في السرير كالأموات. شيئاً واحداً أفعله مساءً بشكل دائم: حمام الأقدام"، هذا يعني حمام ساخن مع (١) كغ من الملح.

تشرق الشمس في الوقت الحالي في الساعة (٤)و (٣٥) دقيقة، وتبدأ باللسع منذ الساعة الخامسة، حيث يشير مقياس الحرارة إلى (٢٨) مئوية.

في الساعة (١٢) ظهراً تبلغ درجة الحرارة (٦٦) مئوية. هذه السنة يرهقني الحر جداً ويسلبني طاقتي كما لم يحدث لي فيما مضى. يمضي على وجودي هنا قريباً ثماني سنين، وتحت مثل هذه الظروف لايمكن إعتبار قياس طريقاً إسفلتياً بمثابة أكل الحلوى. في (٦) حزيران (١٥) كم، في (٧) حزيران (١٨)كم، في (٨) حزيران (١٠)كم، وبعد عدة أيام إستمر العمل مرة أخرى: في اليوم الأول (٢٣)كم، في اليوم الثاني (١٥)كم، في اليوم الثالث (٥)كم. هذه الكيلومترات الخمسة التافهة هما من جعلني ألعن وأشتم. ولكن الآن كل شيء أصبح صحيحاً، وفي هذا اليوم ذهبت في الساعة (١٢) ظهراً إلى السرير، ولم أستيقظ إلا في الخامسة من صباح اليوم التالي.

بعد أن أرهقت أقدامي طوال أيام عديدة بقطع المسافات سيراً على الأقدام، هنا واتتني أخيراً فكرة رائعة. الأفكار يجب أن تطبق في الواقع، ولايوجد ماهو أبسط من هذا، عندما يكون لدى المرء مسؤول ورشة جيداً. إشتريت من أحد الدكاكين كرسياً معدنياً قديماً، وشرحت لمعلم الميكانيك فيليب شتروبل ماالذي أريده: "يجب أن يكون قوياً جداً وقابل للفك أيضا." ماذا؟.

وهكذا أصبح الآن لدي على سيارة اللاندروفر كرسياً معدنياً مثبت في الأمام على داعمة الصدمات. هناك أتربع الآن، وأستطيع بسرعة (١٠)كم في الساعة أن أرى كل شيء على الطريق بأفضل وأدق شكل. جميع سائقي السيارت يبتسموا كلما رأوني، ولكن الغاية تحققت: لم أعد مجبر على السير على أقدامي، وإنما أتفحص الطرقات وأنا مرتاح في الكرسي. مضحك ولكن عملي. بعد أن قام السيد شتروبل بجولة تجريبية فيه، قال لي: لماذا لم تفكر بهذه الفكرة الرائعة من قبل؟.

لوكنت أقيس فقط القسم الخاص بي، لما كانت هناك مشكلة، فأنا أعرف عملي جيداً، ولكن كما يقول المثل: الأخير تعضه الكلاب" في إحدى المسافات من الطريق كان الغطاء محطماً منذ أربع سنين، وألقى المرء باللائمة علينا. بغض النظر عن من بنى هذا الطريق، فإنه لم

يجر تسليمه بشكل رسمي، ولكن يزعم أننا نحن المذنبون. في النهاية تبنت الحكومةالإعتقاد، بأن هذا القسم هو عبارة عن "خطأ في تركيبة التخطيط" والمخططون كانوا البريطانيين.

بالطبع جرى التوصل إلى حل وسط، السؤال فقط، على حساب من؟ على حسابي أنا! إقتراح الحكومة العراقية كان كالتالي: "إذا غطيتم الطريق بطبقتين من الأسفلت المصهور، ستحصلون في الحال على كل آلياتكم، وكل نقودكم سوف تسلم إلى شركتكم." كان سهلاً على السيد مديرنا العام أن يكلفني بالمهمة: "بهذا أعطيك المهمة سيد ويتمان. إحرص على المباشرة بالعمل في (١) تموز، وقدم لي قائمة خطية بكل ماتحتاجه، ومتى ستنتهي من العمل به." "عمتي مساءً ياماريا"، كان هذا مافكرت به فقط. ولكن كلما أسرعنا بالخروج من "قدر الساحرة" هذا، كلما أسرعت بالوصول إلى الديار، إليك عزيزتي إيلا، وإلى بيترا.

كل إنسان بحاجة إلى تغيير، والتغيير لدينا: زعيمنا المحبوب، عبدالكريم قاسم، رئيس وزرائنا سوف يأتي. من أجل "يوم الشرف" هذا، يجب أن نبني "قوس النصر" وهذا كله علمت به في الساعة (١١) قبل الظهر

قبل اليوم من وصول الزعيم. السيد المدير العام أمر: أصنعه بسيطاً، ظريفاً ورخيصا."

وهنا بدأ الهرج والمرح. أول خطوة قمت بها، هي تحويل إتجاه السير، بحيث أني استطعت في نفس اليوم من بناء القوس الخام في الساعة (٩) مساءً. في الساعة الثالثة ليلاً تابعنا العمل، وفي الساعة (٦,٥) كان كل شيء قد أنتهى، وأنا أيضاً. (٧) أمتار إمتداد، (٥) أمتار إرتفاع، (١) متراً عرض). كل شيء ملون بالأسود والأبيض والأخضر، وفوق في الوسط، من الأمام ومن الخلف، صورة كبيرة من كل جهة لزعيمنا المحبوب كل المحبة.

كل المدينة مليئة بأقواس النصر، ومزينة بشكل رائع. إنها تشبه مدن حكايات ألف ليلة وليلة.

وفي تارخ (١٤) تموز في الساعة التاسعة مساءً، هبت عاصفة "ره شه با" شديدة. حتى الساعة العاشرة مساءً كانت جميع أقواس النصر قد ذهبت مع الريح ـ ولكن لم يبق شيء أيضاً، سوى شيء واحد لازال موجوداً: قوس النصر خاصتي لايزال واقفاً، وهذا إستمر طوال الأيام الثلاثة التالية لعاصفة " ره شه با" تمزق قليلاً، لكنه لايزال واقفاً: "صنع في ألمانيا"

لدينا مهتم آخر بشراء قسم من آلياتنا. الحمد لله أننا هذه المرة لسنا بحاجة إلى مترجمين إثنين، أو ثلاثة

أو إلى أربعة أيضاً، لأن زبوننا ألماني. إنه يعيش في العراق منذ (١٤) سنة (هذا يعني أنه هنا منذ سنة (١٩٤٧)، ويتكلم العربية والكردية والإنكليزية والتركية والآشورية. لدي شك مبرر، أنه يعيش هنا تحت إسم مستعار، وهو من النازيين السابقين الشهيرين. ولكن هذا لايعنيني. إنه يعجبني كرجل أعمال، لأنه صريح دائماً ومستقيم، لكنه يريد الإستفادة من كل وساطة يقوم بها. وما الضير بذلك. إنه يود شراء ماقيمته نصف مليون "نقدي" كما ترين يازوجتي العزيزة إيلا، إن العالم ذو ألوان متعددة، مثير للإهتمام ويتعلم المرء منه كثيراً.

وهذا المتهم حكى لي أيضاً آخر الأخبار في عاصمتنا. كبار التجار في بغداد كانوا في السليمانية، وسحبوا كل مافيها من عملات صرف أجنبية. وتجار السليمانية الكبار لم يعد بإمكانهم الحصول على قروض في بغداد، وأصبح عليهم دفع ثمن كل شيء نقداً. بغداد تخاف من نشوء حدود كردستان عبر ملا مصطفى برزاني. "البازار" يغلي في الوقت الحالي بسبب حركة الشراء المذعورة. ونحن أيضاً يجب أن نوفر شراء مؤونتنا. الجميع هنا متوتر الأعصاب وعدائي. الرجاء ألا تتطرقوا في رسائلكم إلى اية نقطة من هذه النقاط ولا باي شكل

من الأشكال. ومنه سمعت أيضاً، بأنه سوف يجري بناء سداً آخر في ديبيس (Dibis)، هل سأتمكن من بيع هؤلاء آليات أخرى؟. وليكن، لأننا كلما تخلصنا من الآليات عبر بيعها، كلما كان علينا أن نشحن أقل.

خلال ذلك أصبح عليّ من جديد السفر يومياً إلى سد دربنديخان، إلا أن ذلك أمر متعب. بالنسبة للآخرين يرون السفر إلى هناك بمثابة متعة في أوقات الفراغ، النساء بشكل خاص، لأن المتجر الأمريكي هناك رائعاً. هكذا سألت معلم الميكانيك فيليب شتروبل، بما أنه اليوم عطلة، فيما إذا كان يستطيع أن يقدم لي خدمة؟ لقد نسيت شيئاً، ويجب أن أنجزه قبل أن يأتي المطر. إذا كان يستطيع السفر إلى السد من أجلي. كان عليكي أن تشاهدي كيف أشرق وجه السيدة شتروبل: أخيراً سنحت لها الفرصة للخروج مرة من (المعسكر ـ السجن" وأنا لدي الهدوء وأستطيع الكتابة لزوجتي إيلا.

أريد أن اشرح لكم المسافات مقارنة مع منطقتكم. تصوروا أنه يجب علي السفر من "بادربورن" إلى "ميندن"، ولكن بشرط أن أعود بعد خمس ساعات. بعد عودتي يجب أن أسافر بأقصى سرعة من (بادربورن" إلى (بيلفيلد" وقبل ذلك سألني رجل شاب: "سيد ويتمان، نحن نريد الذهاب إلى السينما في كركوك."

إنقطع نفسي. إنها سفرة ست ساعات لدى بمعدل سرعة (٦٠)كم في الساعة. سألته فقط: "كم تناولت من الويسكي؟" عدا أنه لايمكنه الحصول على تصريح عبور بهذه السرعة، تلك التصاريح التي نحن ملزمون بها الآن.

مثل هذه الرحلات الخاصة تشكل لأسباب أخرى أيضاً مشكلة كبيرة: البنزين. في أوقات الحرب هذه ليس فقط المواد الغذائية أصبحت نادرة، بل البنزين أيضاً. أملئ خزان السيارة صباحاً بالكامل، وفي السادسة مساءً يفرغ، وبجهد جهيد فقط أعود إلى "الكوكولا"، حيث محطة تعبئة الوقود خاصتنا. هنا لايتبقى الكثير من البنزين من أجل سفرة إلى السينما.

تمضية أوقات فراغنا

يتناقص عدد الأوروبين والأمريكيين هنا في الأعلى باستمرار. شركة السجائر النمساوية أكملت مشروعها وسلمته. نحن الباقون لدينا نفس الحاجة: تقاربنا بعضنا إلى الاخر، وتبادل الخبرات.

في يوم الأحد الماضي إلتقينا عندي في غرفة المطعم: السيد بوغلين، وهو سويسري، المدير الفني لشركة "هاوني" للسجائر، والسيد هاكماك وسبعة مقربون وقسيسنا الاشوري، أي أردثوذكسي يوناني. لقد سمع أن لدي حفلة صغيرة. إنه مثل جميع القساوسة يحب الأكل والشراب جداً، وهو يأتي دائماً في اللحظة الأخيرة، وهنا دعى نفسه بذاته. إلا أنه يعلم بأنه مرحب به دائماً. الأمر المهم معرفة الإنتماء الديني لضيوف هذه الأمسية. إسمعوا وتعجبوا إذا: (٢) كالفينيين، كاثوليكي واحد، و(٣) بروتستنتين، و(٢) مؤمنين بالله، و واحد باتستي،

وماسوني واحد، من دون نسيان القسيس الآشوري. نحن جميعنا ضحكنا كثيراً، ونحن جميعاً رجال متمكنون في مجالات إختصاصاتهم، وكل وحد منا يراعي الآخرين.

يوم الأحد هذا لم يكن لدى جماعة "هاوني" علم بما كان ينتظرهم. وصلوا إلى بغداد وهم في غاية السعادة. غير أنهم إحتجزوا هناك، ولم يصرح لهم بمغادرة البلاد: "لم يتم تسليم معمل السجائر ولم يتم إستلامه وفق الأصول. يجب عليهم العودة إلى السلمانية." من حسن حظي توجب عليهم جميعا تحمل أعباء السفر بالقطار من بغداد إلى كركوك، وبالتاكسي من كركوك إلى السليمانية: الآن أستطيع مرة أخرى تلاقي السيد الرقيب، وشرح الأمور لكم بالتفصيل لأنني سارسل هذه الرسالة معهم.

الآن أستطيع الإنصراف إلى هوايتي، العمل في الحديقة، أكثر مما مضى بقليل. في شهر آب يصبح لون العشب في الوسط أصفراً، وفي الأطراف أخضر غامق.

"الدرويش"، هكذا أسمي "أخصائي الحدائق خاصتي" يعرف دائماً النصيحة الملائمة. قلت له فقط: "يجب أن يعود العشب أخضراً" احضر كميات كبيرة من روث الغنم والماعزة، خلطه مع التراب ورشه فوق العشب. أنتم لن تصدقوا ماحدث: بعد أربعة أيام لم يعد سوى

بساطاً أخضراً غامقاً من العشب. منذ غروب الشمس حتى منتصف الليل يرش العشب بالماء بشكل مستمر. المرء يرى العشب ينمو. تعجبني براعة الدرويش الذي أثبت مرة أخرى خبرته بالحدائق.

حديقتي هنا هي كل شيء بالنسبة لي. بلغ طول أشجار الطلح منذ آذار (١,٥) متراً، إنها بكل بساطة رائعة. لدي الكثير من أصناف الورود. الحديقة صغيرة لكنها مذهلة. بجانبنا يوجد منزل فارغ فتشين ، مبني من الطين، وأمامه توجد أعشاب وشجرة طلح وشجرة حور. بدأت "أعتني" بقطعة الأرض هذه، وإستوليت عليها. هذه الأرض الجديدة بالذات تحتاج إلى ماء كثير، وأنا أسأل نفسي، من أين بوسعي تأمينه. بالكاد أتمكن من الحصول على مياه للشرب، هنا يجري الكثير من الهدر. وأنا فكرت طويلاً: "من أين أؤمن الماء؟"

الحل كان يبعد (٦٠٠) متراً عن أعلى المعسكر. هناك تمر قناة تمد القرى بالمياه، وهي مفتوحة في ساعات محددة. سطوت عليها في عتمة الليل. ساعدني حارسي في دفن أنبوب بطول (٦) أمتار وعرض (١,٥) إنش، كي لايراه أحد. أنظروا هنا، في الليل والنهار تسيل الماء إلى حديقتي الجميلة الصغيرة، من شجرة إلى شجرة، ورغم الحر ينمو لدي كل شيء. وضعت أحد حراسي فوق قرب

الحدود، كي يحرص على أن تجري المياه إلى حديقتي بإستمرار. لحسن الحظ كان هذا الحرس من الذين يمكن الإعتماد عليهم. توجب عليه العمل طوال الليل. ما أن ينتهي من رش قسم من الحديقة بالماء، حتى يكون القسم الآخر قد جف. بدرجة حرارة في الليل مابين (٤٠-٤٥) مئوية، هذا لايثير العجب. فقط لدي فضول، متى سوف يقطعون المياه عني في الأعلى. إذا جاء إحدهم إلي سوف اقول له بعناد: "أشجاري بحاجة ايضاً إلى الماء مثل تبغكم." الماء مادة نادرة هنا. خلال ذلك رشى حارس الأرض المجاورة بمبلغ (١٠٠) فلس، كي يحرص على إستمرار إمدادنا بالماء. بسبب مبلغ الـ (١٠٠) فلس هذا أصبحنا نحصل على الماء حتى الساعة (١٢) ظهراً.

لاأستطيع الثقة بحارس البيت. إنه ينتظر فقط حتى أطفأ جميع الأضواء، حينها يستلقي وينام في الحال. منذ إكتشافي لذلك، أراقبه أيضاً بعد أن أطفأ الأنوار. ضبطته خمس مرات وهو نائم. أيقظته فقط، نظرت إليه ولم اقل شيئاً. هذا يؤثر غالباً أكثر من الكلمات الكثيرة.

يوجد في الوقت الراهن عمل كثير في الحديقة. يجب إنجاز العمل الربيعي، الخضار بحاجة إلى كميات جيدة من السماد، ويجب ان يقلب ترابها، يأتي السماد مرة أخرى

فوق التراب. ماذا تعتقدون، كم يفرح هذا خضاري... في ظروف صعوبة الإمدادات التموينية اشكر ربي على هذه الحديقة كمصدر للخضار. بنينا حوضاً لتجميع السماد ايضاً. سوف أجني من هناك: الفجل والخس والشمندر وغيرها. هذا يسر ليس الطباخ فقط، من لايحب الخضار الطازجة. أنا أزداد إعتقاداً وتعجباً، بأني أستطيع أن أرى بالفعل كيف تنموا الخضار في حديقتي. أثناء ذلك أصبحت ارسل يومياً (٣٠) راس من الخس إلى إدارة شركتنا العليا في عربت. كما يحصل السيد دومس يومياً على (٦) رؤوس من الخس، ونحن نأكل يومياً على الأقل (٥) رؤوس، رغم ذلك لاتنقص كمية الخس في الحديقة.

حديقتي أصبحت فيما يبدو حديث المدينة في السليمانية. زارني رئيس جنائن الحاكم وقال لي: "سيد ويتمان، حديقتك يمدحونها في كل مكان. يجب أن أراها بعيني." تجول وتفحص كل زاوية في الحديقة، إمتدح نمو الأشجار وتعجب من كثرة الخضروات. ولكن مثار إعجابه الأكبر كانت ورودي، وبشكل خاص تلك التي أطلقت عليها تسمية "ورود إيلا" وبعد عدة أيام عاد السيد رئيس جنائن الحاكم وخلفه السيد مساعده وهو يحمل سلة كبيرة مليئة بعشرات الأصناف من الورود. قام السيد مساعد الجنائني بزرع تلك الورود في زاوية

خاصة. كما حصلت على كيس مملوء ببزور الورود ايضاً. انا اتصور منذ الآن كيف ستعبق الحديقة عندما تنمو كل هذه الورود: الإقحوان والياسمين والبلسم والجوري والفل. يجب الآن أن أقرر فقط، فيما إذا كنت سأزرع هذه البذور في الأرض الآن، أم علي الإنتظار. بغض النظر عن الفترة التي سأبقاها هنا، حتى ولوكانت هذه الفترة شهراً واحداً فقط. علي أن احظي بورودي.

منذ عدة أيام ادعو إلى الله كي ينزل مطراً، كي يخضر ويزهر كل شيء. ورودي ومرج عشبي بحاجة إلى مطر الحقول الدافئ. الحمد لله، لقد لبى دعائي، وهي تمطر الآن. كل عدة دقائق اخرج إلى الحديقة كي اشاهد كيف تتفتح الأزرار وتتحول إلى ورود وأزهار. حديقتي اصبحت متعة رائعة للبصر ـ في غاية الجمال. زخات المطر هذه لاتكفي بالطبع لإرواء الحديقة بالكامل، ولذلك قلت لحارسي أن يصعد إلى الأرض المجاورة، ومرة أخرى أن ينظم المياه. سعدت برؤية المياه بعد ثلاث ساعات تنحدر لتصل إلى حديقتي وتروي أشجاري الفتية ونباتاتي طوال الليل. قبل بزوغ الفجر يصعد حارسي مرة أخرى إلى الأرض المجاورة ويسد الماء بالجاروف. تركته يفعل ذلك كل مساء، حتى لايأتي أحد ويحتج بأني أسرق الماء منه.

أنا أعرف كيف سأتصرف بالضبط حينما سيحدث هذا: سوف أدعي الغباء، سأدعوه إلى كأس شاي في غرفة المطعم، وسوف أساله إذا كان بحوزته وثيقة قانونية تثبت ملكيته للماء "الأمر الذي يعرفه رجالي دائماً" وبعد لغو طويل، سوف أقول له أيضاً، سوف أتحقق بالأمر حتى أعرف من الذي حول الماء إلى الأسفل، ويجب عليه أن يعود بعد تسعة أيام، هذا يعني الثامنة صباحاً، حتى ذلك الحين أكون قد علمت بالضبط. نعم، ثم بعد ذلك لن يتبق أمامي سوى أن أتصرف وأسأله، كم يريد في كل شهر لقاء الماء. بعد ذلك سوف أتفق معه على (٢٠٪) من المبلغ الذي طلبه، ومع ذلك يكون هو قد حصل على أكثر مما كان يتوقعه. وإذا لم يعجبه الأمر، عليه أن يعود بعد ثمانية أيام أخرى. أنا أحتاج إلى مائه، لأنه يأتي من نبع يحتوي على كل فضلات الفواكه، وهو ساخن، بينما مياه الشرب عندنا باردة جداً. وهذا ماتحتمله ورودي وعشبي. ولكن لم تصل الأمور بعد إلى هذا الحد، وأنا انتظر.

من أجل إخافة وردع ضيوف الليل الغير متوقعين فكرت بشيء مميز جداً. وضعت أعمدة بيتونية، ووصلتها بأسلاك شائكة، وهذه توصل إعتباراً من الساعة

(١١) مساءً بالطاقة الكهربائية القوية. بالضبط هذه هي وظيفتي الرئيسة حالياً: الحرص على أمننا جميعاً.

أصبح لدينا خلال ذلك في المعسكر (٢٠) شرطياً من أجل حمايتنا، وهذا يمنحنا أيضاً الأحساس بالأمان. الأمر الذي يقلقني هو الأعداد الكبيرة من الناس الذين جرى إعتقالهم، ومن جديد إعتقال المزيد من الناس. في كل عاصفة تهب يجري إخلاء سبيل البعض، وإعتقال آخرين.

في الوقت الراهن ننتظر نهاية شهر رمضان. بعدها سيكون لدينا عطلة (٣ـ ٤) ايام. وهكذا، سوف يقول الله لنا، متى سوف تبدأ هذه العطلة.

أثناء ذلك أصبحنا مرة أخرى في شهر كانون الأول. عندما استمع إلى نشرة الأحوال الجوية في إذاعة "الموجة الألمانية" أصاب بالرجفة. إلا أن الرجفة تصيبني أيضاً، عندما أفكر بقضاء عيدميلاد آخر بدونك وبدون بيترا. قربت موعد وجبة الغداء إلى الساعة (١١) صباحاً بدلاً من الساعة (١) ظهراً، كي يتسنى لي المزيد من الوقت لنفسي ومن أجل الكتابة لكم.

أجمل هدايا عيدالميلاد كانت تحياتكم عبر إذاعة الموجة الألمانية إلى "رب العائلة"، كما أرسلت المذيعة هيلده شتالماخ تحية شخصية لي أيضاً. كما سررت أكثر

بسبب صورتك الرائعة. ماتلك الزوجة الجميلة الطازجة الصبية، التي لدي، إيلا. كل زواري يعبرون عن إعجابهم بك. صورتك تقف الآن أمامي مع باقي ورود حديقتي.

عودة من الاجازة
إلى "قدر الساحرة"

لم اشعر بصعوبة وداعك أنت وبيترا بهذا الشكل هذه السنة من قبل أبدأ. عندما مررت فوق جسر "ألتنبكن" بإتجاه دوسلدروف نظرة مرة أخرى إلى مسكننا الحالي، وتمكنت أيضاً من التعرف على المكان الذي سنبني فيه منزلنا. لم أشعر في حياتي بمثل هذه المرارة في نفسي بسبب الأمر الواقع، بأنك لست معي.

عندما وصلت إلى دوسلدورف وأجريت محادثتي في المكتب، كان قد إتضح في ذهني: أني لن أذهب مرة أخرى إلى الخارج من دونك ومن دون بيترا، ولن أذهب أبدأ إلى الشرق الأوسط، ناهيك عن افرقيا. في إدارة الشركة العامة اصيب الناس بالدهشة عندما علموا بأني سأطير عائداً إلى العراق بكامل حريتي.

يوجد عدد من المشاريع المهمة. واحد في جنوب إسبانيا، ثم آخر على شاطئ بحر قزوين في إيران، وآخر يجري التفاوض حوله، على ساحل القراصنة (يقصد إمارة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة اليوم المترجم) في الخليج العربي. كان علي بداية السؤال أين يقع هذا.

رحلة الطائرة كانت مريحة. إلتقيت بالسيد فيبر من شركة "بيكهارد وكونيك" التي تساهم أيضاً في سد دربنديخان. بهذه الرحلة بلغت رقمي القياسي الشخصي: "٢٥" ساعة من ميونخ حتى سد دربنديخان في الأعلى. سارت الأمور على الشكل التالي: وصلنا إلى بغداد في الساعة الثامنة مساءً بدرجة حرارة (٣٨) مئوية. بعد الطعام والحمام، في العاشرة كنت أغط في نوم عميق. المطاردات بدأت في الصباح التالي، إلى مكتب السد، ثم إحضار تصريح الإقامة، ثم تصريح السفر. في تمام العاشرة والنصف قبل الظهر، كان كل شيء قد إنتهى.

سوء الحظ لدى السيد فيبر كان حسن حظ بالنسبة لي: توجب عليه البقاء في بغداد، بحيث أنه أعطاني مكانه في رحلة الطائرة إلى سد دربنديخان. كان القبطان اليوغسلافي بيتروفيتش ينتظر في طائرته الأمريكية الصغيرة. طرنا بإرتفاع (٥٧٠٠) متر، لذلك كنت أستطيع

تأمل الحركة والحياة تحتي بكل هدوء. كان كل إنسان وكل قافلة في غاية الوضوح.

بعد وصولنا إلى الهدف دعاني بداية السيد سوانسن، المدير الأمريكي لمشروع سد دربنديخان، إلى الطعام. ثم أطلعني بجولة إستطلاعية على كل ماتم إنجازه خلال فترة غيابي التي بلغت ستة أسابيع. بلغ إرتفاع السد (٨٥)متراً، وتجمعت (١,٥) مليار متر مكعب من المياه. عندما عدنا من الجولة كانت سيارتي اللاندروفر تنتظرني.

المكتب في بغداد حذرني، والسكرتيرة هنا في السد توقعت بأن يحصل منع تجوال غير متوقع - وغير مأمول، لذلك طلبت السيارة. كانت على حق تماماً، توجب علي قضاء الليلة في السد، بداية في اليوم التالي تمكنت من السفر إلى المعسكر.

أثناء السفر إلى قليسان تمكنت بذات الوقت من معاينة الطريق الذي قمت ببنائه. وعلمت أيضاً أن حديقتي على افضل حال ونباتات الورود بلغ طولها (٨٥) سم إلى (١)متر. قطفت أجمل الورود منها، وهي الآن إلى جانب صورتك الرائعة. إيلا، ضغطت إحدى هذه الورود وجففتها، كي أضعها لك مع هذه الرسالة.

لا اريد أن أعود بذاكرتي في هذه اللحظة إلى الأسابيع الرائعة التي قضيتها عندك في البيت، فهذا يؤلمني جداً. من الأفضل أن نتحدث عن الأعمال هنا.

في الوقت الراهن لايأخذ العمل مني سوى (١٠٪) فقط من وقتي، ولكن فقط في الوقت الراهن، لأنني اصبت الجميع بالجنون، وشرحت لهم، أني ساكون في بيتي في ألمانيا بتاريخ (٢٠/١٢/١٩٦٢)، إذا خلال مايقارب نصف سنة. حتى ذلك الحين يجب أن ينتهي كل شيء بكل بساطة. يجب إخلاء " البيبسي كولا" و "قلياسان" خلال ثلاثة أشهر. إذا لم يحصل المشترون حتى ذلك الحين على تراخيص تصدير للآليات التي إشتروها، يجب في هذه الحالة ركنها جميعها في المستودع المركزي في عربت، كي يتمكن جميع المهندسون من السفر.

كما شرحت للجميع بأن هذا يجب أن ينفذ الآن بكل إنضباط، والسبب هو: أريد أن أكون في عيدالميلاد مع زوجتي إيلا. الموظفون العراقيون اصابتهم الصاعقة، لأني سرحتهم، ولكن جميعهم بلا أي إستثناء. الجرمان المتبقون بدأوا بفرك أيديهم: أخيراً اصبحوا يستطيعون وضع المخططات لرحلة العودة إلى الديار.

إضافة إلى ذلك، الموقف بين مصطفى برزاني والحكومة العراقية لايطمئن على الإطلاق، ولدينا منع

تجـوال بعـد الـساعة الـسادسة مـساءً. موقـف مـصطفى برزاني: أنـا فقـط أقـرر، مـن لايعـترف بـذلك، على أذنـه اليـسري وأنفـه أن يـصدقا ذلـك. وفي النهايـة يرسـل مـن قطع أذنـه وأنفـه إلى المستـشفى في الـسليمانية، كـي يـرى الجميـع مـصير "الخونـة". عـادات خـشنة، ولكنهـا وقـائع عارية من اية رتوشات. في البداية لم أتمكن مـن تـصديق ذلك، بدايـة عنـدما رأيـت عـدد مـن الـضحايا بـأم عـيني اقتنعت ان الأمر حقيقي.

أثناء إجازتي تغيرت حـدود الـشرطة، وأصـبحت تقـع الآن مـسافة (١)كـم بإتجـاه كركـوك. أصـبحنا الآن نتبـع مدينـة الـسليمانية، وفي داخـل منطقـة المدينـة لاتوجـد حواجز، توجد نقاط تفتـيش فقـط. الا زلـتم تتـذكرون واحـدة مـن رحلاتـي الأولى إلى بنجـوين، تلـك البلـدة الحدودية على الحدود الإيرانية، التي تبعد عنا (١٠٠)كـم جويـة؟. هـذه المنطقـة ايـضاً تحـت سـيطرة مـصطفى برزاني، وهذه يريـد زعيمنـا المحبـوب إسـتعادتها. وهكـذا أرسل جنوده بهذا الإتجاه.

انا أعرف هدفاً واحداً فقط: أن أتمكـن مـن العـودة إلى الديار قريباً. لازالـت هنـاك أربـع ورشـات يجـب أن تفـرغ وتفكك. آمـل أن أعيـد مـستودع "البيبـسي كـولا" خـلال هذا الشهر إلى الوضع الذي كان عليه من قبـل. ثـم يـأتي

دور عربت وقلياسان بعد ذلك. لو أن المشترون حثوا الهمة أكثر وعملوا بطاقة أكبر، لكانت الأمور تسير بشكل أسرع. ولكنهم يتمنون البقاء هنا خمسة سنوات أخرى، ولكن من دوني أنا!.

وكل هذه النشاطات تجري في "قدر الساحرة" تبلغ درجة الحرارة في الظل (٥٦) مئوية. مبردتنا لم يعد بوسعها العمل. لم يعد بوسعها ذلك لسبب آخر: الحراس نسوا صنبور الخزان مفتوحاً، وهكذا سالت (١٠,٠٠٠) ليتر من المياه. بدون تعليق.

عملية إقلاع عن التدخين بطريقة شنيعة

تعلمون أن إستهلاكي اليومي من السجائر يبلغ (٦٠) سيجارة تقريباً، ويتراوح زيادة ونقصاناً. وجود المصنع النمساوي للسجائر الذي تم بناؤه بالقرب من معسكرنا سهل علي العملية، وأمدني دائماً بالمؤنة. والآن أنظروا ماحدث: منذ (٦٢/٦/١٠) أقلعت عن التدخين. لقد كان إقلاع قسري عن الدخان.

كان علي إنجاز عملاً ما في سد دربنديخان، وفي طريق العودة كان علي أن أقضي "حاجة أخرى" أوقفت اللاندروفر وسرت مسافة في الخلاء، كنت من دون سائقي وتعباً جداً، ولم أنتبه إلا بعد أن شعر ثعبان بالإزعاج ولدغني في ساقي. أجبرت نفسي على الحفاظ على أعصابي باردة، لأنه كان ثعبان سام. اسرعت بأخذسكين الحلاقة، الذي بحوزتي دائماً، وشققت به مكان اللدغة بشكل صليب، وضغطت حتى خرج السم

وظهر بعدها الدم الوردي، وضعت أعواد الكبريت على الجرح وحككته بها حتى إحترق بالكامل، ثم وضعت فوقه مايكفي من البنسلين. ثم أغمي علي فيما يبدو.

خلال ذلك مر أحد موظفي سد دربنديخان، وتعرف بسرعة البرق على الحالة التي كنت فيها. أبلغ عن طريق اللاسلكي سائقي، كي يأتي ويأخذني إلى المنزل. أتى طبيب روسي لدى الجيش العراقي. أجرى لي فحوصات دقيقية، ثم قال "في الحقيقة يجب إرسال عينة من دمك إلى بغداد من أجل الفحص، لكننا لانملك الوقت الكافي لذلك. خذ هذه الحبوب، مساءً سوف أعود لأفحص وضعك مرة أخرى."

كنت مريضاً، مريض جداً، إستلقيت في الفراش شبه غائباً عن الوعي. لم أستسغ اي شراب أو طعام على الإطلاق، ولم يعد يثير إهتمامي أي شيء. مددت يدي إلى السجائر الموجودة دائماً بحوزتي، ولكن ما أثار تعجبني، حتى هذه لم تعد طعمتها تعجبني. كان الطبيب يزورني بشكل دوري، ويظهر أنه كان راضياً عن حالتي. بعد ثلاثة ايام شعرت كأني ولدت في جديد، وأصبح بإمكاني العودة إلى ممارسة عملي اليومي على أفضل مايرام.

ولكن شيء ماكان قد تغير، شيء ما لاأحد يدركه، وأنا الأقل إدراكاً له. فقدت شهيتي إلى السجائر. أنا المدخن بلا

إنقطاع، لم ألمس سيجارة واحدة منذ لدغة الثعبان هذه. حتى أني في البداية كنت اشعر بالغثيان لمجرد شم رائحة السجائر. إلا أن هذا تغير الآن. وهكذا فأن الله أراد أن أتخلص من هذا العبء.

في الحقيقة كنت أريد إخباركم بهذا في عيدالميلاد، هذا يعني كنت أريد مفاجأتكم بهذا الخبر، ولكني سعيد جداً بذلك لدرجة أني من كل بد أود مشاركتكم معي بهذا الخبر اليوم. ولكني أريد أن ألفت إنتباهكم منذ الان إلى شيء: صحيح أني اثبت لنفسي بأني أستطيع الإستغناء عن التدخين، ولكني الآن أصبحت بديناً جداً.

صراع البقاء اليومي في منطقة الحرب

أنا أسأل نفسي، ماكل الذي ستجلبه الأيام علينا بعد هنا. بالضبط في تمام الساعة (١٢) ليلاً هاجمنا (٢٥) مسلحاً شاباً مدججين بالأسلحة. حطموا الأبواب وأخذوا النقود، والملابس الداخلية يحتاجونها أيضاً، كما الأغطية واللحف. ولكن ماحاجتهم لأخذ الملاعق والشوك والسكاكين معهم، هذا ظل لغزاً بالنسبة لي، حيث أنهم يتناولون الطعام بأيديهم. عندما رأيت تفوقهم العددي علينا، قررت بسرعة البرق عدم المقاومة. بعد (٤٥) دقيقة إنتهى كل شيء، وأنا كنت منهك القوى. ولكني رغم ذلك تماسكت نفسي وإنطلقت باللاندروفر بدون أضواء كي أجلب الدعم. كان لدى الحرفيين من بيننا الكثير ممايجب إصلاحه من الأضرار.

بدأت جولتي المكوكية في الساعة الثامنة صباحاً على الدوائر والمؤسسات. نحن بحاجة لحماية، ونحن سوف نحصل عليها. خلال ذلك تحدث كل ليلة حوادث، لكننا الآن تحت حماية (٢٠) شرطياً عربياً مسلحاً في المعسكر. أصبح إسم معسكرنا على الفور "قلعة ويتمان" إستطعنا إعلام إدارتنا العليا في بغداد بما حدث، والتي بدورها أعلمت السفارة الألمانية، كي يقوموا بدورهم بوضع وزير الخارجية شروردر، وسكرتير الدولة السيد كارستينز في بون، في الصورة.

بينما كنت أمدد لدى الحاكم تصريح إقامتي، ذكرت أنه لم يعد يوجد لدينا بطاطا منذ (١٤) يوماً، ولهذا السبب علي أن اسافر إلى كركوك بسرعة. تصريح السفر الذي بدأوا يطالبون به منذ فترة قصيرة، حصلت عليه من المتصرف في الحال أيضاً. وفي كركوك ذهبت ايضاً إلى المستشفى الإنكليزي، حيث أجرى لي الطبيب جيمس الفحصوات اللازمة، وأراحني كون النتائج كلها مطمئنة. محملاً بقنطار من البطاطا (٥٠ كيلوغرام ـ المترجم) والكثير من الزبدة والجبن واللحم المقدد واللبن، وصلت بعد الظهر إلى قلياسان. جرى إيقافي وتفتيشي خمس مرات في الذهاب، ومثلها في رحلة الإياب.

كانت لدينا جميعنا شهية لأكل كاتو الجبنة وفق وصفتك. فقد أحضرت اللبنة الضرورية لذلك من كركوك، الآن يجب على الطباخ أن يقوم بتحضيرها. في الديار يعتبر هذا الأمر قضية بسيطة، فاللوازم والأدوات متوفرة في كل منزل، وفي وقت قصير يتم إنجاز هذه المعجزة: الكيك يصبح جاهزاً. الأمر ليس بهذه البساطة هنا. أول مشكلة إكتشفنا أنه لايوجد في المطبخ قالب كاتو، ولم نتمكن من العثور على واحد في سوق السليمانية ايضاً. ولكننا نملك ورشة. بعد لغو طويل فهم الحرفي من السكان المحليين، ماذا نريد منه أن يصنع. بعد فترة ارسلت الطباخ الصغير صابر، كي يحضر قالب الكاتو. بدون قالب الكاتو عاد صابر باكياً: "ماذا تظن نفسك حتى تأتي بمثل هذا الوقت القصير بعد تكليفي بالمهمة؟" نهره الحرفي. وفي خضم ثورة الغضب إنهال على الطباخ بالضرب، وماذا علي أن أفعل؟. أمسكت بيد صابر، وذهبت معه إلى الورشة، وسألته بهلجة آمرة: "من الذي ضربك؟" إلا أن الأحمق أجاب: "لا أعلم!" بعد نصف ساعة وصل قالب الكيك. أصبح بإمكان صابر البدء بعمله، ولكنه كان كل خمس دقائق يتحسس مكان الضربة الذي كان يؤلمه!

الآن سوف أخبركم أيضاً، كيف كان صابر قبل وقت طويل يشتري لوازمه: المسكين لايستطيع لا الكتابة ولا القراءة. فكيف عليه أن يعرف ماذا تحتويه قائمة المشتريات؟. في البداية خطرت لسيغي فولف فكرة، بعد أن تبين أن العسل لايبقى في الطرف الداخلي للكف، أخذ عوضاً عنه غراءاً، ولصق عليه قطعة صغيرة من المادة التي يجب عليه شراؤها: شاي، سكر، مربيات، دقيق أبيض، دقيق رمادي، وإلى ماهنالك. وبهذا الشكل كان يذهب إلى السوق باللاندروفر إلى تاجرنا ساكو.

فيما بعد قال لي ساكو، أنه لم يضحك طوال عمره أبداً، مثلما ضحك في اليوم الذي دخل فيه صابر إلى متجره وأراه "قائمة المشتريات" على بطن كفه الأيسر. الكميات التي كنا نحتاجها، كان التاجر يعرف قدرها.

هذه القائمة المميزة للمشتريات لم تزعج صابر على الإطلاق. الآن أخترع لنفسه إشارات خاصة به، وبهذا أصبح في وضع يمكنه بلا أدنى صعوبة القيام بشراء المواد الصحيحة. يتكلم صابر لغات كثيرة، لكنه يأسف جداً أنه لايستطيع لا القراءة ولا الكتابة. فيما بعد تأسفت لأن جميعنا تسلينا بهذا الأمر. في الفترة الأخيرة أصبح لدي الوقت، وأنا الآن سوف أجلس معه بصورة دورية وسأحاول أن أعلمه الكلمات الأساسية باللغة الإنكليزية.

نظرة الشكر في عينيه عندما علم بذلك، مست شغاف قلبي حقاً.

هنا حدث أن أحد موظفينا الألمان وقع في الحب. وهكذا سافر باللاندروفر إلى السليمانية، لأنه مشتاق جداً لرؤية نارمين، هكذا كان إسم حبيبته. كانت صبية عمرها (١٧) سنة. قبل حوالي ثلاثة أسابيع أهداها خاتماً ذهبياً رائعاً. منذ ذلك اليوم يسمح له برؤية نارمين فقط إذا سمحت بذلك أمها. قبل فترة قصيرة قمت بزيارة السيد دوم، وإلتقيت هناك أيضاً بأم نارمين (هي ذاتها عمرها ٣٩ سنة فقط، وشقيقة زوجها وإبنتها. جميعهم كن مطلقات وآشوريات. شربنا النبيذ، وبالطبع سألت الأم عن إبنتها. هنا أشارت لي بأن ألحق بها.

صعدنا درجاً حلزونياً جميلاً إلى الأعلى. جميع النوافذ كانت بقضبان حديدية. كانت تغطي الممر الطويل سجادة عجمية في غاية الروعة. الباب الأخير كان مردوداً فقط، وهناك وجدت نارمين. نهضت بسرعة وعانقتني بقوة، بحيث أنه لم يعد بإمكاني التنفس سوى بصعوبة بالغة. جلسنا وتحادثنا ونحن نأكل التفاح والموز والمكسرات ونشرب النبيذ. بعد أن عادت أمها إلى الأسفل، أخبرتني نارمين بمآساتها. للأسف هذا الحب لا أمل له على الإطلاق، وليس بمستطاع سيغي (الحبيب)

إختطافها. نارمين مسلمة، والزمن هو هكذا، أن هذان العاشقان لن يسمح لهما بالزواج ابداً.

عاد السيد سفانزن، الذي يعمل في سد دربنديخان، إلى أمريكا. إنتهى السد، وإنشاء الله، سيجري إستلامه في (٤) كانون الأول، وطرقاتنا أيضاً سوف يجري إستلامها بشكل نهائي. كنت عائداً للتو من جولة فحص الطرقات، عندما رأيت الجنرال الجديد قادماً بإتجاهي برفقة موكباً كبيراً. توقف على الطريق، وهكذا توقفت أنا أيضاً. ترجل كلانا من سيارته، وتحادثنا مدة (١٠)دقائق حديثاً شيقاً. هذا لايمكن أن يحدث في ألمانيا، هنا لاضير في هذا أبداً. سررت بهذا اللقاء المصادف، وهكذا كونت إنطباعي الأول عن هذا الجنرال الجديد.

االيوم هو عيد البشارة الأول (يقصد السبت الأول من شهر كانون الأول، السبت الثاني والثالث البشارة الثانية والثالثة، وفي السبت الرابع من الشهر تكون ليلة ميلاد المسيح، وهو عيد الميلاد لدى المسيحيين من أتباع الكنائس الغربية ـ المترجم)، وأنا توهمت بأني في عيدالميلاد سنة (١٩٦٢) سوف أكون معكم. بدلاً من هذا، أجلس هنا فوق فوهة بركان، الذي يهدد بالإنفجار في كل لحظة، إنه موقف ليس مريحاً على الإطلاق. إجراءات المغادرة لاتجري أيضاً بالسرعة التي أريدها لها. عدا ذلك،

ينقص مشتريون، وتنقص رخص التصدير لآلياتنا الثقيلة ومعداتنا الموجودة هنا منذ سنين عديدة.

أية شركة أخرى كانت قد أعلنت منذ زمن طويل إفلاسها، لوكانت في موقفنا. ومصطفى برزاني يتصاعد بإستمرار تأثير مصطفى برزاني المرهق علينا. ومتاعبنا معه لم أعد أطيق تحملها.

حظيت بالأمس، من دون أن أتمنى، بزائر من السليمانية، كان طبيب أسناني. لقد أطلق سراحه للتو من السجن، حيث أمضى هناك (١٢) شهراً، وشكله كان يوحي بذلك بالضبط. لماذا تم سجنه؟ لاحاجة لوجود أسباب محددة، فهي يمكن دائماً إبتكارها.

حالة الصيدلي نوري علي بالمقارنة تختلف عن هذه الحالة. كان نائب ملا مصطفى برزاني في السليمانية، وألقى خطبة خطيرة من شرفة منزل نوري علي.

قلت لكم مراراً عديدة، أني أتفهم موقف الكرد، وأن مطالبهم عادلة فيما يخص أوطانهم، ولكن لايمكن للمرء أن يحقق شيئاً بين ليلة وضحاها. هذا الشعب الجبلي يجب أن يتمرن على الصبر.

الهدوء قبل العاصفة

إنفجرت الآن القنبلة. نحن الآن في (٨) شباط سنة (١٩٦٣) وراديو بغداد يذيع: جرى إعتقال رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم. رئيس الحكومة الجديد يسمى الجنرال حميد، أو ماشابه. عناصر شرطة المعسكر العشرون هجموا على مذياعي، وتجمعوا حوله كأنهم يريدون الدخول فيه. ذكرني الموقف بيوم (١٤) تموز سنة (١٩٥٨)، اليوم الذي قتل فيه الملك االشاب فيصل الثاني. نعم، ولكننا ضيوف في هذا البلد، ويجب علينا الإلتزام بالحياد، وإنتظار ورؤية ماسوف يأتي، سواء كان أفضل أم أسوأ. أنا لم أهلل، ولم أصرخ: "إصلبوه"

بما أننا نتبع دائرة مدينة السليمانية، فنحن نستطيع الآن السفر إلى وسط المدينة بسرعة، من دون أن تعيقنا الحواجز في الطريق. هناك إلتقيت بالسيد كاندلهوفر من موظفي مصنع السجائر، ومنه علمت: "أن

مصطفى برزاني سوف يأتي قريباً إلى السليمانية. الجيش يستعد لذلك، ويقوم بحفر الخنادق.

صحيح أني أقسمت بألا أخرج بالسيارة من المعسكر بعد الساعة السادسة مساءً، ولكنني أردت أن أرى بعيني، ماالذي يحدث في السليمانية. إستقبلني هناك هدوء لعين - هدوء ما قبل العاصفة. أصبحنا الآن نعلم عبر إذاعة الموجة الألمانية، أن عبدالكريم قاسم قد مات، ويزعم أن مقر الحكومة تعرض للقصف. ويقولون أيضاً أن للناصريين أيضاً يد في اللعبة. وعلمنا من أخبار الموجة الألمانية أيضاً، بأن الزعيم الأول للشيوعيين صدر بحقه حكم بالإعدام، وأن الحكم نفذ فيه.

وعند المساء حدث نفس الشيء، الذي حدث قبل سنة في شهر آب، أطلق الحراس في الساعة (١١) ليلاً الإنذار: هجوم. إلا أن المهاجمون جوبهوا بالمقاومة هذه المرة. العشرون شرطياً عربياً قاوموا بشجاعة، وتمكنوا من صد الهجوم، وفي الواحدة ليلاً كان كل شيء قد إنتهى. لم يكن أحد يفكر بالنوم من بيننا. منذ الثامنة صباحاً سافرت إلى السليمانية. الشوارع التي تزدحم عادة، كانت خالية من الناس تماماً. المحال كلها مغلقة، ولايمكن رؤية أي إنسان، ولاحتى كلاب سائبة. كل مارأيته كانوا فقط عناصر من الجيش والشرطة. عرضت محنتنا في ليلة

الأمس أمام قائد الشرطة. وشكرته بصدق للدعم والدفاع عنا من قبل عناصره. علت وجهه البشاشة لدى سماعه هذا المديح. ووعد بالمجيء بعد الظهر إلى المعسكر برفقة موكبه وقوات دعم إضافية

وبما أني في الحال هنا في المدينة، ذهبت إلى مكتب البريد. رغم المحنة التي أنا فيها سررت بشكل مميز بالرسالة الطويلة التي وصلتني منك ومن بيترا، ولكن أفكاري سرعان مارحلت عائدة إلى ماحدث في الليلة الماضية. كان القمر بدراً، وأجواء غريبة تسود الليل. قامت الحكومة الجديدة أثناء ذلك بالعمل الحكيم الوحيد. إعتقلت جميع الشيوعيين. للأسف هنا في الأعلى فقط، وعدا ذلك جرى إعدامهم جميعهم في كركوك وأماكن أخرى.

نحن بحاجة من كل بد إلى مواد غذائية. إلى أن حصلنا أنا والسيد شتروبل على تصريح مرور إلى كركوك، كان يوم كامل قد إنقضى. نحن جميعنا لايحق لنا السفر سوى برفقة قوات حماية، هذا يعني أننا بحاجة إلى يوم للذهاب، وإلى يوم آخر للعودة. هذه التعليمات لم ترق لي على الإطلاق، وفكرت: "سوف نرى كيف سنتمكن من تلافي قضاء ليلة هناك." إنطلقنا في الساعة السابعة صباحاً، وبعد سفر مدة ثلاث ساعات

فقط (رقم قياسي) وصلنا إلى كركوك. بداية عند حدود المدينة إلتقينا بأول نقطة تفتيش. الآن بإمكاننا الدخول إلى المدينة والتجوال فيها من دون مرافقة قوة حماية. خلال ثلاث ساعات تمكنا من شراء كل مايلزمنا. ثم جربنا حظنا، فسافرنا إلى مدخل المدينة ووقفنا في نهاية الطابور، الذي يشكله من ينتظرون مرافقة حماية للعودة إلى السليمانية. وقد نجحت المحاولة: في الساعة الخامسة بعد الظهر وصلنا إلى المعسكر.

لو رأيتم الوجوه المشعة بالفرح في المعسكر: أخيراً أصبح لدينا زبدة. لم نر الزبدة منذ (١٨) يوماً، من أجل ذكر إحدى المواد التي كانت تنقصنا.

لدينا في الوقت الراهن طقساً رائعاً، ولكن لايمكن التفكير بواحدة من الرحلات التي كنا نقوم بها بشكل إرتجالي في السنين الغابرة. يستغرق الحصول على تصريح مرور لقضاء الأمور الضرورية وقتاً طويلاً من الزمن. وعندما يصبح التصريح في أيدينا، يكون الوقت لم يعد ملائماً للسفر.

لاتسألوني كم من المرات لعنت عودتي إلى هنا. ولكن من كان يتوقع أن الموقف سوف ينفجر بهذا الشكل المفاجئ. أحد أبناء مصطفى برزاني كان لمدة يومين في الجوار. الآن ذهب إلى بغداد ويجري مفاوضات مع

الحكومة. سوف أحمد الله وأشكره، إذا توقفت أخيراً هذه المصادمات. أنا آسف لأجلكم، لأن بريدي لم يصلكم، ولأنكم لاتستطيعون أن تعرفوا كيف هي أحوالي. ادعو إلى الله كي يستمر في حمايتكم أيضاً، كما حماكم ورعاكم حتى الآن. كما أدعو الله أن يجمعنا عما قريب. عدم معرفة المصير شيء مريع، ولكني بصحة جيدة ولازلت أستمتع بروح دعابة سوداء، وغداً سنتناول أوزة مقلية. إشتريت هذا الطائر بالأمس في قرية قلياسان مقابل (٩٠٠) فلساً.

خلال كل السنين التي عشتها هنا قابلت بالطبع أوروبيات كثيرات من اللواتي كن متزوجات برجال من السكان المحليين. منهن على سبيل المثال إيرينه. سمعت أن زوجها مسجون. إنها إذا الآن وحيدة مع إبنها الصغير. أردت أن ارى كيف حالها في هذا الزمن الصعب حالياً، فذهبت للبحث عنها. لم تعد تسكن في منزلها القديم. لم يستطيع أحد إخباري، إلى أين ذهبت. تابعت البحث والسؤال عنها، حتى قال لي كردي مسن: "نعم، هنا في الخلف، هنا يسكن معلم مدرسة، وهو متزوج بأمرأة ألمانية" فذهبت إلى المنزل المعني، وناديت عبر الباب: "هل يوجد أحد هنا؟" بداية رأيت مكنسة، واليد التي كانت ممسكة بها قذرة جداً. كانت هذه البريطانية ذات

القوام المشوق، التي تزوجت قبل ثلاث سنوات بمعلم مدرسة عربي في لندن. حتى اليوم لازلت أرى رأسها الأحمر وعينيها بحدقاتها المتسعة جراء الرعب والخجل، وتعابير الإحراج في وجهها. سألتني باللغة العربية، ماذا اريد. فأجبتها بالعربية: "أنا أبحث عن السيدة إيرينه." مرت فترة صمت قصيرة ثم سألتها: (ألست بريطانية؟. بالكاد سمعتها تقول "نعم"، لأنها أطبقت الباب بقوة، فكادت تطبق بها على يدي. بالطبع غضبت لأني كأوروبي رأيتها إلى اي درك غرقت. إذن يجب أن أستمر بالبحث عن إيرينه. ووجدتها أيضاً، عن طريق الصدفة:

كنت عائداً من البريد، هنا لمحتها مع شقيقة زوجها الكردية. هذه الشقيقة كانت من معارفي، فأقتربت في الحال مني وسألتني بفرح: "كيف حالك، سيد ويتمان؟" ايرينه خفضت بصرها خجلة إلى الأسفل. بداية بعد أن خاطبتها عدة مرات، رفعت بصرها إلي وقالت: "المعذرة، هذا أنت." لم أتمكن من منع نفسي من القول لها، يجب عليها كأوروبية الا تتصرف وكأنها كردية أكثر من الكرديات أنفسهن. علمت منها أن زوجها معتقل بسبب الزعم أنه كان عضواً سابقاً في الحزب الشيوعي.

كم كان اللقاء الذي تلاه مباشرة مع النمساوية من فيينا سلمى مختلفاً. وهي أيضاً كانت متزجة بكردي

عراقي لقد فرحت بلقائي للغاية، حيث إنهمر حديثها معي كالشلال: سيد ويتمان، هل تعلم بأني إختلفت مع أهل زوجي، إنهما كرد مسنون، والسبب أني رفضت أن أكون زوجة إبن مطيعة مثل ايرينه هذه. هنا قلت لأهل زوجي بلا مواربة وبوضوح: "لايمكن أبداً، فأنا فييناوية." إنها تعمل مثل زوجها في "دبس" لدى شركة ديلينسكي في الإدارة. إنهما يوفران معاً. وحالما يوفران ثمن تذاكر الطائرة، سوف يطيران عائدين إلى فيينا. أنزع القبعة أمام هذه المرأة ذات الإرادة القوية وزوجها.

يبدو أن هذا اليوم كان "يوم اللقاء بالسيدات"، لأنني في النهاية إلتقيت أيضاً بالمعلمة الأرمنية، التي تزوجت ألمانياً. بالطبع هذا الأمر هنا في الأعلى ينطلق من قاعدة مختلفة. زوجها يعمل مهندساً في سد دوكان. أقبلت هذه المراة الجميلة والمحبوبة نحوي وهي تشع بالسعادة. أخبرتني أنها وزوجها سوف يسافران بعد عدة أيام إلى بغداد (إنها حامل في الشهر الثامن) كي يشتروا قطع تبديل. لقد أخذت إجازة مرضية من مدرستها، والآن تريد أن تستمتع ببغداد. زوجها كان مهملاً جداً. ولكنها أصلحته كما يتوافق معها. وهذا بالضبط ما أعجبني بها بشكل إضافي.

لاتوجد لدي في الوقت الحالي أيام عمل محددة، إذن أستطيع التسكع عبر شوارع المدينة، وأن أتأمل كل شيء بالضبط، وأن ألتقي بزيد وعبيد. إلتقيت بطبيب عيون عراقي يتحدث اللغة الألمانية باللهجة السويسرية بطلاقة! شرح لي عن طيب خاطر، كيف حدث هذا: عاش سنتين في ألمانيا، و(١٠) سنين في سويسرا، حيث تعرف على زوجته المتحدرة من برلين. لديهما إبنة. كان راتبه في سويسرا (١٧٠٠) فرنك سويسري شهرياً، وهنا يحصل على راتب قدره (٥٦) دينار عراقي و(٦٠٠) فلس. الآن لايزال يتوجب عليه أن يعمل لدى الدولة العراقية مدة (٦) سنوات، لأنه درس على حساب الدولة، والدولة تريد الآن الإستفادة من دراسته. الدولة لها الحق بذلك. بعد ثمانية ايام ستأتي عائلته، وأنا لدي فضول لمعرفة كيف هي زوجته. إنها لاتعرف مالذي ينتظرها هنا.

قبل عدة أسابيع عشش رجال مصطفى برزاني حول منطقة معسكرنا في عربت. يتم السطو ليلاً: المرء جائع، يفرغ عدداً من الثلاجات، ويجلس في الحال لتناول الطعام. أثناء ذلك إنسحبوا مرة أخرى إلى الجبال. إنهم يحاولون معي مرة أخرى، دائماً في الليل. ولكننا محميون بشكل جيد، وعناصر الشرطة المسلحون يصدون كل

محاولة سطو أو هجوم من قبل رجال مصطفى برزاني. بهذا يمكننا على الأقل تجميع طاقاتنا ليلاً.

كحماية إضافية نصبت في ساحة الآليات عمودي إضاءة بإرتفاع (١٠٠) متراً، مجهزين بمصابيح كهربائية بقوة (١٠٠٠) واط. إنها إضاءة إحتفالات رائعة، تخيف بعض الدخلاء.

النوم الآن فقط في الغرفة المصفحة

الكل ينتظر محموما ـ ماذا ينتظرون؟ الأجواء مثقلة إلى أقصى حد. جرى سحب الجيش بهدوء وسكون، وأنا أتوقع زيارة مصطفى برزاني خلال مايقارب (١٠) ايام. نحن كلنا أمل، ويفرحنا إذا إتفقت الحكومة الجديدة مه هؤلاء الناس. ولكن هذا التوتر وشد الأعصاب إلى أقصى حدودها مرهق جداً. أنا لا أتدخل، وأقوم بعملي لا أكثر ولا أقل.

علمت من الطباخ الصغير أنه خلال هذه الأيام سيتقرر، فيما إذا كان الإخوة الأعداء، العرب والكرد، سيصلون إلى إتفاق. أنا اسمع بهذا منذ عدة أيام. وأنا لا أعتقد أيضاً أن هذا الإتفاق المزعوم سيتحقق في يوم من الأيام. بعكس ذلك، أنا متخوف من أن الأسوأ مازال ينتظرنا بعد. السكان يتحدثون عن أشياء كثيرة، إلا إنهم لايعلمون شيئاً، وسلوكهم سلبي جداً. المتاجر في البازار

مغلقة، البضائع لم تعد تصل إلى هنا. الجميع متردد، ولا أحد يبادر، والجميع قابع. والمحادثات في بغداد تطول وتطول.

أنا لا أريد أن أفاجئ من قبل رجال مصطفى برزاني أولئك مرة أخرى في الليل، وأعددت غرفة نومي بغاية السرية. فكرت كيف أستطيع أن أتفادى رصاصهم في غرفة النوم خاصتي. خلصت من تفكيري إلى النتيجة التالية: سوف أحول غرفة نومي إلى غرفة حديدية.

أحضرت لوحين من الحديد بسماكة (٥) سم، وبدأت بأعمال التحصينات. كخطوة أولى بدأت بحائط المقدمة. صنعت من أجل النوافذ إطارات حديدية من الداخل، وقويتها بألواح معدنية. حصنت الحائط من جهة الممر بلوح معدني أيضاً، كي لايتمكن أحد من إطلاق الرصاص إلى داخل الغرفة. كما سددت الباب من الداخل بمزلاج من حديد قوي، بحيث لايستطيع أحد الدخول عنوة. وضعت مثل هذا المزلاج القوي على النوافذ أيضاً.

الأجواء هنا مكهربة، والكل ينتظر متوتر الأعصاب ومحموم، متى سيعود مصطفى برزاني. على الأقل الجيش إنسحب بسكون وهدوء. إذن مصطفى برزاني يستطيع أن يأتي. ولكن ليس إلي، أنا أريد الخروج من هنا حياً، وأريد أن أعود إليكم حياً. ولهذا السبب أنام الآن

في غرفتي الصفيحية، وأستغني عن الهواء الطلق. سوف نرى متى تتعرض غرفتي الصفيحية للإختبار.

حصل مرة أخرى موقف صعب وغير مريح: "يوم الشجرة" (هنا يقصد عيد النوروز - المترجم) هو يوم العطلة القومي لدى الكرد. فقط في السليمانية يسمح بالإحتفال بهذا اليوم، هناك يستطيع المرء مراقبة الكرد. بالنسبة للمناطق المحيطة عممت الحكومة الأمر بالمنع البات لإحتفالات "يوم الشجرة"

الحكومة الجديدة في بغداد ألغت الأيام الربعة التي كان قد قررها "زعيمنا السابق"، رحمة الله عليه، في المقابل أصبح لدينا الآن عطلة في (٨)شباط، وب - يوم الإنقلاب في سورية، وج - يوم الوحدة. تتساوى دائماً أيام العطل في النهاية.

الثائر القديم ينهش ذاته

جميع أعضاء الحزب الشيوعي أبيحت دمائهم، وتجري تصفيتهم بلا إستثناء. من حيث المبدأ أجد منع هذا الحزب عملاً صحيحاً، ولكن تصفيتهم بهذه الطريقة المريعة لاتتطابق مع رؤيتي. ربما إعتقالهم يكون أصح وقد يحقق تاثيراً أفضلاً. أعداد كبيرة من الشيوعيين هربوا من الجنوب، وجاؤوا إلينا هنا في الأعلى. لم يمض وقت طويل حتى بدأوا في الصراع مع الكرد.

لاأستطيع أن أفهم، أنني مقابل عدم فعلي لشيء أنا أقبض راتب أيضاً. أنا افضل الغرق حتى العنق بالمشاغل على الموقف الذي أنا فيه حالياً. العدد الإجمالي لكل من تبقى منا هو (٢٤) شخص: السيد والسيدة شتروبل، سيغي فولف وأنا، والبقية هم ثلاث حراس موتورات، و(٥) حراس معسكر، والطباخ، وصبي الغسيل، و (٦)

ميكانيكيون عراقيون، و(٤) عمال مساعدين. عناصر الشرطة العشرون، لايدخلون في ملاك الشركة. جميع مشاريعنا جرى إنجازها وفق الأصول، وتم تسليمها للحكومة العراقية. أنا أحاول بيع ما أستطيع بيعه من محتويات مستودع آلياتنا، من أجل التقليل من كمية المعدات التي علينا شحنها وتصديرها فيما بعد.

لحسن الحظ نحن موجودون ضمن منطقة المدينة، وهذا يمكنني من الدخول إلى السليمانية من دون تصريح، طالما بحوزتي مايكفي من البنزين. كانت قطعة من جهاز توليد الطاقة الكهربائية معطلة. لا تسألوني كم من المسافات سافرت في رحلة البحث عن قطعة بديلة. أخيراً وجدتها في زاوية غير مهمة من السليمانية. لاتسألوني عن كل ماكان هذا المتجر يحتويه. المرء يتعجب فقط، من ماذا يعتاش كل هؤلاء البشر. في المانيا تجدون كل هذه البضاعة لدى تاجر الخردة، ولكن هنا؟ هنا يوجد كل شيء مرة واحدة. العمل اليدوي؟ العياذ بالله. حينها من الأفضل الإتجار والبيع والنصب على الناس. يريد التاجر ثمن قطعة الخردة المستعملة هذه (١) ديناراً. حدق بي بعجب عندما لعنت وشتمت وفق كل قواعده وطريقته. بعد ثلاثة أرباع ساعة دفعت له (٢٥٠) فلساً، وإنسحبت راضياً ومسروراً. بدلاًمن أن أدفع

(١١,٢) ماركاً ألمانياً، دفعت له (٢,٢٩) ماركاً.. بالطبع حصل على هذه القطعة من مكان ما بلا مقابل، لكني بحاجة شديدة لها.

يوجد بالقرب منا مايشبه (إستراحة) على الطريق، لا اعتقد أن أوروبي يجلس في مثلها. مالكها إنسان كريه، ينزع إلى التسلط ومتكبر. لا يتوانى عن إستعمال مسدسه سريعاً. يقولون عنه، أنه كان من كبار المعجبين بعبدالكريم قاسم، وعدا ذلك أنه في الحزب الشيوعي. الكرد أيضاً لايطيقون هذا الشخص. إنه يلعب ألاعيب قذرة ويصطاد في الماء العكر. ظهر فجأة من جديد هنا في السليمانية، فراودني إحساس غير مريح.

صديقي الآغا ناميق لديه دائماً صورة كاملة عن كل مايجري، وهكذا سافرت إلى المدينة، وتسكعت عبر البازار، توقفت هنا قليلاً، وشربت هناك شاياً - وأطلعت بهذا على مأريد ان أعرفه. صاحب "الإستراحة" علي شريف كان قد جاء من بغداد كي يزور صديقاً له في المستشفى، الذي تعرض قبل فترة لإطلاق الرصاص. إذاً، رأيت علي شريف بداية في الصباح، وبعد نصف يوم أرسله شخص مجهول عبر ثلاث طلقات، إلى ربه. كان يغادر المستشفى عندما أطلق عليه الرصاص عند مدخل المستشفى. الإحساس الذي راودني صباح اليوم لم يكن مخادعاً إذن.

حصلنا على عطلة مرة أخرى لمدة خمسة أيام. إلا أن أفضل مافي هذه العطلة، هو حصولنا على تصريح للقيام برحلات، الأمر الذي كان في الماضي القريب شبه مستحيل. توجب على الطباخ صابر أن يعد الكثير من الطعام للنزهة، وهو ذاته ذهب معنا، ثم أنطلقنا مرة أخرى إلى بنجوين، آخر بلدة قبل الحدود الإيرانية، في منتصف منطقة مصطفى برزاني.

إستمتعنا بالحرية الكبيرة، الخروج أخيراً من روتين الحياة اليومية. بعد (٢) كم من نقطة تفتيش الجيش إستوقفنا حاجز رجال مصطفى برزاني، فرأيت بأم عيني بأن هذه المنطقة تحت سيطرتهم. بعدها تابعنا الطريق بصعود جبل وهبوط آخر. لدى حواجز تفتيش رجال مصطفى برزاني كانوا يعاملوننا بإحترام وتقدير. بعد (٥) ساعات وصلنا إلى بنجوين. كثيراً ماتذكرت هذه البلدة الجبلية خلال السنين الماضية وتمنيت العودة إليها. كان منظرها في غاية الفظاعة. عبدالكريم قاسم وطياريه ومدفعيته وجيشه سووا كل شيء فيها بالأرض. لم يكن فيها أي بيتاً قائماً، ناهيك عن وجود أي مخلوق فيها.

كما هو متوقع، كان جيش الكرد يعلم بقدومنا، فأمنوا لنا كوخاً. شربنا الشاي معاً وتحدثنا ثم تحدثنا.

قائد المنطقة الكردي كان يعرفني. كان قبل عدة سنوات ضابط شرطة في عربت. وصف الحرب من قبل هذا المحارب الكردي كان رائعاً، إلا أنهم لم يحققوا بها أي شيء. عدنا بعد ساعة. كان أمامنا طريقاً طويلاً. في تمام الساعة السادسة مساءً عبرنا نقطة تفتيش الجيش العراقي. لم يحالف الحظ السيد والسيدة شتروبل في رحلتهما. كانا يريدان السفر بسيارتهما "فوكس فاكن" إلى البصرة. إعتباراً من الناصرية، غرب بغداد، كانت كل المنطقة بين دجلة والفرات مغمورة بمياه الفيضانات.

لايستمر أي شيء إلى الأبد. لقد تعودنا أن ننام ليلاً نوماً آمناً، ونحن مطمئنون أنه هناك (٢٠) شرطي يسهرون على حمايتنا. هرع الطباخ الصغير إلي: "سيد ويتمان، شرطة المعسكر جرى تبديلهم، ولكن العناصر الجدد ليسوا مسلحين. كيف يريدون حمايتنا؟" أسرعت إلى الخارج، أمسكت بمسؤول المفرزة وسألته: "أين البنادق؟ من دون بنادق أنتم لا تصلحون كشرطة معسكر، ولاتستطيعوا حمايتنا ولاقيمة لكم." الجواب من مسؤول المفرزة: "التعليمات من بغداد: عناصر الشرطة الكرد يمنعوا من حمل الأسلحة، لأنه حتى الآن كل عناصر الشرطة الكرد هربوا بأسلحتهم وإنضموا إلى رجال مصطفى برزاني. في الأسابيع الماضية فقط خسرنا

بهذه الطريقة (٢٠٠) عنصر شرطة مع بنادقهم." ماذا بإمكاني الإجابة على ذلك. عناصر شرطة المعسكر أخفضوا رؤوسهم. من دون بنادق يرون هم ذواتهم بعيونهم كأنصاف رجال.

والآن بدأت مرة أخرى من جديد حرب الأوراق. في البداية يجب كتابة الرسالة التالية إلى إدارة شركتنا العليا حتى صباح اليوم التالي: نرجوهم فيها كتابة رسالة إلى قائد الجيش، ورسالة إلى الحاكم، ورسالة إلى قائد الشرطة، وهذه كلها بالإنكليزية كما بالعربية.

وهذه الرسالة يجب أن تكون لدينا في اليوم التالي، إضافة إلى ثلاث مترجمين: ألماني إنكليزي وإنكليزي ـ عربي، وعربي ـ كردي. سوف أطالب بأن يعيدوا لنا حماية جدية. إنهم يؤمنوا الحماية لكل ماهو معقول أو غير معقول، فلماذا لايوفرون الحماية لنا؟.

والإثبات على أفكاري هذه حصلت عليه خلال وقت قصير. كنت في طريقي إلى السليمانية مع سيغي وولف، فرأينا قبل المدينة بقليل (٤) دبابات و (٣) عربة مصفحة وسيارة أمريكية ضخمة، وأكثر من ذلك، تقف في الطريق. الجميع كانوا مسلحين، لماذا؟. السيد الجنرال كان يجلس في "الجايخانة"، وكان يشرب الشاي. من أجل شارب الشاي هذا كانت مجمل حركة المرور مقطوعة،

وعلى الجميع أن يسيروا على الأقدام. الطباخ الصغير صابر كان يجلس بجانبي. نظر إلى الجنرال، ثم نظر إلي نظرة طويلة، ثم بسرعة البرق قدت السيارة إلى أمام "الجايخانة"، وقفزت خارجاً منها. بالطبع كان علي دفع عدداً من الضباط من مختلف الرتب عن طريقي، حتى وصلت، ووقفت أمام الجنرال وتمكنت من مخاطبته. كان قد سمع عني من قبل، وكان مستعداً لسماعي.

عرضت عليه مشكلتي، ووضحت له أن شرطة حمايتي لاتملك البنادق، وبرأيي هذا دعابة لاتدعو إلي الضحك. سؤاله الأول كان: "هل عناصر الشرطة من الكرد؟" بعد أجابتي بـ "نعم" هز برأسه يمنة ويسرة وقال: "حسناً، سوف اسعي لكي تحصل على عناصر شرطة عرب مع بنادق، أو سأرسل لك عناصراً من الجيش. أحسست بالراحة، لأن شرطي مع بندقية يفيدني أكثر، إضافة إلى أن هذا يظهر حياد موقفنا.

في طريق العودة إستوقفني رجال الشرطة، وطلبوا مني أن آخذ معي إمرأة مسنة. أحد عناصر الشرطة طلب أن يصعد معنا. للأسف جلس الشرطي في الخلف والمرأة المسنة بجانبي. عزيزيتي إيلا، ظننت أن "مغارة سماد" تجلس بجانبي. (يقصد رائحة روث الحيوانات التي

تفوح من ملابسها ـ المترجم). في التقاطع التالي أوقفت السيارة، وأرسلت المرأة المسنة إلى الرجال في الخلف.

حان الوقت كي يعود هذا الجنرال، الذي غاب ثلاثة أشهر، إلى المنطقة. إنه ممسك بزمام الأمور. لايوجد لدى الجيش أفضل منه. إنه مسلم متدين، ويسافر يومياً للصلاة في جامع سرچنار. من أجل صلاة العشرين دقيقة هذه تذهب معه قوات الحماية التالية: في المقدمة عربة مصفحة فيها ثلاث جنود، وخلفها السيد الجنرال في سيارة مصفحة، يلحق به ثلاث عربات ودراجتين ناريتين، وسيارة إتصالات لاسلكية، وشاحنتين محملتين بالجنود المسلحين بالرشاشات. في هذا الوقت تمنع جميع السيارات من السير في الطريق، عدا السيد ويتمان!

الجنرال يعلم أني أقف على الحياد، والآن كان لدي الدليل على ذلك أيضاً، كونه قد إستمع لي. حصلنا على شاحنة مليئة بعناصر من الشرطة العرب، مجهزين بما يكفي من البنادق والذخيرة. مقابل ذلك أخذوا مني جميع عناصر الشرطة الكرد. بإمكان المرء أن يرى أن هذا ممكن. من دون عناصر شرطة معسكر مسلحين ببساطة لايمكننا أن نضمن بقائنا. الآن يستعرضون أمامي بنادقهم المشوقة على باب المعسكر جيئة وإياباً،

بدقة وشجاعة وبطريقة صحيحة. ونحن ننتظر وننتظر، ونتوقع بأن تتفجر الأوضاع قريباً بشكل قاتل.

بدأت بغداد خلال ذلك بإعادة قواتها إلى هنا في الأعلى، بكل مالديها من معدات حربية. وصلت من كركوك (٣٠) دبابة تقريباً. ويذاع أن مصطفى برزاني أصبح لديه (٤٠,٠٠٠) مقاتل. لاداعي للخوف، فنحن نقف على الحياد، والطرفان أعربا عن إستعدادهما لتقديم الحماية لنا. يجب أن نصدق ذلك. فرحة بهذا النجاح طلبت بعد عودتنا من صابر أن يعد لنا على الأقل (٤٠) قطعة من الكعك البرليني المحلى على الأقل. عند المساء كان كلبي بيتر ينظر إلي نظرة ملؤها الحزن، لقد نسيت أن أعطيه هو أيضاً نصيبه من الكعك. كان عليكم أن ترونه في النهاية كيف كان يلعق فكه.

بالكاد فتحت النوافذ في الصباح ووقفت أمام الباب، سرعان ماجرى الحارس والطباخ نحوي، كي يخبروني بمستجدات الليلة الماضية. لقد سمعوا تبادلاً كثيفاً لإطلاق النار. بعد تناول الإفطار ذهبت برفقة سيغي وولف إلى السليمانية. كان يسيطر عليها هدوء غامض، والأجواء ملبدة وثقيلة. بالكاد لكزت سيغي وقلت له: "أنظر، أنظر..... بالحال وقف جنديان بقربنا، وخلفهما دبابتهما الموهة. "ترجلوا من السيارة!"، قلت

لهما بمنتهى الهدوء: "نحن ألمان من قلياسان... لم أعر أي إهتمام للرشاش الذي يحمله بيده، وتابعت طريقي. لدى الدبابة التالية إستوقفونا مرة أخرى. مرة أخرى قلت "كلمتي السحرية"، ولكن فقط، هذا الجندي أعرفه، إنه عربي عمل لدي سائق جرافة. تحية حارة، شربنا الشاي معه، وعدنا إلى قلياسان، إلى معسكرنا.

والآن جاء شرطة المعسكر العرب: إنهم جائعون، وعلي أخذهم إلى السليمانية. بعد الغذاء وضعت شرطتي العرب مع بنادقهم في اللاندروفر وإنطلقت بهم ـ للتسوق. طوال الوقت كانت طائرة بجناحين قديمة، تبدو طائرة إستطلاع، تحلق فوقنا. كنت أسأل نفسي فقط، كم سيستمر هذا السيرك. إنها قضية، أننا لانملك مافيه الكفاية من مؤنة الطعام، حتى الشرطة العرب ذاتهم يعانون من نقص الطعام.

رغم الحمولة الثمينة ـ الشرطة، إستوقفنا قبل السليمانية، بداية بعد أن توقفت عرفت سبب ذلك: تسود حالة حصار وحظر كامل للتجوال. كل شيء مغلق، كل بيت وكل متجر، وفي البازار ايضاً. لايمكن رؤية أي مدني، فقط دبابات في كل زاوية، يعتليها جنود عرب مسلحون بالرشاشات. لم أر السليمانية بهذه الصورة إطلاقاً.

عند السجن أرادوا مصادرة اللاندروفر. ولكني إنهمرت عليهم بتأنيبي لهم: "ألا ترون أني أحمل في سيارتي رجالكم، شرطة معسكري، جميعهم عرباً وهم جائعون، ولايوجد لديهم مايأكلونه، وهنا تريدون أن تمنعوا زملائكم من التسوق؟" هل تعلمين ماذا فعلوا؟ دفعوا بأحد زملائهم من الشرطة العسكرية داخل سيارتي، وإنطلقنا إلى الفرن المفتوح الوحيد، وأشترينا الخبز. وهكذا حصل كل شرطي، سواء الذين على نقطة التفتيش، أم جيشي الخاص، على(١٠) أرغفة. وكان الجميع سعداء، وسد كل منهم رمق جوعه.

بعد العودة إلى المعسكر طهوت الطعام: مرق اللحم مع البطاطا المسلوقة، لا أكثر. بينما كنت أطهو سمعنا صوت إنفجارات.كما سمعت فيما بعد، دمرت الطائرات المقاتلة قريتين بالكامل. يسري حظر تجوال كامل، مع إستثنائي أنا فقط. أعددنا غرفتين من أجل الحراس الليليين، كي يتمكنوا من النوم فيهما أثناء النهار، لأنهم لايستطيعون الذهاب إلى بيوتهم. أثناء نومهم قام سيغي بحراسة مولدة الكهرباء، لأن الحارس النهاري أنهى نوبته ويريد الذهاب إلى البيت. في الحقيقة هذا ممنوع، ولايمكنه الذهاب، إذ أن التجوال ممنوع بالكامل.

لاتسألوني عن المعايير التي يفرض وفقها حظر التجوال الكامل أو يرفع. الحارس سعيد تجنب هذه المشكلة بكل بساطة: قفز على ظهره في نهر تانجرو وترك تيار الماء يحمله بإتجاه "كوسته" منطقة سكنه. ولكن شرطة المعسكر العرب كانوا غاضبين. جاء قائدهم إلي وسألني، لماذا يقوم سيغي وولف بحراسة المولدة الكهربائية. فأجبت: على أحدهم أن يقوم بذلك." فتابع السؤال، "أين الحارس النهاري؟" وأنا: أجبت "ومن أين لي أن أعرف هذا؟" بالطبع لايمكن أن أقول لهم بصراحة، بأن الحارس الليلي إستخدم نهر تانجرو. كعرفان بالشكر لأجل ذلك، أني سمحت له بقضاء الليلة عند نسائه، ولأني لم أكشف أمره، أحضر لي سعيد في اليوم التالي (٣٠) بيضة دجاج جميلة وكبيرة. طعمها مقلية كان لذيذاً. تناولت معها الخضروات المفرومة والسلطة الطازجة من حديقة خضرواتي.

لقد كتبت لكم، بأنه لدينا (٢٠) عنصر شرطة عربي مع بنادقهم، وحارس كردي بدون بندقية، وذلك على مدار الساعة حول بيتي. إلا أن الأكثر فاعلية من هذه الفرقة هو كلبي بيتر. كبادرة شكر من أجل إخلاصه، أعطيته قبل قليل قطعتي عظام عجل كبيرتين. وأثناء الليل يغلي القدر فوق الموقد، كي ينضج حتى الصباح

لحم العجل بداخله. بيتر إشتم رائحة اللحم في القدر أيضاً، ونظر إلي بإخلاص وشكر، وراح يهز ذيله فرحاً.

أحاول مابوسعي وصف الأوضاع السائدة هنا بموضوعية وعقلانية. في الواقع الظروف هنا هي أسوأ بكثير. لحسن الحظ جهاز الراديو يعمل. الموجة الألمانية تمدنا بالمعلومات الموضوعية والشاملة، جهاز التبريد يعمل بشكل جيد، كما لايزال لدينا شيئاً من الطعام في المنزل. أحضرت على سبيل الإحتياط (٢) صندوق سينالكو وصندوق بيرة عراقية ماركة "فريدة"

هذا يجب ان يكفينا لعدة أيام، بكل الأحوال طول المدة التي سيظل الطريق إلى داخل المدينة مغلقاً امامنا. الأمر الأسوأ بالنسبة لي، هو أنه لايصل إلى هنا بريد، ولايخرج. ولكني قررت فقط، أن أكتب في كل دقيقة يسنح لي الوقت بها. أريد ان أخبرك بكل شيء كي لايجن جنوني. سيغي وولف، الذي لايكتب عادة إلا ماندر، كتب الآن خمس رسائل، التي تنتظر جميعها أن تذهب إلى البريد، أو إعطائها لمن يوصلها معه.

سواء كنا نكتب الرسائل، أو ننام، أو نشرب القهوة، أو نتناول طعام الغداء، هناك دائماً اصوات لعلعة الرصاص. مرة تتجه قوافل الدبابات بإتجاه كركوك، ومرة تأتي من كركوك. هنا أفضل أن أفرح بحديقة خضرواتي:

جذور طازجة ومنظفة ومقطعة، في المقلاة، وقليلاً من الماء فوقها، مع جوزة الطيب والسكر والفلفل الأسود، مع الملح وملعقتين صغيرتين من مرق الصويا، ويصبح لدينا طعاماً لذيذاً. لحم العجل جاهز أيضاً. الكلب بيتر يقف بقربي وهو يهز بزيله. البطاطا مصدرها آخر تسوق قمنا به في كركوك. الإحتياط منها ينخفض ويصبح اقل، هذا يعني أنه لم يتبق سوى ثلاث قطع منها، ومن الخبز لايزال حوالي ثمانية شطائر.

السليمانية أصبحت منطقة حربية

أصبحت الأمور لدينا الآن كالسلطة. أعلن رسميا منطقة السليمانية وضواحيها كمنطقة حربية. سافرت مع شرطة المعسكر العرب إلى السليمانية كي نتسوق، لأنه لم يعد لدينا مؤنة. كانت المدينة ترزح تحت الحظر الكامل للتجوال. في البداية أوصلت عناصر الشرطة إلى مقرهم لدى معسكر الجيش، حيث يحصلون هناك على حصصهم من الخبز والسكر والشاي. أنا ذاتي أكملت طريقي إلى متجر ساكو، وأوقفت سيارتي أمامه. بعد ذلك تابعت العرض المسرحي التالي بكل الهدوء: كانت تجري حملة تفتيش منهجية لجميع المنازل، الموقوفين يجري تحميلهم في شاحنات، تحت حراسة عناصر الجيش المسلحين. بالضبط كما كان يجري في أيام المرحوم هتلر. مرة أخرى كنت المدني الوحيد الموجود في الشارع.

ببطء جررت نفسي إلى زاوية الشارع، إلى روبين، وأخذت منه شاي ونسكافه وسكر. روبين لديه زوجتين و (٦) شقيقات، و (٥) شقيقات لزوجاته، وجميعهن أزواجهن في السجون. إضافة إلى والدته ووالدة إحدى زوجاته، يأوي منزله (١٥) إمرأة، ماعدا الأهل. أعمارهن تتراوح مابين (١٨ـ ٢٦) سنة. الجميع هرع إلي وأرد أن يعرف: "ماذا يوجد؟ كيف حدث؟ ماذا سمعت؟" ولكني لم استطع ولم ارد قول شيئا.

تواعدت مع عناصر الشرطة العرب بأن أمر عليهم وأجلبهم بعد إنتهائهم من التسوق في مقر الجيش. أسرعت إلى السيد دوم، وكيلنا في السليمانية. أنا أعجب كل مرة من جديد بمقدرته على التكلم باللغة العربية الرائعة. كما أنه يقرا ويكتب اللغة العربية بكل طلاقة، وهذا يمكنه من معرفة حقيقة الأوضاع في كل شاردة وواردة. سافرنا معاً إلى مصنع السجائر النمساوي "هاوني" الذي إستلمته الحكومة العراقية رسميا أخيراً. من أجل شرطة المعسكر العرب والكرد أخذت من مدير حسابات المصنع (١٠٠) باكيت سجائر بدون مقابل. أنا ذاتي، لم أعد ادخن. هناك إلتقينا أيضاً برئيس الإستخبارات وممثل عن الجيش. من تبقى من موظفي شركة "هاوني" النمساوية سوف يسافروا بمرافقة

الجيش إلى بغداد. بالنسبة لي، هذا يعني: أني أستطيع أن أرسل معهم ماتجمع لدي من رسائل إليكم إلى أوروبا، وبذلك أكون قد تجنبت الرقيب.

في طريق العودة إلى قلياسان لم نسمع فقط أصوات القصف وتبادل إطلاق النار - لم يرف جفن لا لعناصر الشرطة، ولالي - بل رأينا ايضاً القوات التي وصلت من كركوك، والدبابات. يقال أن الوزير الكردي باباعلي لجأ إلى الجبال، أو هرب إلى مكان آخر. إنه لأمر موتر للأعصاب حين يعيش المرء في مثل هذا الموقف المضطرب، حيث كل مايفعله، وأينما أراد دوماً أن يذهب، يكون تحت المراقبة. عندما لاينبح كلبي بيتر في الليل، حينذاك أعلم أننا تجاوزنا ليلة أخرى من دون أن نتعرض لغارة.

هذا اليوم بدأ حزيناً: سافرت بعد تناول الفطور في الحال إلى السيد في مصنع السجائر، كي أعطيه رسائلي إليكم، وعرفت أن السادة قد سافروا منذ السادسة صباحاً برفقة الجيش إلى بغداد. أصوات الرصاص والإنفجارات والضجيج في طريق العودة إلى البيت زادت الطين بلة.

بعد الغداء جاء الشرطة معسكر العرب إلي وطلبوا مني أن آخذهم بالسيارة إلى السليمانية. عزيزتي إيلا، أنا لم أصدق مارأته عيناي، مثل هذا المنظر المحزن، الكئيب

التراجيدي لم أر منذ أمد طويل: رفع حظر التجول مابين الساعة الواحدة حتى الرابعة بعد الظهر- ولكن للنساء فقط. ظننت أني أحلم. آلاف وآلاف من النسوة يسرن في الشارع كالدجاجات المذعورات.

عدا الشرطة والجيش، وبالطبع من عداي أيضاً، لايوجد أي رجل مدني. النساء تبحثن عن رجالهن الذين جرى توقيفهم، ويبحثن عما يؤكل، ويبحثن من دون فائدة عن متجر مفتوح. متجر ساكو أيضاً كان مغلقاً، ولكني دخلت إليه عبرالباب الخلفي. إشتريت كميات كبيرة من القهوة والسكر والشاي وما شابهه. البقاء طويلاً في بيت ساكو كان سيكون مخاطرة. لذلك أسرعت إلى سائقي اسماعيل كي يطمئن نساء الحراس الذين ينامون الآن عندنا في المعسكر، بان رجالهن بأمان عندنا. وأكملنا طريقنا إلى السيد دوم الذي لايوجد لديه الآن سوى النصح بصبر أيوب.

ثم كان علي أن أحل معضلة: سافرت إلى طباخنا الرئيسي السيد هورمز، حملته هو وأغراضه معي في السيارة، وأخذته معي إلى قلياسان، حيث سوف يسكن في نفس البيت مع الحراس، فأنا لم أعد أطيق الطهي أكثر من مرة كل يوم. والآن تفوح عبر النافذة المفتوحة رائحة الخبز الطازج وتصل إلى غرفتي. والآن أصبح لدي

إحساس أفضل بكثير. هورمز يريد أن يطلق ساقيه للريح، لأن زوجاته في المنزل أصبنه بالجنون. ولكن أقنعته بالعدول عن ذلك، وهو الآن تحت حمايتي.

أعلنت المنطقة هنا "منطقة حرب"، بالتأكيد تحدث الإعلام الألماني عن ذلك. السيدان من مصنع "هاوني" سوف يتصلان بإدارتنا الرئيسة في ألمانيا، كي تخبركم بدورها إضافة إلى معلومات أخرى بأننا بصحة جيدة ولانزال أحياء.

أنا لاأريد أن أسبب لكم قلقاً لاضرورة له، ولكني من جهة أخرى أريد أن أخبركم بكل شيء، رغم أني لا أعلم على الإطلاق، متى ستحصلون على هذه الأسطر. مساء الأمس على سبيل المثال، أردت قبل الذهاب إلى النوم الإستمتاع بحديقتي، وهكذا خرجت أتمشى بالبيجاما بين الورود جيئة وإياباً. هنا رأيت حارس المولدة الكهربائية يهبط على ضفة نهر تانجرو وإلى محطة ضخ الماء، وبجانبه أحد الشرطة حاملاً البندقية. فجأة وقف قربي شرطي آخر مع بندقيته. عزمت على الصراخ، ولكن لحسن الحظ زالت الغشاوة عن عيني وادركت حقيقة مايجري بسرعة كافية: كان شرطي آخر يقف فوق على مسافة (٥٠) متر حاملاً بندقية. القصة جرت في الحقيقة على الشكل التالي: الحارس يصل تحت في محطة

ضخ الماء الخط بالخزان العالي، وعندما يمتلئ الخزان العالي بالماء يقفله من جديد. وهذا يحدث ثلاث مرات خلال (٢٤) ساعة. ولكن حارس المولدة كردياً، والشرطة عرباً. والعرب يعتقدون، أن الكردي يمكن أن يعطي إشارة لكرد آخرين على الضفة الأخرى من تانجرو. ولكي يحولوا دون ذلك توجب على شرطة المعسكر العرب ليس مراقبتنا نحن فقط، بل الحراس الكرد أيضاً. من حيث المبدأ أستطيع أن أفهمهم، لأن الكرد أيضا أصبحوا مخادعين جداً، وهذا الأمر مفهوم أيضاً.

معسكرنا تابع لقرية قلياسان. القرية المجاورة دمرت أثناء ذلك وأحرقت. تعرضت اليوم حقول الحنطة والشعير للقصف، حتى إحترق كل شيء. "بلاد أخرى، عادات أخرى" (مثل ألماني ــ المترجم)، ولكن من الصعوبة بمكان فهم كل هذا، لأجل ماذا قد يكون هذا مفيداً. قريتنا قلياسان أصبحت قرية أشباح. هرب جميع سكانها إلى الجبال، الرجال والنساء والأطفال والمتاع والحيوانات. ولكن هناك في الأعلى لايوجد مايؤكل. لايستطيعون العودة لأن القرية دمرت أثناء ذلك ونهبت. وهذا كله بفضل زعيم الكرد مصطفى برزاني. رغم كل النوايا الطيبة تجاههم، ورغم كل التفهم لآمالهم ولأحلامهم، إنه تمرد جنوني. ورغم ذلك أنا أفهمه.

الكلب بيتر لم ينبح، نحن لانزال أحياء. تحت حماية شرطة المعسكر العرب سافرت إلى السليمانية، إلى متجر ساكو. بعد جهد جهيد جهز لي قائمة طلباتي:

١. (١٠) كغ زبدة

٢. (٨) قطع زبدة عراقية

٣. (٣) كغ سكر

٤. (٥) كغ دقيق رمادي

٥. (٩) كغ دقيق أبيض

٦. (١) علبة حليب مجفف

٧. (٢) علبة كبيرة قهوة نسكافيه

٨. (٣) علب كبيرة حليب مركز

٩. (٤) أكياس بودرة شوربة

١٠. (١) كغ شاي

١١. (٥) علب لحم خنزير ما، مجموعه (١)كغ

١٢. زجاجة عرق

١٣. زجاجة كونياك معتق "أسباخ"

١٤. (٢) صندوق كوكا كولا

١٥. (٢) صندوق سينالكو

١٦. (٢) علبتين شفرات حلاقة

١٧. (١) علبة كريم حلاقة

١٨. (١) علبة فلفل

١٩ـ (٢) علبتين خردل جاف المجموع يساوي (١٦٧,٥٠) ماركاً ألمانياً.

٢٠ـ والآن إحسبوا كم تبلغ قيمة هذه المشتريات في ألمانيا. بعد مغادرتي أغلق ساكو متجره في الحال. جلبت للسيد دوم معي خبزاً طازجاً، كي يستلذ بقرضه مقرمشاً. كما قلت من قبل، دوم لديه آخر أخبار الكوارث: فوق عند معبر تاسلوجه، حيث يبدأ الطريق الذي قمنا ببنائه، دمر الجيش ست قرى عن بكرة أبيها وسوى فيها الأرض، حتى أن بالإمكان رؤيتها من معسكرنا. كما سبق ورأيت بأم عيني كيف سويت قلياسان بالأرض أيضاً. بعد ظهر هذا اليوم سيأتي الدور على قرية كوسته، التي تقع إلى يسارنا.

أثناء ذلك عاد المحاربون إلى قواعدهم، وتركوا ورائهم "مشعلو الحرائق"، وهؤلاء عبارة عن قوات كوماندوز مميزة جداً. لديهم مهمة واحدة فقط. إحراق محاصيل الحبوب في حقول الكرد. النيران تشتعل حول معسكرنا من جميع الجهات فتبدوا السماء وكأنها تلتهب، ونحن نشعر كأننا نجلس وسط دائرة من نار. جيد أنه لدينا حديقة الخضار خاصتي. ماالذي علينا أكله؟. ماذا أعطي كلبي بيتر ليأكل؟ بيتر هو الحارس الوحيد الذي أستطيع

الثقة به وأنا مغمض العينين. ولكن علي أن أحرص بأن ينال بشكل دوري طعاماً جيداً.

قبل ظهر كل يوم يجب أن أسافر إلى السليمانية مع عناصر شرطتي. يجب عليهم أن يؤمنوا إحتياجاتهم من المؤنة الغذائية، وأنا أيضاً، ولكن أنا أوصلهم بالدرجة الأولى، لأنني بذلك أستطيع الحصول على معلوماتي البصرية أيضاً. وقفت طوال مدة ساعتين أمام سجنهم وأنا أراقب مايحدث. المناظر التي رأيتها كانت فظيعة.

على طريق العودة وجدنا عند تقاطع قرية سرچنار جثث عجلين وحمار وكلب مصابة بطلاقات نارية. أحضرت طباخي في الحال، وأخذت معي بلطة وسكين ومنشار، وقطعنا عدة قطع من اللحم ـ من أجل كلبي بيتر. إنها الآن ملقية في زاوية قصية من المعسكر، فقط من أجل بيتر. إنه لم يأكل اللحم منذ أيام. إذا كان ذكياً سوف يذهب اليوم إلى تلك الزاوية عند المساء، وسيلتهم مابوسعه من الغنيمة، وسيترك البقية في مكانها للمرة القادمة. لأنهم يقولون كلما كثرت الديدان في اللحم تستطعم الكلاب به أكثر.

ثم قدمت لبيتر خدمة أخرى ايضاً. وضعته في اللاندروفر وسافرت معه إلى تقاطع سرچنار. هناك تركته يشم البقايا الكثيرة من اللحوم الموجودة. فتح

عينيه إلى أقصى مدى، وراح يعلق لسانه طوال الوقت وينظر إلي نظرات شكر وإمتنان. بالكاد كنا قد وصلنا إلى المعسكر، هنا نظر مرة أخرى نظرة إمتنان، ثم قفز وراح يعدو بسرعة (٥٠) كم في الساعة بإتجاه تقاطع سرچنار. أنا ذاتي جلست لأستريح على المرج مع سيغي وولف. هو رمز طهى لنا فطيرة لذيذأ، فأصبح الجو هنا مقبولاً ـ لولا لعلعة الرصاص هذه.

كل واحد منا يمسك بلطاشة ذباب بيده، وبهذا كنا نخوض نوعنا الخاص من الحرب. ثم إكتشفنا بعد ذلك شيئا مضحكاً. ما أن تسقط ذبابة ميتة على الأرض، سرعان مايهرع فريق مكون من أربع نملات إليها، ويجروا الذبابة الميتة معاً. كان هذا طقساً مضحكاً.

حرب ! والمدني
برنارد ويتمان

كما يقول البرليني، أنا أتعجب كيف اشارك بكل شيء بمثل هذا الهدوء. وذلك بخلاف الإدارة العليا لشركتنا، التي على مايبدو فقدت أعصابها. بالتأكيد، أصبحت الأمور هنا فوق في غاية القسوة، ولكني أكافح مثل جرماني قوي العود بكل ما أملكه من طاقة. طبيعي يجب أن أظل حيادياً، وأنا كذلك. غير أنه يجب أن يكون بالنسبة لي واضحاً، أن هذه الحرب هي حرب أنصار نظامية: بكل مافيها من غدر وخداع وقسوة. كما تؤدي إلى إبادة نظامية لشعب بكامله، ومن ضمن الوسائل المتبعة طرق بدائية شبيهة بطرق القرن الثاني عشر. كل شيء يجري أثناء الليل، كما كان الأمر يحدث لدى المرحوم هتلر. فقط بشكل افظع. لقد جرت في هذا الجزء من العالم سرقة بلد ذات مرة من أجل خلق دولة

إصطناعية، فيجب فعل هذا بكل هدوء مرة أخرى. الكرد هم المغبونون، ويجري إهمالهم ونسيانهم من قبل الجميع.

الدبلوماسية لوحدها لاتكفي لتحقيق أهدافهم، المرء يجب أن يكون راديكالياً. بهذه الطريقة حصلت على حريتي الكاملة. جلست مع جنرال الجيش ساعة كاملة، وعرضت له موقفي بوضوح. أصبحت الآن أملك كتاباً خطياً من السيد الجنرال، يصرح لي فيه العبور إلى عربت بدون إعاقة، حيث تقع الإدارة العليا لشركتنا. بهذا أستطيع من الساعة (٦) صباحاً حتى (٧) مساءً العبور من دون تصريح بين عربت وقلياسان ذهاباً وإياباً، متى شئت. الموظفون هناك أصابتهم الدهشة، عندما رأوني آتي إلى عربت للمرة الأولى بعد إعلان حالة الحرب لديهم.

في الواقع يجب أن اسافر دائماً برفقة حماية من الجيش، إلا أني لم افعل ذلك، لأن: الجيش يسافر إلى هناك ربما كل (٤ـ ٥) أيام، ونادراً مايعود. من دون حماية أصل إلى هدفي على افضل شكل. "صنع في ألمانيا" لاتزال هذه العبارة ختم جيد هنا، وأنا استفيد من ذلك الآن. كلما عدت من هذه السفرات عبر الجبهات إلى المعسكر، مهما كان الوقت، أمنح نفسي "نقاهة إستلقاء"،

لأن هذا السفر يرهقني جداً، سواء الظروف بحد ذاتها، أو الظروف التي اواجهها وأتعامل معها اثناء الطريق.

في اليوم الأول مع هذه "الحرية" التي منحني إياها السيد الجنرال، إستغرب عناصر نقطة التفتيش جميعهم سفري لوحدي. غير أن رسالة السيد جنرالهم كانت بمثابة "إفتح ياسمسم" جرى الأمر فقط على الشكل التالي: "السلام عليكم، وعليكم السلام"، "هكذا إذن، سيد ويتمان، جيد"، وهكذا كنت قد عبرت. نقطة التفتيش الأخرى تابعة "للآخرين" هؤلاء الرجال الشجعان بالنسبة لي مألوفين تماماً، لأن (٧٠٪) منهم عملوا ذات مرة عندي. وأنا هنا على الأقل منذ تسع سنوات، هنا في الأعلى.

كان على السيد تشاوكو السفر نحو بغداد وجلب مديرنا العام. استطيع الآن أخيراً أن أبعث معه الرسائل، واتمنى أن تصبح قريباً بين أيديكم. لنرى ماسوف يجلب الغد لنا معه. التأمل بالغد الأبدي والشهير يساعد ويحافظ على بقاء الأمل في الحياة. وحظ اليوم في تاريخ (١٩٦٣/٦/١٨) يقول إضافة إلى أشياء أخرى: "انظروا، أنا معكم في جميع الأيام حتى نهاية العالم." وهكذا اقول أنا أيضاً، عزيزتي إيلا، أنا معك كل يوم ومع بيترا، وذلك رغم ضيق الهواء والقسوة.

طالما حدثكتم عن مؤنتنا الغذائية القليلة. وأضيف كل مرة أنه لحسن الحظ لدينا حديقة خضرواتي. ببساطة لايوجد بديلاً آخراً لها. مخزوننا من البنزين في إنخفاض دائم. مأملكه اليوم هو التالي فقط: (٥١٠) غالوناً مازوت (الغالون يساوي (٤,٥) ليتر)، و (١٠٢) غالوناً بنزين، و (٥٣) غالوناً زيت محركات. عندما ينتهي هذا المخزون، حينها تحدث كارثة لدينا، هذا يعني لايوجد ماء ولاضوء... الخ.

نحن الآن في يوم الجمعة (٥) تموز (١٩٦٣). للأسف لم نتمكن من بيع جزءاً كبيراً من آلياتنا الثقيلة. المخطط هو، إرسال هذه الآليات في قافلة عبر الصحراء إلى الأسفل نحو بغداد. لاأريد في الوقت الراهن التفكير بالأوراق الضرورية لأجل ذلك. ولكن كل شيء ممكناً إذا كان من الضروري أن يحصل. قافلة عرباتي كانت تقف منذ الساعة الخامسة صباحاً عند مخرج السليمانية، محتويات مستودع آلياتنا الثقيلة ضخمة جداً. إلا أن عدد شاحناتنا لايقل عنها ضخامة، وجميعها مليئة بجنود الجيش: الحماية المرافقة. وصلنا في الساعة (٦,٢٥) إلى إدارتنا العليا في عربت، وأنا طوال الوقت بسيارة اللاندروفر في مقدمة القافلة. نظرت ولم أصدق مارأى: ثلث المعسكر كان محترقاً. إقترب نحوي السيد تشاوكو

والـسيدة شـتروبل وهمـا منهكـان. الـدموع تـسيل علـى خـدوديهما، وأنـا لم أستطع في البدايـة فهـم كيـف جـرى ماجرى:

كانوا في الليلة السابقة جالسين ويستمتعون بشرب كأساً من البيرة، ويحاولون أن يشعروا بنوع من المتعة المكنة. فمركز الشرطة لايبعد عنهم أكثر من (٥٠)متراً. الأمر الذي يجعل المرء يشعر بالأمان، قدر ماتتيح ذلك الظروف السائدة. ثم فجأة فتح الباب، ودخل رجال مصطفى برزاني إلى الغرفة. بسرعة البرق جرى إحتجازهم في الغرفة التالية. ثم بدأ المتمردون بعمهلم: أخذوا جميع الملابس الداخلية، أفرغوا الثلاجات وخزائن المؤنة الغذائية. قبل ذلك جلسوا إلى الطاولة وتناولوا الطعام بكل راحة حتى شبعوا، يبدو أنهم لم ياكلوا منذ فترة طويلة. جرى نهب المكاتب أيضاً. وبين الحين والآخر أتى متمردون آخرون وأزعجوا الألمان. بعدئذ إنتقلت النشاطات إلى الخارج: أحرقوا جميع سيارات اللاندروفر والفورد، ثم في النهاية محطة المحروقات وقسم الأخشاب وماشابه. لم تأت مساعدة من مركز الشرطة المجاور، لم يأت شرطي واحد. واحد بعد الآخر جاؤا إلي وقالوا: "سيد ويتمان، سوف نسافر في الحال." وهكذا جمعتهم كلهم في الجزء المتبقي من غرفة

المطعم وفكرت كيف علي أن أغير خطتي الآن. ولكن الأسوأ سوف يأتي بعد: السيد ليشه والسيد هاتز جرى إختطافهما.

إعلام وظيفي: إختطاف السيد لشيه والسيد هاتز

سافرت بتاريخ (٣) تموز كالمعتاد إلى عربت، وأعطيت السيد ليشه (٥٠٠) دينار، التي كنت قد أحضرتها من البنك. قبل ذلك كان لدي موعد في مكتب الحاكم، ومع قائد الشرطة، وحصلت على تصريح بنقل ثلاث آليات ثقيلة إلى عربت، كما إتفقنا، إنتظرت أنا مع الآليات الكبيرة الثلاث عند مخرج السليمانية، في الساعة (٤,٣٠)دقيقة من الصباح التالي حتى قدوم الحماية المرافقة من الجيش.

بعد ساعتين وصلنا إلى عربت، وأنا أعتقد أني لأصدق ماتراه عيني. كان ثلث المعسكر محترقا. كما كان مستودع الأخشاب محترقاً، صناديق بداخلها محركات ومعدات كثيرة أخرى، شاحنات وسيارات لاندروفر.. الخ، كلها محترقة. المحاسب غيرهارد ليشه ومعلم الدهان

هـانس هـاتز إختطفـا. أخبرنـي بـذلك زمـيلان. جميـع موظفي الشركة الآخرون كانوا يجمعون حاجياتهم. بـدلاً من قطع غيار المحركات وسوى ذلـك، الـتي إحترقـت بكـل الأحـوال، كـانوا يجمعـون الحاجـات الشخـصية للمـوظفين الألمان والعائلات العراقية، الطباخ وفهيم.

الحـاكم وقائـد الـشرطة تأسـفا للموقـف، ووعـداني بحماية جيدة. في ذات اليوم سافرت مرة أخرى إلى عربت فرأيـت أن البيـوت الـتي لازالـت قائمـة نوافـذها محطمـة، بيـت المهندسـين وبيـت تـشاوكو وبيـت عائلـة شـتروبل. أحضرت الحاكم وقائد الشرطة في الحال، وأريتهم الحطام وقلت لهما: "هـذا لايمكـن أن يكـون إلا مـن فعـل الـشرطة فقط، سأشتكي لدى القيادة العامة للشرطة." نظـرا إلـي غـير مـصدقين. خـلال الأيـام التاليـة حـصلت علـى التصاريح بالسفر إلى عـربت بإنتظام، وبذلك تمكنت مـن نقل ماتبقى هناك من محروقات.

الإختطاف والنتائج

إذا جرى إختطاف السيد ليشه والسيد هاتز بسيارة اللاندروفر خاصتنا. محطة الوقود يمكن إحراقها، الثلاجات يمكن إفراغها، هذا كله يمكن شراؤه مرة أخرى، ولكن العلم بأن الزملاء في أيدي المتمرين، هذا مايجعل الركب ترتخي. يجب علي أن أفكر ببرودة أعصاب، وأن أتصرف التصرف الصحيح على جناح السرعة. خلال إجتماع طارئ وسريع لمناقشة الأوضاع في الجزء الذي لم يدمر من غرفة المطعم في الإدارة العليا لشركة "طريق الشمال"، أطلعت الحاضرين على القرار السريع الذي إتخذته:

تقرر تحميل وسائط النقل المتوفرة لدينا، من شاحنات وقاطرات مقطورة وماشابه، اليوم (٦) تموز، بصناديق قطع الغيار وإرسالها إلى بغداد. وبسبب صدمة الأمس فإن الجميع يريدون شيئاً واحداً: المغادرة من هنا،

والذهاب إلى الديار. إذن ليس قطع غيار، بل عوضاً عن ذلك تحميل الملفات وبشر مع حاجياتهم في السيارات. وهذا لايسري فقط على موظفينا وعوائلهم، بل أيضاً على عدداً من العوائل العراقية. كان يوجد أيضاً خزينة نقود في الإدارة العليا، غير أن مفتاحها أصبح لدى المتمردين، لإن السيد ليشه يحمله معه دائماً. إذن يجب علينا تحطيم الخزينة. وكذلك عدداً آخراً من خزائن الملفات المقفلة. كل هذا جرى تحميله على شاحنتي قاطرات مقطورة، وعلى الثالثة حملنا الأثاث المنزلي لعائلتين إضافة إلى ثمانية أطفال، وإمرأتين وثلاث رجال. في زاوية قصية من الكراج كانت تقف سيارة المرسيدس التي تخص مديرنا هاوسمان، وهي سليمة تماماً، لأن المتمردون لحسن الحظ لم يلمحوها. ملئنا هذه السيارة بحاجيات السيدان ليشه وهاتز الشخصية. الآن أتت لحظة صعبة أخرى. ذهبت إلى مدير الناحية وإلى قائد الشرطة. جرى التحقيق وكتابة الضبط في النهاية بمكان الحادث في منزل السيد والسيدة شتروبل. على مايبدو أن السيد شتروبل لم يكن معتاداً على مثل هذه الظروف، ولايمكنه إحتمالها. كان يخرج من الغرفة ثم يعود، وذلك عدة مرات أثناء كتابة الشرطة للضبط. أنبته باللغة الألمانية بطريقة خشنة جداً.

بعد أقل من ساعتين كان السيد شتروبل مع الآخرين في طريقه بإتجاه بغداد. وهو يقود سيارة المرسيدس الخاصة بالمدير العام، بينما ركب السيد والسيدة بيم سيارة السيد ليشه - المرسيدس.

الجرذان غادرت السفينة الغارقة. ولاأحد من هؤلاء الثلاثة أيضاً قال لي كلمة واحدة غير "تعال معنا" لاشي، لاشيء، وهكذا غادروا. ليأتي بعدنا الطوفان.

بعدئذٍ وظفت حارساً نهارياً، وأعلمت الشرطة بالأمر، واقفلنا معاً، الحارس النهاري والسيد شتروبل والسيد تشاوكو، كل شيء. أصبح معي حوالي (١٠٠) مفتاح، ألقيت بها كلها في سيارة اللاندروفر خاصتي. بعد ساعة غادر اللاجئون المعسكر الخاص بإدارة الشركة العليا في عربت، بعيون دامعة.

تركوا ورائهم برنارد ويتمان، كي يبحث عن ليشه وهاتز. لحسن الحظ أخذت سائقي معي، وهو قاد سيارة اللاندروفر (١٢٢)، التي غفل عنها المتمردون وكانت صالحة للإستعمال. أنا أعلم مكان مخبئ الوقود السري. وضعنا برميلي البنزين في سيارة اللاندروفر (١١٠) خاصتي. وعدت الحارس النهاري بالعودة في اليوم التالي.

أحتاج الآن من كل بد إلى حديث مع شخص لديه خبرة جيدة بالأمور، وهذا الرجل كان السيد دوم.

وبشكل مواز لذلك إتصلت مع رجال مصطفى برزاني عبر رجال مهمين. يجب أن أعرف أيضاً فيما إذا كانوا يريدون فدية. عرفت الآن على الأقل أن ليشه وهاتز موجودن في قرية برزنجة، وهم أحياء. إنها تلك القرية في المنطقة الجبلية قرب الحدود الإيرانية، التي حررناها قبل سنين عديدة من الثلوج. في اليوم التالي ذهبت مرة أخرى، هذه المرة مع السيد دوم، إلى قائد الشرطة. ضبط الأمس أعيد كتابته اليوم! يبدو أن قائد الشرطة قام بتبليغ السفارة الألمانية في بغداد والوزارة أيضاً. أنت تستطيعي أن تتصوري، عزيزتي إيلا، الحالة التي أنا فيها.

أنا الآن بالطبع وحيد تماماً في شركة (طريق الشمال - العراق"، وأنتظر حتى أستطيع فك أسر ليشه وهاتز. السيد المدير العام هاوسمان، الذي يتابع بدوره تسيير شؤون الشحن في بغداد بكل همة، سوف يتعجب لو علم بكل مايحدث هنا. أنا مقتنع أنه بعد أن يعلم بذلك، سوف يقدم بالحال طلب الحصول على تصريح بالسفر، وسوف ياتي إلي نحو الأعلى.

إتفقنا أنا والسيد دوم على آلية حراسة خاصة بنا. أنا أعلمه متى أسافر إلى عربت، وأخبره بالوقت الذي عليه أن ينتظر عودتي فيه. حتى ذلك الحين، إذا لم

أظهر عنده، سوف يقوم بإبلاغ قائد الشرطة في الحال، بأني في عداد المفقودين.

الآن أسافر مرة في كل يوم، على الأقل، إلى عربت. إشتريت من البازار (٢)كغ لحم من أجل قائد الشرطة، كان هو قد طلب مني ذلك. عند مخرج السليمانية كان هناك حاجز تفتيش الجيش، فأرسلوا معي شرطيين عربيين مع بنادقهما ومؤنتهما. رحت أدعو أثناء طريق إلى عربت بصمت "دعاء الإيمان"، هذا يفيد دائماً، مثل اليوم: وصلنا إلى معسكر عربت بأمان، إلا أننا إكتشفنا أن اللصوص كانوا بالأمس مشغولين فيه.

والآن يريد قائد الشرطة هذا أن يعلمني بالقوانين من جميع الأصناف أيضاً، إلا أنني قلت له أشياء، ولكن بكل وضوح وبصوت عالٍ:

"جنابك تريد أن تعلمني القوانين؟ أنت الذي أرسلت بتقارير خاطئة إلى قائد الشرطة في السليمانية؟ مركز شرطتك لايبعد سوى (٢٠) متراً عن معسكرنا! وأنت لديك (٥٠) عنصراً من الشرطة! كان بوسعكم إنقاذ كل ذلك، ولكن عوضاً عن هذا تنامون ليلاً. ولكي يكون لدى جنابك علم، لقد أخبرت رئيسك بكل ذلك." لم يعد ينبس ببنت شفة. صحيح أنه انصاع إلى طلبي بمرافقتي كي نتفقد البيوت الخاصة بنا على الطرف الآخر من

الطريق، ولكن دون أية رغبة. أطلعته بعدئذٍ بالتفصيل على كل ماجرى سرقته يوم الأمس: عدد من المحركات، وجهاز تبريد، رغم أن مركز شرطته الذي يحوي (٢٠) عنصراً لايبعد عن المكان سوى مسافة (٥٠) متراً. نظر ببلاهة فقط، ثم إنسحب.

قمت مع سائقي بفك (٤) اجهزة تبريد، وعدداً من المحركات. وأخذنا (٢) برميل مازوت، وصندوقي قطع غيار وصندوق مليء بالمصابيح الكهربائية، وعدد من الصناديق التي تحتوي الصابون وورق التواليت ومواد تنظيف أخرى. كل هذا جلبته معي إلى قلياسان.

الحارس النهاري الجديد يرافقني طوال الوقت. معه إبنته الصغيرة التي تبلغ من العمر (٣) سنين، إنها خجولة وتبتسم لي دائماً. إقتربنا ذات مرة من الزاوية التي فيها مواد زينة عيد الميلاد. فجأة رأت الطفلة الصندوق المليء بكرات شجرة عيد الميلاد الملونة، ظلت واقفة، وراحت تبتسم لي وتنتقل بنظراتها بيني وبين أبيها ـ حسناً إذا، ماضير ذلك ـ أعطيت الصغيرة تلك الكرات مع صندوقها. إنطلقت وهي تحملهم كالقطار السريع. الحارس ذاته طلب مني بعض الصابون ومواد التنظيف.

بكل الأحوال كل شيء في عربت محطم، وقبل أن يسرقها أعطيته مايحتاجه، خاصة أن هذا الحارس قال لي بوجود الشرطة، بأن الشرطة ساهمت بالسطو على المعسكر، وبأن عناصر من الشرطة هم من سرقوا من سيارتي اللاندروفر الملابس الداخلية التي كانت فيها. كانت هذه جرأة من هذا الحارس.

إنطلاقاً من عربت سافرت إلى مركز الشرطة، وسألت مدير الناحية وقائد الشرطة، فيما إذا كانوا بحاجة لأحضر لهم معي شيئاً في يوم الغد. "نعم، بعض الدهن، رجاءً." ماكل ما لايفعله المرء. رداً على سؤالي: "ماالذي إكتشفوه عن مصير كل من هاتز وليشه؟"

ـ صمت مطبق ـ "سأعود غداً، وسأنتظر جوابكم.

فرح الكهربائي في قلياسان بالمحركات التي أحضرتها معي، وببرميلي المازوت، فهذا يمدد مؤنتنا لعدة أيام أخرى. لدينا إذاً مهلة، مهلة سوف تنتهي بكل الأحوال قريباً. أخذت كل المؤنة التي لم تسرق، أو تؤخذ إلى بغداد، معي إلى معسكر قلياسان. المواد التالية هي المؤنة الإضافية التي أصبحت الآن لي وحدي، بصفتي الوحيد المتبقي في شركة طريق الشمال هنا:

١ـ (٥)كغ زبدة

٢ـ أوزة

٣ـ (٥)كغ لحم خنزير

٤ـ (٣) أفخاذ غنم

٥ـ (٢) كغ لحم بقر

٦ـ (٦) علب لحم عجل وغزال مقلي

٧ـ (٣) علب هيليوم

٨ـ (١) معلبة ملفوف أحمر

٩ـ (١) علبة فطر

١٠ـ (٣) نقانق

١١ـ (١) علبة نقانق كبدة

١٢ ـ (١) علبة نقانق دماء.

١٣ـ (٢) قطعة سالامي (نوع من اللحم المقدد المترجم)

١٤ـ (٤) كغ جبنة سويسرية

١٥ـ (٩) علب جبنة سويسرية وغيرها.

وانا أجلس لوحدي هنا مع كل هذه المؤنة في طريق الشمال وليس لديّ شهية. الطباخ الصغير يتشاجر معي مثل صبي صغير. ستتعدل الأمور، فقط لوكان ليشه وهاتز هنا.

أذهب رغم ذلك إلى ساكو. كل يومين ينال منيالخبز الأبيض الساخن الذي يحبه جداً. لم أسمع أخباراً جديدة عنده. بعدئذٍ ذهبت إلى الصيدلي نوري علي، الذي خرج

بالأمس من السجن. قلت له السلام عليكم وحكيت له عن الإختطاف، ولكن لاعلم لديه بأي شيء. كل من حدثته، هز بكتفيه آسفا من أجلي. أيضاً لم يكن لدى السيد دوم أي جديداً، على الأقل هذه المرة لم تكن لديه أخباراً كارثية. وهكذا أجلس هنا وحيد بالكامل. الشمس تغرب الآن في الغرب، في ألتبكن، وأفكاري هي فقط عندك، عزيزتي إيلا، وعند المحبوبة بيترا، التي هي في طريقها إلى إنكلترا بالتأكيد.

الأمر الذي يزعجني يوميا، هو أعمال "مشعلي الحرائق". إنهم يحرقون جميع الحقول. كل مابذله الفلاحون الكرد من جهد وعرق في زرع حقول الحنطة والشعير وغيرها من أنواع الحبوب ذهب هباءً، كل حقولهم، احرقت عن بكرة أبيها. تلتف حولي من جميع الجهات غيمة سوداء لانهائية من الدخان. وفي المدينة يقف الناس في طوابير طويلة في إنتظار شراء الخبز. لايوجد هنا طحين ولاسكر ولا شاي ولا بنزين ولا زيت ولا مازوت، لم يعد يوجد شيء على الإطلاق. أشكر ربي أني في الوقت الراهن لدي مؤنة جيدة من كل شيء.

"الموجة الألمانية" هي مصدر معلوماتي الوحيد. للتو كانت تبث برنامج مايطلبه المستمعون. ثم خرجت لأتمشى قليلاً في المعسكر، مرافقي كان الكلب بيتر. قبل

لحظة ظهر القمر والجبال الإيرانية. هذه صورة رائعة تماماً. كم أحب هذه الجبال.

كل شيء في المعسكر على مايرام. شربت الآن ثلاثة زجاجات من البيرة. ماالذي علي أن أفعله: أنا بمفردي في المعسكر، بعبارة أدق في كل شركة طريق الشمال. هنا يحتاج المرء بين الحين والآخر إلى أشياء قاسية، نعم، كي لايفقد أعصابه.أنتم لايمكنكم تصور مثل هذه المواقف على الإطلاق، إنه من غير المعقول أن يعيش المرء لدى مثل هذه النوعية من اللصوص. إنهم جميعاً محتالون ومغامرون، لاأحد منهم صادق، لاأحد يتكلم بصراحة وصدق. ولا حتى ساكو أيضاً، ناهيك عن الطباخ هورمز وغيره.

من أجل صرف نظري عن هذه الأفكار، ومن أجل تغيير الجو سوف أبدأ بالحال في قراءة رواية غرامية: "تضحية أم شابة" من تأليف ميخائيلا دورنبرغ، لنرى ماذا تقول.

بلاغ وظيفي:
هجوم على المعسكر

إلى إدارة البناء العليا في بغداد

السيد المدير العام هاوسمان

بخصوص: غارة مسلحة على معسكر قلياسان

(١٠) شباط (١٩٦٣)

بتاريخ (٣٠) كانون الثاني عدت من إجازتي. بعد أسبوع، بتاريخ (٨) شباط تم الإطاحة بالسلطة العراقية. في تلك الليلة حدثت الغارة الثانية على معسكرنا في قلياسان في الساعة (١١). عبر خرمشة كلبي بيتر على الباب، إنتبه كل من السيدة والسيد شتروبل. تمكن اللصوص من التغلب على الحارس رفيق وتكبيله. لكن الحارس إستطاع قبل ذلك أن يبلغ شرطة المعسكر بحدوث الغارة. إلا إن هؤلاء لم يبادروا إلى فعل شيء قبل

وصول اللصوص السبعة المسلحون إلى نافذة سيغي وولف ونافذتي وطرقوها: إنهم يريدون نقوداً. ثم بدأ بعد ذلك تبادل كثيف لإطلاق الرصاص، فلجأ عناصر الشرطة المتمركزين في المعسكر إلى مبنى المطعم وتحصنوا فيه، ومن هناك راحوا يدافعون عن معسكرنا من وراء الأبواب المغلقة. وبالضبط هكذا فعلنا نحن أيضاً. إستمر التبادل الكثيف لإطلاق النار حتى الساعة (١,٥) ليلاً. اللصوص ذاتهم كانوا خلف مبنى المطعم، مباشرة إلى طرف ضفة نهر تانجرو، وإنهالت عليهم "الشتائم والسباب" من قبل عناصر شرطتنا في داخل المطعم. وفي وقت ما إنسحب اللصوص، وهذا ما كنا دائماً نتوقعه، بهذا تأكد لنا: لايوجد شرطي كردي يطلق النار على متمرد كردي.

لم يعد بالإمكان التفكير بالنوم. العواطف الألمانية إنخفضت إلى مادون نقطة التجمد. لاتوجد وسيلة تواصل مع إدارة البناء العليا في عربت، حيث أن الهواتف والطرقات كانت مقطوعة.

في الصباح التالي إنطلقت في الحال إلى قائد الشرطة في السليمانية، شرحت له معاناتنا وطلبت منه حماية أفضل. اكد لنا فوراً أننا سنحصل على دعم لقوة الشرطة في المعسكر. نحن الألمان هنا مستاؤون جداً من الموقف

الـراهن. الرجـاء إبـلاغ الـسفارة الألمانيــة في بغـداد. كمـا نـرجوك بفائق الإحترام الحضور إلى هنا في الحال.

تم إعتقــال حراســنا وإيـداعهم في الــسجن. الحــارس رفيــق قــام بإنــذار شــرطة المعــسكر، بــالحرف الواحــد أيقظهم من النوم، رغـم ذلـك نـال عقوبـة بالـسجن مـدة سبعة أيام. إحتججت على هـذا الحكـم فـوراً، وذلـك لـدى قائد الشرطة والمحكمة. ولكن هذا لم يجدِ شيئاً.

(١٧) آذار (١٩٦٣)

تعـرض معسكرنا ليلة الأمس مـرة أخـرى مـن جديـد لثلاث غارات في أوقات مختلفة مـن قبـل رجـال مـسلحين مجهـولي الهويـة. تبـادل إطـلاق الرصـاص الأول حـصل في الــساعة (٨,٥) مــساء، والثــاني في الــساعة (١١,٥٠) لــيلاً، والثالثة في الساعة (٣) صباحاً. تم صد هذه الهجمات هذه المـرة مـن قبـل شـرطة معـسكرنا وحراسـنا وكلـبي بـيتر. تأكد لنا أنه من الضرورة بمكان وضع (٢-٣) منابع إضـاءة إضـافية. سـترون في الملحـق هـذه الطلبـات. الرجـاء إرسـال هذه الطلبات مع سائق المرسيدس، كي نستطيع في الحـال البدأ بتركيب الإضاءة الجديدة.

الأربعاء (١٠) تموز (١٩٦٣)

كما علمنا نحن جميعاً في النهايـة، أنـا والحـاكم وقائـد الـشرطة وقائـد الجـيش، كـان لهـذه الغـارة هـدفاً واحـداً فقـط: أخرجـوا الألمـاني رئـيس المعـسكر برنـارد ويتمـان، وأحضروه إلى الجبال، إلى الملا مصطفى برزاني.

يوم الإثنين بتاريخ (٨) تموز سنة (١٩٦٣) ذهبت إلى سـريري في الـساعة العاشــرة مـساءً في غرفـة نـومي المـصفحة. قبـل ذلـك، حـوالي (١٥) دقيقـة قبـل العاشـرة، قمت بجولة في المعسكر برفقـة كلبي بيتر. ظهـر لـي كـل شـيء علـى خـير مـايرام. في غرفـة المولـدة كـان الحـارس حاجي علي متواجد ، هناك كان كـل شـيء علـى مـايرام أيـضاً. المولـدة ماركـة MAN (مـان) بطاقـة (١٢٥) كيلوواط، كانـت تعمـل كالمعتـاد. المولـدة ماركـة "ليـستر" بطاقة (١٧) كيلـوواط متوقفـة منـذ ثلاثـة أيـام، لم يعـد يوجد إختصاصي هنا يستطيع إصلاحها، حيث أن السيد فولف الميكـانيكى رقـم (١)، وداوت ابـراهيم وحمـه رأفـت الميكانيكيـان رقـم (٢) غـادروا بتـاريخ (٤) تمـوز سـنة (١٩٦٣) برفقـة القـاطرات المقطـورة إلى بغـداد، ولم يعـودا بعـد. بعـد ذلـك ذهبـت في العاشـرة إلى النـوم. في الـساعة العاشـرة والنـصف طـرق حـارس المولـدة حـاجي علـي

نافذتي. وبما أن الضوء مطفأ، علمت بأن شيئاًما مميز قد حصل. حاجي شرح لي (بجانبه كان يقف شرطي مع بندقية) لقد أغلق المولدة لأنها بدأت تصدر طقطقة. لم أصدق هذا من حاجي، لأن (أ، الكلب بيتر كان مضطرباً، ب، لأن حاجي كل مرة يكون لديه نوبة حراسة، يكون لديه شيئاً آخراً. حاجي طلب مني: "رجاء تعال إلى بيت المولدة وإلقي نظرة عليها." جوابي كان: "نعم، سوف آتي!"

بعدئذٍ أحكمت إغلاق صفائح النوافذ الحديدية، وعدت لأستلقي في السرير. يجب أن أتخلى مرة عن جهاز التبريد. بعد حوالي (١٠) دقائق، حوالي الساعة العاشرة وأربعين دقيقية، بدأ تبادل شديد لإطلاق النار، وبداية عندما سمعت صوت طلقات المدفع الرشاش، تبدلت مشاعري بالكامل. ولكني بقيت في غرفتي المحصنة. إستمر القتال (٣) ساعات تقريباً، وكان عنيفاً جداً. في الساعة الثالثة والنصف من صباح (٩) تموز جرى إيقاظي بخشونة قصوى، ولكني أدركت، بأنهم كانوا شرطة معسكرنا. إذن فتحت النوافذ الحديدية ورأيت فوراً أمام نافذتي جمع من الشرطة منفعلين. خرجت بلباس النوم من الغرفة. عبرنا ساحة المعسكر حتى وصلنا إلى أمام باب بيت المولدة: هناك كانت جثة أحد

عناصر الشرطة العرب ملقاة على الأرض نتيجة إطلاق الرصاص.

إرتديت ملابسي على الفور، وحملنا القتيل إلى سيارة اللاندروفر (١١٠)، وبرفقة (٦) عناصر من الشرطة إتجهت إلى المقر الرئيسي الشرطة السليمانية. ثم إلى المستشفى، وفي الساعة السادسة عدت إلى المعسكر. في الساعة السادسة والربع جاء رئيس مخفر شرطة سرچنار مع محقق من أجل كتابة الضبط. قدمت لهم غرفة المطعم كمكان لإجراء التحقيقات. حارس المولدة الذي كان قد طلب مني أن آتي إليه هرب مع المتمردين، وإنضم إليهم.

في الساعة السابعة طلبت إستدعاء السيد دوم، لأنه يتحدث اللغة العربية بطلاقة. في الساعة الثامنة جاء سعادة الحاكم مع موكبه. وفي الثامنة والنصف جاء قائد الشرطة متبختراً مع موكبه أيضاً. بوجود السيد دوم بصفة مترجم جرى فحص كل شيء بدقة وكتب الضبط. وجرى الحديث عن الإجراءات اللازمة وإتخذت القرارات. بالطبع عبر كل من الحاكم وقائد الشرطة عن أسفهما لحدوث هذه الغارة، وأكدوا مرة أخرى، بأن معسكرنا سوف ينال دعماً أقوى من أجل حمايتنا، ولكني بصفتي مديراً لهذا المعسكر تم منعي من الاستمرار في

النـوم فيـه، يجـب علـي أن انـام لـيلاً في الـسليمانية. لقـد إكتشف المرء مباشرة وعرف، بأن هـذه الغـارة لم تتقـصد أحداً غيري أنا، مدير المعسكر الألماني. كان المطلوب أسري ومـن ثـم سـوقي إلى مـلا مـصطفى برزانـي في الجبـال. تقبلـت المنـع الليلـي مـن الوجـود في المعـسكر هـذا بعـد الإعتراض.

وجرى إتخاذ القرارات الفورية التالية:

١ـ وصل خط هاتفي من أجل شرطة المعسكر.

٢ـ رفع تعداد عناصر شرطة المعسكر إلى (٣٠) عنصراً على مدار الساعة.

٣ـ نصب موقعي مدافع رشاشة في المعسكر إضافية.

٤ـ توسـيع مكـان إقامـة عناصـر الـشرطة في منـزل فيليب شتروبل من قبلي، بإضافة (٤) غـرف أخـرى إليـه مع المرافق الصحية.

نتيجة التحقيقـات وفحـص مكـان الحـادث في الـصباح التالي مـن قبـل قائـد الـشرطة والـشرطة والحـاكم، تأكـد مايلي: تسلل عدد من المتمردين إلى بيت المولدة، وأرغموا حاجي: "أطفئ المولدة وأحضر مديـر المعسكر"، وتمترسوا في الظلام في بيت المولدة. في الخارج كان القمر بدراً. بدلاً مـن مـدير المعـسكر، برنـارد ويتمـان، جـاء مـع حـاجي شرطي عربي (كان الإثنان قد وقفا عنـد نافـذتي، ظنـوا

خطأ ان الشرطي العربي هو أنا، فأطلقوا النار عليه من موقعهم في بيت المولدة. مات في الحال. لقد مات عوضاً عني. حاجي وبندقية القتيل ايضا إختفيا. إعتباراً من هذه اللحظة بدأت معركة المعسكر. مجموعة أخرى من المتمردين بدأت في إشعال النار في المعسكر والشاحنات. لحسن الحظ كان كل شيء خلف الأبواب الحديدية الموصدة، بحيث لم يتمكن المتمردون من العثور على وقود يضرمون النار بها. كنت قبل حوالي (١٠) أيام قد أوعزت بتفريغ الوقود من خزانات جميع الآليات، وخبأت الوقود المتوفر في عدة أماكن وقمت بتمويهها. ولهذا السبب لم يكن متوفراً ماهو قابل للإحتراق سوى العشب.

إمتدح الحاكم وقائد الشرطة لدى تفحصهم المعسكر بدقة، الإجراءات الأمنية الدقيقة التي قمنا بها. ولكن بعدئذٍ لم يفهموا الوضع. نظرا إلى وسألاني: "كيف حدث هذا، انك لازالت حياً وتقف معنا هنا؟ لقد عثرنا على (٨٠٠) طلقة فارغة؟" أجبتهم بغمزة ثم طلبت منهم مرافقتي إلى غرفة نومي كي يلقوا بنظرة عليها. في الغارة الأخيرة أريتهم دمية مكونة من اللحف والأغطية الصوفية في سريري، وأشرت لهم إلى الزاوية الآمنة التي وقفت فيها أثناء تلك الليلة. عندما أريتهم غرفة نومي

المـصفحة. في البدايـة فغـروا أفـواههم فقـط، ثـم لم يعـد بوسعهم التوقف عن الضحك. أنا لم أشاهدهم يـضحكون بهـذا الـشكل مـن قبـل علـى الإطـلاق، لم يعـد بوسـعهم الكلام وسالت الدموع على خدودهم مـن شـدة ضـحكهم. بالمناسبة، لقد إكتشفوا على الألواح الحديديـة آثـار (٨٠٠) طلقة رشاش، جميعها روسية الصنع.

حوالي الساعة الثالثة بعـد الظهـر إنتهـت التحقيقـات الطويلة. خلال ذلك الوقت كلفت السيد دوم بتمثيلـي في الإجراءات القانونية، وأنا بدوري إنسحبت بـصمت لأنقـل (٢) برميل مازوت و(٣) براميل بنزين و (٢) برميل كاز إلى الـسليمانية، ووضـعتها في مكـان، أنـت سـيد هاوسمـان تعرفه. فعلت كـل ذلـك بمفـردي. في الـساعة (٢,٢٠) بعـد الظهر كانت هذه العملية أيضاً قد إنتهت.

في النهايـة أفرغـت حاجيـاتي مـن غـرفتي ومكـتبي، ووضعتها جميعها في منزلك بالسليمانية، ونمت لأول مرة في منزلك، من دون أن آخذ إذن منك.

مـرة أخـرى جـاء محقـق الـشرطة في الـساعة (١١,٢٠) قبـل الظهـر، وتفحـص المكـان والـسيارات، فأكتـشف أن حـوالي (٩) شـاحنات صـهاريج محروقـات كـان مثقوبـة بالطلقات النارية. أفشت بقايا قطع القماش التي وجـدها المحاولة الفاشلة لإضرام النـار، بمـا أنـي كنـت قـد أفرغـت

قبل عدة أيام جميع خزانات وقود السيارات. أحدى المولدات الكهربائية تضررت بطلقة رصاص. يقدر عدد الطلقات التي إطلقت بـ (١٠٠٠) طلقة. السيد الحاكم كان اليوم منذ الثامنة صباحاً مع موكبه هنا في المعسكر.

اثناء ذلك تأكد بشكل ناصع، أن الحارس حاجي أبلغ رجال برزاني أن القتيل على ذمته، وأنه هرب مع المتمردين إلى الجبال. بعد الغارة بيوم واحد داهمت الشرطة، في إحدى المناطق مخبأ للمتمردين. جرت مباغتة (١٤) متمرداً، (١٣) منهم تمت تصفيتهم في الحال، وجريح واحد فقط، أجبر على الإعتراف. إعترف أن الهدف من عملية الغارة على المعسكر كان واحداً فقط، وهو إعتقال برنارد ويتمان، وسوقه إلى رجال البرزاني في الجبال. بعد هذا الإعتراف تم تصفية هذا المتمرد أيضاً.

يجب عليَّ أن أثني على جميع المؤسسات لتقديمها كل إمكانيات المساعدة، في الدرجة الأولى السيد الحاكم والسيد قائد الشرطة في السليمانية. لقد زادوا عدد عناصر شرطة المعسكر إلى (٥٠) عنصراً، جميعهم مسلحون بأسلحة ثقيلة. وفي الليل تأتي أيضاً قوات من الجيش.

(٢٣) تموز، (١٩٦٣)

بعد الغارة على إدارة البناء العليا في عربت وإختطاف السادة ليشه وهاتز، يجري كل ليلة تقريباً تبادل لإطلاق النار بين الشرطة ورجال البرزاني. يستمر تبادل إطلاق النار أغلب الأحيان حوالي (٦) ساعات. بعد إحتجاجي الشديد، وبعد أن قلت لقائد مركز الشرطة بمنتهى الوضوح، أن غارات اللصوص في الوقت الراهن مصدرها مركز الشرطة في عربت، إنتاب السادة الحيوية والنشاط. أصبح الحاكم وقائد الشرطة، ورئيس المخفر والمحقق من مركز شرطة سرچنار يقومون بجولاتهم التفقدية يومياً، وأحياناً مرتين في اليوم، وذلك كي يتأكدوا ويروا "أن جميع الأمور على مايرام في عربت المحروقة" أطلعوني أيضاً على كتاب صادر من الوزير في بغداد بتاريخ (١٧) تموز، سنة (١٩٦٣)، وكتاب من قائد جيش الشمال في كركوك، حيث يلحون فيهما على إخلاء معسكراتنا بأسرع مايمكن، مع ضمان: "الجيش يضمن توفير قوات حماية مرافقة من أجل الشحن الآمن إلى بغداد.

أنا شخصياً أفضل المغادرة اليوم قبل الغد، فقط يجب أن يكون هذا ممكناً أيضاً. طلبت من السادة راجياً أن

يلحوا لدى الوزير في بغداد، كي يحصل مدير الشحن سيغي وولف مع سائقيه على تصريح بالعودة من بغداد بأسرع مايمكن إلى هنا. الجواب: "سوف نحاول الإسراع في إنجاز هذا الأمر. إنشاء الله." كما وضحت أيضاً، بأن عملية الشحن تحتاج إلى بنزين، كي تتمكن الشاحنات على الإطلاق من السير.

"الرجاء إحرص على أن كل شاحنة تأتي إلى هنا بأن تجلب معها: (١٨) برميل مازوت، و(٢) برميل بنزين، و(١) برميل زيت محركات (HD40). " لقد وعدوني أيضاً أن يصدروا التصاريح هنا.

في اليوم التالي لم تصل بعد القافلة مع سيغي وولف، والحال هكذا، لا أستطيع متابعة الإخلاء. إبتسم لي قائد الشرطة وباح لي بثقة: "لوكانت قافلتك قد عادت اليوم، لكنا أرسلنا معها على الطريق الجديد إلى عداد حمولة سجناء." العياذ بالله! فقط ليس أشياء من هذا القبيل. هنا في الأعلى يفعل المرء كل ما في وسعه من أجل مساعدتنا، الدوائر الرسمية تتعاون بسرعة وبشكل صحيح. لكنهم لايملكون النفوذ على الحكومة في بغداد. وحكومة بغداد هي السبب في أننا لانستطيع التسريع بعملية الشحن. منذ (٦) أسابيع لم تصل أية شاحنة من بغداد عبر كركوك. كما أصبح الوضع هنا قاسياً جداً،

بحيث أني أتوقع حدوث الأسوأ على الإطلاق. هذه الحكومة لن تحل المسألة الكردية أبداً. لم يعد يوجد هنا أي شيء: لايوجد سكر، لايوجد طحين، لايوجد بطاطا، بكل بساطة لايوجد شيء. التاجر ساكو قال: "تصفية مبيعات صيفية"

بأمر من قائد الشرطة يتمركز الآن بشكل مستمر (٣٠) عنصر شرطة عندي في المعسكر، وانشأت لهم مواقع مدافع رشاشة أيضاً. ولكن رغم ذلك تحصل غارات كل ليلة على كل شيء حول السليمانية. لاتمضي ليلة من دون أن يظهر رجال البرزاني في معسكر قلياسان أو معسكري.لاتزال السليمانية، وفي اللحظة الراهنة الطريق نحو الأعلى إلى سد دربنديخان، حرة، كل ماعدا ذلك تحت سيطرة مصطفى برزاني بالكامل. وهذا سوف يبقى. هنا لايجدي حرق القرى، ولا حرق الحقول الزراعية.

عن طريق مصدر معلومات موثوق، أرسلت رسالة إلى السيدين هاتز وليشه، ولكن لم أحصل على أي رد منهما. رغم ذلك لم أقطع الأمل، ولازلت أبذل الجهد بشكل مكثف من أجل السيدين زملائنا.

إتصلت مالكة البيت، حيث مقر شركتنا في السليمانية، مرتين، إنها تريد الإجرة عن الأشهر الأخيرة الثلاثة (١٠٠) دينار، وقد وعدتها أن أرد لها جواباً.

توجد هنا مشكلة رائعة: بطاريات السيارات. لم يعد يوجد في السليمانية بطارية مرسيدس، لا للبيع ولا للإستعارة. بهذه الرسالة أطلب منك أن تشتري لي بطارية جديدة من بغداد، والرجاء إرسالها مع أول شاحنة تعود إلى هنا. والطلب يشمل أيضاً عجلات جديدة. عبر الإستخدام المكثف للإطارات القديمة أصابها التلف الشديد ولم تعد صالحة لسفرة أخرى.

الحاكم والشرطة يطلبون بكل جدية بأن يحضر رجلين من إدارة شركة البناء العليا من بغداد، إضافة إلى رجل من السفارة الألمانية في بغداد، إلى معسكر عربت، كي يطلعوا على الأضرار. ألفت إنتباههم بهذه المناسبة إلى أن: "طلبات التصاريح بالسفر إلى شمال البلاد التي قدمتها شركتنا، رفضت في بغداد دائماً، وذلك بحجة أن هذه المنطقة هي منطقة حرب." هنا نظر إلي بكل بلاهة. ولكي لايحترق أكثر مما إحترق حتى الآن، نصب المرء حول معسكر عربت المحترق مواقع مدافع رشاشة للجيش. وتمركز حوالي (٢٠٠) عسكري كحماية إضافية.

أنا بحاجة لـ(٧) ناقلات كبيرة من أجل شحن الجرافة وآليات كبيرة أخرى. يذاع هنا أن ناقلاتنا هي عبارة عن قافلة جيش إنقاذ. يجب ان أقدم بعض الإعرافات بما يخص الدفع. لم يعد أحد يقبل اليوم بأقل من (١٥٠٠) دينار عن كل يوم، إضافة إلى مصروف الطعام والنوم، وإجرة العودة (٦) أيام أخرى، كل يوم (١٥٠٠) دينار، يجب أن تدفع أيضاً. كما أنهم الآن يطالبون بدفع سلفة (٢٠٠٠) دينار. يجري الكلام هنا عن أن برزاني يريد الآن أن يقطع طريق سد دربنديخان. حينئذ أكون قد علقت في "مصيدة الفئران" بشكل نهائي. في الوقت الراهن يهرب الكثيرون بإتجاه بغداد.

كيف ستتطور الأمور، هذا غير واضح بالنسبة لي على الإطلاق. أن يتخلى عني الجميع ويتركوني في أحلك الظروف، هذا ما لايفهمه أحد هنا. كل يوم أتعرض للسؤال: "سيد ويتمان، ماذا ينقصك، ماذا تحتاج؟."

بعد (٣٥) يوماً وصل بريد لأول مرة بالمروحية من كركوك. لاأحد يخرج من بيته، لايوجد شيء يستطيع المرء الحصول عليه، سكر وشاي وزبدة، و(١٠٠٠) مادة أخرى لم يعد بوسع المرء الحصول عليها، ناهيك عن البنزين والكاز. الأجواء داخل مدينة السليمانية بائسة. رجال البرزاني بالمقابل يملؤهم الأمل.

(٢٣) آب (١٩٦٣)

في ليلة (٢٢) على (٢٣) آب، أغار حوالي (٢٥) رجل مسلح على معسكرنا.

في البداية حطموا النوافذ والأبواب في بيت عائلة شتروبل بأعقاب البنادق. ثم إلى بيت سيغي وولف. ثم وصلوا إليّ. قبل ذلك سيطروا على الحراس وأوثقوهم، وفي النهاية ضرب المتمردون الحراس.

قبل يوم واحد قبض هؤلاء الكائنات رواتبهم، فأخذها المتمردون منهم، أيضاً أنا وسيغي وولف نلنا نصيبنا الشديد من أعقاب البنادق.

طوال ساعة كاملة كانت فوهة بندقية موجهة إلى رأسي من الخلف، وبندقية أخرى موجهة إلى جبيني. أستطعت رؤية الأصبع على الزناد، وعدا ذلك كان مسمار الأمان محلولاً. كان إحساس مريع بشكل مميز في مؤخرة رأسي وجبيني، وهذا طوال ساعة كاملة. في هذه الساعة الكاملة افرغت يدي من الحياة، وإزداد عمري أيضاً (١٠) سنوات.

بالإجمال سرق مبلغ (١٨٠٠٠) ديناراً. وشراشفنا البيضاء على مايبدو كان اللصوص بحاجة إليها. أخذوا من المطبخ طقم كامل من الملاعق والشوك والسكاكين

تكفي لـ (١٢) شخصاً، ومثلها من الكؤوس. وأغطيتنا الدافئة أيضاً أخذها هؤلاء الرجال الأقوياء جداً معهم. مجرد رؤية هؤلاء المتمردين الذين يشعون بالطاقة جعلنا نستغني عن كل أنواع المقاومة. لحسن الحظ كان السيد شتروبل في ظرف مكنه من قطع الإضاءة عن المعسكر، وبهذا لم يعد بإمكان اللصوص أن يروا شيئاً، فإنصرفوا. أخبرنا الشرطة على الفور. لكنهم وصلوا في الساعة الرابعة صباحاً.

وهكذا منذ الثامنة صباحاً ذهبنا نحن الثلاثة إلى الحاكم، وإلى قائد الشرطة وإحتججنا بشدة مطالبين بحماية أفضل. أثناء اليوم إرتفع عدد أفراد شرطة المعسكر إلى (٣٠) عنصر. وحوالي الساعة الثامنة والنصف مساءً تعرضنا للغارة التالية. لعلع الرصاص من الطرفين طويلاً، حتى نفذت الذخيرة. الآن إستعارت الشرطة سيارتنا اللاندروفر، كي يحضروا الذخيرة من المقر الرئيسي، وكي يجلبوا الدعم من عناصر شرطة إضافية. وهكذا حوالي الساعة العاشرة والنصف أتى قرابة (٥٠)عنصر شرطة وثلاثة شرطة خيالة إلى المعسكر للدفاع عنه. قضى الليلة (٣٠) عنصر شرطة مع الخيالة الثلاثة في المخيم من أجل حمايتنا. وأرسل الجيش مجموعة عساكر إضافية لحمايتنا.

كانت أصوات العساكر عالية جداً، بحيث لم يعد النوم بالنسبة لنا ممكناً. إذا من الخارج يرى المرء أننا نملك حماية من أجل الغارة التالية. ولكن رغم ذلك، أنا لا أثق بالوضع. إنه الهدوء قبل العاصفة، وهي سوف تأتي بكل تأكيد. سوف يتبع تقرير إجمالي عن دربنديخان ــ تاسلوجه (والإدارة العليا للبناء في عربت).

مع فائق الإحترام

برنارد ويتمان

وحيد في نفق طويل

لايوجد ما أضيفه إلى التقرير الذي كتبته لإدارة البناء العليا. كما أسافر الآن يومياً إلى قلياسان، ويأتي أيضاً الحاكم والسيد قائد الشرطة لزيارتي في قلياسان. غارة رجال مصطفى البرزاني التي سبق أن وصفتها لايزال تأثيرها واضحاً عليهما. إنهما لايحبذان على الإطلاق أن أتعرض لغارة أخرى، ولهذا السبب أيضاً يجب أن أغادر قلياسان. المرء يعلم أن رجال مصطفى البرزاني يريدون خطف برنارد ويتمان مهما كان الثمن، ولذلك يقوم المرء بفعل كل شيء من أجل الحيلولة دون ذلك. وبسبب هذا الموضوع دعوت هذين السيدين إلى تناول الطعام. النتيجة: هنا أيضاً في السليمانية سوف أحصل إعتباراً من يوم الغد (١٥) تموز على حماية من الجيش. من جهة الحكومة، إنهم يبذلوا كل مافي وسعهم بالفعل من أجل عدم تعرضي للإختطاف. لم أعد منذ (٨) تموز أسافر بمفردي إلى عربت، أسافر فقط مع حماية من

الجيش. ياآلهي، كما أكره متمردي مصطفى البرزاني هؤلاء في اللحظة الراهنة. أولئك المخادعون الذين يسببوا لي المتاعب. جرى إعتقال سائقي إسماعيل جمال في (٨) تموز بتهمة تعاونه مع رجال مصطفى البرزاني. نعم، عزيزتي إيلا، هنا أفقد الشعرات القلائل التي تبقت لي واحدة تلو الأخرى.

الأمر الذي يقلقني جداً، أنه بعد الغارة على عربت، وبعد الهجرة الطوعية لجميع الموظفين، التي تسببت بها الغارة، لم أسمع شيئاً من أي أحد. بالفعل لم يفكر أحد بأنه من الضروري أن يسأل، كيف هي أحوالي. أنا اشعر أني إنتهيت بالكامل.

بداية بالأمس تلقيت الموافقة على إرسال برقية إلى السيد هاوسمان إلى بغداد، مع الملاحظة أن أتصل به اليوم (١٤) تموز في الساعة (٧) مساءً في بغداد. دونت عشرة أسئلة، ولكني لا أعلم فيما إذا كنت سأحصل على خط، وفيما إذا كان سيجيب. سمعت للتو عبر مكبر الصوت، أن منع التجوال أصبح إعتباراً من اليوم من الثامنة مساءً لغاية الخامسة صباحاً، بدلاً عن التوقيت حتى الآن مابين الساعة السابعة مساءً حتى السادسة صباحاً. سيارة مكبر الصوت تذكرني بفترة مابعد الحرب في ألمانيا. تم وضع مكبراً للصوت على سطح سيارة،

ويقف رجل ورائه ويعلن عبر الميكرفون عن المعلومات التي لديه. هذا يناسبني، لأني أستطيع الآن الذهاب مرة أخرى إلى دائرة البريد والبرق من أجل الإتصال الهاتفي إلى بغداد، الذي سبق أن طلبته، وترتيب بعض الأمور. بالطبع هذه سيكلف بعض الماركات، ولكن الأمر الأكثر أهمية، هو أني سأستطيع التكلم مع المدير العام هاوسمان.

كلما سمح لي الوقت أسافر إلى عربت. بعد أن إحترق المعسكر وخطف ليشه وهاتز، أصبحت أكثر حذراً. صحيح أنني أملك تصريح مرور مفتوح من الجنرال شخصياً، ولكن الأوضاع تغيرت خلال هذا الوقت. أنا أعرف أماكن أخرى مخبئ فيها المازوت في المعسكر. وهكذا أخذت معي شاحنة صهريج، وملئتها بـ (١٨) برميل مازوت، إضافة إلى قطع غيار وسواه من الأشياء الصغيرة. محي الدين كهربائي جيد. ملئنا خزان الماء، والمولدة الكهربائية تعمل والمضخة راحت تضخ الماء إلى خزان الماء العالي. هنا توقف محي الدين وجمد في مكانه وأشار إلى مكان متضرر، لم يلحظه أحد منا من قبل:

سيارتي اللاندروفر (١١٠) فيها ثقب من طرف المقعد الذي بجانب مقعد السائق. هذا يعني مكاني. إنها ثقب طلقة نارية.

عزيزتي إيلا، أنا سعيد جداً. لقد تمكنت من محادثة المدير العام هاوسمان في بغداد. لم يحصل على تصريح سفر إلى السليمانية ، لقد رفضوا طلبه. ولكنه أوكلني بالقيام بكل شيء بالكامل، بالفعل كل شيء تماماً، وذلك تحت حماية كاملة من الجيش، علي أن أشحن كل مااستطيع شحنه إلى بغداد. ياآلهي، كم أنا سعيد، لأن هذه كانت الكلمة السحرية المخلصة. يستطيع المرء عبر النقود أن يقوم بكل شيء. لولا توزيع "بخشيش" هنا و"بخشيش" هناك لما تمكنت من إجراء المكالمة الهاتفية مع بغداد. توجب علي أيضاً الانتظار مدة (١٥) دقيقة حتى حصلت على الخط.

الآن أستطيع أن أسترخي قليلاً. من دقيقة إلى الدقيقة لتي تليها أحس بأن قواي تتلاشى. وفي النهاية ذهبت إلى السيد دوم كي أجلب نقوداً. فالموظفون الذين تبقوا لي يريدون رواتبهم أيضاً.

بالتأكيد لم أتمكن منذ ثمانية أيام من متابعة كتابة هذه الرسالة. مشاكل، لاشيء سوى المشاكل. سعادته، الحاكم وقائد الشرطة يأتيان يومياً إلي ويقولان: "سيد ويتمان، متى تبدأ بتحريك قافلتك نحو بغداد؟ ضمان سلامتك يزداد صعوبة كلما مر الوقت." إنهما يلحان عليّ كي أوضب الأشياء وأشحنها، حتى بلغ لديّ السيل

الزبى، وهكذا أخذت نفساً عميقاً، وقلت لهما: "أنتم ورجالكم قمت بواجبكم على أفضل مايرام، وقدمتم كل ماتستطيعونه من أنواع المساعدة، ولا توجد لدي أية شكوى تجاهكم. ولكنكم يجب أن تروا، أن تسعوا هناك في بغداد، كي يأتي رجالي من هناك إلى هنا بطريقة أسرع. أنا انتظر منذ أسابيع قدوم موظفي سيغي وولف، الذي عليه مرافقة قافلة الشحن من هنا إلى بغداد. وأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك أيضاً، يجب عليَ أن أبقى هنا فوق." خلال ثلاثة أيام حصل سيغي وولف على تصريح بالطيران إلى سد دربنديخان - وهو الآن يجلس هناك منذ ثلاثة أيام ويكش الذباب. إنه لايستطيع الحصول على تصريح بالسفر من سد دربنديخان إليَ. ماذا أستطيع أن أقول في هذا الموقف. الا يدعو هذا إلى الرثاء، من دونه أنا عاجز عن تشكيل القافلة.

في الليلة الماضية حصل تبادل عنيف لإطلاق الرصاص، في السليمانية كما في عربت أيضاً، أنا بمفردي تماماً، ويجب علي تجميع كل ماهو موجود في عربت وإرساله إلى بغداد. كما يجب علي الآن أن افكك كل شيء في قلياسان، حيث أتواجد هناك في النهار فقط، وإرساله مع القافلة. إتفقت هكذا مع المدير العام هاوسمان، خلال مكالمتنا الهاتفية. وكلفته: "إتصل بزوجتي وبإبنتي، وقل

لهم أني لازلت حياً، وبأني مشتاق لهما، وأن البريد لايأتي ولا يذهب. ماذا تريد أن تخبرهم غير ذلك لايهمني، ولكن: أبلغ رجاء كل منهما ذلك."

السيد ليشه وهاتز هما في الأعلى، في قرية برزنجة قرب الحدود الإيرانية، وقد جرى تسليمهما إلى السلطات الإيرانية، وهما الآن في طريقهما إلى طهران. سوف يطيران من هناك إلى بغداد.

بإمكان المرء أن يبكي عندما يسمع في الراديو: "كي لايتعرضوا للخطر جرى إخلاء جميع المواطنين الألمان من مناطق المعارك في شمال العراق إلى بغداد...." وأنا؟ أجلس وحيداً في منتصف مناطق المعارك وينبغي عليّ أن أفكك المعسكر. إنها مهمة قاسية جداً. هكذا يجري الكذب في الراديو. أنا أحلم فقط بمتمردي مصطفى البرزاني، وبالإختطاف وبالرمي بالرصاص وماشابه ذلك. وهذا يسبب إنهيار أعصاب صاحب أقوى الأعصاب أيضاً. عبر أصوات القصف المدفعي في الليلة الماضية سقطت من الرعب مرتين من السرير على الأرض. في اليوم التالي كنت خائر القوى بالكامل. صحيح أنه لم تكن لدي شهية للطعام، ولكن يجب أن أحصل على الطاقة بطريقة ما. قال لي الطباخ هورمز: " سيد ويتمان، نسيت اللحم في قلياسان." يآآلهي هذا الأحمق، هذا الحمار، وأنا قلت له:

"سوف تذهب الآن سيراً على الأقدام إلى قلياسان، وأنا لن أقلك بالسيارة." هنا أراد هذا الأحمق أن يذهب بالفعل سيراً على الأقدام إلى قلياسان. يا له من أحمق. حسناً، أعطيته لحم عجل معلب، لأنه لايستأهل أن يسير كل هذه الكيلومترات على الأقدام. وذلك بغض النظر عن أنه لايستطيع المرور عبر الحواجز على الطريق. تناولنا مع اللحم المعلب سلطة خيار لذيذة من محصول حديقتي، وقبل ذلك حساء فاصولياء مع الجزر والبصل. السكر أصبح الآن نادراً جداً، وقد بدأنا منذ فترة نتعامل بالمقايضة: كاز مقابل سكر، وكاز أيضاً مقابل طحين، وماشابه. إذا شاء الله سوف أتمكن من أن أقايض الكاز الذي لايزال متوفراً مقابل المواد الغذائية.

لدي علاقة ودية مع شرطة معسكر العرب، غير أني أحافظ على مسافة عازلة بيننا. غالبا يأتي نفس العناصر، بين الحين والآخر يجري تبديل بعض العناصر. منذ عدة أيام يوجد عنصر جديد، إنه عربي أصيل ويملك روح دعابة. إدعى انه يعاني من الألم، ثم بدا الأمر. قال: "خلال سبعة أيام سوف ينتهي كل شيء!" قلت له: " سبعة أيام بعد سنة، أو سبعة أيام بعد سنتين؟ إذا إنتهى بالفعل كل شيء بعد سبعة أيام فقط، حينها سوف تنال مني (٥) دنانير وزجاجة ويسكي.

هنا قال: "خلال خمسة أيام سوف نقصفهم بالغازا!" هنا إنفجرت غاضباً، قلت لهذا الكائن بكل صراحة ووضوح إضافة إلى أشياء أخرى: "إذا إستخدمتم الغاز، حينها سأرسل في الحال برقية إلى الأمم المتحدة، وإلى الصليب الأحمر الدولي في جنيفا!"

ماذا تقولين حول ذلك، عزيزتي إيلا، ليمنع الله حدوث مثل هذا الأمر. لاتقلقي، فأنا في غاية الحذر وآمل أن أكون قريباً معك. الرجاء ألغي إشتراك جميع الصحف، لأنه بكل الأحوال لايصل إلى هنا أي شيء منها الحقول والجبال تحترق في الليل وفي النهار. وأرجو ألا ترسلي برسائل إلى هنا، لأنها لاتصل بكل الأحوال. أرسلي الرسائل رجاءً على عنوان المدير العام هاوسمان في أوتيل بغداد في بغداد. سوف يتمكن من المجيء في وقت من الأوقات إلى الأعلى إلى هنا. حالما ينزل سيغي وولف من سد دربنديخان إلى هنا، سوف أشكل أول قافلة، التي سوف يرافقها بعدئذ سيغي إلى بغداد، مع الآخرين. حينها أستطيع أن أرسل هذه الرسالة أيضا معه، إضافة إلى جميع الرسائل السابقة المتراكمة لدي.

آمل أن يكون عيد ميلادي الأخير في العراق

إكتشفت حديثاً تمرين حركة مميز بالكامل، وأنا أمارسه يومياً. أذهب الآن إلى السيد دوم سيراً على الأقدام دائماً. وهذا فيه إيجابيات عدة: أوفر البنزين، لاتستوقف سيارتي وتفتش بحثاً عن الأسلحة الغير الموجودة، وعدا ذلك هذا جيد من أجل رشاقة جسدي. وأثناء مسيرة الأقدام هذه أستطيع التفكير بطريقة رائعة، سوف أرسل جميع حاجياتي مع أول قافلة في الحال إلى بغداد. وإذا حدث ماهو غير معتاد، حمانا الله من كل مكروه، حينها أستطيع الهرب من دون أية حاجيات أحملها معي.

فكرت في كل ذلك مرة أخرى بكل دقة في مساء الأمس. لايستطيع المرء أن يفعل شيئاً آخراً أيضاً، لأنه منذ حلول العتمة، أصبحت سجين بيتي. بعد ذلك في تمام الساعة العاشرة مساء بينغ ـ إنطفأت الأضواء فجأة.

توقف قلبي عن الخفقان. أطبق ظلام حالك. وضعت الكرسي بقرب الهاتف، ووضعت يدي فوق الهاتف، وهكذا بقلب يدق بصعوبة جلست طوال (٤٥) دقيقة. كنت مبللاً كأني خرجت للتو من الحمام. لم يعد ممكنا التفكير بهدوء الليل بالطبع. في الصباح التالي همس لي أحدهم: "أن مصطفى البرزاني قطع خطوط الكهرباء، وأثناء ذلك الوقت سرق المرء هنا (١٥) طن من السكر. لاأحد يريد أن يقر أن مصطفى البرزاني يسيطر هنا على كل شيء، وأن زمام الأمور بيده. وكل هذا حصل في يوم عيدميلادي (٢٤) تموز سنة (١٩٦٣).

في الساعة (١٠,٢٥) صباحاً إستمعت في الموجة الألمانية في برنامج التحايات الموجه إلى إستراليا، وهنا إستطعت أن اسمع لأول مرة، هذه المرة الآنسة مارغيت شبيلماير. زميلتها هيلده شتالماخ تعودت خلال كل تلك السنين الطويلة على إسم تلك المنطقة، الذي يصعب لفظه، السليمانية. المهنئة الأولى كانت حبيبة القلب إيلا، ومنذ الصباح سمعت: "التهاني القلبية بعيد الميلاد الـ (٥٥) من زوجتك ومن إبنتك. عد قريباً إلى الديار...." لدى مثل هذه الفرحة الكبيرة ـ أخيراً إشارة تدل على أنكم أحياء ـ لاحاجة لي إلى الخجل عندما تنهمر دموعي على خدودي. شقيقاتي إيملي وآني أرسلتا لي التهاني أيضاً.

والآن سوف أستطيع أن أستمع إلى هذه التهاني والأماني أربع مرات خلال مرور النهار والليل. فرحتي لايمكنأن توصف. أنا أرى دائماً السواد في "قدر الساحرة" هذا.

في الساعة (١١) صباحاً جاء الحاكم شخصياً، كي يهنئني مع مسؤوله الأمني. وفي الساعة (١١,٣٠) جاء المدير الفني والمدير الإداري لمصنع السجائر، بعد إستلام الحكومة العراقية أصبح هؤلاء من العراقيين. والسيد دوم ظهر أيضاً. وفي تمام الساعة (٤) بعد الظهر جاء حمه باشا، عضو سابق في مجلس المحافظة. وفي الساعة (٧)مساءً تبعهم شريف قزاز.

كما ترين، رغم المصاعب والطوارئ، ورغم القلق المتعب، فكر كل الرجال القياديون هنا بالجرماني الوحيد ويتمان، وأظهروا إحترامهم لهذا الجرماني. رغم كل شيء أنا فخور جداً بهذا وأشعر ايضاً من أعماق قلبي بالفرحة. قال لي السيد دوم فيما بعد، الذي يتحدث اللغة العربية بشكل رائع جداً، "سيد ويتمان، لم يحدث مثل هذا من قبل أبداً هنا، أن يقدمَ كل هذا العدد من الشخصيات المهمة الإحترام لشخص أجنبي، لجرماني." وهكذا، كنت بالفعل بحاجة إلى مثل تلك الجرعة من الإنعاش. أنا افتخر بأن أخبرك أنت وبيترا بذلك. ولكن صدقوني، أعصابي سوف تنفذ قريباً.

أنهيت اثناء ذلك كل الأوراق اللازمة من أجل الشحن التالي إلى بغداد. على أساس أن سيغي وولف يجب أن يصل اليوم إلى هنا. إنه لايزال عالقا في سد دربنديخان، وبينما أنا اخط هذه الكلمات على الورق، جاء ساعي إلي، وأنا صرخت فقط مهللاً: "هيب، هيب، هورا"، من شدة فرحي لقد هبطت مروحية عند البريد وهي تحمل أكياس البريد! دائرة البريد تعرف أني أنتظر منذ عدة أشهر قدوم البريد بكل شوق من زوجتي وعائلتي. بسبب الظروف الإستثنائية نظر موظف البريد على إسم المرسل وسارع في الحال بإعلامي، بأن لديهم الكثير من الرسائل من زوجتي لديهم. وكل هذا في يوم عيدميلادي. لقد بدأ بتحية منك عبر الموجة الألمانية، وإنتهى بحديث مراسلة مع زوجتي الحبيبة إيلا.

شحن الآليات
إلى بغداد يبدأ

سمح أخيراً لسيغي وولف المجيئ من سد دربنديخان إلـي، وأنـا ارى اخـيراً النـور في نهايـة النفـق المظلـم. ولم يؤثر على معنوياتي ماحمل معه من أخبار سيئة أيضاً. صحيح أنه عاد مع جميع السائقين، الذين سيقوم معهم بـشحن الدفعـة الأولى إلى بغـداد، ولكـن جمـيعهم اعلنـوا إستقالتهم! في كل رحلة شحن يموت عدد منهم، وإن هـذا في غايـة الخطـورة بالنـسبة لهـم. نظمـت علـى جنـاح السرعة (٣٦) سائقاً جديداً، إلا أنني يجب أن انجـز الأوراق اللازمة لحماية المرافقة من أجـل الفريـق الجديـد المكـون من (٣٦) سائقاً. وهذه الأوراق باللغة العربية كما في اللغة الإنكليزية. الأوراق التي كنت قد جهزتها مـن اجـل (٣٦) سائقاً بالعربية والإنكليزية، اصبحت غير صـالحة لأسمـاء السائقين الجدد. بهـذا لوحـده فقـط إنقـضى يـوم كامـل.

بينمـا كانـت الأوراق تجهـز وتـصدق قمـت بإختبـار السائقين الجدد. بما انـه لايـسمح للشحن أن يجـري مـن دون مرافقـة حمايـة مـن الجيش بإتجـاه بغـداد، لـذلك أوعزت في الصباح التالي لمجمل القافلة أن تسافر إلى مقـر قيـادة الجيش الرئيـسة في الـسليمانية، والإنتظـار بدايـة هنـاك. علـى الطريـق إلى هنـاك قطعنـا أسلاك الهاتف في سبعة أماكن. إذا تأكـدت أن هـؤلاء الـسائقين ليـسوا بهـذه المهارة. في الساعة (٥,٣٠) من صباح اليـوم التـالي تحركـت قافلة الجيش مـن القيـادة العامـة بإتجـاه مخـرج المدينـة المـؤدي إلى سـد دربنـديخان. فـوق كـل شـاحنة قـاطرة مقطـورة كـان يجلس رجـل، مهمتـه الخاصـة هـي: يجـب عليه رفع أسلاك الهاتف عاليـاً، كـي لاينقطـع منها أكثـر مما قطـع حتـى الآن. ولكـن النهايـة الـسيئة سوف تـأتي فيما بعد.

كما إتفقنا تحركت بداية القافلة عند مخرج المدينـة. إلا أن سيغي وولف قائـد القافلـة مـع كـل الأوراق اللازمـة والـضرورية لم يكـن موجـوداً، لأنـه كـان يـسير في آخـر القافلة! الجيش صدقني، وتحرك مع قافلة الشحن، بينما أنا أسرعت عائداً بجنون، وأبلغت سيغي وولف بـأن عليـه الإسراع إلى مقدمة القافلة. خلال ذلك كانـت الـساعة قـد أصبحت حوالي الثامنة صباحاً، وكنـت مرهقـاً بالكامـل،

فسافرت إلى البيت وسقطت في السرير. عندما إستيقظت في الساعة (٤) بعد الظهر، كنت قد إسترجعت قواي بعض الـشيء. وإذا شـاء الله سـوف تـصل القافلـة إلى بغـداد بالـسلامة، وسـوف يعـود سـيغي وولـف مـن أجـل قافلـة الشحن التالية. إنشاء الله. إقتربـت مـن الوصـول إلى البيـت إليكم بمسافة قافلة شحن أقـل. أرسـلت جميـع حاجيـاتي مع هذه القافلة إلى بغـداد، وسـوف توضـع في بيـت عائلـة إندريس. أنـا أملك الآن هنـا: (٢) بنطـال خـاكي طويـل، و(٢) قميص، و(٢) بدلات داخلية، وإنتهـى، لاشـيء أكثـر. سيارتي اللاندروفر تقف دائماً علـى أهبـة الإسـتعداد. إذا أحسـست بـالخطر سـوف اسـافر بعـد أن أنتهـي مـن إنجـاز الأوراق اللازمة في الحال.

خلال ذلك أحضرت طباخي هورمز مـن قلياسـان إلى السليمانـية. والآن أصبح مجال عمله هنا. عبدالله ينـام في الليل هنا. هورمز يطبـخ وهو أثنـاء النهار موجـوداً هنـا. هذا البيت يقع على بعد (٣٠٠) مـتراً مـن ثكنـة الجـيش. هنا ينـبغي علـى المـرء أن يتـصور أننـا في أمـان. ولكـن أنـا ذاتي لاشعر على الإطلاق بالأمان. يحاول المرء بإسـتمرار أن يقبض عليَّ. أنا حذر للغاية. الكرد أصبحوا مخـادعين وقساة وبلا رحمة. هذا أفهمه مـن ناحيـة، ولكـن الرجـاء لـيس علـى حـسابي. لـدي الإحـساس في كـل ثانيـة بـأني

أجلس في قفص يمنع الخروج منـه إعتباراً مـن الساعة (٨) مساءً. هنا يجب على المرء في الواقع أن يصدق، بأن لاأحد يجرؤ على الدخول. في اللحظات الراهنة يبدو أن الحكومة عزمت على حسم الأمور مع الكرد بشكل صارم. اثناء ذلك أصبحت أنا بالفعل الموظف الوحيد والأخير في الشركة هنا فوق في طريق الشمال. علمت خلال ذلك بأن المختطفين ليشه وهاتز طاراً إلى ألمانيا. من أين: كل الألمان تم إخلاؤهم! ألست أنا ألمانيا؟ وسيغي وولف؟ هل هو ليس بألماني؟

كلما ذهبت إلى السليمانية، أرى فيها صور البؤس: الآف النساء والأطفال يهرعون مع العلب الصفيحية إلى محطات الوقود، وهم يأملون الحصول على الكاز، لكنهم لايجدوا شيئاً هناك. السوق السوداء في إنتعاش. أنا ذاتي لم يعد لدي سكر. التاجر ساكو يريد غداً مقايضة بعضاً منه لقاء الكاز.

لم أحصل على خبر بوصول القافلة بسلامة إلى بغداد. ولكن رغم ذلك قمت بالتحضير لقافلة الشحن التالية. وإذا شاء الله، فإن دواليب القافلة التالية سوف تدور صباح الغد في الساعة (٥) تحت حماية الجيش، لتعبر الصحراء إلى بغداد وهي تتكون من: (١٨) شاحنة قاطرة مقطورة، محملة إلى اقصى مايمكنها من الحمولة.

وإذا أنزل الله علينا رحمته، الأمر الذي اشك فيه هذه المرة. فإنها ستكون خلال (٣) أيام في بغداد. سيغي وولف هو مسؤول عن الشحن، وعدا ذلك أحضر معه أيضاً أوسي شتروبل.

قلقي كبير على سلامتي، كبير جداً، وأنا أحمد الله ، إذا تجاوزت هذه الليلة بخير وأمان. عندما يعودان، ينام الإثنان عندي في البيت، وهذا يمنحني الإحساس بالراحة، على الأقل قضاء عدة ليالي مع من يؤنس وحشتي ووحدتي في الليل. سوف تكون فضيحة إذا تعرضنا نحن الثلاثة للإختطاف. ينبغي دائماً أن أقول لنفسي: "برنارد، لاتفقد أعصابك."

الحاكم يعرف أن حياتنا جميعاً معرضة يوميا للخطر. وهو يعلم بالتأكيد أكثر مني، رغم أن مصادر معلوماتي ليست بقليلة. إنه يلح ثم يلح، إنه يشعر أن مسألة سلامتي هي مسؤوليته الشخصية.

يبدو أن السيدان ليشه وهاتز سنحت لهما الفرصة للحديث في التلفزيون الألماني. في مؤتمر صحفي أمام حشد من الصحفيين كان عليهم الإجابة على اسئلة كثيرة بالطبع. خلال هذه الإجابات ظهرت الدوائر الرسمية هنا ليس بأبهى حلة. وقد أثر هذا على موقف السادة هنا، االذين قدموا لي المساندة الرائعة هنا

وأعطوني الحماية. أنا لم أقصر من طرفي معهم، ولكن العلاقة فيما بيننا تأثرت جداً بسبب هذا المؤتمر الصحفي في التلفزيون الألماني. وقد زاد هذا من صعوبة وقسوة موقفي هنا. وعاصفة "ره شه با" الحالية لاتقوي بالذات أعصابي، على العكس، إنها تكمل على حالتي النفسية المزرية.

تحت حماية الجيش سافرت إلى عربت. بقايا المعسكر ملأت شاحنتين، وقد قمنا بالتحميل في درجة حرارة (٥٤) مئوية في الظل. غضبت جداً من بعض ضباط الجيش إلى درجة كدت أجن فيها. معسكر قلياسان تم إخلائه (٨٠٪). أنا أقدر أنه بعد قافلة الشحن الحالية، سوف يتبقى لدينا حمولة قافلة أخرى، وعلى أكثر تقدير قافلتين. لأجل ذلك طلبت من وكيلنا في بغداد السيد إندريس أن يرسل لي شاحنة قطر كبيرة إضافية كي نسرع أكثر في عملية الشحن. أستطعنا التحادث هاتفيا، وسألني "ماذا تحتاج، سيد ويتمان، ماذا أستطيع أن افعل لك؟" هنا أخذت نفسا عميقا، وقلت: "إدعو لي، إقرا لي صلاة (أبانا الذي في السماوات)، واقرأ لي السور الصحيحة من القرآن." أخذ نفسا عميقا وقال: "معك حق سيد ويتمان، سوف أفعل كل ذلك من

أجلك."كم سأحمد الله ياعزيزتي إيلا، إذا أصبحت معك أخيراً ومع عزيزتنا بيترا.

بالتأكيد أن زيارة السيد الجنرال، الذي يحب زيارتي دائماً، رؤيته هنا في بيتي أمر يدعو إلى السرور، إنه يأتي دائماً برفقة موكبه وحمايته. ولكن هذا لايناسبني على الإطلاق: عناصر حمايته تتكون من العرب فقط، والناس المحيطون بي من كل الجهات جميعهم كرد، إنهم سوف يظنون أنني أساعد العرب. ياآلهي، كم يجب علي أن أكون هنا في غاية الحذر. لا أريد أن أدفن هنا.

كيف هي أحوالي؟ قذرة وبائسة، لا أستطيع قول أكثر من هذا. وأنا لازلت بإنتظار البريد، بغض النظر عن الرسائل التي وصلتني قبل عدة أيام لم يصلني منكم شيئاً مرة اخرى. إلا أني أعلم بأنه وصل (٨٠) كيساً بريدياً، ولكن متى سيتم توزيعها، هذا السؤال يبقى مفتوحاً.

صائغ الذهب

في سكني الكبير هنا في السليمانية الحرارة مرتفعةجداً. المسافة الفاصلة عن جيراني قصيرة جداً، ولهذا يجب أن تبقى الستائر دائماً مسدلة. فأنا لاأحب أن ينظر أحد من الخارج إلى داخل غرفتي. وهذا ايضاً مانصحتني به شرطة الحماية هنا في السليمانية. ولكن فقط المكان بالنسبة لي معتم أكثر ماينبغي. الحل الوسط هو، أن اترك الستائر العليا مفتوحة بقدر (١٠) سم. إذا نظرت عبر هذه الفتحة الصغيرة، أرى الحائط الفاصل بيني وبين الجيران على بعد (١) متر. إلا أن هذا الحائط لايتجاوز إرتفاعه علو مصطبة النافذة.

جاري يبلغ من العمر (٢٥) سنة تقريباً، ومهنته صائغ ذهب. لديه زوجتين رائعتي الجمال. الإثنتان في سن (١٧) تقريباً. كل واحدة من هاتين الجميلتين لديها إبناً منه، وهما الآن ايضاً، أثنتيهما "مملوئتين بالأمل" أرض الديار تفرش في الصيف بالسجاد، والجميع ينام في

الخارج. ينام هو في فراشين بمفرده. إحدى الزوجات تنام على سجادة أخرى إلى يمينه، والأخرى على سجادة أخرى إلى يساره، أستطيع أن أحكم بقدر ماتتيح لي فتحة الـ (١٠) سم هذه، بان المرأتين متفاهمتين فيما بينهما بشكل جيد. إنهما ترتديان ملابساً جيدة جداً، والإثنتان تلبسان دائماً حلي جميلة للغاية.

الباشا هو فعلاً باشا بالكامل. أنا أتعجب دائماً، كيف يحصل هذا، هناك بإمكان المرء أن يتعلم الكثير. هؤلاء الأوروبيون المساكين. محمد يعلم كيف يجب أن تكون الأمور. ماذا تعتقدان، كيف تخدم هاتان المرأتان الرجل بصمت وإجلال. رؤية هذا أمر لايستهان به بالفعل. ولكن ايضاً الأمر الذي لايستهان به، هو رؤية هذا الصائغ كيف يعامل المرأتين ويحترمهما. إنه دبلوماسي من شعره إلى أخمص قدميه. بشكل يندر رؤيته هنا. إنه في منتهى الأدب واللياقة في طريقة تعامله مع نسائه.

كانت هذه رحلة بعيداً عن تراجيديا الحرب التي تحيط بي. قبل مدة وجيزة إستلقيت في حوض الإستحمام في الخامسة صباحاً، ثم مرة أخرى في الساعة (١١,٣٠) وثم مرة أخرى في الساعة (٧) مساءَ. لم يعد في الدوش ماء.

في المصيدة

حلقت طائرة فوق السليمانية وألقت كما كبيرا من المناشير. بالطبع أخذت انا أيضا واحدا منها، لأني يجب أن أعرف، ما الذي ينزل هنا من السماء فوقي. تعرفت على الفور أن هذا المنشور يحمل توقيع حاكمنا. لتشكر السماء السيد دوم، لأنه ترجم لي محتوى المنشور فيما بعد. في صباح اليوم التالي ذهبت إلى جنرال الشرطة وأنا أحمل المنشور بيدي. أريته المنشور الذي يحمل توقيع الحاكم، وبدأت: "حسب هذا المنشور أصبحت الطرقات إلى عربت مفتوحة، وكل شيء عاد مرة أخرى وأصبح على مايرام. هل أنت موافق، سيادة الجنرال، على أنني أستطيع على الفور السفر بمفردي إلى عربت؟" لعبت دور الساذج، والآن إسمعي هذا: "نعم، نعم طرقات الحقول مفتوحة، كي يتمكن الفلاحون من إحضار البندورة والبطيخ والعنب، وكميات كبيرة من الخضروات الطازجة، كي يحصل مواطني السليمانية أيضا على

كميات وافية من الطعام. سيد ويتمان، أنت ممنوع من الذهاب إلى عربت منعاً باتاً، مهما كانت الظروف." كان واضحاً لكل منا، أن هذه الخطبة ماهي إلا مجرد ذر الرماد في العيون. غير ان كلامه المباشر التالي والصريح أطاح بي: "سيد ويتمان، نحن لدينا طريقاً وحيداً واحدا تحت سيطرتنا، إنه الكيلومترات الثمانية من بكراجو إلى قلياسان وحتى السليمانية، دون أي متر زيادة." صعقت من هذه اللغة الصريحة. ولكن أيضاً جميع الطرقات الأخرى أصبحت بيد مصطفى البرزاني. إذا ارادت قافلة، قافلتي على سبيل المثال، عبور هذه المناطق، هذا يعني من هنا نحو بغداد، أو من بغداد إلى هنا، حينها سيعني ذلك: أن المعبر يجب د أن يفتح دائماً قبل حوالي ساعة تقريباً بواسطة العمليات الحربية من قبل الجيش. وأنا أجلس الآن في وسط المصيدة.

بعد هذه المحادثة الواضحة صعدت إلى درج أعلى، إلى قائد شرطة الحاكم. كالمعتاد، بداية شربنا الشاي. وقمت بمجاملته قليلاً: "أنتم هنا تعملون بنشاط وسرعة، ولكن رجالي لايعودون من بغداد بالسرعة الكافية إلى هنا!" الجواب: "الله كريم"، إنه الجواب المعتاد. ورداً على سؤالي، متى ستعود القافلة التالية من بغداد، جاء جواب ينضح بالحيوية: "إنشاء الله، ربما خلال (٥ـ٧) أيام." هذا

يسمى نقل سريع نسبياً. ولكن لم أكن أملك اليوم الرغبة بأن أستمع لمثل هذه التفاهات. "سيدي المحترم، يجب أن أذهب إلى عربت. لقد صرح حاكمك في منشوره، أن كل الطرقات مفتوحة. أريد بعد الغد أن أذهب إلى هناك مع السيد دوم، كي أستطيع أن أقدر كم عدد الشاحنات التي سوف نحتاجها من أجل شحن ماتبقى في عربت." هنا أخذ قائد الشرطة في البداية نفساً عنيقاً - هذا المنشور اللعين - ثم إتصل بسعادته في الغرفة المجاورة بالهاتف، ثم وضع السماعة وقال لي: "متى تستطيع السفر إلى عربت، هذا يحدده سعادته." إنتهى. بعد هذه الملاحظة أطلقت ضحكة مدوية، بحيث أن سعادته بالتأكيد سمعها، لأن مرافقه جاء بسرعة البرق إلى المكتب وإستفسر، ماالذي جرى.

قائد الشرطة كان غاضباً، ولكني تابعت ضحكي وقلت له: "سيدي، أنتم لاتريدونني أن أذهب إلى عربت، لأنكم تريدون أن تخبئوا التالي:

أ- أنكم أخذتم مولدتنا الكهربائية وتستعملونها باستمرار، وب - وعلى مايبدو صادرتم معدات كثيرة. ولكن ليكن بعلمك، إذا لم تمنحوني مرافقة حماية سوف أسافر بمفردي، من دونكم، في الأيام القادمة إلى عربت." لم تمض أكثر من ثانيتين حتى رفع قائد الشرطة

ثقلهمن فوق كرسي المكتب، وإنصرف إلى مكتب سعادته. بمثل هذه السرعة عاد وأخبرني بكل لطف ووداعة: "سعادته مشغول حاليا بمشاريع أخرى مهمة. ولكن سعادته يوافق لك بهذا، على أن تسافر إلى عربت خلال فترة قصيرة. الرجاء أن تخبرنا عندما تشاء قبل ساعة برغبتك بالسفر إلى عربت."

هل تعلمي عزيزتي إيلا بأنني لا أفكر، ولا حتى في الأحلام في الوقت الراهن، خاصة في هذه اللحظة، بالذهاب بالفعل بمفردي إلى عربت. هذا سوف يعجب متمردي مصطفى برزاني، إصطياد "ويتمان" صحيح أني أحب جبالي الإيرانية جدا، إلى درجة كبيرة أحن لرؤيتها، ولكني لا أريد أن أكون في هذه الجبال بصفتي سجين لدى رجال مصطفى برزاني كلا، فقط عدم الإقدام على الإنتحار. أنا أريد العودة إلى الديار، أريد العودة إلى منزلي الخاص بي.

أكتشف كل يوم كم أضرني بطريقة فاضحة مايسمى بالمؤتمر الصحفي للسيدين ليشه وهاتز، بعد عودتهما إلى ألمانيا. طلبت مع السيد دوم إجتماعا رسميا مع كل ممثلي الحكومة المهمين. أعربت بكل شفافية ووضوح عن إحترامي لكل جهودهم التي بذلوها من أجل حمايتي. الإعلان عن شكري وإمتناني من أجل

حراستهم لشخصي وحمايتهم لي بهذا الكرم وبهذا الحجم، قد خفف بعض الشيء عن هؤلاء السادة وطيب خواطرهم قليلاً. وصرحت عن إمتناني إزاء وضعهم هنا حوالي (٣٠- ٥٠) عنصر شرطة وجيش من أجل جرماني واحد وحيد، وذلك في جميع الأوقات. وأعلنت عدم علاقتي بتلك التصريحات بألمانيا. أنا لدي الحق في أن آمل ان تسهم هذه الصراحة الآن بإضفاء قسط من روح التسامح على التعامل معي.

هناك شائعات بأن القافلة عادت من بغداد، ولكنها علقت مرة أخرى في سد دربنديخان. إنهم لايستطيعون المتابعة. يقال أن بين عربت والسليمانية الأوضاع أصبحت كالجحيم. وهذا بالتأكيد سبب آخر، لماذا لايريد سعادة الحاكم رؤيتي هناك. في الوقت الحالي لا أستطيع الحصول على مكالمة هاتفية مع بغداد. إلا أني سمعت أن السيد إندريس، وكيلنا في بغداد، عاد مع سيغي وولف. إنشاء الله. سوف أحمد ربي على وجودهما هنا معي. قبل النوم أعدت التفكير في حجم قافلة الشحن العملاقة التي لازال أمامي أمر تنظيمها. (٢٢) شاحنة. مع كل منها عربة قطر إضافية، إنها جاهزة ومحملة بإنتظار رئيس الشحن سيغي وولف. الشاحنات الثلاثة التي سيحضرونها معهم مع عربات القطرالإضافية، إضافة إلى ناقلات

الآليات الكبيرة، سوف نعمل على تحميلها خلال مدة قصيرة. الكل بمجمله سيكون (٣٢) شاحنة وماشابه في القافلة التي تليها سوف أنهي معسكر قلياسان بصورة نهائية إضافة إلى اشياء أخرى. ثم يأتي بعد ذلك دور عربت، هذا يعني ماتبقى منه. سوف أجهز كل شيء طوال (٥) ساعات مع السيد دوم، ثم سأطلب دفعة واحدة كل ما أحتاجه من الشاحنات وناقلات الآليات الكبيرة، بحيث أتمكن من الإنتهاء من عربت خلال ثلاثة أيام. سوف أضطر إلى الإقامة هناك مدة ثلاثة أيام، ولكن بالطبع فقط تحت حماية الجيش، كي أخلص بشكل نهائي من عربت، هذه اللعينة. لا أرغب على الإطلاق البدء الآن بوصف الظروف التي ستكون عليها فترة "سكني" ثلاثة أيام هناك.

وهذه الأيام الأخيرة في عربت، سوف تكون حينها أيام عملي الأخيرة في "كردستان البرية" لاأريد ولا أستطيع أن أظل فترة أطول هنا، ومن دون أن أنجز قافلة شحني العملاقة لا أستطيع تحقيق ذلك. إنظرا، تحتاج القافلة من قلياسان إلى بغداد، والعودة إلى قلياسان مرة أخرى، ودائماً مع مرافقة حماية الجيش، (٢٠- ٢٥) يوماً. إن هذا مدعاة لليأس. ولكن مدعاة إلى اليأس ايضاً، إنه لم يعد يوجد شيئاً للشرب: لاتوجد قهوة، ولا كولا، ولا سينالكو،

يوجد فقط البيرة العراقية "فريدا" والبراندي. وفي الخارج لدينا درجة حرارة (٥٣) مئوية في الظل.

عندما وصلت صباح الأمس إلى قلياسان، فكرت فقط، جيد نمت جيداً. لم تعد وظيفتي منع السرقات والإستيلاء عنوة على معداتنا. فقط الإبتعاد عن هذا المكان.

أصبحت شركة السجائر تحت الإدارة الوطنية. مديرها شخص لطيف، ولكن هذه المرة كان في مكتبه شخص هو أكثر من غير لطيف بكثير، كان يرتدي ملابساً مدنية. عندما أصبحنا بمفردنا قلت للمدير: "هذا إبن كلبة وفي منتهى الخطورة.... هنا نظر إلي فقط ثم أجاب: "سيد ويتمان، أنت تستطيع ان ترى مابدخل أدمغة البشر." فأجبته: "واضح، أستطيع ذلك أيضاً ولهذا السبب: عليك توخي الحذر. إبن العاهرة هذا، سوف يتسبب بالأذى لكثير من البشر. اقتلوا هذا الرجل، أعطوهم بضعة ماركات أخرى إضافية." وماذا سمعت من الحاكم بعد مرور إسبوع: "أصبحت ايامه معدودات." الرجل لايقفز فقط على حبلين، بل على ثلاثة حبال، ويقال أنه أعلى قائداً مني. آخر المجاهدين ـ من الذئبيين ـ ويقال أنه سوف يحصل على (٦٥) رجلا كدعم إضافي للقافلة. إسمعوا، "الآخرون" يريدون هذا

الجزء من القافلة " ليلة سعيدة يا ماريا" لوكان سيغي وولف هنا فقط.

شعرت بالضيق، فسرت حتى بيت السيد دوم، فاجأني حظر التجوال، هنا قررت المبيت هناك. بما أن حوض إستحمامي معطل، فإستحممت هناك أيضاً. في الصباح التالي رأيت أمام منزلي برميل القمامة مليء بأوراقي. كنت قد أعطيت عبدالله تعليمات صارمة بإحراق كل شيء. عندما لفت نظره إلى ذلك، كلمة جرت كلمة، فغضب بشدة ورمى المفاتيح على المنضدة وقال: "سوف أنهي الأمر فوراً." وهنا جلست مرة أخرى. سافرت فوراً إلى قلياسان وأحضرت كلبي بيتر، ولكن ايضا الحارس اليومي الطيب المسن. الإثنان يسكنان معي في المنزل، والحارس المخلص يقوم بحراسة البيت الآن مع بيتر من الساعة (٨) مساءً حتى الساعة (٦) صباحاً. مع هذين الروحين المخلصتين، محمد علي وبيتر كلبي العزيز أشعر بأني بأمان وأستطيع النوم بكل هدوء أثناء الليل. شيئاً واحداً أستفقده في الوقت الراهن، ألا وهو الأمان الذي كنت أحس به في غرفة نومي المصفحة.

اخيراً القافلة الأخيرة؟

مراسل قائد الشرطة كان مؤدبا لكنه حاسماً: رجاءً، يجب أن تأتي فوراً إلى قائد الشرطة." هكذا إذن، الأمور تتحرك كما يبدو. إذن أستطيع، بمشيئة الله، غداً في (٢٠) آب (١٩٦٣)، في يوم "عيد إسمي"، منذ الساعة (٥) صباحاً، وتحت حماية الجيش، السفر إلى عربت. يزعم أن القافلة القادمة من بغداد قد وصلت صباح اليوم إلى سد دربنديخان. غداً سوف يتم إستقبالها من قبل حماية الجيش التي سأنظمها أنا، وسوف أحضرها معي إلى السليمانية. إنشاء الله. لحسن الحظ أن السيد دوم إلى جانبي طوال الوقت. الأمر غير المريح، هو وجود "الآخر" إبن الكلبة. هذا الرجل يبدو لي أكثر من غامض.

من فوق سطح منزل السيد دوم يستطيع المرء أن يرى منظر الأفق الرائع، وفي هذه الأوقات العصيبة يهدئ

من روع المرء مثل هـذا المنظـر. إذا كانـت الـسماء صـافية تكون الرؤية واضحة، بحيث يستطيع المرء أن يرى حتـى عربت. أخيراً إستطعنا رؤية قافلتنا تقترب بإتجاهنا. ثم رأينا فجأة: دخـان يتـصاعد، هـذا لايمكـن أن يعـني شـيئاً طيبـاً. إذن، أسـرعنا إلى مركـز الـشرطة، وبعدئـذٍ رأينـا طلائـع مـن الحمايـة العـسكرية تـسير: (٢) دبابـة و(٣) ناقلات جنود، وسيارات إسعاف. أول ضـابط رأينـاه كـان من معارفنا، فأخبرنا بالمعلومات الموثوقة: من السد حتـى الأسفل في عربـت رجـال مـصطفى برزانـي متفوقـون في العدد والعتاد، وقد جرت معارك قاسـية. ويوجـد أعـداداً كبيرة من القتلى والجرحى.

لقـد توقعـت ألا يـسير المخطـط الـذي وضعته، بـشكل جيـد ومـن دون مـصاعب. كنـت أتمنـى وآمـل أن يـاتي وكلينا في بغداد مع القافلة، ولكن عوضاً عن ذلـك أتـصل بي هاتفياً. ورداً على سؤالي، متـى سأحـصل أخـيراً علـى ناقلات الآليات الاضافية، أجابني هذا الحمار: "مؤقتاً لـن تأتي على الإطلاق. لايوجـد هنـا مـن يـستطيع أن يقـرر مقدار التكلفة."

انا لم أستطع بعـد تحمـل خـبر الأعـداد الكـبيرة مـن القتلـى والجرحـى هنـا والـسيد إنـدريس يتحـدث عـن "مقدار الكلفة"، هنا أحـترق "الفيـوز" في رأسـي (أصابه

الجنون ـ المترجم) وبحضور السيد دوم قلت له رأيي بكل وضوح: "حتى الآن أعتقد بالفعل، بانك، سيد إنـدريس، الرجل، وانك رجلي الذي أعتمد عليه. أنا مصاب بخيبـة مريرة. لاتنزعج مني، إذا قلت لـك الآن، إنـك أنـت أيـضاً مجرد فنجان قذر." إستراحة ـ "معك حق سيد ويتمـان، ولكن..." أنا: "من دون ولكن، هذا صحيح. وهنـاك شـيء واحد أكيد. يجب أن تفرغ عربت في قافلة واحدة كاملـة، ولأجلها أحتاج إلى (١٠) ناقلة لآليات كبيرة، و(١٦) شـاحنة مع قـاطرات مقطورة. أسـتطيع الحصول على صناديق الشحن من شركة السجائر. ومايتبقى عدا ذلك، سـيبقى. إذا لم أحـصل علـى مـا أحتـاج مـن الـنـاقلات الـضرورية، حينها عليك بذاتك تنظيف قذارتك، حينها سأجلس في الطائرة بتـاريخ (٣٠) أيلـول، وسـأطير إلى زوجـتي. يبـدو أنــك لاتفهــم أنــي عــالق في مــصيدة الفئــران. لم يعــد بحـوزتي نقـود، ولا أحــد مــنكم يجلـب شـيئاً إلى الأعلـى. سوف أبدأ هنـا ببيـع الأدوات في مـزاد علـني مـن المبردات مــروراً بالثلاجـات، حتــى الطــاولات والكراسـي والأسـرة وماشابه. وهذا سيجلب لـي بعـض النقـود. عنـدما تقـول أنك لاتستطيع أن تتصرف بشكل آخر، حينئـذٍ أقـول أنـا الآن هذا أيضاً. أنت تسأل، مالـذي سـيحدث مـع كـل هـذه الأبنـية. جوابي هو: سأتركها كما هـي." وأثنـاء كـل هـذه

القلاقل لازلت أجري محادثات بيع، لأن كل ما أستطيع بيعه يجب الآ يرسل مع القافلة إلى بغداد.

رتبت جلسة رجالية للقيام بالواجب. لايوجد الكثير مما يمكن للمرء أن يقدمه من الطعام. طلبت من الطباخ تحضير (١٦) قرص من اللحم المفروم (كباب على شكل أقراص - المترجم)، مع القليل من السلطة والبيض، كلما كان الطعام حاراً أكثر، كلما كان أفضل. كانت الجلسة مريحة بحيث أننا في الحال تواعدنا على اللقاء في اليوم التالي في منزل السيد دوم. ولكن نحن الإثنان إخترنا توقيت الزمن، بحيث أن الجلسة بعد ساعتين يجب أن تنتهي، وذلك بسبب حظر التجوال.

وعندما غادرت المنزل، من كان يجلس هنا؟ كلبي بيتر. لقد كان ينتظرني. حكى لي محمد علي فيما بعد: "عندما غادرت سيارتك، هنا قفز بيتر فوق البرميل قفزة واحدة، ثم إلى الجدار، ثم قفز إلى الشارع وراح يعدو خلف اللاندروفر. هذا الحارس هو كردي طيب ولطيف ومخلص ومجتهد. بما أن اليوم التالي كان يوم جمعة، قلت له، أنه يستطيع في الساعة (٦) صباحاً، وقت نهاية دوامه، أن يذهب بهدوء إلى بيته. فأجاب "حسناً" في الدقيقة العاشرة قبل الساعة (٦) صباحاً سمعته يطرق على زجاج نافذتي، وقال لي: "أنت اردت أن

أوقظك في السادسة؟" من أجل هذا الإيقاظ الذي لم أرده، تشكرته وعدت ثانية إلى السرير. أن يوقظني في الساعة (٦) صباحاً، افضل من أن يغادر في الساعة الرابعة، وأن يختطفني "الآخرون" في الساعة الخامسة.

بعد الإفطار ذهبت مرة أخرى إلى منزل السيد دوم. بعد برهة قصيرة من جلوسي سمعنا جرس الباب. السيد دوم قال لي: "أحد عمالك يريد أن يتكلم معك." محمد حسن من مستودع "البيبسي كولا"، الذي كان يقوم بحراسة "البراكة" الوحيدة المتبقية هناك. أصابتني الصاعقة، فسألته من أين يعلم أني هنا في منزل السيد دوم. إبتسم وقال: "سيد ويتمان، المرء يعلم كل شيء عنك، أين تنام، وأين تتسوق، وأين أنت..." السيد دوم وأنا نظرنا فقط في عيون بعضنا الآخر نظرة عميقة. الآن عرض لي محمد حسن ساقيه عاريتين: لقد سار مسافة (٤٢)كم على الأقدام، من معسكر "بيبسي كولا" على ضفة نهر تانجرو حتى السليمانية. طوال المسافة (٤٢) كم. كبداية عالجت جراح قدميه وساقيه، ثم دفعت له رواتبه المتراكمة منذ مدة طويلة. والآن يجب أن يحكي لنا بالتفصيل. ماسمعناه لايصدق. إذا كان كل هذا صحيحاً، وأنا لا أشك بذلك على الإطلاق، حينها لن

تصل قافلتنا إلا بعد مرور زمن طويل. قريباً سوف لا أصدق اي شيئاً على الإطلاق.

خمسة أيام فيما بعد: جاء سيغي وولف وأوسي شتروبل. لحسن الحظ أحضرا معهما مواد غذائية ايضاً. هنا لايستطيع المرء شراء شيء إلا بالبطاقات التموينية. إلا أن الأسوأ هو: أيضاً مع البطاقات التموينية لايوجد شيء يستطيع المرء شرائه. عملنا كالمجانين. كان المساعدون الوحيدون في اعمال الترتيب وتطبيق المواد في الشاحنات، ذلك العمل الشاق، هم رحمان السائق، والعامل المساعد رؤوف، والفتى حمه سعيد. إضافة إلى سيغي وولف، أوسي شتروبل وأنا. وبهذه الأيدي القليلة تمكنا من ملء (٢٥) شاحنة، مع قاطراتها الإضافية، وناقلة آليات كبيرة، وغيرها، وغيره. وخلال فترة قصيرة تحركت القافلة التالية.

كل قافلة بمثابة "فرقة جيش إنقاذ" وثمنها عدد من القتلى. فقط المسافة القصيرة من بكرجو - قلياسان - السليمانية، في أيدي الحكومة. قافلتنا تسير تحت حماية مرافقة عسكرية. وينبغي على الجيش أن يشق الطريق من وإلى بغداد ضمن كردستان، قطعة فقطعة بدباباته ومدفعيته.

وقافلة أخرى

احس بالوحدة وبأن الجميع تخلى عني. المدير العام هاوسمان لم يتمكن من الحصول على تصريح سفر إلى هنا في الأعلى. محاسب الرواتب في شركتنا لاتوجد لديه ميزانية، إذن لن أحصل على نقود! ولكن أنا أحتاج هنا في الأعلى أيضاً إلى نقود. المساعدون يجب ان تدفع أجورهم. وسائقي شاحنات القافلة ينبغي دفع نقودهم أيضاً. ماذا تبقي لديّ، غير إيجاد حلاً لمشكلة النقود.

ووجدت حلاً. وهكذا، أنا اقترض نقوداً من التاجر ساكو. ومن جهة أخرى لديه شقيق في بغداد. مع كل قافلة تذهب إلى الأسفل نحو بغداد، أرسل مع سيغي وولف قائمة الحساب من أجل وكيلنا هناك السيد إندريس. الآن يعطي السيد إندريس محاسب رواتب شركتنا، الذي لاميزانية لديه، النقود التي إقترضتها أنا هنا في السليمانية من ساكو. وشقيق ساكو في بغداد يأخذ الآن المبلغ حتى آخر فلس، هكذا مثلما جرى قبل

خمسة أيام. إحتجت إلى مبلغ (٢٨٥) دينار أجور (٢٥) سائقاً، الذين اوصلوا القافلة إلى بغداد. إنهم بحاجة عدا ذلك إلى عشرة أيام من أجل طريق العودة، وهذا يلتهم النقود.

أنا أحمد ربي إلى اقصى درجة، لأن سيغي وولف وأوسي شتروبل يبذلان جهوداً جبارة، ويعودان كل مرة إلى هنا في الأعلى، وهما دائماً على إستعداد مرة أخرة لمرافقة القافلة. وهذا كله رغم كل هؤلاء القتلى، الذين يسقطون لدى كل قافلة اثناء الطريق. يثير عجبي دائماً من جديد، أني دائماً أتمكن من العثور على سائقين إضافيين. يوجد الآن (١٤) شاحنة أخرى محملة بـ (١٥٠) طن. كما لايزال يوجد مافيه الكفاية من أجل تحميل قافلة أخرى. أنا بمفردي يجب أن أتخذ كل القرارات، لايأتي أي شيء مما يسمى إدارة البناء العليا في بغداد. من يجلس هناك، سبق أن كتبت عنه.

لم يعد يحق لي الدخول إلى عربت، وهذا وفق حكم محكمة قضائي: أصبحت شركتنا السابقة المسمات إدارة البناء العليا لطريق الشمال العراق، مايسمى "حالة تأمين" والآن تأتي القنبلة: إستلمت بتاريخ (٢٧) آب حكم قضائي: يجب دفع مبلغ (٣٤٠) دينار فوراً، أو الحجز. وبما أني لاأمتلك النقود، ولا رغبة لدي بإقتراضه

أيضاً، طبق الحجز على سيارتي اللاندروفر رقم (١١٠)، ورقم (١٢٠). إضطررت لتسليمهما لدى الشرطة. وهكذا إستأجرت سيارة لاندروفر لقاء (٥٠٠٠)دينار يومياً. وفجأة تحلحلت الأمور في الحال عن طريق بنك الرافدين، أتى تحويلاً مالياً مقداره أكثر مما أحتاج من النقود. مصدر النقود: وكيلنا السيد إندريس. كانت هذه دوامة عاصفة مع الكثير من المشاكل. كان بودي لو أتيت إليكم حتى ولو سيراً على الأقدام.

هل تمكن أن يأتي ماهو أسوأ

الرصاص يلعلع في كل ليلة، مرة من هذا الإتجاه، ومرة من الجهة الأخرى. إستمر الأمر ليالي عديدة، وعلى مايبدو هذا يجري بالتناوب: ليلة رجال مصطفى البرزاني وليلة أخرى الجيش العراقي، ثم مرة أخرى رجال مصطفى برزانى، وهكذا دواليك. كل جهة تنتقم من الأخرى وفق طريقتها. رجال مصطفى البرزاني قاموا بتلغيم الطرقات، الأمر الذي تسبب بالطبع في النتيجة بقتلى في جانب القوات الحكومية، هذا يعني من جانب العرب. وهكذا يعتقل العرب بعد ذلك في مكان ما دائماً عدداً من رجال مصطفى البرزاني. إستمر الوضع على هذه الحالة ليالي عديدة.

من دون أن يكون لدي اية فكرة سافرت صبيحة أحد الأيام باللاندروفر إلى الساحة الكبيرة، إلى البريد. أحسست

بأن ظهوري تسبب بصمت مطبق بشكل ملفت للنظر. ثم شكلت الجموع الكبيرة من الكرد، لدى رؤيتهم لسيارتي، بشكل عفوي ممراً بشرياً. وفي ذات اللحظة أوقفتني الشرطة وعناصر الجيش. الطرفان أمراني: "إنطلق بسيارتك بشكل مستقيم إلى الأمام، بالضبط عبر هذه الساحة ! هيا إنطلق، هذا أمر!"

فهمت الموقف بسرعة البرق. آلاف من الناس تجمعت في هذه الساحة. وجوه كثيرة منهم كانت مألوفة بالنسبة لي، أغلبها عمل لديّ في وقت ما خلال السنين الطوال الماضية. رأيت الترقب في وجوهم: "كيف سيتصرف السيد ويتمان؟" ثم رأيت السبب في كل هذا الموقف: أجزاء عارية مقطعة بشرية، كانت ملقاة في الساحة أمام مكتب البريد، بالضبط هناك، حيث أردت الذهاب في الواقع، وحيث تلقيت الآن الأمر بالذهاب بسيارتي. لم أبدِ أية ردة فعل. أدرت مقبض غيار السيارة إلى "الرجوع"، وربطت زمور السيارة بمنديل، حيث راح يزمر بإستمرار، وهذا سبب ضجة كبرى. جن جنون الشرطة وعناصر الجيش العرب. لم تبدر مني أية ردة فعل، ولم أنبس ببنت شفة، ورحت أشق طريقي رجوعاً سنتيمتر بسنتيمتر بين الجموع. الممر بين جموع الكرد ظل مفتوحاً. هذا الممر الذي طوله (٣٠٠) متراً، الذي كان

عليَ إجتيازه تبدى لي أن طوله (٣٠٠٠) متراً، بل أكثر. جسدي كله كان مبللاً بالعرق. أخيراً بلغت نهاية الممر البشري، أصبحت في الشارع من جديد، فقدت السيارة إلى البيت مباشرة. مرة أخرى نجوت بجلدي سالماً.

رغم أني لم أظهر ذلك، لكني كنت قد رأيت الإبتسامة في وجوه الكرد التي كانت تؤيد سلوكي. لوكنت مررت بالسيارة فوق جثة رفيقهم المقطعة، لكنت لم أتمكن من تجاوز هذه الليلة حياً. كنت مرهقاً بالكامل، اصبحت في البيت، أخذت حماماً، وطوال يومين لم أتناول أية لقمة. كان الأمر ببساطة مروعاً.

في الليلة التالية سرق الكرد جثة هذا الشخص ودفنوها. بالطبع ترافق هذا مع تبادل لإطلاق النار، الذي نتج عنه من جديد قتلى، هذه المرة أخذوا الضحايا بنفس الوقت معهم.

كل ليلة يتعرض معسكري في قلياسان للغارات. رجال مصطفى برزاني يريدون إخراج عناصر الشرطة العرب من المعسكر. كل صباح أفكر: "فيما إذا المعسكر لايزال قائماً؟" الشرطة والجيش يلحان عليَ بقوة كي أخلي قلياسان ايضاً. لو أن هؤلاء الحمقى في بغداد يرسلون لي (٧) ناقلات آليات كبيرة، سوف أكون خلال شهر عندكم في المنزل. إجرة ناقلة آليات كبيرة هي (٦٠٠٠)دينار، وهذا

مايعادل (٧٢٠) ماركاً ألمانياً من أجل السفر ذهاباً وإياباً. الأمريكان فعلوا هذا في سد دربنديخان، ولهذا السبب إنتهوا قبلنا. كما يقول المثل وينطبق على الواقع: "الكلاب تعض الأخير. وهذا الأخير هو أنا.

كتب لي هذا الأحمق، محاسب الرواتب، من بغداد: "في مكتبي في عربت يوجد في الدرج تحت النافذة ملف صغير. كونه إختفى فجأة، هذا أعتبره لغزاً." عندما يقرأ هذا الأحمق الكبير جوابي سوف يبتلع ريقه.

يومياً توجد متاعب جديدة، إما مع الشرطة أو مع الجيش، أو مع الدوائر الحكومية. ينبغي على سيغي وولف أن يحضر معه (٢٠) برميلاً من المازوت. ولكن ينبغي عليهم الآن أن يسلكوا طريقاً أطول بـ (٣٠٠) كم، إذن لم يتبقَ لي شيئاً من الوقود، فشتمت. إتصلت بالجميع، الله والأنبياء وحديقة الحيوانات. حصلت على ثلاثة براميل من مصنع الإسمنت. في الحالات العادية يبلغ ثمن البرميل (١٤٠٠) دينار. اليوم في السوق السوداء لايستطيع المرء الحصول على برميل بأقل من (١٨٠٠٠) دينار.

عملياً لم يعد شيئاً متوفراً هنا. لايزال عند التاجر ساكو ثلاثة صناديق من البيرة، التي وضعها جانباً من أجلي. لايوجد شاي، ولا قهوة أو سكر، ولا زبدة ولا

بطاطا ولا طحين ولا صودا ولا كولا ولا سينالكو، فقط زجاجة ويسكي وصناديق البيرة الثلاثة هذه. آمين. أريد أخيراً الفرار من قدر الساحرات هذا، أريد اخيراً الهدوء وراحة البال. وليس لعلعة وأزيز الرصاص الليلي هذه، وأريد الخلاص من النهوض من السرير مرتعباً. ولكن هنا يقول لي سيغي وولف: "سيد ويتمان، إذا خرجت من قدر الساحرات هذا، حينها سوف ينقصك شيئاً، حينها سوف تمرض. يجب أن تبقى هنا." ياله من أحمق قرية.

ماالذي عليَ كتابته لك أيضاً حول كل هذه التفصيلات فيما يخص الخطوات الأخيرة المرهقة لعمليات الإخلاء التي أقوم بها. الوضع قاتل، يحرق الأعصاب، لم أعد أطيق هذا، أريد العودة إلى المنزل. بنيت علاقة ثقة جيدة مع قائد الجيش الجديد هنا. قلت له: "إذا ساعدتني وساندتني وسرعت عملي وقدمت لي الحماية الكافية، حينها سأخلي عربت بأسرع وقت، وحينئذ سأقيم دعوة كبيرة لك ولجميع مساعديك." سر بذلك وقال: "هذا عظيم، وسوف أقدم لك فعلاً كل الدعم الممكن." إذا إنتهيت حتى عيد الميلاد من عمليات الإخلاء، حينها سوف أشكر الله آلاف المرات، ولكن تحقيق ذلك لايزال بعيد المنال.

حركة السير عند تقاطع طريق سرچنار حيوية. في ذلك اليوم كان يسير بإتجاه هذا التقاطع في ذات الوقت باصان وسيارة ركاب. كأنهم هبطوا فجأة من السماء، وقفت هناك مجموعة من رجال مصطفى برزاني، فأوقفت الباصين كما سيارة الركاب. أرغموا جميع الركاب على النزول. كان في أحد هذين الباصين عدد من عناصر الشرطة مع قائدهم. وهذه المجموعة ايضا ارغموها على النزول. ولكن جرى أيضاً تجريدهم جميعا من أسلحتهم من قبل رجال مصطفى برزاني وإعتقالهم. بعدئذٍ قاموا بإحراق الباصين وسيارة الركاب. إحترقوا بالكامل. وفي النهاية أخذ رجال مصطفى برزاني الرهائن إلى الجبال. كان لهذه العملية وقع الصاعقة، بدأت حملات البحث والتفتيش والإعتقالات الواسعة في الحال. وجاء الجنرال فوراً بالمروحية إلى السليمانية. في اليوم التالي جرت الضربة المقابلة: في هجوم واسع ضد عدد من القرى جرى تدمير جميع منازلها وسويت الأرض فيها. لقد رايت ذلك عن بعد. القسوة كلمة لاتكفي لوصف ذلك.

ولكن أيضاً كل عبارة معلوماتية تختتم بكلمة "إن شاء الله"، وبنفس القدر من عدم التأكيد كانت أيضاً المعلومات التي أحصل عليها. أنا أنتظر خبراً من قائد

الشرطة، متى ستصل القافلة إلى عربت، من جهة أخرى أتصل بدوري وأطلب مرافقة الحماية من الجيش، من أجل أن يذهبوا إلى هناك. لأجل ذلك أمضيت ساعات طوال من الإجتماعات مع المسؤولين في الدوائر الحكومية المختلفة، وفي نهاية إجتماعاتنا قال لي الرجل بمنتهى الهدوء: "أن القافلة تنتظر منذ الصباح الباكر في عربت." أصبت بالجنون. وهكذا إتصلت بالجيش، فقالوا لي: "القائد طار بالمروحية إلى بغداد. هذا يصيب المرء بالخيبة والإحباط.

ذهبت في الحال إلى الحاكم، وهناك علمت: "أنه طار بالطائرة إلى بغداد." فسارعت بالذهاب إلى القائد العام، الذي رحب بي، وخلال شرب القهوة أفضيت له بهمومي ومطلبي. تناول سماعة الهاتف وراح يجري إتصالاته مع كل من له علاقة أو شأن. النتيجة: غداً يستطيع الجيش إرسال مرافقة حماية إلى عربت. هكذا فجأة لم يعد موضوعا، كون عربت "حالة تأمين". إمتلأ قلبي بالأمل لدى التفكير بأني بدأت بالحركة فيما يخص موضوع الإخلاء.

إنها مغامرة جسورة، ومن دون مرافقة حماية من الجيش لا أجرؤ على السفر إلى عربت. لم يعد في قرية عربت أي بيتاً قائماً، وماتبقى من بيوتنا لايتعدى أكثر

من بقايا أطلال. وهنا يتعجب "سيد الذكاء" في بغداد، لماذا لا أجد أنا ملفه الصغير في الدرج الأيسر من الطاولة تحت النافذة؟ من أجل هذه العملية أخذت معي كل شيء.طعام، عارضتين خشبيتين، وثلج وماء، ولكن أيضاً شموع وأعواد الكبريت. بطاريات من أجل المصباح اليدوي لم أجد. إعتذر عن الكتابة أحياناً بهذا الشكل، ولكن توتر الأعصاب ببساطة بلغ حدوده القصوى.

في سبيل تهدئة أعصابي وإلهائي قليلا أستمع قليلا عبر الموجة الألمانية، إلى موسيقى خفيفة، لشتراوس، كونرايكه، وكالمان، ولينكه..الخ. أستمع الآن إلى الأغنية التالية: "آه، لقد قبلتها فقط من كتفها....." أوضاعكم أنتم جيدة، أنتم تستطيعون الذهاب إلى أي مكان ترغبون في الذهاب إليه، لاتوجد لديكم تحديدات ولا حواجز تفتيش، ولاتوجد مرافقة حماية عسكرية أنتم مرتبطون بها. أثناء كتابتي عن الشرطة إتصل قائد الشرطة بي، وقال: "سيد ويتمان، إعذرني رجاء، كوني صباح اليوم أعطيتك معلومات غير صحيحة (لتحل علي رحمة الله، فكرت فقط، ماذا سيأتي الآن). تستطيع فعلا السفر إلى عربت صباح الغد. لقد أعطيت الأوامر الصارمة بحمايتك والحرص عليك وعلى سلامتك في عربت، وأصررت على ألا يمسك أي شيء بسوء." بالطبع

سررت بهذه التمنيات، وأنشاء الله سيجري كل شيء على افضل مايرام غداً. إذن سوف أنطلق الآن.

بعد مرور إسبوع: بينما أنا تحت الحماية والرعاية الجيدة في عربت، أقوم بتحضير القافلة التالية، وأسافر بين الحين والآخر إلى قلياسان، حيث لا استطيع أن أتواجد هناك سوى اثناء النهار. ولكن أصبت بالصاعقة هناك. من دون علمي أمر الجنرال سعدي الشرطة العرب في المعسكر، بهدم المعسكر بكامله على الفور. وبهذه المواد قاموا ببناء معسكرهم الخاص بهم على الطرف المقابل من الشارع. عوضاً عن العمل بمنهجية، قاموا بالهدم هنا، والنقل والخلع هناك. قامت الشرطة بنزع السقف بالكامل، من بيت سكن السيد شتروبل، بحيث أن المطر بات الآن يهطل في كل أرجاء البيت. المطر يهطل بغزارة هنا منذ خمسة أيام، والشرطة تحتاج بالطبع إلى سقف فوق رؤوسهم. كون المطر يهطل الآن في بيت السيد شتروبل، هذا ليس مهماً. السيد دوم شتم كل وجه وكل مستمع في الهاتف. ولكن كيف.

لافائدة من الذهاب إلى الحاكم أو إلى الجنرال، إنهما مشغولان بقطع الطرقات ونصب حواجز التفتيش. لقد أعلن عن نبا قدوم زيارة شخصية مهمة. لقد أعلن عن مجيء رئيس الحكومة العراقية، المارشال عبدالسلام

عــارف. وجـاء أثنــاء هطــول أمطــار غزيــرة. رافقــت مروحيته حوالي (١٢) طائرة حربية لحمايتـه. هبطت المروحية في معسكر الجيش.

تلقى جميـع التلامـذة الـصغار ومعلمـاتهم ومعلمـيهم الأمر بالوقوف على جانبي الطريق من مهبط المروحيـة حتى الإستراحة، وهي تقريباً مسافة تبلغ (١)كم. توجب علـيهم الإصــطفاف بمــسافة واحــدة بــين كــل مــنهم والتصفيق أثناء مرور موكب الرئيس.

وقفت أمام بيتي في مكـان يجعلني مرئيـاً، كنـت أريـد أن يروني، من الحاكم إلى قائد الشرطة، ومروراً بالزعيم صادق. ورآني الجميع وألقوا علي تحيـاتهم، وأنـا بـدوري رددت التحيات.

ثم جاء الزعيم، السيد رئيس الوزراء ـ ولم يصفق أحد. كان إستقبال جليدي لعيناً. ولكن إستعراض الدبابات كان كبيراً للغاية. كانت جميع الأسطحة محتلة بالبنادق الرشاشة. كانت السليمانية مدينة ميتة، جميع محلاتها أغلقت أبوابها. لايمكن لمح اي كردياً في الشوارع. ينبغي على المارشال أن يلقي خطاباً في مقر الإستراحة، لكنني لم أذهب إلى هناك. إبتلع الحاكم هذا الأمر، ولهذا السبب رأيت أنه من الأذكى، أن اتركهم يرونني على

ناحية الشارع، وبهذا الشكل أظهرت لهم مايسمى "إحترامي"

حالة حجز"! أم عاصفة "رەشەبا"

في الواقـع أن هـذه الحالـة هـي ضـمن نطـاق "حـل المشاكل على الطريقة الشرقية" موضوعيا أصبح مقـر الإدارة العليـا للبنـاء لـشركتنا في عربـت "حالـة حجـز" الضرر ينبغـي تعويـضه. الـسؤال الكبير الآن هـو لايـزال: مـن يجـب أن يـدفع؟. الحلـول التاليـة يجـري تـداولها: أ) الحكومـة تريـد أن تعيـد بنـاء كـل شـيء، ب) الحكومـة تريد تقدير الأضرار ودفع قيمتها لنا، ج) إلقاء الأضـرار علـى ذمـة "طـرف غريـب)، أو د) العاصـفة الـصحراوية "ره شه با" هي المذنبة بكل شيء.

هنا تنقطع أنفاس المـرء. جميـع الجـرذان هنـا قفـزت خارج السفينة. يساعدني بعض الأحيـان كـل مـن سـيغي وولف وآوسي شتروبل في عمليات الشحن إلى بغداد. ولكـن مايجب تقريره وفعله هنا ميـدانيا، هـذا كلـه ظـل عالقـا

بي. أنا المسؤول، وانا يجب أن أرى، وأنا يجب أن أقوم بكل شــيء، لايوجــد مــساهمون ولا مجلــس إدارة، لاأحــد يستطيع، ولا أحد يريد أن يـساعدني. أيـضاً أنـا الوحيـد، الذي رأي بأم عينيه ما الذي جناه الجيش هنا في عربت.

غرفة مطعمنا الجميلة أصبحت إسطبلاً للبقـر. (٣٠) بقرة تستمتع بالإقامة فيها. إلى جانبها في المكتب السابق، حيـث يريـد الـسيد "رجـل الـذكاء" البحـث عـن ملفـه الصغير، تم بناء إسطبل للغنم، وتسكنه الآن (٤٠) غنمـة. وهنــا ينبغــي علــي أيـضاً أن أنفعـل؟ كـلا. جميـع ألـواح الأسقف المعدنيـة جـرى نزعها مـن بنـاء المكاتـب. وهنـا ينبغـي علـي أن أنفعـل مـن أجـل نـزع "براكـة الـسكن" الصغيرة في قلياسان؟ كلا.

كل من الحاكم وقائد الشرطة مـستعدان لأن يـصادقا رسمياً لي، بأن عاصفة "ره شه با" هي التي تسببت بكل الأضرار. ثم ستدفع شركة التأمين قيمة الأضرار، وهؤلاء الإخـوة يـستطيعون وهـم مرتـاحي الـضمير أن يهـدموا ماتبقى أيضاً. لم تعد تفرق معي على الإطلاق. أنـا أريـد فقط أن أغادر من هنا.

وبينما أكتب الرسالة تلقيت دعوة من قائـد الـشرطة المحليـة للشرب. أبلغتـه، أنـي سآتي عـن طيـب خـاطر في الساعة الثامنة مساءً، وليس قبل ذلك، فأنا مشغول جدا.

رسالتي لكم هي أكثر أهمية بالنسبة لي. غالباً لايوجد لديهم مايفعلونه أكثر أهمية من أن، يرسلوا لي خبراً، بمنحي خمسة دقائق فقط مهلة: "تستطيع الآن فوراً السفر إلى عربت." قبل عدة أيام، كانت المهلة قصيرة إلى درجة، أن الطباخ بالكاد تمكن خلالها من أخذ قدر الطعام من فوق البوتوغاز ووضعه في سيارة اللاندروفر، كي نستطيع لدى وصولنا إلى نقطة الهدف، إلتهام لقمة من الطعام. وعلبة الخبز لم ينسها هذا المخلص هورمز أيضاً. إنه روح مخلصة طيبة، طباخي هورمز. إذا يجب أن أسرع إلى نقطة التفتيش المحددة مسبقاً. الطريق كان محمياً بشكل جيد. كانت الدبابات متمركزة على سفح الجبل. كانت المدافع والمدافع الرشاشة تقصف هكذا، بشكل ثانوي القرى الآمنة وتسوي فيها الأرض. هذا بالنسبة لي ليس ماكنت أرغب به من نوع الحماية التي تهدئ خاطري....

أحياناً أفكر، يارجل، هذه حياة كلاب. الجيش في الخارج، الدوريات تروح وتجيء. لحسن الحظ تمنحنا المولدة الكهربائية الضوء. وقبل ذلك رتبت برميل مازوت، كي تبقى الزبدة واللحمة باردة في ثلاجتي. هذه المرة أقول بالمناسبة: "كلما تأخر وصول قافلة الشاحنات من بغداد، كلما أصبح لدي وقتاً أطول من أجل توضيب

المواد، وكلما تمكنت بذلك من شحن المزيد." كم كنت متوهماً فقط عندما فكرت أنه لايزال هناك فقط "قافلة أخر" نحن نحتاج على الأقل إلى قافلتين أخرتين.

بعد الغد هو "عيد الإصلاحات" (يوم الإصلاحات عيد مسيحي بروتستنتي ـ المترجم). سوف أصلي فيه من أجلك أنت وبيترا وأفكر بكما. أتمنى لكما البقاء بصحة وعافية.

من إستهدفت الطلقة الأخيرة؟

كلما وصلت قافلة شاحنات من بغداد، يكون سؤالي الأول دائماً: "هل أحضرتم لي بريداً معكم؟" لم يحضروا لي رسائل، وأنا لدي ظنوني. الرجاء ألا ترسلوا أي شيء على عنواني هنا. إستخدموا إعتباراً من هذه اللحظة عنوان سيغي وولف في فندق الخيام في بغداد. فهو حينئذٍ سيحضر لي معه كل الرسائل. بداية في الدرجة الثانية اسألهم دائماً عن الأطعمة، لأنه بالفعل لايوجد لدي أبداً مايكفي من الطعام.

جميع الجهات تلح عليَ وتسألني، متى سوف ننتهي أخيراً، ومتى سو ف نرحل بشكل نهائي. في الساعة السادسة مساءً على سبيل المثال، دعاني الحاكم لشرب الشاي، سألني عن صحتي، وعن كل ما يجب عليه هنا سؤال ضيفه. بشكل ثانوي تماماً سألني: متى سأنتهي أخيراً، ومتى سيتم تحميل جميع الشاحنات. وأن المرء

سوف يكون راضياً إذا سمع، بأن الأمور سوف تنتهي كلها خلال عدة أيام. والآن إستمعوا إلى مايلي: في ذات اليوم، في الساعة (١١) مساء، كنت قد إستلقيت منذ ساعة في السرير، حينما سمعت طرقاً على باب منزلي، في إحدى الأكواخ في عربت: الجيش! وأبلغت، أن آخر قافلة شحن لنا يجب أن تغادر صباح الغد في الساعة السابعة. يريد المرء رؤية معسكر عربت مغلقاً. أو يمكن أن يكون السبب هو أن الضجة التي نصدرها نحن تسببت بإقلاق راحة البقر في غرفة مطعمنا والأغنام في مكاتبنا! خوارالبقر وثغاء الأغنام طوال الليل على مايبدو قد أزعج مركز الشرطة الذي يبعد (٥٠) متراً من هنا.

لم يعد شيء يثير دهشتي. عدت إذن في اليوم التالي إلى السليمانية. والوقت أصبح ملائماً لهذه العودة بالنسبة لي، كي أغتسل وأحلق لحيتي، حيث أني لا أتمكن هنا سوى بالكاد من تنظيف أسناني وغسل وجهي. لم أحلق لحيتي منذ ثلاثة أيام. لدي هنا في الكوخ (١٨) رجلاً بصفة ضيوف (أحتاجهم لمساعدتي في توضيب المواد والمعدات). هذا يكفي، لأنهم جميعاً يريدون أيضاً أن يرتاحوا، وما إلى ذلك. وضع هورمز للتو فنجاناً من القهوة أمامي، فأوقع أثناء ذلك الشمعة. تستطيعوا رؤية ذلك من بقعة الشمع على الورقة.

بعد عدة أيام. يجب أن تفكروا بأني جننت. مرة أكتب لكم أن الشحن يسير قدماً، ثم أكتب لكم مرة أخرى: الشحن يراوح مكانه. ولكن هذا لاشأن له بي. جرى خلال ذلك فتح الطريق بين السليمانية وكركوك بالقوة من قبل قوات الحكومة. إلا أن الطريق بين عربت وسد دربنديخان لاتزال مغلقة، إذن يجب أن نتجه أولاً نحو كركوك، ومن هناك بإتجاه الجنوب نحو بغداد. أحد العرب، من الذين يساعدونني في توضيب المواد، همس لي، أنه يجري الآن في بغداد تبادل لإطلاق النار. رأيت بالصدفة بعد ذلك عدداً من الدبابات متجهة نحو السليمانية. كالكلب طوال نصف ساعة طلبت من الجيش السماح لي، رجاءً ثم رجاءً إسمحوا لي ان أرسل القافلة إلى السليمانية. أخيراً سمحوا لنا بتحريك كل الاليات القابلة للتحريك، وأنا قلت لسيغي وولف: (بغض النظر عما يحدث، إنطلق، إنطلق، إنطلق. جاء أحد السائقين بسرعة الصاروخ وأخبرني: "أوقف الجيش القافلة، لانستطيع السفر." قدت سيارة اللاندروفر كالمجنون حتى بداية قافلة الشحن، وإستصرخت سيغي: "لاتلقي بالأ، إنطلق، إنطلق، إنطلق." وهو إنطلق بحزم في الطريق الذي أصبح بالنسبة له مألوفاً جداً. وأنا ذاتي عدت إلى السليمانية. لازال عدد كبير من الدبابات متمركزاً على

سفح الجبل. إضافة إلى المدافع الرشاشة والمدافع. ولكن لم يكن معي أية قوة حماية مرافقة. وهكذا علمت بداية أيضاً عند مدخل المدينة بأمر منع التجوال الجديد. فأنا منذ ثلاثة أيام في عربت، ولم أعلم بمجريات الأمور أثناء ذلك في المنطقة. مثل البقية أوعزت قوات الجيش والشرطة بأن أقف في طريق للوقوف. ومن هناك رافقتنا الشرطة إلى منازلنا جميعنا. بداية هنا علمت بسبب هذا التوتر الجديد للوضع. لقد حدث في بغداد شيء ما، ثم قام الكرد ببعض الأعمال الغبية، فأعلنت حالة حظر التجوال الكاملة.

ثم علمت فيما بعد من الجنرال ذاته شخصياً، بأن المرء قام مرة أخرى بإنقلاب في بغداد. سررت جداً بالخديعة التي قمت بها، عندما سمعت من الجنرال: "سيد ويتمان، أنت جرماني جيد، أنت لاتخاف شيئاً، ومرة أخرى تسافر من دون مرافقة حماية. أنت تعلم أن بالأمس جرى إنقلاباً، وأن تصرفك في هذه الحالة يعرضك لعقوبة الإعدام." ضحكت فقط، وقلت للجنرال: "هذا قدري أني جرماني ولست عراقياً. أنا لاعلاقة لي بالإنقلاب العراقي. ولاتنسى أيضاً، حسب كلام الراديو، تجري حماية أملاك الأجانب." جوابه كان: "كلا، على الإطلاق، لايمكن للمرء أن يعبر عن الأمر بهذا الشكل،

بمفردك بالكامل ممنوع أن تسافر أيضاً." مع ذلك أعطاني بعدئذٍ "تصريحه الشخصي بالمرور" من جديد. يسمح لي كمدني بمفردي أن أتجول هنا في السليمانية بسيارتي اللاندروفر.

مساءً وصلني إتصال هاتفي من المدير العام هاوسمان من بغداد. الرجل الطيب يجلس هناك على أحر من الجمر، ولايستطيع المجيء إلى الأعلى، كما لايحصل على إتصال هاتفي أيضاً. ولكن هذه المرة حالفه الحظ. إرتاحت روحي عندما سمعت بأنه إتصل بك عزيزتي إيلا وببيترا عدة مرات. والآن أنا أيضاً أعلم، بأنه في مكان ما توجد كمية كبيرة من الرسائل منكم بإنتظاري. ربما يوجد أيضاً الآن سيد "رقيب" لهذه الكمية من الرسائل!

لم أستطع الكتابة لفترة طويلة. ولكني عوضاً عن ذلك، أستطيع الآن أن أخبركم بأننا سوف نكون في عيد الميلاد معاً. أنا أجلس الآن في فندق الخيام في بغداد. نمت طوال (٢٤) ساعة، وأخذت دوشاً وتناولت طعاماً لذيذاً، وأهتم حالياً بإجراءات السفر، وأنا أحمد ربي، كوني سأذهب أخيراً إلى دياري. سوف يكون لدينا الكثير لنقوله.

في يوم سفري في السليمانية، أوضحوا لي لآخرة مرة، إلى أية درجة الوضع هنا خطير بالنسبة لي، ويجب عليَ

أن أحمد الله مرات عديدة، لخروجي من قدر الساحرات هذا أيضاً.

من حيث المبدأ أتفهم بأن الكرد يريدون بلادهم التي تخصهم. وأنا أجد أيضاً، أن المرء سرق في هذه البقعة من العالم بلاداً ذات مرة، كي يعطوا شعباً أرضاً خاصة به. إذن لماذا لاتجري سرقة مرة أخرى، لأن هؤلاء الكرد المساكين لديهم ذات الحقوق فيما يخص أرضهم مثل اليهود أيضاً. ولكن رجاءً ليس على حساب حياتي.

لحسن الحظ كنت قد أرسلت جميع حاجياتي إلى بغداد. وضبت الملابس المتبقية لدي على جناح السرعة، التي إتسعت في حقيبة صغيرة. المدير العام هاوسمان أكد لي، أنكم ستكونوا في المطار مع ملابس شتوية لي بإنتظاري.

كان المرء بإنتظاري عند مخرج السليمانية. الحاكم وقائد الشرطة وكل من له مرتبة وإسم كان ينتظر هناك قدومي من أجل وداعي. كانوا صادقين بالفعل، عندما تمنوا لي التوفيق برحلة العودة إلى الديار. بدت الراحة واضحة على وجوهم، كونهم أخيراً سيتحررون من المسؤولية تجاهي. قرأت ذلك في ملامح الوجوه المنبسطة. خوفهم المستمر من تعرضي للإختطاف أو للقتل، كان طوال الوقت حقيقاً. كانت جهودهم التي

بذلوها من أجل حمايتي كبيرة وصادقة، وكما نعلم نحن، ناجحة. أخيراً رأوني أرحل! وكل منهم قال لي من كل قلبه: الحمدلله والشكر للسماء. أرحت نفسي بالإستناد بظهري إلى الخلف، وهنا حدث الأمر: طلقة نارية ! إتجهت بدقة ونظافة ومباشرة إلى هدفها مخترقة زجاج السيارة الخلفي، بين رأسينا حسن أحمد، السائق، وأنا، وتابعت طريقها مخترقة الزجاج الأمامي. لم يكن على الطلقة أن تصيبنا على مايبدو، ولكنها كانت تعني تحذيراً أكيداً. ومرة أخرى عاهدت نفسي: لن أسافر أبداً إلى بلاد أوضاعها السياسية حارة! حتى كركوك كان علينا عبور خمسة حواجز تفتيش.

(ملاحظة من إبنة برنارد ويتمان ـ بيترا ـ المترجم)

بتاريخ (٢٣) كانون الأول سنة (١٩٦٣) هبط والدي في مطار دوسلدروف. كي تفرحه، سلمته أمي في المطار مفتاح باب "بيته" الجديد. بالكاد، بعد أن دخل إلى البيت، ذهب وهو لايزال يرتدي قبعته ومعطفه، إلى البيانو، وراح كما كان يفعل في زياراته السابقة للديار، يضرب بقوة على البيانو، وعزف وغنى:

ربنا الكبير، نحن نمجدك! أيها الرب، نحن نحمد قوتك!

أمامك تنحني الأرض وتنبهر لأعمالك.

مثلما كنت في كل الأوقات.

هكذا تظل إلى الأبد.

في اليوم التالي، في الحال بتاريخ (٢٤) كانون الأول سنة (١٩٦٣) ذهب والدي إلى متجر الكنيسة الصغيرة في القرية وإشترى صليباً من أجل المنزل. ومن ثم رتب زيارة لقسيسنا إلى منزلنا من أجل مباركة المنزل، كي يحظى منذ البداية بحماية الله.

فقط هذه المرة إستطاع والدي أن يفرح ببيته. ولكن الصليب لايزال حتى اليوم يحظى بمكانة الشرف في دياري.

ضيق المكان في ألمانيا

شباط (١٩٦٤)

عزيزي السيد دوم، عزيزتي السيدة دوم،

إنتهت أيام عطلة عيد الميلاد. أحمد ربي أني أخيراً لم يتوجب عليَ تمضية هذا العيد المميز لوحدي، بل مع زوجتي وإبنتي بيترا. عند وصولي إلى مطار دوسلدرف، سلمتني زوجتي مفتاح باب المنزل الجديد. نظمت زوجتي عملية بناء المنزل بطريقة رائعة جداً. لقد اصبح منزل في منتهى الجمال. لكنني أريد في البداية أن اصف لك كيف جرت عملية مغادرتي للعراق. عايشت المتاعب والمآسي حتى النهاية. سائق ناقلة الآليات الكبيرة كان يريد السفر إلى السليمانية. كان يجب عليك رؤية نظرة البلاهة في وجه السائق عندما أمرت أنا: "مستحيل، عليك أن تستدير وتسافر إلى كركوك، وبداية من هناك بإتجاه بغداد. جرى التحميل بسرعة البرق،

وفي الحال بدأت الرحلة بإتجاه الديار. عوضاً عن قطار الضواحي من كركوك، سافرت الآن إذن مع الناقلة في الكرسي الذي بجانب السائق إلى بغداد. تجاوزنا آخر حاجز تفتيش في السليمانية. جميع الشخصيات المعروفة من الجيش والشرطة والحكومة المحلية تجمعت هناك من أجل وداعي. أنا لاأستطيع لومهم، كونهم كان فرحين بالخلاص مني، وأنا حياً حتى.

اليوم التالي في بغداد، في إدارة البناء العليا، كان كل شيء ماعدا مريح. بداية التحية التي قابلوني بها، كأني عدت لتوي من متجر السجائر في زاوية الشارع. وثم حدث الإنفجار المدوي. أنت سيد دوم تعلم، بأنه لم تصلني منهم إتصالات هاتفية ولا تعليمات أو نقود، ناهيك عن الزيارات من قبل إدارة البناء العليا في بغداد بإتجاهنا، وإذا حصل، حينها بشكل يكاد لايذكر. كان علينا الإقتصاد والتقتير مثل أيام الحرب العالمية الثانية. لم يكن يوجد لدينا شيئاً على الإطلاق. والآن يوجهون النقد لي بالفعل، بأننا، أنت وأنا على سبيل المثال، نقلنا المازوت من أجل مصلحتنا الشخصية. "كنت الحمار الأكبر، حين تصرفت وفقاً لمصلحة الشركة في الدرجة الأولى وغامرت بحياتي لأجل أموالها. كان علي أن أفعل مثلما فعل الجميع بعد إختطاف السيدان ليشه وهاتز، أن

أحزم أمتعتي وأذهب. فقط تفكيري بزوجتي وبإبنتي بيترا أعطاني الطاقة لإحتمال هذه الساعات القاسية."

كما هو صحيح القول: عدم الشكر هو قيمة العالم.

الطقس بارد في ألمانيا. لدينا مايكفي من الثلوج والجليد. وقد وقعت على ساقي ايضاً. أعطاني الطبيب إجازة مرضية لمدة (٦) أسابيع، وهذه الأسابيع سوف تحسب علي من فترة إقامتي في ألمانيا. إذا لم تقدر الشركة وتعترف بالحد الأدنى الأشهر التي قضيتها في الحرب، عندها يجب أنا ذاتي أن أسعى للحصول على هذا التقدير. وهنا نكون قد وصلنا إلى الموضع التالي:

ألمانيا... الدنيا هنا ضيقة بشكل مريع في هذه البلاد. أنا اشتاق إلى جبالي الإيرانية، إلى السكون والبعد. أنا أحس هنا بالإختناق. سوف نرى ماالذي لدى الإدارة العامة من عروض. ولكن بالنسبة لي يوجد شيء واحد أكيد مثل كلمة "آمين" في الكنيسة: لن أذهب إلى أي مكان بدون زوجتي، وبدون إبنتي.

هل إعتاد كلبي بيتر على الحياة عندكم؟ ماذا يفعل المدراء عمر وعزيز؟ بلغهما رجاءً تحياتي القلبية، وكذلك تحياتي إلى عبدالله وزوجته. وبلغ تحياتي أيضاً إلى الحاكم ومدير الشرطة، وإلى التاجر المخلص ساكو

أيضاً. هل سارت الأمور بشأن العمل الجديد في بغداد مع طباخي هورمز على مايرام؟

وأتمنى لك ولزوجتك العزيزة بمناسبة رأس السنة الجديدة (١٩٦٤)، أن تتمكنوا أخيراً من تنفس الهواء الأوروبي - في إجازة إلى الديار.

دعني أسمع أخبارك، مع تحياتي القلبية.

المخلص

برنارد ويتمان

المحطة الأخيرة:
الجنة على الأرض

لم يحتمل والدي العيش طويلاً في ألمانيا. خلال السنوات المنصرمة كانت هناك عدة مشاريع على بساط النقاش. القاهرة، حيث توجد هناك مدرسة ألمانية أيضاً، صرف النظر لأسباب سياسية. النمسا، اقرب مما يجب، صرف النظر عنها، لأنه عاش أطول مما يجب في العراق. وساحل العاج، ثم مالاكا في إسبانيا، وعلى ساحل بحر قزوين في إيران.

ثم كان هناك مشروعاً في "المستعمرة البريطانية على ساحل القراصنة" في الخليج العربي. كان علينا إحضار "الأطلس" كي نرى أين تقع هذه المستعمرة. المشروع كان نموذجياً بالنسبة لوالدي: يجب بناء ميناء. في البداية كان عليه تأسيس البنية التحتية: بناء قرية ألمانية صغيرة تتضمن حوالي (١٠) أبينة، والورش، وهذا كله في وسط الصحراء على ساحل البحر. إنه مشروع

كأنه مصنوع من أجل الرجل، الذي إستطاع أن يحافظ على نفسه بهذا الشكل في "كردستان البرية"

في رسالته الأولى من هناك، كتب والدي: "أنا أتيت إلى الجنة. هنا تحت، نريد أن نرتاح." بعد سفره بفترة قصيرة لحقت به والدتي. قضيت عيد الميلاد سنة (١٩٦٧) عند أهلي في الشارقة. خلال هذه الأسابيع قال لي أهلي، بشكل منفصل عن الآخر: "هذه السنوات هنا في الأسفل، بعيداً، بعيداً جداً، كانت أسعد سنوات زواجنا."

توفي والدي في كانون الأول سنة (١٩٦٨). وحسب رغبته جرى دفنه في ذات اليوم في الشارقة، في مقبرة مسيحية صغيرة برفقة "دشداشته غطي التابوت بعلمين: بعلم ألمانيا، كما بعلم الشارقة العزيزة على قلبه (الإمارات العربية المتحدة اليوم). أقام حاكم الشارقة مراسيم دفن رسمية وصلى على جثمان والدي في المسجد، وشقيق الحاكم كان أحد الذين حملوا التابوت. توجب على المحال التجارية الإغلاق طوال ثلاثة أيام من أجل الحداد على والدي. وجد الراحة الأبدية في الجنة التي أختارها بذاته.

نتاجات ومنشورات
القاص فاضل كريم أحمد
(ماموستا جعفر)

الكتب:

ـ الكسوف	قصص قصيرة	خري نيَوزةنط	١٩٨١
صيد السمك	رواية	ستوكهولم	١٩٨٦
ـ في الدوامة	قصص قصيرة	ستوكهولم	١٩٨٨
الصقرالأحمر	سيناريو	السليمانية	٢٠٠١
ـ تشكل الاطار الاقتصادي والسياسي للطبقة البرجوازية في مدينة السليمانية		السليمانية	٢٠٠٣

- Fadil Ahmad: Die Kurdische Befreiungsbewegung zwischen Stammeskultur und Politischer Erneuerung. Hildesheim. 1994.

كتاب الحركة التحررية للشعب الكردي بين الثقافة العشائرية والتحديث السياسي. هذا الكتاب هو رسالة ماجستير قدم في سنة ١٩٩٤.

ـ الوند والأسطورة	رواية	السليمانية	٢٠٠٤
ـ تاريخ الفكر الكردي	بحث	السليمانية	٢٠٠٥
ـ أنا لا أؤمن	بحث	السليمانية	٢٠٠٦

بالديمقراطية الكردية

منفيست مكتب الفكر والوعي لتحديث الاتحاد الوطني الكردستاني

ـ مدينة السليمانية صراع الجماعات الاجتماعية ١٨٢٠ ـ ١٩٢٠

ـ مام جلال السليمانية ٢٠٠٧

ـ المقالات والبحوث:

خانقين خلال ربع قرن (١٩٠٠ـ ١٩٢٥)، خمس حلقات (التآخي) ١٠و ١١، ١٣، ١٣، ١٤ حزيران ـ ١٩٧٢.

(خانقين خلال ربع قرن (١٩٠٠ـ ١٩٢٥) ـ بحث ميداني ـ السليمانية بغداد ١٩٧٤

ـ الرومانتيكية في الأدب الكردي ـ مجلة الثقافة ـ عدد (١) س (٤) ص (١٠١) ـ بغداد ـ ١٩٧٤.

ـ لماذا سادت اللهجة الطورانية في الأدب الكردي ـ مجلة الثقافة ـ بغداد ١٩٧٣.

چەند لێکۆڵینەوەیەك دەربارەی شەڕی پارتیزانی خڕی نێوزەنگ ـ ١٩٨١.

- Fadil Ahmad: Die Stellung der Frau in der Kurdischen Gesllschaft.
In: VIA – Magazin (Bonn). 3 (1991) S. 1- 20

مقال دور المرأة في المجتمع الكردستاني (منشور بالألمانية) في مجلة VIA

Fadil Ahmad: LUTTE ARMEE ENTRE LE MYTHEEETLAREALITE

In: HALKAWT HAKIM: Les Kurdes par-dela exode. Paris 1992.

مقال الكفاح المسلح بين الأسطورة والحقيقة. ترجمة من قبل (د. هلكوت حكيم) إلى الفرنسية ونشر في كتاب في سنة ١٩٩٢ في باريس. المقال نشر باللغة الكردية في مجلة (يەكطرتن) وعلق عليه مجموعة من الكتاب.

- التيارات والاتجاهات الأدبية والفكرية في القرن التاسع عشر - التآخي ١٩٧٢.

الادارة الكردية مشاكل وآفاق التطور - السليمانية - ٢٠٠٩

المنفى وازهار الفراديس الذابلة (مجموعة قصصية) - السليمانية - ٢٠٠٩.

نالى (سيناريؤ) - كوردسات - ٢٠٠٠

گۆران في ذكريات معاصريه (بالاشتراك مع ريبوار حمه توفيق) - الجزء الاول - السليمانية - ٢٠٠٧

گۆران في ذكريات معاصريه (بالاشتراك مع عبدالله زنگنه) - الجزء الثاني - السليمانية - ٢٠٠٩

- ((قصص فاضل كريم احمد تأبى المنفى أينما رحلت)) - إشراف و تقديم : غسان نعسان ، مراجعة: ماموستا جعفر. السليمانية - ٢٠٠٩.

الكاتب
غسان نعسان

كردي سوري من مواليد عام ١٩٥٦ في مدينة القامشلي

ـ عمل في المسرح الجامعي بحلب ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ممثلا ومساعد مخرج. سافر إلى ألمانيا الغربية ١٩٧٨ ودرس العلوم المسرحية في جامعة ميونخ، ودرس في معهد "جميلين للتمثيل" في مدينة أولم ـ ألمانيا ١٩٨٤ـ ١٩٨٥.

أسس فرقة" ورشة عمل لمسرح الأطفال" تحت اسم مسرح (كان يا ما كان) في مدينة ميونخ اختصت بمسرح بديل للأطفال وبرؤية جديدة. نالت فرقته التمويل السنوي الكامل مدة ثماني سنوات من وزارة الثقافة لحكومة باظاريا الحرة في ألمانيا.

أخرج وكتب العديد من المسرحيات باللغة الألمانية في مسارح ميونخ والعديد من المدن الألمانية والنمساوية والسويسرية.

وعمل مخرجا وممثلا في السينما والتلفزيون في الإنتاجات الناطقة باللغة الألمانية.

وعمل مدرساً لمادة التأليف المسرحي في عدد من المعاهد والأكاديميات المسرحية في ألمانيا.

وترجم مسرحيات مختلفة من اللغة العربية إلى الألمانية، منها" رجال في الشمس"لغسان كنفاني، و"الملك هو الملك" لسعد الله ونوس، و"المتشائل" لأميل حبيبي.

بعد عودته إلى سورية في العام (١٩٩٩) عمل كمخرج مسرحي في دمشق وشارك كممثل في المسلسلات التلفزيونية وكتب نصوصا مسرحية عديدة باللغة العربية وكتبا نقدية مسرحية وسينمائية وترجم حتى الآن من اللغة الألمانية إلى العربية أكثر من عشرين كتاباً، منها:

١ـ «المخترع» دورينمات / مسرحية

٢ـ «المنقذ» دورينمات/ مسرحية

٣ـ «المشارك» دورينمات/ مسرحية

٤ـ «الشاشة الشيطانية» لوته آيزنر

٥ـ «رحلة ما بين البحر والقمر» مسرحية ـ غسان نعسان

٦ـ «أغنية بنفسج وياسمينة» مسرحية ـ غسان نعسان

٧ـ «الكتابة للتلفزيون» فيفين برونر

٨ـ «الكرد اليوم» مجموعة مؤلفين

٩ـ «دراسات كردية» مجموعة مؤلفين

١٠ـ «كردستان والسياسة السوفيتية» فاضل رسول

١١ـ «مذابح الأرمن» وثائق محاكمة

١٢ـ «سيرة شبه ذاتية» اكيرا كوروساوا/ رواية

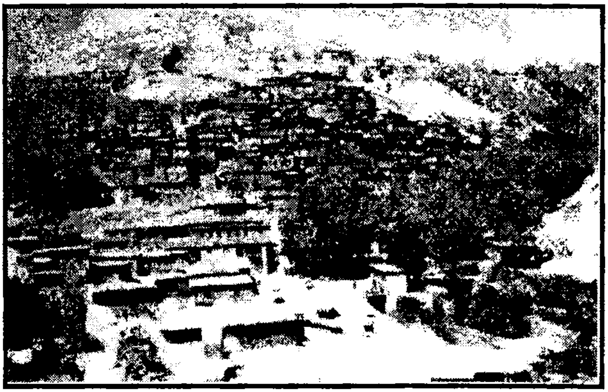
١٣ــ ((قـصص فاضـل كـريم احمـد تـأبى المنفـى أينمـا رحلت)) ـ إشراف و تقديم :غسان نعسان).

يعيش في كردستان العراق ـ السليمانية منـذ ٢٠٠٥ ويعمـل عضوا في هيئة تحرير مجلة كلاويز العربيـة وكـادر في مكـتـب الفكر والوعي للاتحاد الـوطني الكردسـتاني ومـترجـم ومؤلـف مستقل.

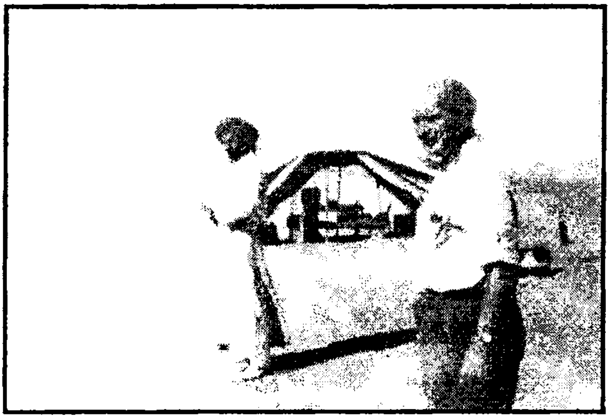
Email:
GHASSAN-NAASAN@HOTMAIL.COM



أحد اقسام شركتنا في كوني رەش على ضفة نهر تانجرو



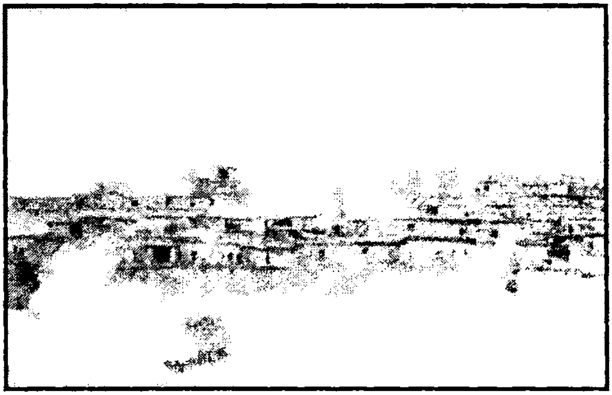
قرية كردية كلاسيكية على سفح جبل



مع الحارس الشخصي رشيد في أحد اقسام شركة طريق الشمال



الطريق الأسفلتية الأولى في شمال العراق (صناعة المانية)



يمكن لكردستان أن تكون وفيرة الثلوج



تخليص برزنجه من حصار الثلوج



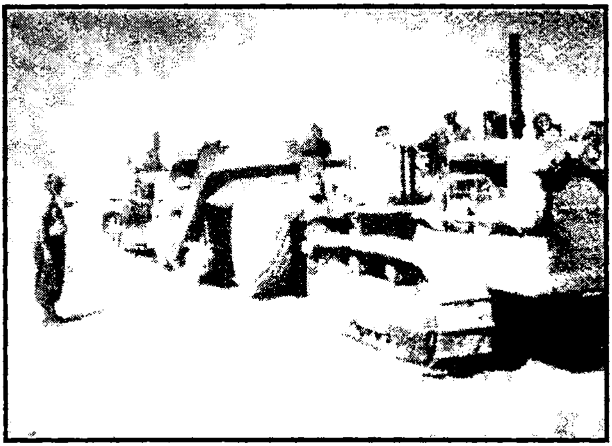
إستعراض المجاريف: عمال كرد وعرب



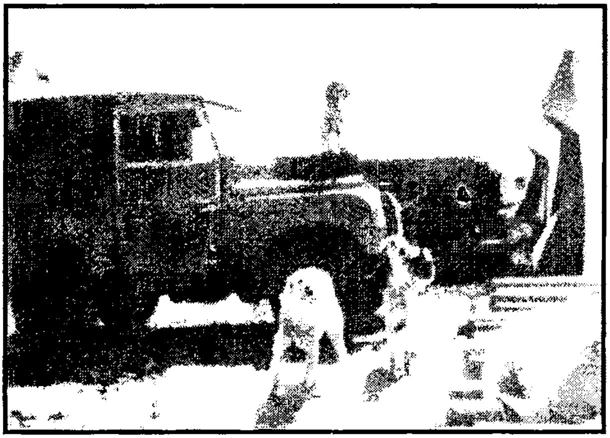
الإستراحة من لدغة الثعبان مع روايات كارل ماي والجغرافيا.
في الخلفية ((مدفأة – علاء الدين)).



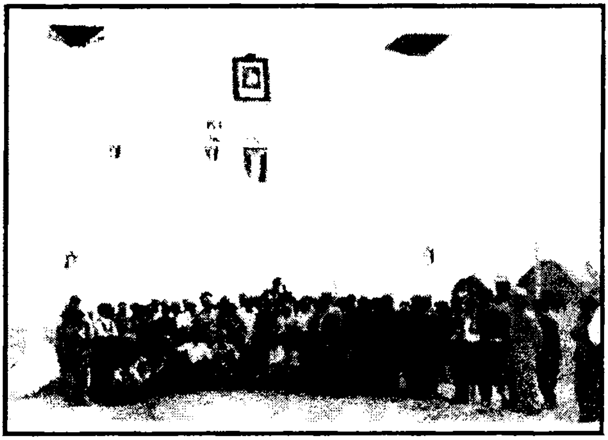
يوم عطلة! صورة جماعية للشاحنات



إصلاح طريق والعناصر اللازمة



فوق غطاء المحرك: الكلبة نيللي



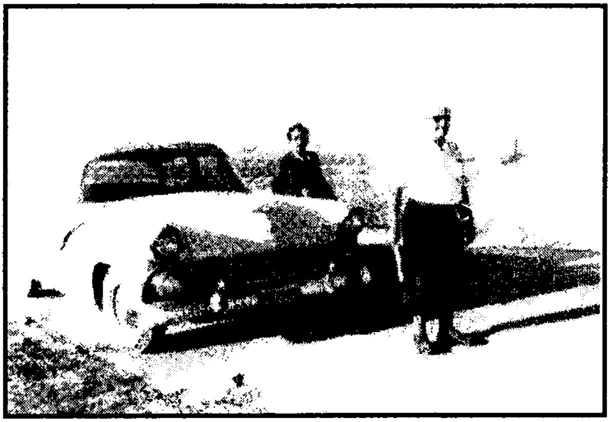
قوس النصر من صنع شركة مونير للبناء



في المقدمة: الملك فيصل الثاني في السليمانية، تشرين الثاني، ١٩٥٥



إحدى ((الجايخانات)) بالقرب من وادي تانجرو



رحلة عمل في أحد الأقسام ، وتبدو عربت في الخلفية



ويتمان مع ممثلين قرى كردية، أمام ورشة قار



برزنجه، الشارع الرئيسي، يظهر مركز الشرطة و دار البلدية



ناميق مصطفى آغا



برنارد ويتمان



مهندسون ألمان (في الأعلى من اليمين: ويتمان) في ضيافة الآغا في حديقته (في الأعلى في الوسط)

حصلنا على صور الآغا ناميق مصطفى من إبنه الأكبر (لندن)
ندين بالشكر للشاعر الكردي شيركو بيكس و مجلة سردم، الذين عبرهما تمكنا من الإتصال مع آوات ناميق آغا.



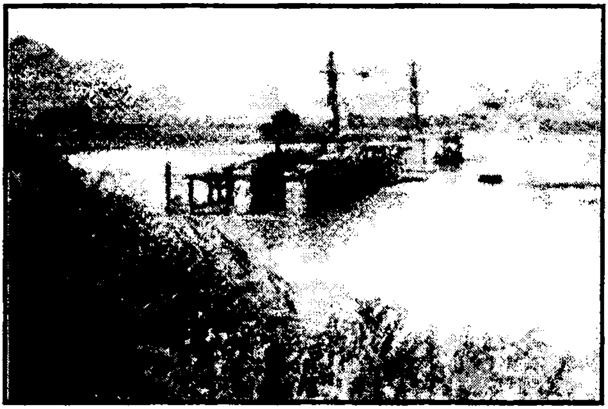
جريدة ((بيلدتزايتونك))، عدد (١٨) تموز ١٩٦٣



الأمطار الغزيرة جرفت طريقاً شبه مكتملاً



جبال زاكروس: في مكان ما هناك يجب أن يكون المختطفون

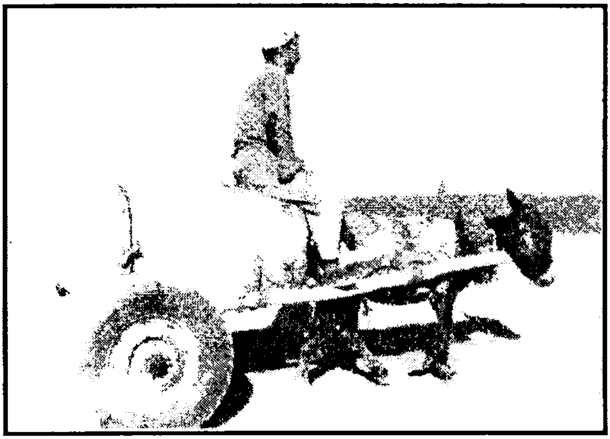


الأمطار الغزيرة جرفت أيضاً ورشة بناء جسر و أصابتها بأضرار جسيمة



برنارد ويتمان مع سيارة العمل – اللاندروفر (١١٠) حوالي

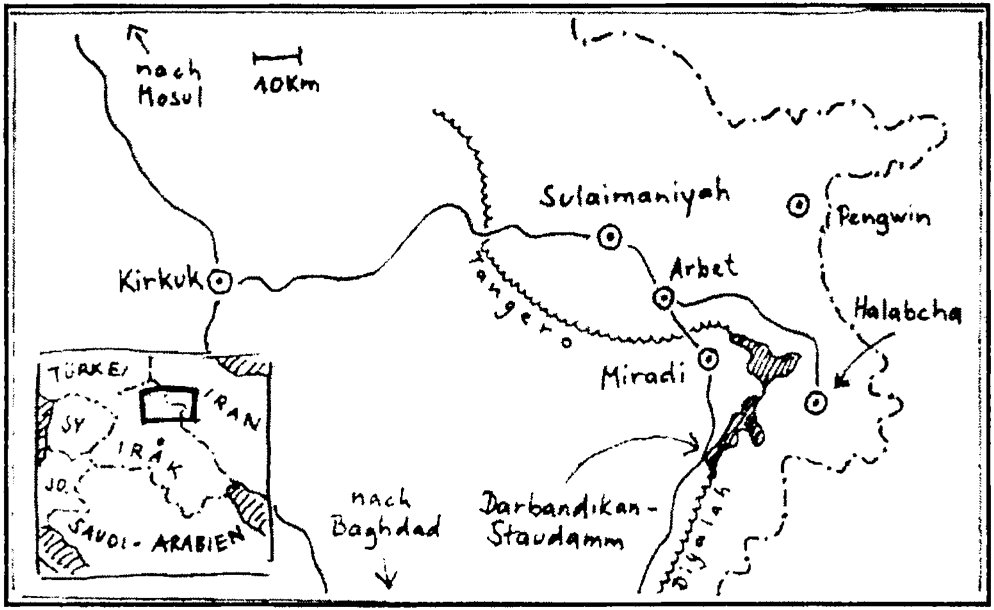
١٩٥٩



بائع كاز مع عربة جر بطاقة حمار واحد



موسم الحصاد

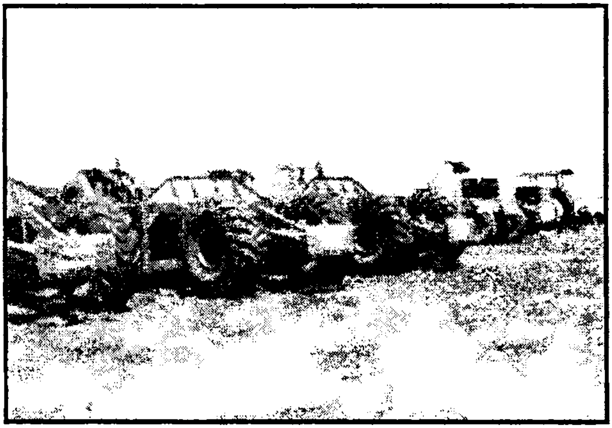


nach Mosul
10Km
Kirkuk
Sulaimaniyah
Pengwin
Arbet
Halabcha
Tangero
Miradi
Darbandikan-Staudamm
Diyalah
nach Baghdad
TÜRKEI
SY
IRAN
IRAK
JO.
SAUDI-ARABIEN

ooo



برنارد ويتمان في بغداد (١٩٥٥)



آليات بناء ثقيلة في معسكر فلياسان

من منشورات مكتب الفكر والوعي
للإتحاد الوطني الكردستاني
لسنتي (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩)

ژ	ناوی بڵاوكراوه	ناوی نوسەر	ساڵی دەرچوون
٢٥١	هەرێمی كوردستان و توركیا	مامۆستا جەعفەر	٢٠٠٨
٢٥٢	پارتی سۆسیال دیموكراتی سویدی	عوسمان حەمە رەشید گوردن	٢٠٠٨
٢٥٣	جلال الطالباني رجل القرار	حوار مع الفضائية العراقية	٢٠٠٨
٢٥٤	لەكیبە هاردییەوە بۆ گۆردن براون	سلێمان عەبدوڵلا یونس	٢٠٠٨
٢٥٥	دەسەڵاتی دادوەری	گۆران ئازاد حەمە گەمجان	٢٠٠٨
٢٥٦	جەنگی دەرونی	ئاراس فەریق زەینەڵ	٢٠٠٨
٢٥٧	كركوك بموجب احصاء عام ١٩٥٧	قسم البحوث واستطلاعات الرأي	٢٠٠٨
٢٥٨	مام جەلال جێگری سەرۆكی سۆسیالیست ئینتەرناسیۆنال (ی. ن. ك) ئەندامی هەمیشەیی	مەكتەبی بیروهۆشیاری	٢٠٠٨
٢٥٩	گۆڤاری نۆڤین ـ ١٣ ـ		٢٠٠٨
٢٦٠	پرۆژەی قانونی بەگژداچوونەوەی گەندەڵی	كارسێن بابەكر	٢٠٠٨

٢٦١	دەروازەیەك بۆ پەیوەندییە نێودەوڵەتییەکان	د. ئەنوەر محەمەد فەرەج	٢٠٠٨
٢٦٢	کردستان والسیاسة السوفیتیة في الشرق الأوسط	تألیف: فاضل رسول ترجمة: غسان نعسان	٢٠٠٨
٢٦٣	ئاشنابوون بەسۆسیال دیموکراتی	کارزان کاوسێن	٢٠٠٨
٢٦٤	جیهانێکی دادپەروەر شیاوە	کارزان کاوسێن	٢٠٠٨
٢٦٥	لێپرسراوێتی و خۆشگوزەرانی هاوبەش	کارزان کاوسێن	٢٠٠٨
٢٦٦	پێ بەپێی مێژوو بەرەو بەهەشت	کاوسێن بابەکر	٢٠٠٨
٢٦٧	کردستان والحقوق القومیة للترکمان	د. مکرم الطالباني	٢٠٠٨
٢٦٨	قەیرانەکانی دیموکراسی	نووسینی: رالف دارن دۆرف و. لەئەڵمانییەوە: ئیسماعیل حەمەئەمین	٢٠٠٨
٢٦٩	قضیة إبادة الأرمن امام المحکمة أو قضیة طلعت باشا	ترجمة: غسان نعسان مراجعة: ماموستا جعفر	٢٠٠٨
٢٧٠	ئیرلەندای باکوور	سلێمان عەبدوڵلا یونس	٢٠٠٨
٢٧١	ناوچەکانی ململانێ لەنێوان کوردو حکومەتەکانی عیراقدا	هەورامان کەمال میرزا عەبدوڵلا تاریق رەئوف محەمەد	٢٠٠٨
٢٧٢	نوروز عید الأمجاد ومفخرة الأحفاد	د. احمد عبدالعزیز محمود	٢٠٠٨
٢٧٣	الکرد في تجارب الأمم وتعاقب	د. احمد عبدالعزیز محمود	٢٠٠٨

	الهمم		
٢٧٤	نیچەو مەسیحیەت	ر: لەفارسییەوە: مەسعود بابایی	٢٠٠٨
٢٧٥	مێژووی قەدەغەکردنی کتێب لەکتێبخانەی گشتیی کەرکوکدا	حەمەدیان	٢٠٠٨
٢٧٦	علميني يا كركوك كيف ابكيك	محمد شوان	٢٠٠٨
٢٧٧	چوار رۆژ لەکوردستانی ئازاددا	موکەرەم تاڵەبانی	٢٠٠٨
٢٧٨	مسألة إبادة الأرمن امام المحكمة ـ الطبعة الثانية	ترجمة: غسان نعسان مراجعة: ماموستا جعفر	٢٠٠٨
٢٧٩	پرۆژە یاساکانی بەرەنگاربوونەوەی گەندەڵی	سمکۆ ئەسعەد ئەدهەم	٢٠٠٨
٢٨٠	یەکگرتووی ئیسلامی لەنێوان ئیسلامیبوونو نەتەوەییبووندا	بەختیار عبدالرحمن	٢٠٠٨
٢٨١	پیسبوونی بینینو کاریگەری لەسەر رەفتاری کۆمەڵایەتی	هەورراز محەمەد	٢٠٠٨
٢٨٢	شارەزوورو لوڕستانی باکوور	د. حسام الدين نەقشبەندی	٢٠٠٨
٢٨٣	خانی ـ شاعیرو بیرمەند، فەیلەسوفو سۆفی	پرۆفیسۆر. د. عیزەدین مستەفا رەسوڵ	٢٠٠٨
٢٨٤	زاراوەکانی کۆنفرانس	نەجاتی عەبدوڵلا	٢٠٠٩
٢٨٥	دەرکەوتنی رێکخراوی قاعیدە لەکوردستانی عیراقدا	یوسف گۆران	٢٠٠٩
٢٨٦	سیاسەتی شیعەکان دەرهەق بەکەرکوکو فیدراڵی	ئارام رەفعەت	٢٠٠٩

٢٨٧	مشكلة تقييد السلطة السياسية بالقانون	زانا رزوف حمەكريم	٢٠٠٩
٢٨٨	یاسای پارێزگا ڕێکنەخراوەکان لەهەرێمێکدا	و. خەلیل عەبدوڵلا	٢٠٠٩
٢٨٩	سجالات عربية كردية	د. هەڵکەوت حکیم	٢٠٠٩
٢٩٠	ئیدارەی کوردی ئاستەنگ و ئاسۆی گەشەکردن	مامۆستا جەعفەر	٢٠٠٩
٢٩١	سۆسیال دیموکراسی (مێژوو، تیۆری، رەخنە)	د. ئەکرەمی میهرداد	٢٠٠٩
٢٩٢	بیر ـ ئاوەز ـ زمان	فوئاد عەبدولڕەحمان	٢٠٠٩
٢٩٣	مدينة إله القمر	تأليف: تمارا إم. غرين ترجمة: عبدالرزاق محمود القيسي ،	٢٠٠٩
٢٩٤	ئەستێرەی سوور ـ بەشی یەکەم	بوار نورەدین	٢٠٠٩
٢٩٥	ئەستێرەی سوور ـ بەشی دووەم	بوار نورەدین	٢٠٠٩
٢٩٦	لەبارەی کورد و عیراق و چەند پرسێکی فکری و سیاسییەوە	نووسینی: شاکر نابولسی و: عەدالەت عەبدوڵلا	٢٠٠٩
٢٩٧	هاریکاری نوێ	و: کارزان کارسێن	٢٠٠٩
٢٩٨	کاریگەری مافە سروشتییەکان لەسەرهەڵدانی شۆڕشدا	سەمەد زەنگەنە	٢٠٠٩
٢٩٩	مێژووی بیری کوردی	مامۆستا جەعفەر	٢٠٠٩
٣٠٠	بایەخی جیۆپۆلۆتیکی نەوتی پارێزگای کەرکوک	تارق کاکە رەش	٢٠٠٩

٢٠٠٩	و. لەئەڵمانییەوە: ماکسیمیلیان بیتنەر پێشەکی و پێداچوونەوە: مامۆستا جەعفەر	گەشتنامەی ئەسفەهانی بۆ ناوچەی شنۆو ورمێ و ڕەواندوز	٣٠١
٢٠٠٩	کامیل محەمەد قەرەداغی کردوویەتی بە کوردی	کۆمەڵگەی مەدەنی مێژوویەکی ڕەخنەگرانە	٣٠٢
٢٠٠٩	عبدالرقیب یوسف هەینی قادر	بەرگریکردنمان لە قەڵای هەولێر ساڵی ١٩٩٠	٣٠٣
٢٠٠٩	خەلیل عەبدوڵڵا	تاڵەبانی، جۆرج واشنتۆنی عیراق	٣٠٤
٢٠٠٩	ن: جوێل شارۆن و: هێمن شەریف	دە پرسیاری کۆمەڵناسی	٣٠٥
٢٠٠٩	مەکتەبی بیروهۆشیاری	عیماد ئەحمەد دوو گفتوگۆی ڕۆژنامەوانی	٣٠٦
٢٠٠٩	و. کارزان کاوسین	چەند لایەنێك لە مێژووی ناسیۆنالیزمی ئێرلەندی	٣٠٧
٢٠٠٩	پێشەوا حمید عبداللە	پەیوەندی نێوان دەسەڵاتی یاسادانان و جێبەجێکردن لە دەوڵەتی فیدرالیدا	٣٠٨
٢٠٠٩	فؤاد علي احمد	الأتصال السياسي في الأحزاب الكوردية الإتحاد الوطني الكوردستاني	٣٠٩
٢٠٠٩	تەحسین نامیق	کەرکوك ئاورێك لەرابردوو، دیدێك بۆ ئاینده	٣١٠

٣١١	قەیرانی دیموکراسی	و. بۆ فارسی. نور علی تابنده و. بۆ کوردی. محەمەد باخەوان	٢٠٠٩
٣١٢	نۆڤین — ١٥		٢٠٠٩
٣١٣	خواطر مدنية	محمد سليمان الآحمد	٢٠٠٩
٣١٤	پێگەی ئیزیدییەکان لە حکومەتی هەرێمی کوردستاندا ١٩٩٢ - ٢٠٠٨	مونیرە ئەبو بەکر محەمەد	٢٠٠٩
٣١٥	دەروازەیەك بۆ پەیوەندییە نێودەوڵەتییەکان	د. ئەنوەر محمد فەرەج	٢٠٠٩
٣١٦	کەرکوك لەسەدەی نۆزدەهەمدا	بەختیار سەعید مەحمود شوانی	٢٠٠٩
٣١٧	کۆمەڵەی خوێندکارانی کورد لە ئەوروپا	هەستیار محەمەد عەلی	٢٠٠٩
٣١٨	پاش بورمەلەرزەی هەڵبژاردن	ماموستا جەعفەر	٢٠٠٩
٣١٩	مسألة إبادة الأرمن ـ امام المحكمة ـ الطبعة الثالثة	ترجمة: غسان نعسان مراجعة: ماموستا جعفر	٢٠٠٩
٣٢٠	حاجی قادری کۆیی	جەلال دەباغ	٢٠٠٩
٣٢١	المواطنة و دورها في تكامل المجتمعات التعددية	أمين فرج شريف	٢٠٠٩
٣٢٢	مێژووی گۆڕانە ئابوورییەکانی کەرکوك لە روانگەی سەردەمە مێژووییەکانەوە	سمکۆ بەهرۆز محەمەد (ئەژی)	٢٠٠٩

Bernard Wittmann

Briefe aus Kurdistan

1954 - 1963

كـان المهندس الألماني برنارد ويتمان، الأسير السياسي السابق في معسكرات الأعتقال النازية، يبني الطرقات والجسور في كردستان. بذات الوقت كان يوطد علاقات صداقة ومودة وتأييد للكرد. عايش الاضطرابات السياسية في العراق: سقوط النظام الملكي وعهد الزعيم عبدالكريم قاسم و ماتلاه من إنقـلابات عسكرية. رغم وقوعه بين الجبهات خـلال سنوات ثورة أيلول الكـردية بقيادة الزعيم، الذي يصفه في رسائله بـ " الزعيم الأسطوري"، ملا مصطفى برزاني، والمعاناة والخوف والقلق على حياته و حـياة زملائه الألمان، فقد ظل حتى آخر لحظة أثناء السنوات العشر التي قضاها في كـردستان وفياً للشعب الكردي و مفتوناً بطبيعة كـردستان الخلابة. رغم ميله الي و صداقته مع الكـرد وتأييده لمطالبهم العادلة، إلا أن حياده كان واضحاً مابين الكرد والعرب. نبذ سياسات الحكومات العراقية المتعاقبة تجاه مطالب الشعب الكردي الـتي تجلت بالقتل والإعتقالات وتدمير القرى الكردية وحرق حقول الفلاحين، وتمنى أن يسود السلام و الإخاء بين شعبين يتشاركان في العيش جنباً الى جنب عبر التـاريخ.

المترجم

من منشورات مكتب الفكر والوعي للإتحاد الوطني الكردستاني

2009